مقالات كبار العلماء في الصحف السعودية القديمة

١٣٤٣هـ - ١٣٨٥هـ

المجموعة الثانية

الجزء السادس

جمع وترتيب

أحمد بن عبد العزيز الجماز

عبد العزيز بن صالح الطويل

دار أطلس الخضراء

للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

مقالات كبار العلماء
في
الصحف السعودية القديمة
(٦)

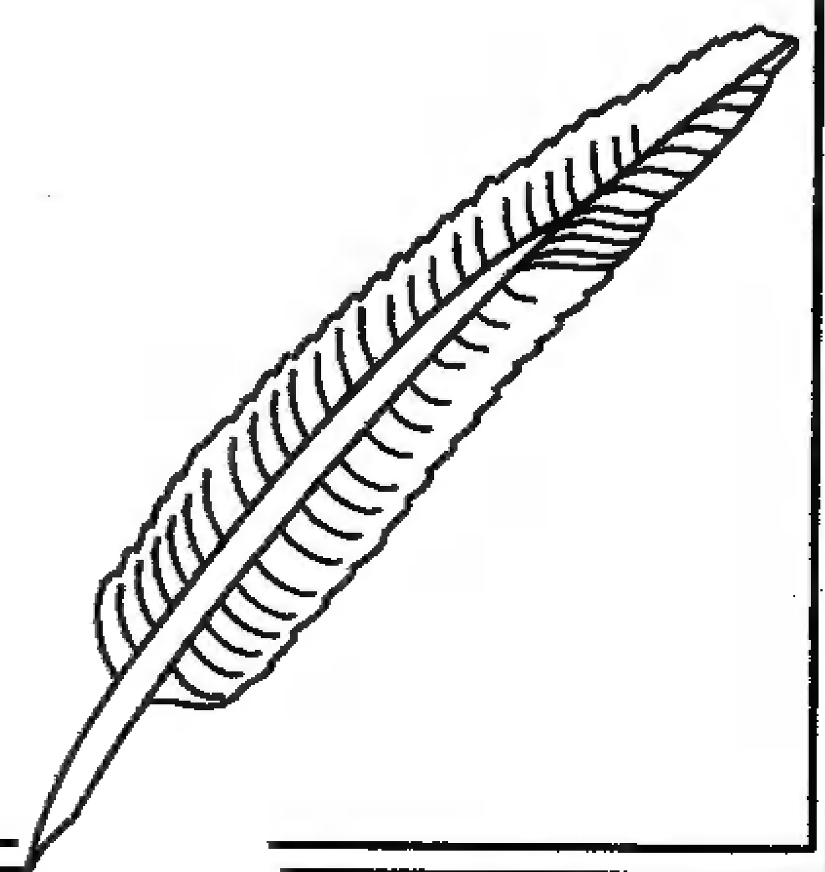
الطَّبْعَةُ الأولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

دار أطلس الخضراء
للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية - الرياض
هاتف: ٤٢٦٦١٠٤ - ٤٢٦٦٩٦٣ فاكس: ٤٢٥٧٩٠٦
www.facebook.com/DARATLAS
twitter: @ dar-atlas
dar-atlas@hotmail.com

[يتبــع]

مقالات الشيخ
علي بن محمد الهندي رحمه الله
١٣٣٠ - ١٤١٩هـ



التعامل بالورق[١]

ليس من شك في أن اللّٰه تعالى قد وضع في ابن آدم عقلًا مفكرًا ، وأمَدَّ هذا العقل بما يتعلمه الإنسان من المعلومات النافعة ، فيَقبَلُ ويؤيد ويطمئن إلى ما يراه حقًّا وصوابًا ، ويرفض ويردُّ ما يخالف ذلك .

وفي اليوم الذي قررت حكومتنا الرشيدة إصدار الورق السعودي كنقد معتبر للتعامل ، ونفذت ذلك فعلًا ، رحب به كثيرون ؛ لأنه خفف عبء حمل الريالات الفضة التي طالما تعب الناس من مشقة حملها وعدها والتماس من يساعدهم على ذلك ، وقد يضيع حاملها عن صاحبها في الأسواق المكتظة بالمارة ، فأزال إيجاد الورق كلَّ هذه المشاق ؛ فهو خفيف الحمل سريع العد ، لا يحتاج الإنسان إذا تحصل على شيء منه- حتى ولو بلغ آلافًا- إلى من يعينه على حمله أو عده .

وكنت أرى أن جميع التعامل به من صرف وبيع وحوالة وقضاء دين ونحوها جائزٌ ولا بأس به ؛ إذ لا دليل على المنع . وسواء كان التعامل بورق مع فضة ، أو بورق مع ذهب . وسواء كان من جنس المكتوب عليه أو من غير جنسه ، زائدًا عما كتب عليه أو ناقصًا عنه .

كنت أسمع أن بعض طلبة العلم يتوقف في إباحة ذلك ، وبعضهم يجزم بالتحريم .

التقيت بفضيلة الشيخ سليمان بن حمدان ، فبحثت معه هذا الموضوع ، فذكر لي أنه قد ورد إليه سؤال من بعض الإخوان بهذا الصدد ، وأنه أجاب عليه بما فيه الكفاية ، فرغبت إلى فضيلته باطلاعي عليها ، فوافق مشكورًا . ولما قرأتها وجدت الجواب سديدًا مقنعًا ، فقد بني على قواعد متينة وأسس إيجابية واقعية ، فاستأذنته ببعثها إلى إحدى صحفنا المحلية ، فأذن أثابه اللّٰه ، وهذا نصها :

---

(١) البلاد السعودية- العدد (٢٩١٧) في ١٣٧٨/٥/٢٢هـ .

سؤال : ما قولكم- دام فضلكم- فيما عمَّت به البلوى من التعامل بالورق كسِكَّة ، وهل حكمه حكم النقدين- الذهب والفضة- في مسائل الربا والصرف فلا يجوز بيع الريالات والورق بالريالات الفضة متفاضلةً ، ولا بيعها بالذهب نساءً أم لا ؟

الجواب : الحمد للّه رب العالمين ، قد ذكر أهل العلم رحمهم اللّه تعالى : أن الحوادث ترد إلى أشبه المنصوص عليه بها ، وأشبه المنصوص عليه بالورق في التعامل عروضُ التجارة ؛ لأنهم قد عرفوا العروض بأنها : الأمتعة التي لا يدخلها كيل ولا وزن وليست بحيوان ولا عقار . إلا أن العروض أعيان مالية متقومة ، والورق أعيان معتبرة القيمة في التعامل بمقتضى الأمر الحكومي ، فإعطاؤها حكم مسمياتها من الذهب والفضة في مسائل الربا والصرف- والحال ما ذكر- من الغلط البين ؛ لأن ما كتب عليها من أنها ريال أو دينار أو جنيه أو غير ذلك هي أسماء اصطلاحية مجازية وليست أسماء حقيقية . وعلامة المجاز فيها صحة نفيه ؛ تقول : هذه ورقة وليست بريال فضة ، وهذه ورقة وليست بجنيه ذهب ، وهذه ورقة وليست بدينار ذهب ، والحقيقة لا يصح نفيها ، والأسماء المتواضع عليها من غير أن يكون لها اعتبار في الشرع لا يجوز أن تجعل أصلًا تبنى عليه الأحكام الشرعية في مسائل الحظر والإباحة ، ولا تغير الأشياء عن حقائقها ، فالخمر خمر وإن سمي لبنًا ، واللبن لبن وإن سمي خمرًا ، والفضة فضة وإن سميت ورَقًا- بفتح الراء- فلا يجوز أن تباع بجنسها من الفضة متفاضلة ، ولم يغيرها الاسم عن حقيقتها ، والورق ورق وإن سمي ريالًا ، فلا يغيره مجرد الاسم عن حقيقته ، ولا يمنع أن يباع بغير جنسه من الفضة متفاضلًا ، مع العلم بأن تسمية القطعة المضروبة من الفضة ريالًا اسم متواضع عليه وإلا فاسمها الحقيقي فضة ، فمجرد الاشتراك في الاسم المتواضع عليه مع اختلاف حقيقة المسميات لا يغيرها عن حقيقتها ، ولا يكسب القطعة من الفضة حقيقة القطعة من الورق ،

كما لا يكسب الورقة حقيقة القطعة من الفضة .

إذا علم هذا ؛ فلا مانع من بيع الورق- على اختلاف أنواعه ومسمياته من الريالات أو الدنانير أو الجنيهات- بأحد النقدين- الذهب والفضة- متفاضلًا أو نساء، ولا دخل للربا في شيء من ذلك ؛ لأن الورق ليس من الأموال الربوية ، ولأن الربا مختص بالمكيلات والموزونات والورق ليس بمكيل ولا موزون .

فربا الفضل يحرم في كل مكيل بيع بجنسه متفاضلًا ، وفي كل موزون بيع بجنسه متفاضلًا لما روى عبادة بن الصامت رضي اللّٰه عنه أن رسول اللّٰه ﷺ قال : « الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح ، مثلًا بمثل ، يدًا بيد ، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم يدًا بيد » . رواه الإمام أحمد ومسلم[١] ، وعن أبي سعيد الخدري رضي اللّٰه عنه مرفوعًا نحوه ، متفق عليه[٢] .

وربا النسيئة يحرم عليه ربا الفضل ، وهي الكيل والوزن ، وإن اختلف الجنس ؛ لقوله ﷺ في حديث أبي سعيد : « ولا تبيعوا منها غائبًا بناجز » . ومعناه : لا يباع عاجل بآجل ، أو مقبوض بغير مقبوض ؛ ولقوله ﷺ : « البر بالبر ربا ، إلّا هاء وهاء »[٣] . ومعناها على اختلاف لغاتها : خذ وهات في الحال يدًا بيد .

وأجمع أهل العلم على جريان الربا في هذه الأعيان الستة المذكورة في حديث عبادة ، ثم اختلفوا هل هو لأعيانها أو لمعنى فيها ؟ هل عرف ذلك المعنى أم لا ؟

فذهب جمهور العلماء إلى معرفة العلة في ذلك وتعديها إلى غير الستة ، ثم اختلفوا في العلة . فالأشهر عن الإمام أحمد رحمه اللّٰه والذي اختاره عامة

(١) أخرجه أحمد ٥/ ٣٢٠، ومسلم (١٥٨٧) .

(٢) أخرجه البخاري (٢١٧٦، ٢١٧٧) ، ومسلم (١٥٨٤) .

(٣) أخرجه البخاري (٢١٧٠، ٢١٧٤) ، ومسلم (١٥٨٦) من حديث عمر رضي اللّٰه عنه .

الأصحاب وهو المذهب أن علة الربا في الذهب والفضة : كونهما موزوني جنس . وفي البر والشعير والتمر : كونهن ميكلات جنس . فألحقوا بذلك كل مكيل وموزون ؛ لوجود العلة فيه ؛ لأن القياس دليل شرعي ، فيجب استخراج علة الحكم وإثباته في كل موضع ثبتت علته فيه . والورق المتعامل به- على اختلاف أنواعه ومسمياته- يلحق بها ، وتطرد فيه علة الحكم ، فلا يجري فيه ربا الفضل ولا ربا النسيئة . هذا مقتضى النصوص الشرعية والقواعد الفقهية المرعية ، واللَّه الموافق . قال ذلك سليمان بن عبد الرحمن بن حمدان .

أقول : كلام الشيخ هنا هو الذي نعتقده وندين اللَّه به ، وهو أن الورق بجميع أنواعه ومسمياته لا يدخله الربا في أي نوع من أنواع المعاملات ؛ لأنه ليس بمكيل ولا موزون ، كما تقدم ، ولأن الذهب والفضة لم يجر فيهما الربا لكونهما نقدين كما يتوهمه بعضهم ، وإنما لكون أصلهما موزون ، فدخل حتى في السبائك من الذهب والفضة .

فإن قيل : إذا كان مال الإنسان كله ورقًا وحال عليه الحول فكيف يزكيه حيث قلتم : إنه عروض ؟ هل تُخرج زكاته من جنسه ورقًا ؟ أم يصرفه إلى ذهب أو فضة ؟

قيل : حيث قد صدر الأمر الحكومي بجعله نقدًا معتبرًا فإنه يجوز إخراج الزكاة منه ، لا سيما إن كان أحظ للفقراء ، على أن إخراج زكاة العروض منها هو مذهب الإمام أبي حنيفة ، وقول في مذهب الشافعي ، ورواية عن الإمام أحمد ، رحمهم اللَّه ، اختارها شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره .

وإذن فإن زكاة الورق- وهو عروض- تخرج منه ، لكن لو كان عند إنسان لآخر ألف ريال فضة دينًا ، وقد مضى عليها حول ، وقيمة الفضة بالورق ألف ومئتان مثلًا ، وأراد إخراج زكاتها ورقًا ، فإنه يزكي لألف ومائتين ، إلا إذا دفعت إليه وأراد إخراج زكاتها منها - أي : فضة من فضة- فإنه يزكي لألف فقط . واللَّه أسأل أن يوفقنا في القول والعمل إلى ما فيه الصواب .

الورق يشبه عروض التجارة فلا يدخله الربا[1]

وأخيرًا طالعتنا « حراء » بعددها الصادر (٣٢٣) بكلمة الشيخ عبد اللَّه البسام ، افتتحها بقوله : « إنه سيورد الصواب أو مثل الصواب » !!

وهذا التشكك لو تأمله لعدل عن الكتابة في شك ؛ لأن الشك والتردد في الشيء لا يجوز أن يجعل حكمًا يقابل به نص صريح ، ولا يثاب عليه الإنسان ؛ لأنه لا يسمى اجتهادًا ، إذ الاجتهاد هو الجزم اليقين ، وسواء وافق الحق أو خالفه ، إذا بذل ما في وسعه في استخراج الحكم من مظانه .

ثم المماثل[2] عند اللغويين ليس هو حقيقة المثل ، بل قد يكون تزييفًا عليه ، كما أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية ، رحمه اللَّه ، في رسالة له سماها : « الكيمياء » وذكر أن المثل في اللغة ليس هو حقيقة المماثل ، فمن جعل النحاس ذهبًا ، فهو في الحقيقة تزييف على الذهب وليس عينه ... إلخ .

وأما قوله : إن التعريف الذي ذكره أبو عبيد القاسم بن سلّام في « الأموال » إنما يصح في موضع معين ، وهو كتاب الزكاة ؛ لأن الفقهاء يتكلمون على زكاة العقار ، ثم زكاة الحيوان .. إلى أن قال : فإذا وصلوا إلى زكاة العروض ذكروا أن المراد بها ما ليس بكيل ولا موزون ، وليس بعقار ولا حيوان .

فجوابه : أننا لو فرضنا أن أبا عبيد أراد ذلك ، فهل الورق من المكيل والموزون والعقار والحيوان ؟ أم من الطرف الثاني الذي أخرجه هذا التعريف ؟ لابد أن يكون الجواب : إما : نعم- وهذا يكذبه الحس والواقع- وإلا : لا ، وإذن فقد اجتمعنا على نقطة هي أساس الخلاف ، وهي أن الورق يشبه عروض التجارة بموجب قيمته المحفوظة في المؤسسة فلا يدخله الربا مطلقًا . وبه يظهر أنه بنى

(١) صحيفة الندوة في ١٣٧٨/٧/١٩هـ .

(٢) في الأصل : « الماثل » .

اللبنة الأولى من حيث أراد هدمها .

وننتقل معه إلى اللبنة الثانية ، وهي تحليله الحقيقة والمجاز في اصطلاح اللغويين والأصوليين ، فقال : وإذا دخلنا في بحث أسماء هذه الأوراق ، وجدنا أنها حقيقة مجازية ؛ لأن الحقائق ثلاث : لغوية ، وشرعية ، وعرفية . وتسمية هذه الأوراق بالريال والجنيه والدينار ، حقائق عرفية لا مجازية ... إلخ .

فيقال : نعم ، الحقائق ثلاث ، لكنها يجب أن تطلق على مسمى واحد . مثال ذلك : الدابة ، تطلق لغة : على كل ما يدب على الأرض ، ثم غلب إطلاقها على ذوات الأربع ، فلو حلف إنسان : لا ركبت دابة . فركب جملًا حنث ؛ لأن ذلك هو اسمه اللغوي . ولو حلف : لا ركبت بعيرًا ، حنث بركوب الجمل أيضًا ؛ لأن ذلك هو اسمه العرفي . ولو حلف : لا ركبت جملًا ، حنث بركوبه ؛ لأن ذلك هو اسمه الشرعي ، قال تعالى : ﴿وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ﴾ [الأعراف: الآية ٤٠] ، وكلها أسماء حقيقية لمسمى واحد .

أما الورق فليس كذلك ؛ لأنه لو حلف إنسان أنه لا يبيع ولا يشتري بالريالات الفضة ، ثم باع واشترى بالورق لم يحنث ؛ إذ ليس الورق حقيقة الفضة . وكذا لو ذهب إلى الصائغ بورقة من فئة الريال وأمره أن يجعلها مصاغًا لم يستطع الصائغ تكسيرها مصاغًا ؛ لأنها ليست مثيلة الفضة ، فثبت أنها مجاز اصطلاحي فقط ، لا تعطى جميع أحكام مسمياتها الحقيقية .

على أننا نرى الأخ قد نقض بنفسه هذه الحقيقة التي يزعمها بقوله : « فإذا كان الورق بالقروش أشبه ، فالأحسن أن يلحق به ، وأن يعطى حكمه ، وحكم القروش معروف عند العلماء السابقين ، فإن الصحيح في مذهب أحمد أن القروش يجري فيها ربا النسيئة ، ولا يجري فيها ربا الفضل ، فكذلك يجري مجراها الورق بأنواعها ، فيجوز بيع بعضها ببعض ، وبيع شيء منها بأحد النقدين ، سواء كان بما قدرت به أو أقل أو أكثر ...» إلخ كلامه .

فلو كانت الورقة ذات العشرة هي حقيقة العشرة الفضة لما جاز التفاضل فيها ؛ لأن الفضة يشترط فيها أن تكون وزنًا بوزن[١] بلا زيادة ، وكذا الذهب ، وكل جنس موزون .

وأما قوله : « انتهى الشيخ إلى هذه النتيجة التي فتح بها باب الربا على مصراعيه » .

فجوابه : أن الحلال ما أحله اللَّه ورسوله ، والحرام ما حرمه اللَّه ورسوله ، وما عدا ذلك فهو عفو ، وحرام على طالب العلم أن يحظر على الأمة شيئًا لم يرد في تحريمه نص من الشارع ﷺ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه في « الفتاوى الكبرى » (ص ٢٠٢) (ج٣) : الوجه الثالث : أن تصرفات العباد من الأقوال والأفعال نوعان : عبادات يصلح بها دينهم ، وعادات يحتاجون إليها في دنياهم ، فاستقراء أصول الشريعة أن العبادات التي أوجبها اللَّه وأباحها لا يثبت الأمر بها إلا بالشرع ، وأما العادات فهي ما اعتاده الناس في دنياهم مما يحتاجون إليه ، والأصل فيه عدم الحظر ، فلا يحظر منه إلا ما حظره اللَّه ورسوله ؛ وذلك لأن الأمر والنهي مما شرعه اللَّه تعالى ، والعبادات لابد أن تكون مأمورًا ، فما لم يثبت أنه مأمور كيف يحكم عليه بأنه عبادة ، وما لم يثبت من العادات أنه منهي عنه كيف يحكم عليه أن محظور . ولهذا كان أصل أحمد وغيره من فقهاء الحديث : أن الأصل في العبادات التوقيف ، فلا يشرع منها إلا ما شرعه اللَّه تعالى ، وإلا دخلنا في معنى قوله : ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [الشورى: الآية ٢١]

والعادات الأصل فيها العفو ، فلا يحظر منها إلا ما حرمه اللَّه ، وإلا دخلنا في معنى قوله : ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾ [يونس: الآية ٥٩] الآية .

(١) في الأصل : « بورق » .

ولهذا ذم اللَّه المشركين الذين شرعوا من الدين ما لم يأذن به اللَّه، وحرموا ما لم يحرمه في سورة الأنعام، من قوله: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ [الأنعام: الآية ١٣٦]. إلى آخر الآيات. فذكر ما ابتدعوه من العبادات والتحريمات.

وفي «صحيح مسلم»[(١)] عن عياض بن حمار، عن النبي ﷺ قال: قال اللَّه تعالى: «إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم[(٢)] الشياطين وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به عليهم سلطانًا». وهذه قاعدة عظيمة نافعة.

وإذا كان كذلك، فنقول: البيع والهبة والإجارة وغيرها هي من العادات التي يحتاج الناس إليها في معاشهم كالأكل والشرب واللباس، فالشريعة عادت في العادات بالآداب الحسنة، فحرمت منها ما فيه فساد، وأوجبت ما لابد منه، وكرهت ما لا ينبغي، واستحبت ما فيه مصلحة راجحة في أنواع هذه العادات ومقاديرها وصفاتها.

وإذا كان كذلك، فالناس يتبايعون ويتآجرون كيف شاءوا، ما لم تحرمه الشريعة، كما يأكلون ويشربون كيف شاءوا، ما لم تحرمه الشريعة، وإن كان بعض ذلك قد يستحب، أو يكون مكروهًا، وما لم تحد الشريعة في ذلك حدًّا فيبقون فيه على الإطلاق الأصلي ... إلخ. كلامه رحمه اللَّه.

وأما قوله: «إنه كان يعتقد في صاحب الفتوى الدين والتقى قبلها»

فجوابه: أن الدين والتقى والورع والزهد وأضدادها هي من الأعمال القلبية

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٥).

(٢) في الأصل: «ضعفاء فاجتاحتهم».

التي لا يطلع على وجودها أو عدمه إلا اللّٰه تعالى ، قال ﷺ لأحد أصحابه : « أشققت عن قلبه »(١) .

والذي يفتي مستدلًا بحديث أخرجه الجماعة إلا البخاري ، لا شك أن ذلك يزيده تقوى وورعًا وإيمانًا ورفعة .

وأما الأوجه الستة التي ذكر فيها أن الورق يشبه القروش .

فجوابها نأخذه منها ، وهو الوجه الخامس حيث يقول : « خامسًا : إننا نعلم من لطف اللّٰه تعالى بعباده ورحمته بهم ما قدر لهم من التعامل بهذه العملة إلا وقد جعل لهم في التصرف بها فرجًا ومخرجًا ؛ لأنه لم يجعل بيننا حرجًا في الدين ولا في الدنيا ، ولا يكلف اللّٰه نفسًا إلا وسعها ، وطبيعة هذه الشريعة السماح واليسر » .

أقول : وهذا هو ما نهدف إليه .

وأما قوله : « سادسًا : إنه إن لم يجعل للناس متنفسًا بالمعاملة بما يعتقدون حله فسيفعلون ذلك ولو اعتقدوا تحريمه ، وكونهم يفعلون الشيء معتقدين حله أخف مفسدة من أن يفعلوه ، وهم يعتقدون تحريمه ... إلخ »

فلا أدري من أين له أن الناس إذا فعلوا شيئًا محرمًا يعتقدون حله أخف مفسدة من فعلهم شيئًا محرمًا يعتقدون تحريمه ، إذ فعل الشيء المحرم مع اعتقاد حله كفر باللّٰه تعالى ؛ لأن من اعتقد أن ما حرمه اللّٰه عليّ حلال فقد عارض الباري في أحكامه ، وزعم أن اللّٰه وضع الأشياء في غير مواضعها ، وأن اللّٰه لا يعرف مصالح البشرية حينما أباح لها أشياء ، وحرم أشياء ، أما لو فعلوه وهم يعتقدون تحريمه ففعلهم هذا كبيرة من كبار الذنوب ، قد يغفرها اللّٰه تعالى ويتجاوز عنها إذا شاء .

ويظهر بعد تأمل الوجه الخامس والسادس : أن الأخ قد عدل عن رأيه في أول

(١) أخرجه مسلم (٩٦) من حديث أسامة بن زيد رضي اللّٰه عنه .

كلمته ، وأنه وافقنا في الهدف والقصد ، وهذا هو المطلوب .

وأما كلمة الأخ محمد مصطفى الشنقيطي فقد بعدت كل البعد عن المحور الذي تدور حوله المناقشة ؛ لأن النقاش يدور حول إثبات حكم شرعي أو نفيه ، وهي جريان الربا في الورق أو عدمه ، وليس هو في منع التعامل به .

وقد كاد المتناقشون أن يتفقوا على نقطة مما حصل فيه النقاش ؛ وهي عدم دخول ربا الفضل في الورق ، وبقيت نقطة أخرى لا يزال الخلاف فيها قائمًا ، وهي ربا النسيئة ، وحيث إن التفرقة بينهما هي إثبات حكم وتوقيع عن اللَّه ورسوله ، فإنه يجب أن يستند ذلك إلى دليل ، وأعتقد أن كل من تكلم أو سيتكلم في هذا الموضوع معارضًا لما قلناه هو باجتهاد منه وإبداء رأي حتى يتضح له الدليل ، وقد نفى اللَّه تعالى الإيمان عمن لم يرد النزاع إليه وإلى رسوله ﷺ ، فالمؤمن وإن أبعد وشط في نزاعه ، فإنه سريع الرجعة إلى الدليل ، وهذه هي الصفة التي يجب أن تطلق على العالم ؛ لأن العلم هو معرفة الهدى بدليله ، واللَّه الموفق .



من أعمال البنوك[١]

علمت أن أعمال البنوك تتمشى على النحو التالي :

أ- الأمانات . ب- القروض . جـ- المضاربات . د- الشركة . هـ- الرهون . و- الحوالات .

وإلى القارئ الكريم توضيح ذلك من الناحية الفقهية :

أ- الأمانات ، ولها ثلاث صور :

الأولى : دفع شخص إلى البنك مبلغًا من المال أمانة ، ولم يأذن للبنك في التصرف فيه ، ولكن البنك اتجر فيه بدون إذن ، وربح أموالًا كثيرة ، فالربح في هذه الصورة جميعه لصاحب الأمانة ، وللبنك أجرة عمله بالعرف . وذكر بعض فقهاء الحنابلة والشافعية أن الربح ينتصف ، قالوا : إن هذه الصورة كالصورة التي نص عليها بعض علماء السلف ، وهي أن الغاصب إذا اتجر بالمال وربح تنصف ، فكذا هنا . والمرجح الأول .

الثانية : دفع شخص للبنك أمانة ، وأذن للبنك في التصرف فيه ، فاتجر به البنك وربح . فالربح في هذه الصورة جميعه للبنك ، وليس لصاحب الأمانة إلا رأس ماله .

الثالثة : دفع المبلغ للبنك ، وأذن له في التصرف فيه ، وشرط لنفسه شيئًا معلومًا من الربح ، فهذه تنقلب من كونها أمانة إلى كونها مضاربة ، والربح فيها على ما شرطاه ، لكن لو خسر البنك فإنه لا يضمن شيئًا لصاحب المال ، لأنه أصبح وكيلًا ، والوكيل لا يضمن إلا بتعد أو تفريط ، فلو شرط في هذه الصورة الضمان فسدت كما يأتي .

---

(١) صحيفة الندوة في ١٣٨٢/٨/٣هـ .

ب- القروض: ورد في الحديث: «إن كل قرض جر نفعًا فهو ربا»(١). ويتفرع ذلك إلى صور:

أولًا: أقرض البنك شخصًا مبلغًا من المال إرفاقًا به، فلا يجوز في هذه الصورة أخذ شيء زائد على المبلغ؛ لأنه ربًا.

ثانيًا: أقرضه على أن يتجر به، وللبنك جزء معلوم من الربح، فهي مضاربة وليست قرضًا، ولا يضمن الشخص شيئًا للبنك لو خسر، وإن ربح فعلى ما شرطاه.

ثالثًا: باع الشخص على البنك دارًا وشرط الخيار مدة شهر، وقبل مضي الشهر فسخ البيع، وقد ربح من ثمن الدار أموالًا كثيرة، فهذه إن نوى الربح في القرض أي: باع حيلة ليربح في قرض فهي حرام إجماعًا؛ لحديث: «كل قرض جر نفعًا فهو ربا»(٢). وإن كان البيع ليس فيه حيلة على الانتفاع في القرض، بل باع رغبة ثم ندم على بيع داره، وقد شرط الخيار وصادف أنه اتجر بالمال وربح، فإن الربح له مقابل ضمان المال لو تلف عنده؛ لحديث: «الخراج بالضمان»(٣). والخراج: هو الربح والفائدة.

جـ- المضاربات، ولها صور:

الأولى: دفع البنك مثلًا مبلغًا من المال لشخص، أو بالعكس بأن دفع الشخص للبنك مالًا ليتجر فيه وله نصف الربح أو أقل من ذلك، فهذه جائزة إجماعًا، لكن لا ضمان فيها، أي: لو خسر الشخص فليس عليه للبنك شيء؛

---

(١) أخرجه الحارث بن أبي أسامة (٤٣٧- بغية الحارث) من حديث علي رضي الله عنه، وضعفه الألباني في الإرواء (١٣٩٨).

(٢) تقدم تخريجه قريبًا.

(٣) أخرجه أحمد ٢٧٢/٤٠ (٢٤٢٢٤)، وأبو داود (٣٥٠٨- ٣٥١٠)، والترمذي (١٢٨٥، ١٢٨٦)، وابن ماجه (٢٢٤٣)، والنسائي (٤٥٠٢) من حديث عائشة رضي الله عنها. وحسنه الألباني في الإرواء (١٣١٥، ١٣٢٧).

لأن الأصل فيها عدم الضمان حتى رأس المال ، وإن شرط فيها الضمان فسدت ؛ لحديث : « كل شرط ليس في كتاب اللَّه فهو باطل »[(١)] . وإذا فسدت فللشخص أو البنك إذا كان هو المضارب أجرة عمله بالمعروف .

الثانية : دفع كل من الطرفين مالًا إلى البنك والشخص على أن يتجرا فيه معًا ، والربح بينهما ، أو لأحدهما جزء معلوم من الربح ، فهذه جائزة ولا ضمان فيها على واحد منهما في رأس المال إلا بتعدٍ أو تفريطٍ يقع من أحدهما ، وإن شرطا فيها عدم الخسارة فسدت كالأولى .

لكن لو مات أحد الطرفين فهل تنفسخ ؟ وهل لورثة الميت استيفاء الديون ممن هي عليهم بدون إذن الطرف الثاني فيما لو كان غائبًا ؟ الظاهر أنها تنفسخ ، وليس لورثة الميت المطالبة بالديون إلا بإذن المضارب .

الثالثة : دفع شخص للبنك مبلغًا من المال مضاربة على أن له جزءًا معلومًا من الربح ، وبعد مضي مدة جاء آخر ودفع مبلغًا للبنك مضاربة أيضًا ، والبنك بحكم عمله وتجارته دمج المالين سواء ، ولم يعلم ربح كل مال على الحقيقة ، فهذه ممنوعة ، ولا يجوز التعامل بها إلا إذا عرف البنك ربح كل شخص على انفراد ، أو قسم الربح بينه وبينهما .

ولنا أن نتساءل : هل تصح المضاربة بورق البنكنوت ؟ حيث قد نص بعض الحنابلة على أن المضاربة لا تصح إلا بأحد النقدين ، أي : الذهب أو الفضة ، وهي المذهب عند المتأخرين ، وهي رواية عن الإمام أحمد ، والورق ليس ذهبًا ولا فضة ؟

الظاهر عندي أن التعامل الموجود بين البنوك والتجار وغيرهم في المضاربة هو جار على الرواية الثانية للإمام أحمد ، وهي مذهب الشافعي وغيره من الأئمة ،

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٥٥، ٢١٦٨، ٢٥٦٠) ، ومسلم (١٥٠٤) من حديث عائشة رضي اللَّه عنها .

وهي أنه يجوز أن يكون رأس مال المضاربة عروضًا، وما تعامل به الناس واصطلحوا عليه إذا لم يخالف نصًا صريحًا لا مانع من تعاطيه.

د- الشركة، ولها صور:

الأولى: أن يشترط البنك وشخص في الاتجار بدون أن يحضرا شيئًا من المال، والربح بينهما أنصاف، أو لأحدهما جزء معلوم من الربح، فهي جائزة، والربح على ما شرطاه، ولو تحصلا على مال ثم تلف فلا ضمان على واحد إلا بتعد أو تفريطٍ. ويجوز لكل واحد من الطرفين الاتجار بمفرده في البيع والإجارة والحوالة له وعليه، وتقبل الأموال وصرفها؛ لأنه شريك ووكيل وكفيل، لكن لو اشترى أحد الطرفين بماله الخاص سلعة ونوى أنها ليست من الشركة، لم تدخل في الشركة، ويقبل قوله عن نيته بيمينه.

الثانية: أن يفوض كل واحد من الشريكين الآخر في كل شيء حتى السفر بالمال للخارج، وإقراضه لمن طلب قرضًا، وشراء العقار وبناءه، ورهن بعض الأشياء وارتهانها، فهي جائزة أيضًا إلا إذا أدخلا فيها شيئًا ليس منها كلقطة ومعدن، كما نص على ذلك بعضهم. لكن لا بد للشركة والمضاربة من أجل يصفى فيه رأس المال ويتقاسما الربح، وإذا أرادا إبقاءها فلا مانع.

و- الرهون، ولها صور:

الأولى: إذا رهن الإنسان عند البنك شيئًا، فهل للبنك أو التاجر التصرف فيه ببيع أو هبة أو سكنى، إذا كان الرهن دارًا؟

وتوضيح ذلك: إذا رهن شخص دارًا، فهل يجوز للراهن أن يسكنها بدون مقابل؟ الجواب: لا يجوز، إلا إذا حسب أجرة الدار من دين الراهن.

الثانية: إذا حل الدين فهل يجوز أن يضاعف على المدين إذا لم يستطع الوفاء؟.

الجواب: لا يجوز؛ لأن النبي ﷺ ذكر عن أهل الجاهلية أنهم إذا حل

الأجل قالوا: إما أن توفي، وإما أن تربي[١]. فإذا أعسر ضاعفوا عليه الدين، ويستمر ذلك كلما حل الأجل ضوعف الدين، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: الآية ٢٧٥]. الآية. وقال: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَـٰتِ ۗ﴾ [البقرة: الآية ٢٧٦]، الآية، وقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: الآية ٢٧٨] ، إلى أن قال: ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: الآية ٢٧٩].

فدلت هذه الآيات على الوعيد الشديد لمن يتعاطى ذلك. ويجب منعه شرعًا، وليس له إلا رأس ماله، فإما أن يصبر على ميسرة، أو يباع الرهن.

والثالثة: لو اتجر البنك بالرهن وربح، فإن الربح جميعه تابع لأصله، وليس للبنك شيء مقابل عمله، ولا تقاس هذه الصورة بصورة الأمانة المتقدمة فيما إذا اتجر بها؛ لأن الرهن مقابل دين، ودين الرهن لا تجوز الزيادة فيه.

و- الحوالات، ولها صور:

الأولى: أن يحول البنك على فرعه شخصًا يطلب البنك مالًا ويتفق المال المطلوب من البنك والمال المحول به الشخص، أي: ألف ريال مثلًا على ألف ريال. فهذه تعتبر حوالة، إلا أنه ينقصها بعض شروط الحوالة.

والثانية: حول البنك على فرعه بمال قد تسلمه من الشخص. فهذه تعتبر حوالة اسمًا لا حقيقة، وقد ذكرناها في ما مضى.

والثالثة: حول بنك على بنك بدين للبنك الأول على البنك الثاني، فإن اتفق

(١) أخرجه مالك ٢/ ٦٧٢، والبيهقي ٥/٢٧٥ عن زيد بن أسلم قال: كان في الجاهلية .. فذكر بنحوه مرسلًا.

الدينان جنسًا وصفة وقدرًا اعتبرت حوالة صحيحة ، وانتقل الدين من ذمة صاحب البنك الأول إلى ذمة صاحب البنك الثاني ، ولا يرجع المحال بدينه على البنك حتى لو رفض البنك الثاني تسليم المبلغ ؛ لأن الدين تحول شرعًا من ذمة إلى ذمة ، ويطالب المحال البنك الثاني حتى يخلص حقه .

الرابعة : حول بنك على بنك شخصًا بمال سلمه للبنك الأول . فهذه لا تعتبر حوالة أيضًا ، لكن إذا تسلم الشخص ماله من البنك الثاني صارت بمعنى التوكيل ، أي : كأن البنك الأول ، وكل الشخص باستلام المبلغ من البنك الثاني ، ولو رفض البنك الثاني تسليم المبلغ رجع صاحب الحق إلى البنك الأول وطالبه بحقه .

والخامسة : حول بنك على آخر مبلغًا من المال ، وبعد قبول البنك الثاني للشيك فلس فهل يضيع المال على صاحبه ، أم يرجع على البنك الأول ؟ سبق أن قلنا : إن هذه الصورة تعتبر توكيلا ، أب : أن صاحب المال وكيل في الاستيفاء ، فلا يذهب ماله هدرا ، بل يرجع على البنك الأول ، لكن نظام البنوك يمنع من ذلك ، فعندهم إذا قبل البنك الثاني الشيك برئ البنك الأول ، فلا يرجع صاحب المال عليه إطلاقًا . وهذا في جميع صور الحوالة التي ذكرناها ، وهو خلاف ما عليه الشريعة ، فالشريعة لا تحمل البنك الثاني إلا إذا تمت شروط الحوالة الخمسة ، وإلا فإن صاحب الحق يرجع بماله على من أحاله .

هذا وأرجو اللّٰه تعالى أن يوفق بنوكنا للتمشي بما يقتضيه شرعنا الشريف ، إنه نعم المجيب .



حول « المخابرة » وما يحل منها وما يحرم[١]

كنت أتابع ما يكتبه الأخ الكريم الشيخ محمد محمود الصواف في جريدة « الندوة » الغراء تحت عنوان : « مباحث إسلامية » ، وكنت أقرأ ذلك بتقدير وإعجاب ، لا سيما ما يتعلق منها بالربا ، وقد لفت نظري صورتان ذكرهما في الحلقة الثانية من بحثه ، ونقلهما عن الإمام ابن كثير ! قال فيهما : وقال الإمام ابن كثير ، رحمه اللّٰه ، في تفسيره لما نزلت : ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: الآية ٢٧٥] . قال رسول اللّٰه ﷺ : « مَن لم يذر المخابرة فليؤذن بحرب من اللّٰه ورسوله » . رواه الحاكم[٢] ..

ثم قال : وإنما حرمت المخابرة : وهي المزارعة بنصف ما يخرج من الأرض ، والمزابنة : وهي اشتراء الرطب في رؤوس النخل بالتمر ، والمحاقلة : وهي اشتراء الحب في سنبله بحب على وجه الأرض ، إنما حرمت هذه الأشياء وما شاكلها حسمًا لمادة الربا ؛ لأنه لا يعلم التساوي بين الشيئين قبل الجفاف ، ولهذا قال الفقهاء : الجهل بالتماثل كالعلم بالتفاضل . اهـ .

قُلْتُ : وأنا إذ أضم صوتي إلى صوته في تحريم الربا بجميع ألوانه ووسائله ، ألفت نظر الشيخ إلى أن المخابرة لها صور محرمة وداخلة في الربا ، وصور مباحة ومعمول بها في صدر الإسلام إلى اليوم ، وكذا المزابنة ليست على إطلاقها في التحريم كما يأتي .

(١) صحيفة الندوة في ١٣٨٠/٨/٢٣هـ .
وقد جاء في صدر المقال ما نصه : « وردتنا كلمات كثيرة في الرد على بعض ما جاء في مقالات الأستاذ محمد محمود الصواف ، منها كلمات الأستاذ علي الهندي ، والشيخ محمد بن راشد ، اكتفينا بنشر الأولى لضيق النطاق ، وكثرة الردود . » .

(٢) أخرجه الحاكم ٢٨٦/٢ من حديث جابر بن عبد اللّٰه رضي اللّٰه عنه .

ولئلا يلتبس الحلال بالحرام منها أذكر تفصيل ذلك على وجه البحث العلمي ، فأقول :

من الصور المحرمة في المخابرة :

أن يدفع شخص لآخر أرضًا وشجرًا ويشترط جزءًا معينًا من الشجر يكون ثمره له ، والجزء الآخر للعامل . فربما أثمر الجزء المشترط ولم يثمر الآخر ، وقد يكون العكس ! فلوجود الغرر فيها حرمت هذه الصورة ، وهي التي ورد النهي عنها في حديث جابر ، ورافع بن خديج ، قال رافع : كنا أكثر الأنصار حقلًا ، وكنا نكري الأرض على أن لنا هذه ولهم هذه ، فربما أخرجت هذه ولم تخرج هذه ، فنهانا النبي ﷺ عن ذلك[١] . على أن الإمام أحمد قال : أحاديث رافع فيها ألوان من الاختلاف والاضطراب .

قال صاحب « المغني »[٢] : لأنه مرة روى عن عمومته ، ومرة عن سماعه ، ومرة عن ظهير بن رافع ، وإذا كانت أخبار رافع هكذا وجب إخراجها ، واستعمال الأخبار الواردة في شأن خيبر الجارية مجرى التواتر التي لا اختلاف فيها ، وقد عمل بها الخلفاء الراشدون ومن بعدهم .

قُلْتُ : وقصد صاحب « المغني » : حديث رافع ، أن النبي ﷺ نهى عن المخابرة .

أما الصور المباحة للمخابرة :

فمنها : أن يدفع شخص لآخر أرضًا وشجرًا أو زرعًا لمن يعمل عليها بجزء من الثمرة ، سواء كان النصف أو الربع أو أقل أو أكثر ، قال البخاري[٣] : قال

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٢٢) ، ومسلم (١٥٤٧) من حديث رافع بن خديج رضي الله عنه ، وأخرجه البخاري (٢٣٨١) ، ومسلم (١٥٣٦) من حديث جابر رضي الله عنه .

(٢) المغني ٥/ ٥٨١.

(٣) صحيح البخاري قبل حديث (٢٣٢٨) .

أبو جعفر : ما بالمدينة أهل بيت إلا ويزارعون على الثلث أو الربع . وزارع علي ، وسعد ، وابن مسعود ، وعمر بن عبد العزيز ، والقاسم ، وعروة ، وآل أبي بكر ، وآل عمر(١) ، وآل علي . وممن رأى جواز ذلك سعيد بن المسيب ، وطاوس ، وعبد الرحمن بن الأسود ؛ يتيم عروة ، وموسى بن طلحة ، والزهري ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، وأبو يوسف ، ومحمد بن الحسن . قال البخاري : عامل عمر الناس على أنه إن جاء عمر بالبذر فله الشطر ، وإن جاءوا به فلهم كذا .

وقد روى البخاري ومسلم(٢) ، عن ابن عمر ، أن النبي ﷺ عامل أهل خيبر بشطر ما يخرج منها من زرع أو ثمر ..

وقد روي ذلك عن ابن عباس ، وجابر بن عبد اللّه . وقال أبو جعفر : عامل رسول اللّه ﷺ أهل خيبر بالشطر ، ثم أبو بكر ، ولما استخلف عمر أجلى اليهود ، ثم عامل أناسًا من المسلمين ، وكذا عثمان وعلي ، ثم أهلوهم إلى اليوم يعطون الثلث والربع ، وهذا أمر صحيح مشهور عمل به رسول اللّه ﷺ حتى مات ، ثم خلفاؤه الراشدون ، حتى ماتوا ، ثم أهلوهم إلى اليوم(٣) .

قال البخاري(٤) : عامل النبي ﷺ أهل خيبر بشطر ما يخرج منها من زرع وتمر ، فكان يعطي أزواجه مائة وعشرين وسقًا ؛ ثمانون وسقًا تمرًا ، وعشرون وسقًا شعيرًا ، فقسم عمر خيبر حين أجلى اليهود ، فخير أزواج النبي ﷺ بين أن يقطع لهن من الأرض والماء ، أو يمضي لهن الأوسق ، فمنهن من اختارت الأرض والماء ، ومنهن من اختارت الأوسق فأمضاهن لها .

قال الإمام أحمد(٥) : الأحاديث التي وردت في النهي عن المخابرة أنكرها

---

(١) سقطت من الأصل، والمثبت من مصدر التخريج .

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٢٨، ٢٣٢٩)، ومسلم (١٥٥١) .

(٣) انظر المغني ٥/ ٥٨١.

(٤) تقدم في الحاشية السابقة .

(٥) انظر المغني ٥/ ٥٨١.

ابن عباس ، وزيد بن ثابت ، وكذا حديث جابر ، فقد كان سببه أن اثنين تقاتلا في مخابرة ، فنهاهم النبي ﷺ عن المعاملة بينهما مرة ثانية ، وليس المقصود النهي عن المخابرة ؛ لأن قصة خيبر مشهورة معروفة ، وهي سبب التسمية لجميع صور المخابرة .

وأما المزابنة ؛ فيستثنى منها العرايا ، فقد رخص رسول الله ﷺ في العرايا ، وهي بيع الرطب على رؤوس النخل بالتمر إذا كان خمسة أوسق ، والوسق ستون صاعًا . فقد روى البخاري ومسلم(١) ، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ رخص في العرايا في خمسة أوسق . أو فيما دون خمسة أوسق . ورواه زيد بن ثابت ، وسهل بن أبي حثمة(٢) ، وحديث نهي رسول الله عن المزابنة في آخره : إلا العرايا ، كما في المتفق عليه(٣) . وبالرخصة أخذ الإمام مالك ، والشافعي ، وأحمد ، وإسحاق ، وابن المنذر ، وغيرهم من أئمة الحديث والفتوى .

ويشترط لصحة العرايا : أن تكون بخرصها تمرًا ، وأن تكون بأقل من خمسة أوسق كما في الحديث ، وأن يكون مشتريها محتاجًا إلى أكلها رطبًا لها ، روى محمود بن لبيد قال : قلت لزيد بن ثابت : ما عراياكم هذه ؟ فسمى لي رجالًا من الأنصار محتاجين شكوا إلى رسول الله ﷺ أن الرطب يأتي ولا نقد بأيديهم يبتاعون به رطبًا يأكلونه ، وعندهم فضول تمر ، فرخص لهم رسول الله ﷺ أن يبتاعوا العرية بخرصها من التمر يأكلونها . متفق عليه(٤) .

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٩٠) ، ومسلم (١٥٤١) .

(٢) أخرجه البخاري (٢١٧٣، ٢١٩١، ٢١٩٢) ، ومسلم (١٥٣٩، ١٥٤٠) .

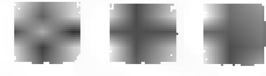
(٣) أخرجه البخاري (٢٣٨٣، ٢٣٨٤) ، ومسلم (١٥٤٠/٧٠) من حديث رافع بن خديج وسهل بن أبي حثمة رضي الله عنهما .

(٤) تابع الشيخ هنا بعض كتب الحنابلة في عزوه للصحيحين ، وهو وهم عجيب ، قال ابن الملقن في « البدر المنير » ٦/٥٨٨: ... مقابل هذا قول الموفق الحنبلي في كافيه لما ساقه بهذه المساقة للمتفق عليه ، وهو عجيب فإنه ليس في الصحيحين ، ولا في السنن . اهـ . =

وأن يتقابضا قبل تفرقهما، فالرطب بالحفنة والتمر بالكيل.

هذا ما أحببت بيانه مشاركة للأستاذ الجليل محمد محمود الصواف في بحوثه.

وختامًا: أسأل اللّٰه لي وله ولكافة المسلمين التوفيق والسداد فيما نقول ونفعل، إنه ولي الإجابة.



= وقال ابن حجر في «التلخيص الحبير» ٣/ ٨١: تنبيه: قال الشيخ الموفق في «الكافي» بعد أن ساق هذا الحديث: متفق عليه. وهم منه. اهـ. وقال بنحو ذلك الزيلعي في نصب الراية ٤/ ١٤. والحديث أخرجه البيهقي في المعرفة (٣٤٤٧) عن الشافعي معلقًا بدون إسناد. وينظر الكافي ٢/ ٦٤، وكشاف القناع ٣/ ٢٥٨.

هل يباح الممنوع لتطور الزمن ؟![1]

نشرت لي جريرة « الندوة » الغراء بعددها الصادر (١١١٧) ، أسئلة تحت هذا العنوان ، وأستميح القراء الأعزاء عذرًا في تأخير الإجابة ، فقد تأخرت لأسباب ؛ منها أنني تلقيت رسائل تحريرية وشفوية في بعضها تأييد وتشجيع ؛ لأنهم فهموا من الأسئلة اللين والإباحة ، وفي بعضها الآخر شدة وقسوة وتهجم ، وكنت أنتظر المزيد من هذه الرسائل ؛ لأطلع على أفكار الناس وأمزجتهم ومشاربهم ، على أنني لا يهمني من يدعو إلى اللين والإباحة ، ولا من يدعو إلى الشدة والقسوة ، وإنما يهمني إظهار الحق الواضح الجلي ، وهو الذي أتت به الشريعة السمحاء.

فالشريعة ليست بجانب من يدعو إلى اللين والميوعة ، ولا بجانب من يدعو إلى الشدة والقسوة ، وإنما هي وسط عدل ، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: الآية ١٤٣] ، فالوسط في الدين ، وفي الأخلاق ، وفي المعاملات ، وفي الأنظمة الإدارية ، وفي مجريات الأحكام والقضايا الشرعية ، هو الذي يجب أن يسود ويوضع في الأرض ؛ لأنه من صلاحها وكمالها ، أما إذا عُدِمَ ذلك وعُومل الناس بالشدة والقسوة ، أو باللين والإباحة ، فإنه من فساد الأرض ، وانحطاط الأمم وتفككها ، بل قد تسبب الشدة نفور الناس عن الأديان السماوية جميعها وإلحادهم وانحرافهم الكامل.

واللين والميوعة يسببان الانزلاق في المحرمات التي حرمتها جميع الشرائع ، وإذًا فلا هذا ولا ذاك ، ولنبدأ بالإجابة :

أولًا : الوظائف :

ليس الحديث المذكور في السؤال مانعًا من طلبها ؛ فإن من طلب الوظيفة تكففًا وتعففًا عن الناس ، ولينفق منها على نفسه وأولاده ووالديه ومن يعول ،

(١) صحيفة الندوة في ١٤/٧/١٣٨٢هـ.

وليصل بها رحمه ، ويتصدق منها على المحتاج والمسكين وغيرهما ، يجب بذلها له ، بل تجب مساعدته عليها ، وكذلك من طلبها ليضع العدل فيمن يتولى عليهم إذا كانت رئاسة ، ويكف الظلم عن المظلوم ، ويعطي كل ذي حق حقه ، فهذا يجب بذله له أيضًا ؛ لأن له أجر المجاهد في سبيل اللَّه ، وأجر المنفق على الأرملة واليتيم . ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالته « المظالم المشتركة » .

وأما من طلبها فخرًا واستعلاءً وحبًّا للرئاسة ، وليجمع لنفسه كافة السلطات ، ويجعل من شخصه لمن دونه إلهًا يُعبد ، فهذا يجب إبعاده عن الوظائف كلها ؛ لأنها تحرم عليه أعظم من حرمة الميتة والدم ، وكذا من طلبها جشعًا وتكثرًا وحبًّا للدنيا ، أو طلبها وهو ليس من أهلها ولا بكفء لها ، أو طلبها ولديه وظيفة غيرها ، فإنه لا يجوز ويجب منعه من ذلك .

ثانيًا : العمولة التي تؤخذ على المال المدفوع للبنك ويتسلم الدافع شيكًا بمقدار هذا المال وتسليم المال لحامل هذا الشيك في بلد آخر ؟

فقد ذكرنا أن الفقهاء أباحوا السفتجة ، وهي : ما يدفع أجرة لحمل المال من بلد إلى آخر ، وذكر بعضهم أنها ما يُدفع لضمانه ، سواء حمل عين المال أو سلم مقابله في بلد آخر . وأنا شخصيًّا لا أعرف قوانين البنوك التي تتمشى عليها ، وإنما أقرر ما يباح من أعمالهم شرعًا في هذه المسألة ، ولها صورتان :

الأولى : إذا كان البنك يأخذ المال من زيد مثلًا ويعطيه شيكًا على فرعه في بلد آخر ، بشرط ضمان هذا المال ، فلو ضاع الشيك أو تلف قبل استلام المبلغ ، فإن زيدًا يرجع على البنك الذي تسلم منه الشيك ويأخذ ماله كاملًا غير منقوص ، وللبنك أن يعمد فرعه المحول عليه بعدم الصرف للشيك المؤرخ بكذا ، المرقوم عليه كذا ، فهذه الصورة لا بأس بأخذ العمولة عليها ، وهي من صور الوديعة بأجرة ، أو من صور الإجارة ، وليست من صور الحوالة ، وإنما أطلق التجار عليها

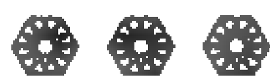
اسم الحوالة تجوزًا وانتحالًا .

أما الحوالة الشرعية فلا بد لها من استيفاء شروط خمسة ؛ منها : أن يكون المال المحال به دينًا ثابتًا في ذمة على دين ثابت في ذمة ، وأن يتساويا جنسًا وقدرًا وصفة إلخ .

والثانية : أن يأخذ البنك المال من زيد ويعطيه شيكًا على فرعه بدون شرط الضمان ، فلو تلف الشيك أو ضاع لم يدفع البنك المدفوع له المال شيئًا إلا بحضور الشيك الذي سلمه لزيد ، فهذا الشيك بهذه الصفة يصبح مثل الأوراق البنكنوتية الحكومية ، أو ضاع واحدة منها من ذوات العشرة أو الخمسين أو المائة . فإن المؤسسة ترفض أن تدفع بدلها حتى ولو أحضر صاحبها مائة شاهد عدول صلحاء . وأعتقد أن هذه الصورة لا يباح للبنك أخذ العمولة عليها ؛ لأنها تجردت من حمل المال من بلد إلى آخر ، وتجردت من ضمانه .

ولنا عودة في هذا البحث ، إن شاء اللَّه ، إذا ما درسنا نظام البنوك المعمول به حاليًا .

(يتبع) .



هل يُباح الممنوع لتطور الزمن ؟![1]
الحلقة الثانية

ثالثًا : الجرس :

اطلعت على كلام لبعض المحققين من العلماء ؛ مفاده : أن الجرس المنهي عنه ما علق على البهائم والدواب ونحوها ؛ فخرًا وخيلاء ورياء وسمعة ، وأن الأجراس الموجودة ليست مقصودة ، ولا يتناولها النهي ؛ لأنها تستعمل لغرض صحيح مباح ، والوسيلة تابعة للغاية منعًا وإباحة ، فالتليفون مثلًا والساعة وغيرهما تحمل أجراسًا ، فلو منعنا ذلك لضيقنا نطاق الشريعة ، ووسائلها ومصالحها المرسلة ، ولخالفنا ما تقضي به هذه الشريعة من اليسر والسهولة والتمشي مع كل تطور في كل عصر وزمن .

رابعًا : الصور والتصوير :

ذكر كثير من علماء الحديث والفقه أن الصور المنهي عنها هي المجسمة من ذهب أو فضة أو نحاس أو خشب أو طين ، أو غيرها من المواد التي لا تتكون إلا ببناء وتركيب ، واستدلوا على ذلك بالحديث القدسي : « ومن أظلم ممن ذهب يخلق كلخقي »[2] . وحديث : « من صور صورة في الدنيا ، كُلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ »[3] . وحديث : « أحيوا ما خلقتم »[4] . وحديث التمثال الذي امتنع جبريل عليه السلام من دخول بيت النبي ﷺ حتى قطع رأسه[5] ..

---

(١) صحيفة الندوة في ١٣٨٢/٧/٢٧هـ .

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٥٣، ٧٥٥٩) ، ومسلم (٢١١١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٦٣، ٧٠٤٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

(٤) أخرجه البخاري (٢١٠٥، ٣٢٢٤، ٥١٨١) ، ومسلم (٢١٠٧) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٥) أخرجه أحمد ٤١٣/١٣ (٨٠٤٥) ، وأبو داود (٤١٥٨) ، والترمذي (٢٨٠٦) ، والنسائي (٥٣٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . وصححه الألباني في الصحيحة (٣٥٦) .

وقالوا: كلها تدل دلالة واضحة على أن المقصود بالصور هي المجسمة؛ لأن تحدي المصورين بنفخ الروح حتى ولو كان تعذيبًا لا يكون بالخيال وحبس الظل، وإنما يكون بالأجسام المركبة المبنية.

قال الشيخ عبد الحق: إن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وغيره من التابعين وتابعي التابعين يرون هذا الرأي؛ مستدلين بحديث: «إلا رقمًا في ثوب»[1] .. قال: وأما حديث القرام فيحمل على الكراهة لا على التحريم؛ لنصون الأحاديث النبوية من التعارض والتضارب، وليأخذ كل حديث معناه الصحيح، وليظهر للأمم جميعها أن شريعتنا الإسلامية تجاري كل تطور، وإنها صالحة لكل تقدم، وقد أظهرت الصناعات الحديثة بعضها من معجزات الأحاديث النبوية المتقدمة وأسرارها، فقد حدثني بعض من سافر للخارج أنه قرأ في مجلة: أن علماء الغرب توصلوا إلى صنع آدمي من مادة أسماها ووصلوه بالتيار الكهربائي فتكلم بما يشبه صوت القرد ومشى، ولكن ذلك لم يطل. وقد ينكر بعض الناس هذا ولكني أقول: إن العقل البشري لا ينكر قدرته على الاختراعات مهما بلغت عظمتها إلا مكابر للحس والواقع، فقد ألهم الله العقول البشرية بتسخير الكون لمصلحة العالم ولدماره، وكل ما يصنعونه داخل ضمن قول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: الآية ٩٦]، ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: الآية ٨].

والمقصود أن إطلاق تسمية الصور الشمسية صورًا مجاز لا حقيقة، والأحكام الشرعية منوطة بالحقائق منعًا وإباحة، فما في حفيظة النفوس والجواز وغيرها من الصور التي ليست مجسمة لا تدخل في عموم النهي، وعلى فرض دخولها فإن الله يقول: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: الآية ١٦]، فما لم نستطعه لا إثم علينا به في كل شيء.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٥٨)، ومسلم (٢١٠٦) من حديث زيد بن خالد عن أبي طلحة رضي الله عنهما.

خامسًا : الغناء سماعًا واستماعًا :

ليس من شك أن كثرة الغناء وكثرة أجهزة الراديو مما ابتلي به المسلمون حديثًا ، وأنه شر لا بد منه ، فإذا لم نستطع منعه ، فالمسلم معذور فيما لا مناص منه . وسواء في ذلك غناء الرجل أو المرأة . وظن بعضهم أن صوت المرأة عورة هو ظن خاطئ ؛ لأن الصحابيات رضي اللَّه عنهن كن يأتين إلى النبي ﷺ وعنده أصحابه من المهاجرين والأنصار ، فتتلكم المرأة منهن بملء فيها وتصيح بأعلى صوتها ، إما عن سؤال في دينها أو في شكوى من معتد على حقوقها . أو تشتكي زوجها ، ويجيبها النبي ﷺ عن جميع ما تسأل عنه بكل بساطة ولطف ، وهذه زوجة عمر بن الخطاب بعد أن طلقها تأتي إلى أبي بكر الصديق رضي اللَّه عنه وعنده الصحابة فتشتكي عمر وتقول : إنه يريد أخذ ولدها وهو في حضانتها . فيقبل الصديق شكواها ويحكم لها بالولد ، ويقول لعمر : دعه معها فإن ريحها أحسن له منك(١) .

ولا تزال النساء إلى اليوم يأتين إلى القضاة والولاة لجلب نفع أو دفع ضر ، وأعتقد أنه من الأفضل لو سمح لبعض النساء الطبيبات في تسجيل أحاديث زاوية الصحة ، وركن المنزل ، وتعليم الطهي والتفصيل ، وما إلى ذلك ؛ لأن المرأة أعرف بمخاطبة النساء من الرجال ، وأدرى بمصالحهن ومشاكلهن . فتعالج الطبيبة أمراض النساء وأحوال الحمل والرضاع وما يجب فعله تجاه الطفل ، وتتولى العالمة بأحوال النساء ومشاكلهن إرشادهن إلى ما يجب فعله أو يجب تركه ، كل هذا لا أعتقد أن شريعتنا الإسلامية تمنع منه .

وهنا نقف قليلًا عند بحث رأيته لبعض المنتسبين للعلم يقول فيه : إن جهاز الراديو حرام ؛ لأن فيه غناء وأصوات نساء .

---

(١) أخرجه مالك ٢/ ٧٦٧، وعبد الرزاق (١٢٦٠١) ، وابن أبي شيبة ٦/ ٦٣٠.

وردي عليه هو : أن أذكره بأن القول على الله بلا علم أعظم من الشرك بالله ، قال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٣٣] ، فلا يجوز للإنسان مهما بلغ من العلم والمعرفة أن يجزم بأن هذا حلال وهذا حرام ، إلا ببرهان صحيح من القرآن أو من السنة ، ثم إن صوت المرأة ليس بعورة ، كما أسلفنا من فعل الصحابيات ، وإنما يحرم الاستماع لصوت المرأة إجماعًا إذا حصل به نشوة وتلذذ .

والراديو وسيلة إلى غاية ، فإذا استعمل في القراءة والأحاديث التي يهتم بها المسلمون جماعة وفرادى ، فالغاية مباحة وتتلوها الوسيلة ، وإذا استعمل في ممنوع وكان القصد منه فعل الممنوع فالغاية ممنوعة والوسيلة مثلها ، وإذًا فهو مثل فم الإنسان إذا قرأ وسبح وكبر أُثيب على ذلك ، وإذا سب ولعن وشتم وقذف عوقب ، فالأول مستحب ، والثاني ممنوع .

ثم إن اجتماع العائلة على استماع الغناء قد يُقال : إنه مفسدة من جهة منع الغناء مثلًا ، ولكني أقول : إن اجتماع العائلة في بيتها بكافة أفرادها يقلل من ذلك ، ولو كان مفسدة لأن فعل العائلة هذا هو تحصين لشبابها عن الخروج إلى الشوارع والمقاهي التي يحصل بها من المفاسد ما لا حصر لها ، وبه تندفع تلك المفاسد التي هي أكبر وأعظم مما يحصل من مفسدة استماع الغناء ، فلعل هذه المفسدة لدرء أكبر منها موافق لقاعدة من قواعد الشرع ، وهي : أن ارتكاب أدنى المفسدتين لدفع أعلاها سائغ شرعًا ، على أن المسلم إذا استطاع الابتعاد عن كلتا المفسدتين فهو أسلم لدينه .

سادسًا : إيجاد خطوط للنساء في المدن الكبرى هو من المصلحة العامة التي إذا أطلقت فإنها تعم الرجال والنساء على السوء .

وقد يقال : إن اختلاط النساء بالرجال فيه مفاسد ، وأنا لا أعارض أنه قد

يحدث مفاسد غير أن هذه المفاسد مظونة الوقوع ، والمصلحة مضمونة ، فينبغي علينا تقديم المصلحة المضمونة على المفسدة المظونة ؛ لأن مقاصد الشريعة تأمر بالأخذ بالمصالح إذا تعارضت مع المفاسد القليلة المظونة في كل حقول المجتمعات ، ولذا أبحنا اختلاط النساء بالرجال في الأسواق والمساجد والمتاجر وغيرها .

وقول بعضهم : درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، هو فيما إذا تحققنا وقوع المفسدة الغالبة ، أما إذا كانت المفاسد مظنونة قد تقع وقد لا تقع ، ولدينا حاجة عامة لا بد من إيجادها ، فإننا نقدم المصلحة ونضعها موضع التنفيذ ، ونحن إذا جعلنا خطوطًا للنساء مع التحفظ والاحتشام ، فإننا نجلب لهن مصلحة كبرى قد تفيد مجتمعهن فائدة يظهر أثرها سريعًا ، ويتضاءل معها ما قد يقع من مفسدة ، على فرض وتقدير ذلك .

فأرى من الأفضل والحالة هذه إيجاد ذلك ؛ حيث اتضح عدم معارضته للشريعة الإسلامية ، بل قد تأمر بها ضمنًا تبعًا للمصالح التي ورد الأمر بها من جهة المشرع للمجتمعات ، والمفاسد التي قد تحدث في الخطوط ، يحدث أكثر منها في خطوط النقل من بلد إلى بلد ، وفي سيارات التاكسي والأجرة ، وفي الأسواق والمتاجر وغيرها ، فما يحصل فيها أكثر مما قد يحصل في الخطوط .

أقول هذا لما رأيته ولمسته من المشاق التي تحصل للمرأة التي تعول أطفالًا وتحتاج لإحضار ما يلزم لها ولأطفالها من مكان بعيد .

وأخيرًا : أسأل اللَّه تعالى أن يوفقنا للأخذ بما فيه صلاحنا في كل ما من شأنه تقدم البلاد وتطورها في حدود شريعتنا الغراء المطهرة ، تلك التي وصفها اللَّه تعالى بأنها خير الأديان ، وأن أمتها خير الأمم .

❁ ❁ ❁

صونوا مقدسات الدين!
تعقيب على مقال «هل يباح الممنوع لتطور الزمن؟»(١)

بقلم الشيخ محمد علي الصابوني - المدرس بكلية الشريعة

اطلعت على مقال نُشر في جريدة «الندوة» عدد (١٢٠٥) على فتاوى شرعية لفضيلة الأستاذ الهندي، تحت عنوان: «هل يباح الممنوع لتطور الزمن؟»، وقد أعجبني في الأستاذ الكريم أفكاره النيرة، وآراؤه القيمة! غير أني وجدت في هذا المقال بعض الملاحظات العلمية، أستميح الأستاذ الجليل العذر في الرد عليه؛ لأنها جاءت في صورة فتاوى شرعية، ولو كانت رأيًا شخصيًّا له لما اعتددت بذلك الرأي، ولما كلفت نفسي الرد عليه؛ لأنني أعلم أن للإنسان الحرية في إبداء آرائه والدفاع عنها، فقد يكون على حق وقد يكون على غير ذلك، أما أن تنسب هذه الآراء إلى الدين، وتلبس لباس المحققين والمدققين، وأن ينتحل لها من القواعد الأصولية ما يجعلها متمشية مع التعاليم الإسلامية، فهذا ما لا يجوز السكوت عنه؛ ذلك لأن الساكت عن الحق شيطان أخرس، وهذا الدين أمانة في عنق جميع المسلمين، وأحق الناس بحمل الأمانة هم العلماء ورثة الأنبياء، وقد أخذ اللّه عليهم العهد والميثاق ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٨٧]

فليعذرني الأستاذ الكريم في الرد عليه؛ لأن الدين النصيحة، وكل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون، ورحم اللّه مالكًا حين قال: «ما من أحد إلا رد

(١) صحيفة الندوة في ١٣٨٢/٨/٩هـ.

وقد ذكرنا هذا المقال للشيخ الصابوني هنا هو ومقال آخر لاحق؛ لأن له تعلقا بالموضوع الذي قبله والذي بعده من مقالات الشيخ الهندي.

ورد عليه، إلا صاحب هذا القبر». يعني الرسول ﷺ.

وقبل أن أخوض مع الأستاذ في صلب الموضوع أحب أن أذكره بالقاعدة الأصولية المجمع عليها، وهي أنه: لا مساغ للاجتهاد في ورود النص. وأن أذكره أيضًا بكلامه نفسه: أن القول على اللّٰه بغير علم أعظم من الشرك. واستدل على قوله بالآية الكريمة: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ [الأعراف: الآية ٣٣] إلى: ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: الآية ١٦٩]، وقد عقب ذلك بقوله: فقال: فلا يجوز للإنسان مهما بلغ من العلم والمعرفة أن يجزم بأن هذا حلال وهذا حرام إلا بيرها صحيح من القرآن أو السنة! فكيف يرضى الأستاذ لنفسه أن يخوض فيما أخذه على غيره؟! وكيف يقع فيما عنه نهى وحذر؟!

وعلى كل حال فالأستاذ له أجر واحد على هذه الفتاوى؛ لأنها كانت عن اجتهاد مثاب على اجتهاده، فقد يكون له أجر وقد يكون له أجران.

الملاحظة العلمية:

والآن نريد أن نناقش الأستاذ الكريم في بعض ما قال وفي بعض ما كتب:

قال في صدر الكلام عن الغناء: إنه شر لا بد منه، فإذا لم نستطع منعه فالمسلم معذور فيما لا مناص منه، وسواء في ذلك غناء الرجل وغناء المرأة.

أما قول الأستاذ: إنه شر. فهذا ما لا يخالفه فيه مسلم. وأما قوله: لا بد منه، وأن المسلم معذور فيما لا مناص منه. فهذا كلام غير صحيح، وهو مردود على قائله؛ ذلك لأن معنى: لا بد منه. أي: أمر ضروري لا يمكن الاستغناء عنه! وهل يقول عاقل: إن الحاجة إلى اللهو والغناء كالحاجة إلى الطعام والشراب؟!

وإذا كان للمسلم شيء من العذر في عدم القدرة على تغيير المنكر، فهل يكون معذورًا على قبوله أو سماعه أو تشجيع الناس عليه؟!

ثم كيف يتجرأ مؤمن على تهوين أمر المنكر الذي تضافرت الأدلة على تحريمه بدعوى أنه أصبح ضرورة؟! ومتى كان الحلال والحرام تبعًا لعرف الناس

وعملهم ؟ والله تعالى يقول في محكم آياته : ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ [النّحل: الآية ١١٦] .

فالحلال يبقى حلالًا إلى قيام الساعة ، وكذلك الحرام ، ولا دخل لعمل الناس في التحليل والتحريم .

ثم كيف يكون غناء المرأة كالرجال ! والله تعالى يقول : ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ . فأي تخنث في الكلام وخضوع في القول أعظم من هذا الغناء الماجن المصحوب بآلات اللهو والطرب ، الذي لا يحوم إلا حول الحب والغرام ، والعشق والهيام ، والذي يثير الغريزة في الإنسان فيدفعه نحو الفساد والانحلال ؟! ثم ما هذا القياس يا فضيلة الأستاذ ؟ هل يجوز لنا أن نقرر الأحكام هكذا حسب الهوى والرغبة النفسانية ، فنقول : المرأة كالرجل ؟! ومن الذي يستطيع أن يقول : إن النظر إلى المرأة كالنظر إلى الرجل ، وأن الخلوة بالمرأة كالخلوة بالرجل ، وأن مصافحة المرأة كمصافحة الرجل ؟! ألم يفرق الإسلام بينهما في كثير من الأحكام ؟ لقد فرض الله جل شأنه الحجاب على المرأة ولم يفرضه على الرجل ، وهكذا . فكيف تقول : غناء المرأة كالرجل ؟!

ثم يقول الأستاذ بعد ذلك : إن اجتماع العائلة في بيتها على استماع الغناء ، قد يقال : إنه مفسدة ، ولكني أقول : إن فعل العائلة هذا هو تحصين لشبابها عن الخروج إلى الشوارع والمقاهي التي يحصل بها من المفاسد ما لا حصر له .. إلى آخر كلامه .

وهنا أحب أن أخفف عناء البحث عن الأستاذ فأسارع القول إليه بأن الأمر على عكس ما يقول تمامًا ؛ إذ الشباب الذي يملأ الشوارع والمقاهي ويفعل أنواع الموبقات والرذائل إنما هم من عشاق : « ناديا » و« شاديا » ، ومن المستمعين لـ« صباح » و« أم كلثوم » ممن أفسدهم هذا الغناء الماجن ، فخرجوا من بيوتهم هائمين على وجوههم ؛ يريدون أن يجدوا لهم تنفسًا فلا يرون إلا طريق الشارع

والسينما، ثم طريق الفحش والبغاء، وأنا أعلم شبابًا كثيرين - عندنا في سورية - كانوا من خيرة الشباب وما أفسدهم إلا أصوات المخنثين والمخنثات، فهل هذا هو التحصين للأسرة والحافظ عليها؟

ثم كيف يكون الشر وسيلة إلى الخير؟ وكيف تكون الرذيلة طريقًا للفضيلة؟ ثم ما هو رأي الأستاذ في هذه النصوص التي استند عليها الجمهور حول تحريم الغناء؟.

١- قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [لقمان: الآية ٦]، فقد أجمع المفسرون على أن هذه الآية الكريمة نزلت في الغناء والمزامير. روى الإمام ابن كثير في «تفسيره»[1] بسند متصل إلى ابن مسعود رضي الله عنه أنه سُئل عن هذه الآية فيم نزلت؟ فقال: والله الذي لا إله إلا هو إنما هو الغناء، إنما هو الغناء، إنما هو الغناء، يرددها ثلاثًا. كما روى أيضًا أن الحسن البصري قال: نزلت هذه الآية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [لقمان: الآية ٦]. في الغناء والمزامير.. ثم ذكر أن هذا التفسير منقول عن جمهور الصحابة، ومنهم ابن عباس، وجابر، وعكرمة ... إلخ.

٢- قال النبي ﷺ: «الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل»[2]. فإذا لم يكن هذا الغناء المصحوب بآلات اللهو والطرب فأي غناء يكون؟!

٣- كما أخبر عليه الصلاة والسلام بما سيقع من أمته من انتهاك لحرمات الدين واستحلال لأنواع من المحرمات فقال: «ليكونن من أُمتي أقوام يستحلون

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/٤٤١- ٤٤٢.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٢٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. وضعفه الألباني في الضعيفة (٢٤٣٠)، وصححه موقوفًا.

الحر والحرير والخمر والمعازف »[١] . وهذا من معجزاته ﷺ ؛ حيث أخبر بما سيكون في آخر الزمان ، والمراد بقوله : « الحر » أي : الزنى . وأصل اللفظ يقصد به : « الفرج » .

٤- روي عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء » . قالوا : وما هن يا رسول الله ؟ فعددها واحدة واحدة ، ثم ذكر منها قوله : « واتخذت القينات والمعازف » . والمراد بالقينات : المغنيات . ثم ختم الحديث بقوله : « فلينتظروا عند ذلك ريحًا حمراء أو خفسًا ومسخًا »[٢] .

فأي تهديد أعظم من هذا التهديد المقرون بالعذاب والوعيد ؟ .

فهل يجوز لمسلم أن يستحل ما حرم الله ، أو أن يأتي بأحكام تخالف نصوص الكتاب والسنة ، ثم يقول : هذا مما لا يناقض شرع الله ؟ وأن شريعة الإسلام سمحاء يمكن تطويرها حسب ما نحب ونشتهي !! .

وقد استشهد بقوله تعالى : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: الآية ١٦] ، فقال في صدد البحث عن التصوير : ولا تدخل في عموم النهي ، وعلى فرض دخولها فإن الله يقول : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: الآية ١٦] فما لم نستطعه لا إثم علينا به في كل شيء . هذا نص كلامه ! ولن أدخل مع الأستاذ الكريم في بحث « التصوير » الآن ، فتلك مسألة قتلها العلماء بحثًا ودراسة ، ولكنني أناقشه في كلامه واستشهاده فأقول :

هذه الآية الكريمة نزلت في فعل المأمورات لا في ترك المنهيات ، والحديث الشريف وضح معنى هذه الآية ، فقد قال ﷺ : « ما نهيتكم عنه فاجتنبوه- أي :

(١) أخرجه البخاري (٥٥٩٠) تعليقًا من حديث أبي مالك أو أبي عامر الأشعري ، ووصله الإسماعيلي - بسند صحيح - كما قال الحافظ في تغليق التعليق ٥/ ٢٢، وفتح الباري ١٠/ ٥٢، ٥٣.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٢١٠) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وضعفه الألباني في الضعيفة (١١٧٠) .

بالكلية– وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم »[١] . فكيف غفل الأستاذ الكريم عن هذا المعنى وعمم الحكم هكذا ، فقال : فما لم نستطعه لا إثم علينا به في كل شيء !!

فهل نقول للمرابي والزاني والسارق والمدمن على شرب الحشيش أو الخمر : اتقوا اللّه على قدر استطاعتكم ، فإذا لم تستطيعوا ترك هذه الموبقات فلا إثم عليكم في كل ما تعملون وكل ما تفعلون ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم !

ثم يقول في كلامه : الوسيلة تابعة للغاية منعًا وإباحة .

وهذا الكلام غير شرعي وغير عقلي ، وما جاء الإسلام إلا ليهدم مثل هذه الأفكار الخاطئة التي توارثها الناس جيلًا بعد جيل وقرنًا بعد قرن ، وما جاء الإسلام إلا لتحطيم أمثال هذه القواعد التي هي من مخلفات عصور الجهل والظلام . فعلى هذه القاعدة التي ذكرها الأستاذ ، هل نستطيع أن نقول فيمن سرق أموال الناس أو اغتصبها من أجل بناء مسجد : إن الغاية شريفة ومباحة فكذلك الوسيلة مباحة ؟ وما رأي الأستاذ في اليانصيب الخيري الذي يقصد منه عمل الخير والبر والإحسان ، هل هو مشروع ومباح لأن غايته إنسانية ؟ وما هو رأيه كذلك في قول الشاعر العربي :

بنى مسجدًا للّه من غير حله وأمسى يريد الأجر من فضل ربه
كمطعمة الأيتام من كسب فرجها لك الويل لا تزني ولا تتصدقي

ولماذا حرم الإسلام القمار الذي كان معروفًا في الجاهلية واعتبره رجسًا من عمل الشيطان ، مع أن غايته شريفة ومقصده نبيل ، حيث كانوا يتصدقون بالربح على الفقراء والمساكين ؟ أفيجوز لمن ينتسب للعلم والدين أن يقرر مثل تلك القواعد المناقضة للشرع والدين ، وأن يجعلها قواعد أصولية أقرتها الشريعة الإسلامية ؟!.

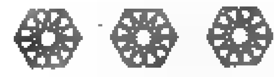
---

(١) أخرجه مسلم (١٣٣٧) من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه .

وبعدُ : فإن للبيت ربًّا يحميه ، وللشريعة حراسًا يذودون عنها .

فاتق اللَّه أيها الأستاذ في هذا الدين ، ولا تعرض نصوصه للهو والعبث ، ولا تجرئ الناس على المعاصي بأمثال هذه الفتاوى التي لا تستند إلى دليل أو برهان . وأعيذك باللَّه أن تقع فيما عنه نهيت ومنه حذرت ، فتكون ممن عنيتهم بقول اللَّه تعالى : ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: الآية ١٦٩] .

نسأله تعالى الهداية والرشاد إلى طريق الحق والسداد ، هو حسبنا ونعم الوكيل .



رد على تعقيب
حول «هل يباح الممنوع لتطور الزمن؟»(١)

اطلعت على مقال الأستاذ محمد علي الصابوني المنشور بجريدة «الندوة» الغراء الصادرة بعدد (١٤١٥)، وما حواه من آراء ومناقشات، وأنا إذ أشكر الأخ الصابوني على إبداء ملاحظاته، ألفت نظره إلى أنه لم يحالفه الحظ في عرض طريقته النقاشية؛ إذ طريقة العلماء في النقاش هي البحث العلمي والتوجيهات الرشيدة السديدة.

وردي على مقاله يتلخص فيما يلي:

أولًا: إن الممنوع في اصطلاح الأصوليين أعم مما ورد عن الله ورسوله، بل يطلق ويراد به قول طائفة من العلماء، أو قول إمام من أئمة المسلمين. أما الذي فيه نص صريح عن الله ورسوله، فيقال: هذا حلال وهذا حرام؟ قال ﷺ في حديث النعمان بن بشير: «الحلال بيِّن، والحرام بيِّن»(٢). وهذا ما تنص عليه الآية الكريمة: ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: الآية ١٦٩].

وقوله: أما أن تلبس هذه الآية بلباس الدين.. إلخ.

فأقول: إنني لم أت بشيء من عندي، فقد ذكر الله الإكراه وأباحه في الكفر، كما يأتي، وأباح ما يفعله الإنسان اضطرارًا في كل شيء، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: الآية ١١٩]، فهل يقال: إن هذه الآية ليست في الدين.

ثانيًا: قوله: وكيف وقع الأستاذ فيما أخذه على غيره.

فجوابه: أن الأخ الصابوني لم يتأمل المقال بدقة وإمعان، ولو تأمل لوجد أني لم أقل عن الله ورسوله شيئًا حرم بنص صريح. أما الذي اختلف العلماء في

---

(١) صحيفة الندوة في ١٣٨٢/٢٠/٨٠هـ.

(٢) أخرجه البخاري (٥٢، ٢٠٥١)، ومسلم (١٥٩٩).

مفهومه، أو ورد بأحاديث ضعيفة ردها أهل العلم لمعرفتهم بضعفها فلا يقال: إنه قول على اللَّه ورسوله بغير علم.

ثم إني أتساءل مع الأستاذ: هل يجوز تحريم شيء لم يرد فيه نص صريح صحيح عن اللَّه ورسوله، كجهاز الراديو مثلًا، أم أنه وسيلة؟ ثم الوسائل التي أنكرها الأستاذ هل قال بها وأقرها أئمة العلم والهدى منعًا وإباحة، أم أن القول بها جديد ومبتكر فلنا أن ننكرها أو نقرها؟

ثالثًا: قوله: كيف يتجرأ مؤمن على تهوين أمر المنكر الذي تضافرت الأدلة على تحريمه.

فجوابه: أن الأستاذ لو تأمل قليلًا لوجد أني لم أبح شيئًا من المنكرات، وإنما أقول: إن المسلمين قد وقعوا في شر، ولا يستطيع الأغلب منهم الابتعاد عنه؛ وهو سماع الغناء. وحتى صاحب الرد نفسه يسمعه في بيته وعند جيرانه، وفي الشارع، وفي السيارة، وقد يسمعه وهو في المسجد، فما هو موقفه من ذلك؟ هل يصم أذنه أم يجعل فيهما قطنًا؟

ثم إن الأستاذ فهم خطأً أنني قلت: إن الحاجة للغناء واللهو كالحاجة للطعام والشراب! فمعاذ اللَّه أن أقول ذلك، وفرق عند المنصف بين من يجيز بعض الأشياء للاضطرار، وبين من يقول: إن الناس في حاجة إليها.

رابعًا: يقول: إن الحلال يبقى حلالًا إلى قيام الساعة. فهل يقصد أن الشريعة ليست لها مقاصد أخذ بها الخلفاء الراشدون ومن بعدهم إلى اليوم؟ فإذا كان ذلك كذلك فنتساءل معه عما فعل عمر بن الخطاب بعد موت النبي ﷺ من منع بيع أمهات الأولاد؛ لما رأى المنع هو الأصلح، بينما حديث جابر بن عبد اللَّه قال: كنا نبيع أمهات الأولاد على عهد رسول اللَّه ﷺ[1]. وكذا فعله في إيقاع

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٩٥٤)، وابن حبان (٤٣٢٤) من حديث جابر رضي اللَّه عنه. وصححه الألباني في الإرواء (١٧٧٧).

الطلاق الثلاث بلفظ واحد ؛ لما رآهم تعجلوا ذلك ، بينما حديث ابن عباس في «صحيح مسلم»[١] : أن طلاق الثلاث واحدة . وكذا جمعه الصحابة في التراويح على إمامين يصلون عشرين ركعة . وكذا تنحيته للمقام من كونه ملاصقًا للكعبة إلى مكانه اليوم . هل كل هذا الفعل يعتبر معارضة للشريعة ؟ وكذا ما جد من تقارب البلدان بواسطة الطائرات والسيارات ، هل يؤمر الناس بالفطر في الطائرة بين مكة والرياض ؟ وهل يؤمرون بالقصر بين مكة وجدة والطائف ؟ وهل الحكم باق أم يزول بزوال علته ؟

إنني أود من الأستاذ الصابوني أن يقرأ كتاب « قواعد الأحكام في مصالح الأنام » للإمام العلامة العز بن عبد السلام الشافعي ، وكتاب « الاعتصام بالسنة » للعلامة الشاطبي ، وما ذكرا من مصالح الشريعة ووسائلها مما لا يخفى على كل عالم مستنير .

سادسًا : قول الأستاذ : إن قول الله تعالى : ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: الآية ١٦] . نزلت في فعل المأمورات لا في ترك المنهيات .

وأود أن أذكر الأستاذ بأن غالب المسلمين لا يجب أن يصور نفسه ولكنه مضطر . فهل يأثم إذا فعل ذلك ، وقد قال تعالى في حق من أكره على الكفر فضلًا عما دونه من المعاصي : ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: الآية ١٠٦]

وأنا أعتقد يقينًا أن لدى الأستاذ جواز سفر وحفيظة نفوس فيها صورته ، فهل يرى ذلك مباحًا أم ممنوعًا ؟ وهل فعل ذلك باختياره أم اضطر إلى ذلك .

وقوله : إن التصوير قد قتله العلماء بحثًا ودراسة . فهذا هو ما أردناه ، وهو منع الحرج عن الأمة فيما اختلف العلماء في مفهوم دليله ، فالعلماء لهم في التصوير ثلاثة أقوال :

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٧٢) .

الأول : أن النهي يختص بالمجسمة ، وهو قول القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، وسالم بن عبد الله بن عمر الخطاب ، وهما من فقهاء المدينة السبعة .

الثاني : أن النهي يختص بما تعيش معه الروح ، وهو رواية عن الإمام أحمد ، رحمه الله ، وهي المذهب عند الحنابلة .

الثالث : أن النهي يعم جميع الصور ، وعليه جمع من العلماء ، وهو الرواية الثانية عن الإمام أحمد .

وإذن فكيف نحاول أمام هذا القول أن لا تقع الأمة في حرج ؟ لا بد أن نرجع إلى أن الله لا يؤاخذنا فيما اضطررنا إليه .

سابعًا : البحث في صوت المرأة هل هو عورة يحرم سماعه ، أم أنه ليس بعورة ولا يحرم سماعه إلا بأمرين :

الأول : إذا حصل به لذة .

والثاني : إذا حصل من المرأة لين ورقة في الكلام ، وهو ما قصدته الآية : ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: الآية ٣٢] .

المذهب عند الحنابلة : أن صوت المرأة ليس بعورة ، وهو رواية عن الإمام أحمد ، قال العلامة المرداوي في كتابه « الإنصاف » : وصوت المرأة ليس بعورة على الصحيح من المذهب ، قال في « الفروع » : ليس بعورة . وقال خطيب السلامية : قال القاضي الزريراني الحنبلي في حواشيه على « المغني » : هل صوت الأجنبية عورة ؟ فيه روايتان منصوصتان عن الإمام أحمد ؛ ظاهر المذهب : أنه ليس بعورة . انتهى .

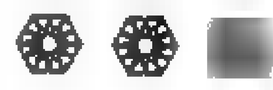
قُلْتُ : ومشى عليه كافة المتأخرين من الحنابلة كالرحيباني في « شرح الغاية » ، والبهوتي في شرحه على « الإقناع » ، و« المنتهى » ، قالوا : إلا إذا حصل به لذة ، أو حصل من المرأة لين ورقة في الكلام .

وأما قوله : إن الشباب حينما يسمع الغناء يذهب إلى الشارع ليخفف من نهمته .

فجوابه: أن دولتنا- بحمد الله- ليس لديها شوارع تباح فيها المحرمات علنًا، وبيئتنا هنا ليست كالبيئات الأخرى التي يحكي عنها الأستاذ، نعم يوجد قليل من ذلك، وهو ما أوردناه بالمقال السابق، على أني أذكر الأستاذ أن العصمة بيد الله تعالى للشباب وغيره، فقد رأينا كثيرًا من الشباب يضرب بهم المثل في الصلاح والتقوى، وفي بيوتهم أجهزة الغناء، ويوجد من لا يسمع الغناء أصلًا، وهو في غاية الفساد.

وأنا لا أشك أن الغناء مفسدة، ولكنه أهون من استطالة المرء في عرض أخيه، قال ﷺ: «أربى الربا استطالة المرء في عِرض أخيه»[1].

وسماع الغناء في هذا الزمن لا يمكن التحرز منه كما أسلفنا، أي: يسمعه الإنسان وهو غير مريد؛ في الطريق، وفي المقهى، وفي الدكان، وفي السيارة.



(١) أخرجه أبو داود (٤٨٧٧)، والبزار (٧٧٨٤، ٨٤٣٧)، والبيهقي في الإيمان (٥٥٢٢، ٦٧٦٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وعند أبي داود بلفظ نحوه، وأخرجه أبو داود (٤٨٧٦) من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه. وصححه الألباني في الصحيحة (٣٩٥٠).

تعقيب أخير حول موضوع
« هل يباح الممنوع لتطور الزمن ؟ »[(١)]
بقلم الشيخ محمد علي الصابوني

فقد اطلعت في جريدة « الندوة » الغراء عدد (١٢٢٥) على رد على التعقيب الذي كتبته حول موضوع : « هل يباح الممنوع لتطور الزمن » للأستاذ علي الهندي ، ولا أحب أن أطيل بالخوض فيما خرج به عن موضوع النقاش ، فإن خلافنا حول نقاط جوهرية ، وهي :

١- هل يجوز تسيير الشريعة السمحاء حسب الرغبات والأهواء؟

٢- هل يجوز أن يجتهد في أمور ورد فيها نص من الكتاب أو السنة ؟

٣- هل يجوز أن نجعل حجة على الشرع والدين ؟

٤- هل يجوز أن نضع قواعد أصولية من تلقاء أنفسنا ولو صادمت النصوص الشرعية ؟

هذه هي النقاط ...

فالأستاذ - أصلحه اللّه - جاء بآراء ومبادئ واجتهادات مصادمة لنصوص صريحة صحيحة حول إباحته الغناء من آلات اللهو والطرب ؛ بحجة أن الناس قد وقعوا فيه ، وأنه أصبح ضرورة لا يمكن الخروج عنها ، ورفع الإثم عن السامع والمانع- أعني : الذي يمنع المنكر- ، وأتى بقواعد أصولية لا يجوز الاستشهاد بها في مثل هذا المكان ؛ لأنها قياس مع الفارق .

ثم تعدى ذلك إلى أن عظم من شأن المنكر فجعله طريقًا للإصلاح ، بل وصيانة للشباب ، فقد قال في مقاله السابق بعد أن وضع عنوانًا طويلًا عريضًا

(١) صحيفة الندوة في ١٣٨٢/٩/٢هـ.

ليلفت الأنظار إليه : هل يباح الممنوع لتطور الزمن . ما نصه بدون تحريف لكلامه ولا تبديل :

الغناء سماعًا واستماعًا : ليس من شك أن كثرة الغناء وكثرة أجهزة الراديو مما ابتلي به المسلمون حديثًا ، وهو شر لا بد منه ، فإذا لم نستطع منعه فالمسلم معذور فيما لا مناص منه ، وسواء في ذلك غناء الرجل أو المرأة .

ثم قال : واجتماع العائلة على استماع الغناء قد يقال : إنه مفسدة . ولكني أقول : إن فعل العائلة هذا هو تحصين لشبابها عن الخروج إلى الشوارع والمقاهي التي يحصل بها من المفاسد ما لا حصر له ، وبه تندفع تلك المفاسد التي هي أكبر وأعظم مما يحصل من مفسدة استماع الغناء .

ثم يقول : ففعل هذه المفسدة لدرء أكبر منها موافق لقاعدة من قواعد الشرع وهي أن ارتكاب أدنى المفسدين لدفع أعلاها سائغ شرعًا .. إلخ كلامه .

فهل هذا الكلام من الناحية الشرعية الدينية صحيح ؟ لقد ذكرت له في مقالي السابق نصوصًا من الكتاب والسنة كلها تدل على حرمة آلات اللهو والغناء- وعندي المزيد منها لو أراد - ولكنه على ما يظهر ضرب بكل هذه النصوص عُرض الحائط ، وظل ممعنًا على الدفاع عن أقواله ، فلماذا لم يجبني عليها ؟ بل ذهب يتهمني بأنني قد خرجت على طريقة العلماء في النقاش العلمي ، وأن الحظ لم يحالفني في عرض الطريقة النقاشية . إلخ كلامه .

وأحب أن أقول للأستاذ : إن الطريقة التي تلقيتها من أساتذتي الأجلاء سواء في دراستي الجامعية ، أو في قسم تخصص القضاء ، هي أن أقرع الحجة بالحجة ، وأدفع البرهان بالبرهان ، وهذه هي طريقة القرآن : ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البَقَرَة: الآية ١١١] ، فإذا كان الأستاذ يريد مني أن أحشد الآراء المتضاربة ، وأجمع بين الأحكام المتباعدة ، وأكون في البيع ، فأخرج إلى الطلاق والعتاق وآتي بالعجائب والغرائب حتى يأتي كلامي

كثوب ضم سبعين رقعة وينطبق علي قول الشاعر :

سارت مشرقة وسرت مغربًا شتان بين مشرق ومغرب

إذا كان يريد مني مثل هذا الأسلوب المبتكر فليعذرني الأستاذ ؛ لأنني لا أعرف مثل هذا النوع الفريد من الأسلوب الرشيد ، وأنا لا أريد من الأستاذ أن يحمل العصا فيقرع بها رؤوس المغنيين والمغنيات ، ولا أن يؤدب بها السامعين والسامعات ، وإنما أريد منه إذا وقع الناس في المخالفات للشريعة الإسلامية ألا يخرج لهم فتاوى تشجعهم على المعاصي ، أو يسعى إلى نصوص الشريعة فيسيرها حسب أهوائهم ويبين لهم أن شريعتنا سمحة يمكن أن تتقبل كل نوع من المدنية ولو كانت مدنية مزيفة ، ويكون بذلك قد باع دينه من أجل دنيا غيره ، من أجل شهوات الناس ولذائذهم .

وأقول للأستاذ : دع الناس إذا وقعوا في المعصية يستشعرون الهيبة والخوف من اللَّه عز وجل لعلهم يتوبون فيتوب اللَّه عليهم ، ولا تجرئهم على المعاصي ، وعلى انتهاك الحرمات ، ذلك لأن استحلال الحرام أمر كبير يضر بالعقيدة ، وأحب ألا يكون الإنسان معول هدم فيهدم نصوص الشريعة من أجل إرضاء الناس ، وإذا اتبع الناس الشهوات هلكوا ، كما قال تعالى : ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ [مريَم: الآية ٥٩] .

وعلى رجل العلم والدين أن يكون حذرًا يقظًا إلى ما يدبره لنا الأعداء ، فهم قد غزونا الآن بسلاح جديد فتاك يفتك بالمسلمين أكثر مما فتك بهم الحديد والنار ، ذلك السلاح هو الفتك بالأخلاق والأعراض ، وإغراق الناس بالشهوات واللذائذ .

وإنني أذكر قول أحد هؤلاء الفجرة من أبناء الغرب حين وقف فقال : « غانية وكاس يفعلان في بلاد المسلمين ما لا يفعله مدفع وطائرة » . فإذا كان هذا هو مخطط الغرب الفاجر لتدميرنا ، فكيف نسعى نحن لتحقيق مآربهم ، ورحم اللَّه من قال :

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا باق ولا ما نرقع

وهذه معظم البلاد الإسلامية قد وقعت فريسة هذه (المدنية الزائفة)، الملوثة بالإباحية والتحلل عن طريق النساء والغناء والخمر والتكشف والتعري والرقص، إلى غير ما هناك من ألوان التحلل والفساد.

وإذا كان اللَّه سبحانه قد رحم بعض البلاد فلم تصب بسموم هذه المدنية المزيفة، أفلا يجب عليهم أن يحمدوا ربهم ويشكروه.

لقد شعرت بروح الإسلام تجري في عروقي حينما قدمت إلى هذه البلاد المقدسة فلم أجد فيها حانة للخمر، ولا صالة للرقص، ولا مكانًا للدعارة والفجور، كما في كثير من البلاد الإسلامية، ولا رأيت هذا السفور والفجور الذي عم وطم، فلم تخل منه بلدة إسلامية إلا هذه البلاد التي طهرها اللَّه من لوثة الإباحية تكريمًا لبيته العتيق. أفما كان من الواجب على سكان هذه البلاد أن يزدادوا تمسكًا بهذا الدين وشكرًا لرب العالمين. لقد كانوا أحق بالشكر منا، وأحق بالغيرة على الإسلام منا، وإننا لنسأل اللَّه مخلصين من قلوبنا أن يأخذ بيد أولي الأمر في هذه البلاد المقدسة ويزيدهم نصرًا وتأييدا؛ ليقتلعوا جذور الفساد من أصلها، ويصونوا لهذا البيت حرمته، ويدفعوا عنه شر الطامعين والمعتدين، كما نسأله تبارك وتعالى أن يوفق الغيورين على هذا الدين من أهل العلم والفضل فيذودوا عن حياضة ولا يدعوا يد السوء تمتد إليه بفساد، ذاكرين قول اللَّه تعالى:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٠٤].

والآن أحب أن أبين ملاحظاتي على مقال الأستاذ الهندي الأخير فأقول:

الملاحظات العلمية:

أولًا: قوله: إن الممنوع في اصطلاح الأصوليين أعم مما ورد عن اللَّه ورسوله .. إلخ.

أقول: هذا الكلام صحيح لو أن الأستاذ تصور نفسه في إحدى القاعات في كلية التربية أو الشريعة يقرر بحثًا أصوليًا لطلابه، وهل فهم الناس من كلامه المعنى الأصولي؟ مع أن قراء الجريدة ليسوا كلهم من المثقفين، بل فيهم من العوام، ومن لم يسمع بعلم الأصول فضلًا عن أن يعرف معناه أو يفقه مغزاه.

ثانيًا: استشهد بحديث: «الحلال بيّن، والحرام بيّن»[١]. ولكن لم يتممه؛ لأنه حجة عليه لا له، فقد جاء في الحديث: «ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعِرضه». إلخ. فلماذا لم يذكر هذه الألفاظ وأغفلها؟!

ثالثًا: قوله: أما أن نلبس هذه الآية بلباس الدين.. إلخ.

أقول: هذا تحريف للكلام، فأنا لم أقل: هذه الآية، وإنما قلت بعد أن ذكرت فتاواه وآراءه: أما أن نلبس هذه الآراء بلباس الآية. وأحب من الأستاذ أن يعود إلى مقالي فيقرأه بدقة وإمعان حتى لا يحتج عليَّ بقوله! فهل يقال: إن هذه الآية ليست من الدين؟ فأنا- والحمد لله- أحفظ القرآن الكريم فلا حاجة إلى هذا التساؤل؟

رابعًا: قوله: ثم إني أتساءل مع الأستاذ: هل يجوز تحريم شيء لم يرد فيه نص صريح صحيح عن الله ورسوله كجهاز الراديو مثلًا.

أقول: الأمانة العلمية تقتضي نقل الكلام بدون تحريف، فمن أين ادعى الأستاذ هذا الادعاء أنني حرمت جهاز الراديو حتى يحتج عليَّ فيه؟ وهل يجوز أن ننسب للإنسان شيئًا لم يقله لننتصر لأنفسنا؟ وهل يظن الأستاذ أنني أحمل عقلية القرون الوسطى فأمنع كل جديد ولو كان مفيدًا، فأنا لم أقل: جهاز الراديو حرام، وإنما قلت: إن الغناء الماجن المصحوب بآلات اللهو والطرب حرام.

(١) تقدم تخريجه قريبًا.

وليرجع إلى مقالي فهو صريح وواضح، ثم إنني أعتقد أن جهاز الراديو قد يكون أكبر وسيلة للخير فيما إذا أحسنا توجيهه، ونرجو اللّٰه سبحانه أن يوفق المشرفين على توجيهه الوجهة الصالحة.

خامسًا: قوله: إن الأستاذ لو تأمل قليلًا لوجد أني لم أبح شيئًا من المنكرات .. إلخ.

وجوابي على هذا: أنني تأملت مقالته قليلًا وكثيرًا، ففهمت أنه أباح المنكرات - وقد أكون محدود الفهم - فليسأل غيري عن الألوف الذين قرءوا مقاله ففهموا الإباحة، فهل كانوا مثلي محدودي الفهم، أم أن كلامه يتعالى عن الأفهام، وأنه أضغاث أحلام؟! ثم كيف توفق بين دعواه أنه لم يبح شيئًا من المنكرات وبين أقواله السابقة:

«غناء المرأة كالرجل، والمسلم معذور فيما لا مناص منه، وهو موافق لقاعدة شرعية وهي ارتكاب أخف الضررين، وهو تحصين للأسرة». إلى غير ما هناك، فماذا تفهمون يا أيها السادة القراء؟ أتفهمون الإباحة أم التحريم، وهو يستدل لكم بقواعد الشرع الحكيم.

سادسًا: سماع الغناء شر لا يستطيع الأغلب الابتعاد عنه حتى صاحب الرد نفسه يسمعه (يعني بذلك الصابوني) في بيته وعند جيرانه وفي الشارع وفي السيارة. إلخ. ثم يقول متسائلًا: فما هو موقفه من ذلك هل يصم أذنيه أم يجعل فيهما قطنًا؟ وجوابي: أن أقول للأستاذ لن أحشو في أذني الصوف ولا القطن، وإنما أتمثل بقول الشاعر: «ولي أذن عن الفحشاء صمى». وأتمسك بآداب الإسلام التي أدبنا بها اللّٰه حيث قال في صفات المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ﴾ [المؤمنون: الآية ٣]، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾ [الفرقان: الآية ٧٢]، وأنكر المنكر بلساني فإن لم أستطع فبقلبي. ثم أحب أن أسأل الأستاذ: من قال لك: إنني أسمع الغناء في بيتي،

أليس هذا اتهامًا للناس بدون حق ؟! حتى أولادي الصغار يعرفون أن الغناء حرام ، وقد تربوا على هذا ، فكيف تقول : إنني أسمعه في بيتي ، وإن كنت لا تقصد هذا المعنى ، إنما تقصد أنني أسمعه من الخارج وأنا جالس في بيتي ، فاسمح أن أقول لك : هذا صحيح ، وذلك بفضل فتواك العصرية التي أبحت للناس فيها المنكر ، بل ورغبتهم فيه ؛ لأنه مظهر من مظاهر المدنية والتقدم ، فهل الإسلام دين سمح يقبل كل شيء حتى ولو كان فيه السم الزعاف ؟!

وأنا لا أكتمك سرًا أنني كثيرًا ما أستيقظ على صوت المذياع يصدع كأنه « زمور الخطر » بأصوات المخنثين والمخنثات من المغنين والمغنيات . ومنذ عشرة أيام تقريبًا استيقظت على صوت فضيلة إمام الحرم الشيخ عبد المهيمن ، حفظه اللّٰه ، وهو يصرخ في أولئك الذين فقدوا الذوق الإنساني ففتحوا (الراديو) على مصراعيه ليزعجوا أهل الأرض كما أزعجوا أهل السماء ، ولم يتركوا المرء ينام هادئ النفس مرتاح البال ، ويظهر أن هؤلاء من ضحايا الفتاوى العصرية الحديثة .

سابعًا : يقول الأستاذ : « إننا نتساءل عما فعله عمر بن الخطاب بعد موت النبي ﷺ من بيع أمهات الأولاد لما رأى المنع هو الأصلح ، وكذا فعله في إيقاع الطلاق الثلاث ..» إلخ .

الجواب : إن كان الأستاذ يظن أن عمر بن الخطاب قد خالف ما فعله النبي ﷺ أو ترك العمل بالنصوص الشرعية النبوية فقد أساء الفهم ، واتهم عمر بن الخطاب رضي اللّٰه عنه بما هو منه بريء - وحاشا عمر أن يخالف أمر رسول اللّٰه ﷺ ، أو يجتهد في نصوص واردة فيبدل أحكامها - فليرجع الأستاذ إلى كتب الفقه والحديث ؛ ليرى الحكمة من فعله وعمله ، وماذا قال المحدثون أو الفقهاء ، وعلى فرض أن عمر خالف الأحكام التي كانت في عهد النبي ﷺ معمولًا بها ، هل يقيس الأستاذ نفسه على عمر فيجتهد كما اجتهد ويغيرها كما غيرها عمر ؟!

إن عمر قد رزقه اللّٰه نورًا في البصيرة كما رزقه نورًا في البصر ، وهو الذي نزل القرآن موافقًا لرأيه في عدة مواطن ، وقد أمرنا الرسول ﷺ بالاقتداء به ، وبالخلفاء الراشدين ، فقال ﷺ في حديث : « ومن يعيش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا ، فعليكم بسنتي ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضو عليها بالنواجذ »(١) . الحديث ، فأين نحن من عمر رضي اللّٰه عنه وأرضاه ؟!

ثامنًا : قوله : إنني أود من الأستاذ الصابوني أن يقرأ كتاب « قواعد الأحكام في مصالح الأنام » للعز بن عبد السلام ، وكتاب « الاعتصام » للشاطبي .. إلخ .

أقول : الحمد للّٰه لقد قرأت في هذه الكتب ، وهي موجودة عندي ، وعلى كل فإني أشكر الأستاذ على لفت نظري إلى قراءة ما يفيد ، وأنا أحب من الأستاذ أن يقرأ كتاب « سلم الوصول إلى علم الأصول » لئلا يأتي بالمتناقضات .

تاسعًا : قوله : وأحب أن أذكر الأستاذ بأن غالب المسلمين لا يحب أن يصور نفسه ولكنه مضطر ، فهل يأثم ؟

أقول : الجواب واضح وهو أن لا يأثم ، ولكن لا يجوز أن نطلق الحكم في التصوير إطلاقًا ، فنقول : التصوير الفوتوغرافي حلال . فقد يكون منه ما هو أشد حرمة من التصوير المجسم أو تصوير ما فيه روح ، فما رأي الأستاذ في تلك الصور الماجنة التي نراها على صفحات بعض المجلات والجرائد الخليعة مما يقصد من ورائه إفساد الأخلاق ، كالصور العارية أو الإباحية ؟! فهل نقول : إنها تصوير فوتغرافي حلال ؟! إن اللّٰه الذي رزقنا النور في البصر رزقنا النور في البصيرة .

عاشرًا : قوله : العصمة بيد اللّٰه تعالى للشباب ، فقد رأينا كثيرًا من الشباب يضرب بهم المثل في الصلاح والتقوى وفي بيوتهم أجهزة الغناء ، ويوجد من لا

---

(١) أخرجه أحمد ٢٨/٣٦٧ (١٧١٤٢) ، وأبو داود (٤٦٠٧) ، والترمذي (٢٦٧٦) ، وابن ماجه (٤٣) من حديث العرباض بن سارية رضي اللّٰه عنه . وصححه الألباني في الإرواء (٢٤٥٥) ، والصحيحة (٩٣٧) .

يسمع الغناء وهو في غاية الفساد ..

أقول : حقًّا العصمة بيد اللَّه ، ولكن اللَّه سبحانه قد وضع حدودًا فلا تعتدوها ، فإذا حرم النظر إلى الأجنبية والخلوة بها ، وحرم الكذب والغناء والنفاق والرياء ، فلا يصح أن نتعدى هذه الحدود ، ونقول : العصمة بيد اللَّه .

وأخيرًا : فتلك عشرة كاملة ، وأسأله تعالى أن يرينا الحق حقًّا ويرزقنا اتباعه ، ويرينا الباطل باطلًا ويلهمنا اجتنابه ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

المدرس : محمد علي الصابوني(١)



(١) جاء في خاتمة المقال من قول الصحيفة ما نصه : « « الندوة » : بهذا نغلق الباب في هذا الموضوع ، فقد وضحت وجهة نظر كل من العالمين الفاضلين ، فشكرًا لهما ، ونفع اللَّه بعلمهما » .

الطب الحديث يشرح الحديث(١)

لقد أوضح لنا الطب الحديث بعض الأسرار التي وردت عن النبي ﷺ وشرَحَها شرحًا وافيًا مقنعًا، مما يجعل المؤمن يزداد إيمانًا ويقينًا وثقة بربه، وتصديقًا ومحبة وتمسكًا أكيدًا بنبيه محمد ﷺ، فمن ذلك:

حديث: «لا يورد ممرض على مصح»(٢). وحديث: «فر من المجذوم فرارك من الأسد»(٣).

ففي الحديثين قاعدة من قواعد الطب، وهي التحذير الصريح من انتقال العدوى بالملامسة أو المخالطة. والعدوى تنتقل إما باللمس، وإما عن طريق الهواء(٤) والتقاء السليم بالمريض.

ويقول الطب: الوقاية خير من العلاج..

حديث: «اتقوا اللاعنين». قيل: وما اللاعنان يا رسول اللّه؟ قال: «الذي يتخلى في طريق الناس، أو في ظلهم»(٥). وحديث: نهى ﷺ أن يبال في الماء الراكد(٦).

الطبُّ: أن مرض البراز الدموي «الأنكلستوما» والبول الدموي «البلهارزيا» ينتقلان من البراز والبول في الماء أو بواسطته، وهذا هو ما ترويه الحكمة النبوية!!.

روي حديث: «اتقوا الغبار فإن فيه النسمة»(٧)..

---

(١) صحيفة المدينة المنورة- عدد (١٤٠٢) في ١٤/٦/١٣٨٣هـ.
(٢) أخرجه البخاري (٥٧٧١)، ومسلم (٢٢٢١) من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه.
(٣) أخرجه البخاري (٥٧٠٧) من حديث أبي هريرة، تعليقًا، ووصله أحمد ٣/ ٤٤٣.
(٤) في الأصل: «الهوى».
(٥) أخرجه مسلم (٢٦٩)، وأبو داود (٢٥) من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه.
(٦) أخرجه مسلم (٢٨١) من حديث جابر رضي اللّه عنه.
(٧) قال الألباني في الضعيفة (٦): لا أعلم له أصلًا.

الطب : النسمة هي الكائن الحي . وكان الرسول ﷺ ينظر ما وراء الحجب ؛ فيرى ما رآه اليوم ميكروسكوبات القرن العشرين من الجراثيم والميكروبات التي تدق عن النظر ، وتسبح في الجو ، وترى العين المجردة ذرة الغبار ولا ترى هذه الكائنات !! .

حديث : « إذا سمعتم بالطاعون وقع بأرضٍ فلا تدخلوها ، وإذا وقع وأنتم بها فلا تخرجوا منها »(١) .

الطب : هذه قاعدة من قواعد الحجر الصحي في حصر المرض وتضييق نطاقه ، وكما ترى هي ثابتة مقرره في التراث الإسلامي المجيد !! .

حديث : « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا لا نشبع »(٢) .
وحديث : « ما ملأ ابن آدم وعاء شرًّا من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لا بد فاعلا(٣) ، فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه »(٤) .

الطب : المعدة بيت الداء ، والحمية رأس الدواء ، فالتغذية هي آخر ما وصل إليه الطب الحديث من قواعد للوقاية والعلاج ، ففي الغذاء وقاء ، ومن الغذاء دواء ، ومن ذلك أمراض تهدد المعدة ؛ نتيجة للإسراف في الطعام أو الشراب ، وقد ينتج عن هذا ضغط من المعدة على الحجاب الحاجز ، وهذا بدوره يضغط على ما يليه ، فتحدث متاعب في جهاز التنفس وجهاز الدوران . فانتظام الطعام واجب ؛ لإدامة صحة الجسم .

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٢٨) ، ومسلم (٢٢١٨) من حديث أسامة بن زيد رضي اللَّه عنه .
(٢) لم نقف عليه مسندًا .
(٣) في الأصل : « فاعل » .
(٤) أخرجه أحمد ٤/ ١٣٢، وابن ماجه (٣٣٤٩) من حديث المقدام بن معديكرب رضي اللَّه عنه ، وصححه الألباني .

حديث : روي : « لا تشربوا واحدًا كشرب البعير ، ولكن اشربوا مثنى وثلاث ، وسموا إذا أنتم شربتم ، واحمدوا إذا أنتم رفعتم »[١] . وحديث : نهى رسول اللَّه ﷺ عن التنفس في الإناء[٢] ، ونهى عن اختناث الأسقية[٣] . أي : كسرها والشرب منها مباشرة دون نظر فيها وفحص لها .

وحديث : « كان ﷺ يستعذب الماء »[٤] .

الطب : تقرر اليوم أن الشرب على جرعات لا يرهق المعدة ، ولا يسبب التهابًا لا ينطفئ من الظمأ . وأن التنفس في الإناء تحميلٌ للشراب أو الطعام بغازات الزفير . وأن الشرب من أوعية الشراب مباشرة لا ..[٥] على النظر فيها وفحصها ، كما لو صبت الأشربة في آنية أخرى لظهر أمرها وسهل فحصها ، وإن استعذاب الماء مستحسن ؛ لضمان نظافته وسلامته من المواد الغريبة .

حديث : « ما أنزل اللَّه داءً إلا أنزل له شفاءً »[٦] . وحديث : « تداووا عباد اللَّه ، فإن اللَّه لم يضع داءً إلا وضع له دواءً »[٧] . وحديث : « الحمى من فيح جهنم فأطفئوها بالماء »[٨] .

الطب : يوجب استخدام الكمدات والتدليك بماء الكولونيا والماء المثلج

---

(١) أخرجه الترمذي (١٨٨٥) من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما ، وضعفه الألباني .

(٢) أخرجه البخاري (١٥٣، ١٥٤) ، ومسلم (٢٦٧) من حديث أبي قتادة رضي اللَّه عنه .

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٢٥، ٥٦٢٦) ، ومسلم (٢٠٢٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه .

(٤) لم أجده بهذا اللفظ .

(٥) كلمة غير واضحة في الأصل .

(٦) أخرجه البخاري (٥٦٧٨) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه .

(٧) أخرجه أحمد ٤/ ٢٧٨، وابن ماجه (٣٤٣٦) ، وابن حبان (٦٠٦١) من حديث أسامة بن شريك رضي اللَّه عنه . وصححه الألباني .

(٨) أخرجه البخاري (٥٧٢٣) ، ومسلم (٢٢٠٩) من حديث ابن عمر .

والعادي في علاج المحموم !! وكما ترى قد سبق الهدي المحمدي إلى هذا العلاج .

حديث : « لا يتبيغ بأحدكم الدم فيقتله »[١] . يتبيغ : يزيد على مجرى العروق .

الطب : كل حيوان في بدنه دمان ؛ دم أحمر ودم أسود .

فالأحمر هو الخارج من القلب صافيًا ، ويسمى : شرياني ؛ لأن القلب يصفيه ويدفعه إلى سائر البدن .

والأسود هو المتفرق في البدن كله وتجذبه الرئة إلى القلب ثم يدفعه مصفىً ، ويسمى : وريدي .

وكثيرًا ما يتوهم بعض الناس إلى إخراج دمه ، وإذا رآه أسود ظنه فاسدًا ! وهو خطأ ؛ إذ لو زاد على القدر المحتاج إليه عند الإخراج لغمي عليه ، وربما هلك . وليس في الإنسان دم فاسد البتة ، وإنما يزيد الأسود أحيانًا لضعف الرئة عن جذبه وإيصاله القلب لتصفيته ؛ فيحدث وجعًا في الرأس أو بعض الأعضاء ، فيجب إخراجه بالحجامة أو الفصد بمقدار معلوم . وهذا ما كان يفعله النبي ﷺ وأمر أمته به .

وكما ترى قد أبرز لنا الهدي النبوي كثيرًا مما ينفع الإنسان في دينه ودنياه ، وأوضحت هذه الأشياء دراسات الطب الحديث ، فالذي ينسب النقص إلى هذا الدين إنما يظهر للعالم عدم فهمه له وجهله بأهدافه وسمو معانيه !! والله الموفق .



(١) أخرجه ابن ماجه (٣٤٨٦) من حديث أنس رضي الله عنه . وصححه الألباني .

صباح الخير[1]

قرأت فيما قرأت نصيحة قيمة لأحد أطباء الغرب، وهو من النطاسيين البارعين ومن علماء التشريح، جاء فيها: «إنه زار أحد معامل البحث، فجعل يطوف في جوانبه ويتفحص غرفه، فوقع نظره على قطة ناعمة الملمس راضية العيش، وكانت قد فرغت منذ لحظات من أكل وليمة شهية فيها الكبد والطحال وغيرهما، بينما هي مستلقية بقرب مائدة المختبر مغفية بعض الإغفاءة تهر هرير الرضاء، سلط على أحشائها جهاز (الفلوروسكوب)، فكان هضمها على ما يبدو سائرًا سيرًا مطردًا لا يعوقه عائق، وكانت القطة ساكنة سكون صفحة البحر في ليلة صيف .. قال: وفي الحال سمعنا أسطوانة تدور فتردد في دورانها نباح كلب سجل عليها، وإذا القطة المغفية قد وثبت على قدميها فتقوس ظهرها ووقف شعرها واتسعت حدقتاها وبرزت مخالبها، بيد أن هذا التحول العجيب لم يكن شيئًا يذكر حيال ما حدث في أحشائها، فقد تدفق الإفراز من غديتها فوق الكليتين، وغمرت معدتها عصارات الهضم، وانقلب انقباض العضل في الأمعاء، وباتت قطعة الكبد اللذيذة وكأنها في جوفها قطعة حجر .. قال: رأيت ذلك كله، فتأملت تأمل المشفق على ما ارتكبه الإنسان من خطأ، وهو خطأ لم يزل معظم الآباء يرتكبونه مع أبنائهم. وإذن فلا يشك أحد في أن الجو الهادئ على مائدة الطعام ضرورة لا غنى عنها للهضم، فالطعام ينبغي أن يؤكل في جو يسوده المرح والطمأنينة والهدوء، وإلا كان ضرره أكبر من نفعه.

ولكن النظام العجيب الذي نسيره في الحياة، قضى أن يكون وقت الطعام هو الوقت الوحيد الذي يتيح للأب أن يرى أولاده، وهو فرصته الوحيدة التي تسنح له لنصحهم وزجرهم وتأنيبهم، فبدلًا من أن يقبل الصغير على طعامه بحماس

---

(١) صحيفة الندوة في ١٣٧٨/١١/٢٣هـ.

ونشاط ، تراه يتوقع أن يسمع من أبيه بين أول الطعام وآخره تقريعًا ولومًا على سلوكه في المدرسة أو في الشارع أو البيت . ولو قدر لك أن ترى جوف هذا الصغير بجهاز مكبر لألفيت أمعاءه يتلوى بعضها على بعض ، ولرأيت معدته يغمرها فيض من الحامض الهيدروكلوريك ، وتنظر إلى أخته التي تستبد بها شهوة الطعام كجميع أترابها ، فتراها تصيب من الطعام لماما[1] وهي سارحة العقل يستبد بها الوجل مخافة أن تسمع أباها يلقي عليها آراءه في نقد سلوك البنات في هذه الأيام ، وحتى الأم التي ألفت منذ سنين أن تسمع بحث نقائصها وقت العشاء ، ترى غديتها تفرزان مقدارًا خطرًا من الأدرينالين ، تأهبًا منها لتدفع عن نفسها تهمة سوء تدبير البيت .

فأحشاء هؤلاء الناس شأنها كشأن أحشاء القطة تمامًا حين سمعت نباح الكلب ! ولا نستثنى أحشاء الأب المسكين ، فإنه يعاني أثر القضاء في شئون أسرته طيلة يومه وحتى في غير وقت العمل ، فيثقل الطعام عليه ، وقد يشكو في بعض الأحيان ألما يحمله على الظن أنه مصاب بقرحة في المعدة ، أو بما هي شر من القرحة .

وليس في وسع أحد من الناس أن يسدي يدًا كبيرة لحل مشكلات العالم الضخمة ، ولكن لو راض كل واحد من الناس نفسه على أن ينحي المناقشات البغيضة عن مائدة الطعام ؛ لقلت المشكلات التي كتب على الناس أن يلتمسوا لها حلًا » .

قارئي العزيز : حينما قرأت هذه الكلمة الممتعة التي تحمل أكثر من نصيحة في سلوك الإنسان مع أولاده أثناء تناول الطعام ، ووجوب تجنب إزعاجهم في هذا الوقت خاصة ، تذكرت قول أنس بن مالك رضي اللّٰه عنه : « لم يعب رسول اللّٰه ﷺ طعامًا قط ، إن اشتهاه أكله ، وإلا تركه »[2] .

---

(١) في الأصل : « لتماما » .

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٦٣، ٥٤٠٩) ، ومسلم (٢٠٦٤) من حديث أبي هريرة رضي اللّٰه عنه ، =

وهذا يعني أنه ﷺ لا يؤنب أحدًا على الطعام ؛ لأن الطعام نعمة رزق بها الإنسان ، فعيبه نكران للنعمة من جهة ، وتأنيب لصانعه من جهة أخرى ، وإفساد له عند من يريد أكله ، فقد لا يشتهيه بعد عيبه .

فنصيحة الطبيب أفادتنا أن الغضب على الطعام يسيء الهضم ؛ فيتسبب بذلك أمراضًا قد تؤدي إلى الهلاك . وحديث أنس أفادنا أن عيب الطعام قد يؤدي إلى عدم الشكر للنعم ، وبالتالي يؤدي إلى نفورها ، كما أفادنا عدم تنغيص الأكل على الحاضرين بعيبه ؛ لأن ذلك فيه سوء أدب .

وكما ترى قد أوضح الطب الحديث بعض الأسرار من شمائل المصطفى ﷺ وأخلاقه الكريمة في توجيه الأمة .



= لا من حديث أنس ، وأخرج مسلم (٥٣/٢٣٠٩) من حديث أنس قال : خدمت رسول اللّه ﷺ تسع سنين فما أعلمه قال لي قط لم فعلت كذا وكذا ؟ ولا عاب عليَّ شيئًا قط .

محبة اللَّه تعالى[١]

محبة اللَّه تعالى من أحق الحقوق وألزم الأمور وأوجب الواجبات ؛ إذ هي أصل دين الإسلام وقطب رحاه ، فبكمالها يكمل ، وبنقصها ينقص .

وهي حياة القلوب ، ونعيم الأرواح ، وبهجة النفوس ، وقرة العيون . وبها تنال أعلى الدرجات ، وأفضل الرتب العليات .

وهي كالشجرة في القلب ؛ عروقها الذل للمحبوب ، وساقها معرفته ، وأغصانها خشيته ، وورقها الحياء منه ، وثمرتها طاعته ، ومادتها التي تسقيها ذكره . فمتى خلا الحب عن شيء منها كان ناقصًا !! .

والمحب أنس باللَّه فاستوحش من غيره ، وافتقر إلى اللَّه فأغناه عن خلقه ، وذل للَّه فأعزه في عباده . فاللَّه تعالى يحب عباده المؤمنين ويحبونه ، ووصف نفسه بأنه الودود وهو : الحبيب المتحبب ؛ لأن الودَّ خالصُ الحب .

والمحبة هي ميلك إلى الشيء بكليتك[٢] ، وإيثارك له على نفسك ، وموافقتك له سرًا وجهرًا ، وعلمك بتقصيرك في حبه ، وبذل الجهود في رضاه . فتشتعل نار في القلب تحرق ما سوى مراد الحبيب من محبه .

قال بعض السلف : اجتمعنا ببعض العلماء في مكة- زادها اللَّه شرفًا وعظمة- فسألناه عن المحبة ؟ فأطرق مليًا ، ثم قال : هي أن تتصل بربك وتذهل عن غيره ، وتدوم على ذكره ، وتقوم بأداء حقوقه ، وتنظر إليه بقلبك حتى تحرقه نور الهيبة ، ويصفو شرابك من كأس مودته ، وينكشف لك الحياء من أستار غيبه . فإن تكلمت فباللَّه ، وإن نطقت فمن اللَّه ، وإن تحركت فبأمر اللَّه ، وإن سكت فمع اللَّه ، فأنت له وبه وعنه .

---

(١) مجلة الحج٥/٤ - شوال - سنة ١٣٧٠هـ .

(٢) في الأصل : « بكلتيك » .

والحاصل : أنه إذا تواطأ القلب مع اللسان في الذكر ، واستقل القول والعمل الكثير لربه ، واستكثر القليل من بره ولطفه ، وعانق الطاعة ، وفارق المخالفة ، وخرج عن كله لمحبوبه ، وامتلأ قلبه بتعظيمه وإجلاله وإيثاره لرضاه ، وعز عليه الصبر دونه ، وحفظ حدوده ، وولع بذكره والرغبة إليه والاشتياق إلى لقائه ، فهو المحب حقًّا .

وحقيقية الحب : موافقة المحبوب في مراضيه ومساخطه .

وإليك الأسباب الجالبة لهذه المحبة :

أولًا : قراءة القرآن بالتدبر والتفهم .

ثانيًا : التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض .

ثالثًا : دوام ذكره على كل حال ؛ باللسان والقلب والعمل والحال ، فنصيبه من المحبة على قدر هذا .

رابعًا : إيثار محابه على محابك عند غلبات الهوى .

خامسًا : مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدتها ، وتقلبه في رياض هذه المعرفة وميادينها .

سادسًا : مشاهدة بره وإحسانه ونعمه الظاهرة والباطنة .

سابعًا :- وهو أعجبها إليه تعالى- انكسار القلب بين يديه .

ثامنًا : الخلوة وقت النزول الإلهي ، وإكثار الدعاء والاستغفار والتوبة فيها .

تاسعًا : مجالسة المحبين الصادقين ، والتقاط أطايب ثمرات كلامهم ، ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام وعلمت أن فيه مزيدًا لحالك ومنفعة لغيرك .

عاشرًا : مباعدة كل سبب محول بين القلب وربه .

فمن هذه الأسباب وصل المحبوب إلى منازل المحبة ودخلوا على الحبيب .

وليعلم أنها لا تحصل إلا بمتابعة رسوله ﷺ، ولهذا لما ادعاها قوم أنزل اللَّه تعالى آية الاختبار والامتحان، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٣١].

فأخبر أن دليل المحبة وثمرتها وفائدتها: اتباع الرسول ﷺ، فمتى لم تحصل المتابعة له لم تحصل المحبة الصادقة.

ومتابعته تقتضي محبته ﷺ. ومحبته تابعة لمحبة اللَّه تعالى وملازمة[١] لها؛ لكونها محبة للَّه ولأجله، تزيد بزيادة محبة اللَّه في قلب المؤمن، وتنقص بنقصها، قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»[٢]. والمراد: كمال الإيمان.

فمن ادعى محبة النبي ﷺ بدون متابعته، لم يكن محقًا في دعواه؛ لأن علامة محبة اللَّه تعالى أن يحب ما يحبه اللَّه، ويكره ما يكرهه، ويؤثر مرضاته على ما سواه ويسعى فيها ما استطاع، ويبتعد عما حرمه، ويتابع رسوله ويمتثل أمره ويترك نهيه. قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النِّساء: الآية ٨٠] فاتباع الرسول ﷺ ومحبته من لوازم محبة اللَّه تعالى وطاعته. ومن آثر أمر غيره على أمره وخالف ما حض عليه، فقد عدمها.

والمراد بالمحبة هنا: محبة الاختيار لا الطبع؛ لأن محبة الإنسان لولده وماله محبةُ طبع لا يلام عليها، وهي قسم من أقسام المحبة. والقسم الثالث: محبة الشرك؛ وهي محبة ما يبغضه اللَّه ورسوله، وهي التي قد علق عليها العقاب، كمحبة الأوثان والأنداد، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقَرَة: الآية ١٦٥]. فذكر أن المؤمنين يحبونه حبًا شديدًا أعظم من محبة أهل الشرك لأندادهم.

---

(١) في الأصل: (وملازمته).

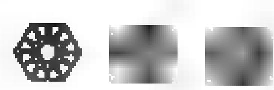
(٢) أخرجه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤) من حديث أنس رضي اللَّه عنه.

وهذا دليل على رسوخ إيمانهم وتلذذهم به واتصافهم بالثلاث المذكورة في قوله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار»(١).

فهم وجدوا حلاوة الإيمان المتضمنة للذة والفرح، وهي التابعة إكمال محبة العبد لربه، وذلك بالثلاث المذكورة وهي: تكميل المحبة، وتفريغها، ودفع ضدها. فتكمليها: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما. وتفريغها: أن يحب المرء لا يحبه إلا لله. ودفع ضدها: أن يكره ضد الإيمان كما يكره أن يقذف في النار.

وقوله: «وجد حلاوة الإيمان». فيه استعارة تخيلية؛ شبَّه رغبة المؤمن بالإيمان بشيء حلو، وأثبت له لازم ذلك الشيء وأضافه إليه. ووجود المؤمن حلاوة الإيمان في قلبه شيءٌ محسوس من لذة ونعيم وسرور وتغذٍ به، ولهذا كان بعض السلف يغمس خبزة ناشفة ويقول: لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من اللذات لجلدونا بالسيوف.

وهذه اللذات تحصل عقيب إدراك الملائم الذي هو المحبوب أو المشتهى؛ لأن من أحب شيئًا أو اشتهاه فإنه إذا حصله وجد به الحلاوة واللذة والسرور. وهذه الحلاوة في الإيمان هي الذوق والاستلذاذ بالطاعات وتحمل المشاق، وإيثار مرضاة المحبوب على أغراض النفس، ولو كان فيها ذهابها مع ذهاب المال.



(١) أخرجه البخاري (١٦، ٢١)، ومسلم (٤٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾
[فُصِّلَت: الآية ٣٠][(1)]

قد أكثر الناس من الكلام في الاستقامة والتساؤل عنها؟ وليس ثم أحسن من كلام اللَّه تعالى فيها، وإنما المطلوب تحليله تحليلًا ...[(2)]؛ ليكون في متناول كل فرد، فيقيمه بلا تكلف، قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠- ٣٢].

الاستقامة من أركان الدين وطريق النبيين، ومن كان عليها حتى النهاية فقد هدي إلى صراط مستقيم، فقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ [فُصِّلَت: الآية ٣٠] أي: أخلصوا العمل للّه، واستقاموا في أعمالهم وأخلاقهم؛ وفي أنفسهم، وحاولوا وعملوا بطاعة اللّه تعالى وما شرع حتى وافوه، فجزاهم الأجر والمغنم، قال أنس: قرأ علينا رسول اللَّه ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ [فُصِّلَت: الآية ٣٠]. ثم قال: «قد قالها أناس ثم كفر أكثرهم: فمن قالها حتى يموت فقد استقام»[(3)].

ومعنى الاستقامة: أن تستقيم على الأمر والنهي، وإخلاص العمل، وأداء الفرائض واجتناب المعاصي؛ وتستقيم على المعرفة الحقة ولا تحيد عنها أبدًا.

---

(١) البلاد السعودية- العدد (١٠٩٧)- في ١٣٧١/٢/٦هـ.
(٢) كلمة غير واضحة في الأصل.
(٣) أخرجه الترمذي (٣٢٥٠)، والنسائي في الكبرى (١١٤٧٠) من حديث أنس رضي اللَّه عنه. وضعفه الألباني في الضعيفة (٤٠٥٢).

قال سفيان بن عبد الله : يا رسول الله ، قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا غيرك ؟ قال : « قل آمنت بالله ، ثم استقم » . قلت : يا رسول الله ، ما أخوف ما تخاف عليَّ ؟ فأخذ بلسان نفسه ثم قال : « هذا »(١) .

وطلبة هذا الصحابي رضي الله عنه من النبي ﷺ هي أن يعلمه كلامًا جامعًا لخصال الخير ، مبعدًا عن خصال الشر ، كافيًا في أمر الإسلام ، فلا يحتاج بعده إلى غيره ، فقال له النبي ﷺ : « قل آمنت بالله ، ثم استقم » . أي : قل : ربي الله ، ثم استقم عليها ، وهذا هو معنى الآية ؛ إذ المراد : الاستقامة على التوحيد الكامل الذي يباعد عن النار ويقرب من الجنة ؛ وهو تحقيق معنى لا إله إلا الله ، فإن الله هو المعبود الذي يجب أن يطاع فلا يعصى ، ويذكر فلا ينسى ، ويشكر فلا يكفر . وجميع المعاصي تقدح في هذا التوحيد ؛ لأنها إجابة لداعي الهوى ، قال الله تعالى : ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: الآية ٢٣] يعني : الذي لا يهوى شيئًا إلا فعله ، فمثل هذا العمل قد ينافي الاستقامة .

ولما نزل على النبي ﷺ قول الله تعالى : ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ [هُود: الآية ١١٢] ، لم ير ﷺ ضاحكًا ، وشمر في العمل ؛ لأن الله أمره أن يستقيم هو ومن معه ، ولا يجاوزوا ما أمروا به . وأخبر أنه مطلع على أقوالهم وأعمالهم .

ولما سمعه الصحابة يقول : « شيبتني هود وأخواتها » سألوه ، فقالوا : ما الذي شيبك منها ؟ فقال : قول الله تعالى : ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هُود: الآية ١١٢](٢) وهذا يبين لنا عظم شأن الاستقامة وعلو مرتبتها .

وحقيقة الاستقامة : هي سلوك الصراط المستقيم الذي هو الدين القويم من

---

(١) أخرجه مسلم (٣٨) بشطره الأول ، وأخرجه أحمد ٣/ ٤١٣ ، والترمذي (٢٤١٠) ، وابن ماجه (٣٩٧٢) بتمامه .

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب (٢٤٣٩) .

غير اعوجاج يمنة ولا يسرة ، ويشمل هذا فعل الطاعات الظاهرة والباطنة ، وترك المنهيات الجلية والخفية ، فهنا تجتمع خصال الخير والدين .

وفي قوله تعالى : ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فُصِّلَت: الآية ٦] إشارة إلى أنه لابد من تقصير في الاستقامة المأمور بها ، فيجبر ذلك الاستغفار المقتضي للتوبة والرجوع إلى الاستقامة ، ولذا قال النبي ﷺ : « استقيموا ولن تحصوا ، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ، ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن »(١) .

وقال : « سددوا وقاربوا ، ولا يحافظ على الصلاة إلا مؤمن »(٢) . فالسداد هو الاستقامة ، وهو الإصابة في جميع الأقوال والأعمال والمقاصد ، كالذي يرمي إلى غرض فيصيبه .

وقد أمر النبي ﷺ عليًا أن يسأل اللَّه السداد والهدى ، وقال له : « اذكر بالسداد تسديدك السهم ، وبالهدى هدايتك الطريق »(٣) ...(٤) به في أن يصيب ما قارب الغرض إذا لم يصب الغرض نفسه ، ولكن بشرط أن يكون مصيبًا على قصد السداد وإصابة الغرض ؛ فتكون مقاربته عن غير عمد ، وإذا كان خطأً فهو مغفور ، قال ﷺ : « أيها الناس ، إنكم لن تعملوا ولن تطيقوا كلما أمرتكم به ، ولكن سددوا وأبشروا »(٥) . يعني : اقصدوا التسديد والإصابة فحينئذٍ توجد الاستقامة ؛ وذلك لأنهم لو سددوا في العمل كله لكانوا قد فعلوا ما أمروا به كله ! ولن يستطيعوا .

(١) أخرجه أحمد ٥/ ٢٧٦، وابن ماجه (٢٧٧) من حديث ثوبان رضي اللَّه عنه .

(٢) أخرجه أحمد ٥/ ٢٨٢، وابن حبان (١٠٣٧) من حديث ثوبان رضي اللَّه عنه . وحسنه الألباني في الصحيحة (١١٥) .

(٣) أخرجه أحمد ١/ ٨٨، وأبو داود (٤٢٢٥) . وصححه الألباني .

(٤) كلمة غير واضحة في الأصل .

(٥) أخرجه أحمد ٤/ ٢١٢، وأبو داود (١٠٩٦) من حديث الحكم بن حَزْن الكُلَفي رضي اللَّه عنه . وحسنه الألباني في الإرواء (٦١٦) ، وصحيح أبي داود (١٠٠٦) .

ولهذا لما سمع أحد الصحابة أبا بكر الصديق رضي اللّٰه عنه يتلو هذه الآية : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ [فُصّلَت: الآية ٣٠] قال : يا خليفة رسول اللّٰه ؛ استقاموا من الذنوب فلم يرتكبوها ؟ قال له : يا ابن أخي ، لقد حملتها على غير محملها ، قالوا : ربنا اللّٰه ثم استقاموا ، فلم يلتفتوا إلى إله غيره ، ولم يشركوا به شيئًا ، بل أخلصوا له الدين والعمل ، واستقاموا على شهادة أن لا إله إلا اللّٰه حتى لحقوا بربهم[١] .

وأصل الاستقامة : استقامة القلب ، فمتى استقام على معرفة اللّٰه وإجلاله ومهابته وخشيته وإرادته ودعائه ورجائه والتوكل عليه والإعراض عما سواه استقامت الجوارح كلها ؛ لأن القلب هو ملك الأعضاء وهي جنوده ورعاياه ، فإن استقام الملك استقامت الجنود والرعايا .

وأعظم ما تراعى استقامته بعد القلب اللسان ؛ لأنه ترجمان القلب والمعبر عنه . ولذا لما أوصى النبي ﷺ بالاستقامة أوصى بحفظ اللسان وقال : « لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه »[٢] . وقال : « إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان ، تقول له : اتق اللّٰه فينا فإنما نحن بك ، فإن استقمت استقمنا ، وإن اعوججت اعوججنا »[٣] .

وقوله تعالى : ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [فُصّلَت: الآية ٣٠] يعني : عند الموت ؛ قائلين لهم : «لا تخافوا» ما تقدمون عليه من أمر الآخرة ، ﴿وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٣٩] على ما تخلفونه من أمر الدنيا من ولد وأهل ومال فنحن نخلفكم[٤] فيه ﴿وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ [فُصّلَت: الآية ٣٠]

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٢١/ ٤٦٤، والحاكم ٢/ ٣٢١، وأبو نعيم في الحلية ١/ ٣٠.
(٢) أخرجه أحمد ٣/١٩٨ من حديث أنس رضي اللّٰه عنه . وحسنه الألباني في صحيحه (٢٨٤١) .
(٣) أخرجه أحمد ٣/ ٩٥، والترمذي (٢٤٠٧) من حديث أبي سعيد الخدري . وحسنه الألباني .
(٤) في الأصل : « نخفلكم » .

فيبشرونهم(١) بذهاب الشر وحصول الخير، ويؤمِّنُ اللَّه خوفهم ويقر أعينهم، فليس هناك عظيمة يخشاها الناس إلا هي للمؤمنين قرة عين؛ لما كانوا يعملونه في الدنيا. وتقول الملائكة: ﴿نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [فُصّلَت: الآية ٣١] يعني: كنا قرناؤكم في الدنيا؛ نحفظكم ونسددكم ونوفقكم للأعمال الصالحة بأمر اللَّه. وكذا نكون معكم في الآخرة؛ نؤنس منكم الوحشة في القبور، وعند النفخ في الصور، ويوم البعث والنشور، ونجوز بكم الصراط ونوصلكم إلى دار البقاء والخلود ﴿وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ﴾ [فُصّلَت: الآية ٣١] من جميع ما تختارون مما تقر به العين وينشرح به الصدر ﴿وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ [فُصّلَت: الآية ٣١]: تطلبون مهما أردتم وجدتم وحضر بين أيدكم كما اخترتم. وهذا كله ﴿نُزُلٗا﴾ [فُصّلَت: الآية ٣٢]: صيانة وعطاء وإنعامًا «من غفور» لذنوبكم ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: الآية ٥٤] بكم حيث غفر وستر ورحم ولطف، فله المنة والفضل.



(١) في الأصل: «فبشرونهم».

﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ﴾
[النّحل: الآية ١٢٥][(١)]

أنزل اللّه تعالى آيات في كتابه العزيز في الأخلاق الفاضلة والأعمال الحسنة، وما يجب اتباعه على المسلمين، خصوصًا الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويدعون إلى اللّه تعالى. فهي درس لكل موفق للخير بعيد عن الشر، رائده الحق وطريقه الصدق في أي ناحية من نواحي الأرض، وفي أي بلد من البلدان، قال اللّه تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٣٣ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ۝٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾ [فصلت: ٣٣- ٣٥].

يخبر تعالى أن من جعل هذه الآيات نبراسًا له في الدعوة إلى اللّه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهداية الخلق وإرشاد العامة وبذل النصيحة للأمة، فقد صار على جانب عظيم من التوفيق والسداد وصالح العمل، وصار لكلامه تأثير في النفوس، ولقوله وقع في القلوب.

وأن من ضيعها ولم يعمل بمدلولها صار ضرره أكثر من نفعه، وإضلاله أكثر من هدايته، وذهب عمله ضياعًا، فقوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فُصّلَت: الآية ٣٣] أي: لا أحد أحسن كلامًا ودعاية وجمعًا للقلوب من هذا الذي دعا إلى أمر اللّه ونهيه وتوحيده وعبادته ودينه الخالص، ودعا إلى أداء الواجب من التمسك بالسنة والعدل في القول والإخلاص في الأعمال، وتفقُّدِ أحوال الفقراء، وإخراج الزكاة وفعل الصلاة، وصلة الرحم وبر الوالدين، ودوام ذكر اللّه تعالى، ودعاء المتشاحنين إلى التصافي والتواد والمتفرقين إلى الاتحاد والتعاون.

(١) البلاد السعودية- العدد (٩٩٦) في ١٨/٥/١٣٧٠هـ.

فجميع هذه الأمور هي من الدعاية إلى اللَّه ، وداخلة في عمومات هذه الآية .

وقوله تعالى : ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [البَقَرَة: الآية ٦٢] أي : أصلح نفسه قبل إصلاح الغير وهذبها ووعظها وأدبها قبل الغير ، ثم هو مع هذا يعمل أعمالًا صالحة فيما بينه وبين ربه ، ومتصف بما يدعو الناس إليه . وإذا لم يكن كذلك لم يكن أمره مقبولًا ، ولا كلامه مسموعًا ، ولا نتيجة لتعبه ولا فائدة لأمره ، بل هو حجة عليه ؛ لأنه أمر الناس بشيء تركه ، ونهاهم عن شيء فَعَلَه .

ثم هذا الآمر أيضًا ذو بصيرة ومعرفة ورفق وسهالة ورحمة بالخلق .

قال بعض العلماء : لا يجوز للإنسان أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويدعو إلى اللَّه حتى تجتمع فيه الخصال الآتية : يكون عليمًا فيما يأمر به وينهى عنه ، رفيقًا فيما يأمر به وينهى عنه ، رحيمًا فيما يأمر وينهى عنه ، حليمًا فيما يأمر به وينهى عنه . وإذا لم يكن كذلك لا يحل له أن يكون من أهل هذا الشأن ويجب منعه ؛ لأن اللَّه تعالى قال لنبيه ﷺ : ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ﴾ [يُوسُف: الآية ١٠٨] الآية . أي : قل : يا محمد ، هذه الدعوة التي أدعوا إليها ، والطريقة التي أنا عليها ، هي مسلكي ومنهاجي وسنتي ، أدعو إلى اللَّه على يقين ومعرفة وبرهان شرعي وعقلي ، وأتباعي كذلك يدعون بهذه الدعوة ، وعلى هذه الطريقة ، لا لجاه ولا لمال ولا لمنزلة عند العوام ، بل للَّه تعالى ، وبنية صالحة في إخلاص . فلا يغضبون إن شتموا ، ولا يقتصون إن ضربوا ، ولا يجازون السفه بمثله ، وإنما يعفون ويصفحون ويحتسبون ويصبرون ، ويستمرون على دعوتهم غير مبالين بمن هجر ، ولا من ضحك وسخر ؛ لأنه متقرر عندهم أن الأنبياء لم يسلموا من أذية الناس وضربهم واستهزائهم ، ومع هذا صابروهم واستمروا في دعوتهم حتى ظفروا بهدايتهم ، وصار بعض الناس يدعو بعضًا ، ويسلم بعضهم بعضًا ، وهذا لا شك بسبب الرفق والحلم والحكمة في الدعوة ، قال اللَّه تعالى : ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ﴾ [النّحل: الآية

١٢٥]، وكل إنسان مهما علت مرتبته ومهما بلغ منزله، إذا أتيته بالحسنى وخاطبته باللين والرفق خضع ولان، وقبل قولك واستجاب لدعوتك وصار من أنصارك وأعوانك. أما إذا أتيته بعنف وشدة وغلظة فإنك تخسره وتخسر طائفة كبيرة بسببه، قال الله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: الآية ٥٣] أي: الحسنى والكلام النافع من قلب مخلص..

قال: ولهذا لما دخل أحد العلماء على بعض الخلفاء، قال له: إني ناصحك ومشدد. فقال له: لا أقبل هذا. قال: ولِمَ؟ قال: لأني لست بأشر من فرعون، وأنت لست بأفضل من موسى وهارون، ومع هذا قال الله لهما: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: الآية ٤٤] قال: فأفحم وخرج.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فُصّلَت: الآية ٣٣] أي: ووافق قلبه لسانه، وطابق فعله قوله.

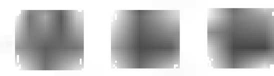
وقوله: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فُصّلَت: الآية ٣٤] أي: فرق عظيم بين من يعمل الحسنى ومن يعمل الإساءة، وفرق عظيم بين من يتحمل الإساءة ويقابلها بإحسان. فالحسنة والسيئة متفاوتتان في أنفسهما، فخذ الحسنة التي هي أحسن من أختها، وإذا اعترضك حسنتان فادفع بهما السيئة التي توجه إليك من بعض أعدائك، كما لو أساء إليك شخص، فالحسنة أن تعفو عنه، والتي هي أحسن أن تحسن إليه مكان إساءته، وذلك كأن يذمك فتمدحه، ويشتم أباك فتصدَّق عليه، ويقتل ولدك، فتفدي ولده من أيدي أعدائه. فإذا فعلت ذلك انقلب العدو المشاق ﴿كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فُصّلَت: الآية ٣٤] أي: كأنه صديق قريب. وهذا معنى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فُصّلَت: الآية ٣٤].

فإنك إذا أحسنت إلى من أساء إليك قادته تلك الحسنة إلى مصافاتك ومحبتك والحنو عليك حتى يصير كأنه أخ شفوق أو صهر قريب، لكن هذه

الأمور ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ [فُصّلَت: الآية ٣٥] يعني: ما يتقبل هذه الوصايا النافعة ويتلقاها عاملًا بها إلا من رُزق الصبر على تحمل المشاق وتجرع الشدائد وكظم الغيظ وترك الانتقام؛ طلبًا للثواب، واحتسابًا للأجر عند اللَّه؛ ذلك لأنها مراتب يشق كظم تحملها على النفوس إلا من أعانه اللَّه.

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه: ما عاقبتَ من عصَى اللَّه فيك بمثل أن تطيع اللَّه فيه(١).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فُصّلَت: الآية ٣٥] أي: ما يلقى هذه الخصال الحميدة والأفعال الرشيدة إلا ذو نصيب وافر من السعادة في الدنيا والفوز في العقبى. وصلى اللَّه على محمد وآله وسلم.



(١) أخرجه الخطيب في المتفق والمفترق ٢/ ٥٠، وابن عساكر ٤٤/ ٣٦٠، وابن البخاري في مشيخته (٢٥٩) مطولًا، وأخرجه البيهقي في الشعب (٨٣٤٥) عن سعيد بن المسيب قال: كتب إليَّ بعض إخواني من أصحاب رسول اللَّه ﷺ.. فذكره مطولًا.

للعمل ثواب وعقاب[١]

جعل اللّه تعالى- هبة منه وتكرمًا- للعمل الصالح ثوابًا يتفضل به على عبده المؤمن؛ ليُقِرَّ به عينه ويُفرِحَ به قلبه، وللعمل السيئ عقابًا جناه الإنسان على نفسه، وربه بريء من ظلمه له، بل هو الذي أوقع نفسه فيه: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النّساء: الآية ٧٩].

وفي الحديث القدسي: «إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد اللّه، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسَه»[٢].

وقد روى الحافظ أبو موسى المديني[٣] حديثًا فيه أن كثيرًا من بني آدم يقع في أهوال وشدائد فيأتيه بعضُ عمله الصالح فينجيه:

عن عبد الرحمن بن سمرة رضي اللّه عنه قال: خرج علينا رسول اللّه ﷺ يومًا، وكنا في صُفَّةٍ بالمدينة، فقام علينا فقال: «إني رأيت الليلة عجبًا!! رأيت رجلًا من أمتي أتاه ملك الموت ليقبض روحه، فجاءه برُّه بوالديه فطرد ملك الموت عنه، ورأيت رجلًا من أمتي بسط عليه عذاب القبر، فجاءه وضوؤه، فاستنقذه من ذلك، ورأيت رجلًا من أمتي قد احتوشته الشياطين، فجاءه ذكر اللّه عز وجل فطرد الشياطين عنه، ورأيت رجلًا من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب، فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم، ورأيت رجلًا من أمتي يلهث عطشًا كلما دنا من حوض منع وطرد، فجاءه صيام شهر رمضان فأسقاه وأرواه، ورأيت رجلًا من أمتي ورأيت النبيين جلوسًا حلقًا حلقًا كلما دنا إلى حلقة طرد،

(١) البلاد السعودية- العدد ١٧٩١- في ١٣٧٤/٧/١٢هـ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رضي اللّه عنه.

(٣) أخرجه أبو موسى في كتاب «الترغيب والترهيب»- كما في كتاب «الروح» لابن القيم ٨٢/١ - وأخرجه الطبراني - كما في مجمع الزوائد ١٨٠/٧ - وابن الجوزي في العلل المتناهية ٢/ ٦٩٧. وقال الألباني في الضعيفة (٧١٢٩): منكر جدًا.

فجاءه غسله من الجنابة فأخذ بيده فأقعده إلى جنبي ، ورأيت رجلًا من أمتي بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة ، وعن يمينه ظلمة وعن يساره ظلمة ، ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة ، وهو متحير فيها ، فجاءه حجه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه في النور ، ورأيت رجلًا من أمتي يتقي بيده وهج النار وشررها ، فجاءته صدقته فصارت سترة بينه وبين النار وظللت على رأسه ، ورأيت رجلًا من أمتي يكلم المؤمنين ولا يكلمونه ، فجاءته صلته لرحمه فقالت : يا معشر المسلمين إنه كان وصولًا لرحمه فكلموه ، فكلمه المؤمنون وصافحوه وصافحهم ، ورأيت رجلًا من أمتي قد احتوشته الزبانية ، فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من أيديهم وأدخله في ملائكة الرحمة ، ورأيت رجلًا من أمتي جاثيًا على ركبتيه وبينه وبين اللَّه حجاب ، فجاءه حُسن خلقه فأخذ بيده فأدخله على اللَّه عز وجل ، ورأيت رجلًا من أمتي قد ذهبت صحيفته من قبل شماله ، فجاءه خوفه من اللَّه تعالى فأخذ صحيفته فوضعها في يمينه ، ورأيت رجلًا من أمتي خف ميزانه ، فجاءه أفراطه فثقلوا ميزانه ، ورأيت رجلًا من أمتي على شفير جهنم ، فجاءه رجاؤه للَّه عز وجل فاستنقذه من ذلك ومضى ، ورأيت رجلًا من أمتي قد هوى في النار ، فجاءته دمعته التي بكى من خشية اللَّه فاستنقذته من ذلك ، ورأيت رجلًا من أمتي قائمًا على الصراط يرعد كما ترعد السعفة في ريح عاصف ، فجاءه حسن ظنه باللَّه تعالى فسكن رعدته ومضى ، ورأيت رجلًا من أمتي يزحف على الصراط ويحبوا أحيانًا ويتعلق أحيانًا ، فجاءته صلاته عليَّ فأقامته على قدميه وأنقذته ، ورأيت رجلًا من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه ، فجاءته شهادة أن لا إله إلا اللَّه ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة » .

وقد دل هذا الحديث العظيم على ما للعمل الصالح من المنافع الأخروية الدالة على عموم فضل اللَّه وجميل عطائه ، وأنه لا ينسى عبده إذا كان قد أطاعه في الدنيا .

وكما أن للعمل الصالح نتائج حسنة تجعل صاحبها في الجنة درجات ، فإن للعمل السيئ نتائج تنزل صاحبها في جهنم دركات .

روى البخاري[(١)] في الصحيح ، عن سمرة بن جندب قال : كان رسول اللَّه ﷺ مما يكثر أن يقول لأصحابه : هل رأى أحد منكم البارحة رؤيا ؟ فيقص عليه ما شاء اللَّه أن يقص ، وأنه قال لنا ذات غداة : « إنه آتاني الليلة آتيان ، وإنهما ابتعثاني وقالا لي : انطلق ، وإني انطلقت معهما ، وإنا أتينا على رجل مضطجع وإذا آخر قائم عليه بصخرة وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه فيتدهده الحجر هنا وهنا فيتبع الحجر فيأخذه فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان ، ثم يعود عليه ويفعل به مثل ما فعل في المرة الأولى . قال : قلت لهم : سبحان اللَّه ! ما هذان ؟! قالا لي : انطلق انطلق . فانطلقنا ، فأتينا على رجل مستلق لقفاه وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه فيشرشر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه ، ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول ، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان ، ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل في المرة الأولى . قال : قلت : سبحان اللَّه ! ما هذان ؟! فقالا لي : انطلق انطلق ، فانطلقنا فأتينا على مثل التنور وإذا فيه لغط وأصوات ، قال : فاطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة ، وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا- أي : ضجوا واستغاثوا- قال : قلت : من هؤلاء ؟! قالا لي : انطلق انطلق . قال : فانطلقنا فأتينا على نهر أحمر مثل الدم فإذا في النهر سابح يسبح وإذا على شاطئ النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده حجارة فيفغر له فاه فيلقمه حجرًا ، فينطلق فيسبح ثم يرجع إليه كما رجع إليه فيفغر له فاه فيلقمه حجرًا ، قال : قلت لهما : ما هذان ؟! قالا لي : انطلق انطلق .

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٦) ، وكذا مسلم (٢٢٧٥) .

فانطلقنا فأتينا على رجل كريه المرآة كأكره ما أنت راءٍ رجلًا ، وإذا هو عنده نار يحسنها – أي : يوقدها ويلهبها– ويسعى حولها . قال : قلت لهما : ما هذا ؟! قالا لي : انطلق انطلق . فانطلقنا فأتينا على روضة مفتحة فيها من كل نور الربيع وإذا بين ظهراني الروضة رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولًا في السماء ، وإذا حول الرجل من أكثر ولدان رأيتهم . قال : قلت : ما هذا ؟! وما هؤلاء ؟! قال : قالا لي : انطلق انطلق . فانطلقنا فأتينا إلى دوحة عظيمة لم أر دوحة قط أعظم منها ولا أحسن . قال : قالا لي : ارق فيها . فارتقينا فيها إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة ، قال : فأتينا باب المدينة فاستفتحنا ففتح لنا ، فدخلناها فتلقانا رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء ، وشطر منهم كأقبح ما أنت راء ، قال : قالا لهم : اذهبوا فقعوا في ذلك النهر ، قال : وإذا نهر معترض يجري كأن ماءه المحض في البياض ، فذهبوا فوقعوا فيه ، ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم ، قال : قالا لي : هذه جنة عدن ، وهذاك منزلك ، قال : قلت : بارك اللَّه فيكما فذراني فأدخله ، قالا : أما الآن فلا ، وأنت داخله . قال قلت لهما : فإني رأيت الليلة عجبًا ! فما هذا الذي رأيت ؟! قال : قالا لي : أما إنا سنخبرك : أما الرجل الأول الذي أتيت يثلغ رأسه بالحجر ، فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة . وأما الرجل الذي أتيت عليه يشرشر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق . وأما الرجال والنساء العراة الذين هم في مثل بناء التنور فإنهم الزناة والزواني . وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجارة فإنه آكل الربا . وأما الرجل الكريه المنظر الذي هو عند النار يحسها ويسعى حولها فإنه مالكٌ خازنُ جهنم . وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم عليه السلام ، وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة »– فقال بعض المسلمين : يا رسول اللَّه ، وأولاد المشركين ؟ فقال رسول اللَّه ﷺ : « وأولاد المشركين »– « وأما القوم

الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح فإنهم قوم خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا، تجاوز اللّه عنهم»(١).

وقد جعل اللّه تعالى لكل من العملين - أي: الخير والشر- قرائن وعلامات يعرف بها صاحب هذا من صاحب هذا في دار الدنيا، ولذا أجاب بعض العلماء لما سئل عن الفرق بين المهابة التي يكسوها اللّه بعض عباده وبين الكبر الذي يتلبس به بعضهم؟ فقال: إن المهابة أثر من آثار امتلاء القلب من عظمة اللّه ومحبته وإجلاله، حل فيه النور ونزلت عليه السكينة وألبس رداء الهيبة، فكلامه نور وعلمه نور، إن سكت علاه الوقار، وإن نطق أخذ بالقلوب والأبصار. وأما الكبر فإنه أثر من آثار امتلاء القلب بالجهل والظلم والعجب، فإذا امتلأ القلب بذلك ترحلت عنه العبودية المنيرة له، ونزلت عليه الظلمات، فمشى بين الناس بالتبختر وعاملهم بالتكبر، لا يبدأ من لقيه بالسلام وإن رد عليه رأى أنه بالغ في الإنعام، لا ينطلق لهم وجهه ولا يسعهم خلقه.

وهذا الجواب لا ريب أنه مثال ضربه لنا علماء السلف؛ لنزن به كلًّا من أهل الخير والشر؛ فإن فاعل الخير يبدو عليه ذلك في وجهه وهيئته، ويلقي اللّه له المحبة والقبول في الأرض حتى ممن لا يعرفه، وفاعل الشر بالضد من ذلك.. واللّه الموفق.



(١) أخرجه أحمد ٥/٨، والنسائي في الكبرى (٧٦٥٨)، وابن خزيمة (٩٤٢)، وابن حبان (٦٥٥) من حديث سمرة رضي اللّه عنه، وأخرجه البخاري (١٣٨٦، ٤٦٧٤).

طيب المطعم[١]

من حكمة الباري- جل وعز- أن وضح لعباده طرق نجاتهم وسعادتهم، فجعل الرزق الحلال مطعم الخلَّص منهم وهم الأنبياء والرسل والمؤمنون، وعلَّق على ذلك قبول العمل وإجابة الدعوة. قال ﷺ: «إذا أردت أن يُقبل عملُك وتُجب دعوتُك فأطب مطعمك»[٢].

وطيب المطعم: هو تناول الحلال المحض واجتناب الحرام المحض، وما بينهما هو المشتبه، من وقع فيه قرب من الوقوع في الحرام كما ورد هذا في حديث النعمان بن بشير المشهور[٣].

وقد سمى النبي ﷺ الحرام خبيثًا والحلال طيبًا فقال: «إن اللَّه طيب ولا يقبل إلا طيبًا، وإن اللَّه أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: الآية ٥١]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٧٢]. ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يده إلى السماء: يا رب يا رب، ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذي بالحرام، فأنَّى يستجاب له»[٤].

فاستبعد ﷺ استجابة دعوة من يأكل الحرام، وذكر أنه سبب لمقته وبعده عن الرحمة؛ لأن اللَّه لا ينظر إليه ولا يقبل عليه؛ احتقارًا له وكراهة لفعله.

(١) البلاد السعودية- العدد: ١١٨٦- ١٣٧١/٩/٨هـ.

(٢) لم نجده بهذا اللفظ، وإنما أخرجه الطبراني في الأوسط (٦٤٩٥) من حديث ابن عباس بلفظ: «يا سعد، أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة». وقال الألباني في الضعيفة (١٨١٢): ضعيف جدًّا.

(٣) أخرجه البخاري (٥٢، ٢٠٥١)، ومسلم (١٥٩٩).

(٤) أخرجه مسلم (١٠١٥) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه.

وقال: «إن اللقمة إذا قذفها الإنسان في فيه وهي حرام لتلعنه وتقول: ألقني فلا أحل لك، وإن الدرهم الحرام إذا كان في ثمن لثوب لا تقبل للابسه صلاة ما دام عليه ذلك الثوب»[١].

فمن رُزق القناعة بالحلال والتحري في مطعمه استجيبت دعوته، وسعد في الدنيا والآخرة.

واستجابة الدعوة تكون بأحد ثلاث أشياء: إما زيادة في رزق هذا الداعي، أو دفع سوء قد قضي وقوعه عليه، أو رفع درجات لم يستحقها إلا بالدعاء.

وإذا كان المطعم حلالًا وتصدق منه صاحبه فإن اللَّه تعالى يقبل هذه الصدقة بيمينه، فيربيها كما يربي أحدنا فلوَّه أو فصيله، فتوضع في الموازين يوم القيامة.

ولا ريب أن العبد إذا استجاب اللَّه دعوته فاز في الأولى والعقبى، وإنما يحصل ذلك بإطابة المطعم، قال ﷺ لسعد بن أبي وقاص: «أطب مطعمك تجب دعوتك»[٢].

وقال بعض السلف: مَن سره أن يستجيب اللَّه دعوته فليطب مطعمه. وقال: من أكل الحلال أربعين صباحًا أجيبت دعوته.

وقال يوسف بن أسباط: بلغنا أن الدعاء يحبس عن السموات بسوء المطعم[٣].

وقال: أكل الحرام وشربه ولبسه والتغذي به سبب موجب لعدم إجابة الدعوة، وفيه الهلاك الأبدي.

وحاصل الأمر: أن اللَّه تعالى أنزل على نبيه الكتاب، وبيَّن فيه للأمة ما تحتاج

(١) أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية ٢/٦٨٤ بذكر الثوب، دون اللقمة.
(٢) تقدم تخريجه قريبًا جدًّا.
(٣) انظر جامع العلوم والحكم ٢/ ٢٥.

إليه من حلال وحرام، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النّحل: الآية ٨٩].

قال مجاهد: كل شيء أمروا به ونهوا، ووكّل بيانُ ما أشكل من التنزيل إلى الرسول ﷺ. قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النّحل: الآية ٤٤].

فما ترك اللّٰه ورسوله حلالًا إلا مبينًا، ولا حرامًا إلا مبينًا، فما ظهر بيانه واشتهر وعلم من الدين فلا يجوز الشدة فيه، ولا يعذر أحد بجهله في بلاد المسلمين، فجميع الرسل وأممهم مأمورون بالأكل من الطيبات التي هي الحلال وبالعمل الصالح، فما كان الأكل حلالًا فالعمل صالح مقبول، وإذا كان حرامًا لم يقبل العمل، ولو كثر وحسنت نية عامله، وإذا لم يقبل العمل ولم يرفع إلى اللّٰه تعالى، لم تجب الدعوة ولم ترفع إلى السماء.

وقد ورد عن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا خرج الرجل حاجًا بنفقة طيبة، ووضع رجله في الغرز فنادى: لبيك اللهم لبيك. ناداه منادٍ من السماء: لبيك وسعديك، زادك حلال، ومركوبك حلال، وحجك مبرور غير مأزور. وإذا خرج الرجل بالنفقة الخبيثة، فوضع رجله في الغرز فنادى: لبيك اللهم لبيك. ناده منادٍ من السماء: لا لبيك ولا سعديك، زادك حرام، ونفقتك حرام، وحجك غير مبرور»[1].

فمن سره أن تجب دعوته فلينظر مطعمه ومشربه وملبسه، وليمحصها من شوائب المشتبهات؛ لأن الصحابة رضي اللّٰه عنهم سألوا سعد بن أبي وقاص فقالوا: كيف تستجاب دعوتك من بين أصحاب رسول اللّٰه ﷺ؟! فقال: ما

---

(١) أخرجه البزار (٨٦٣٨)، والطبراني في الأوسط (٥٢٢٨). وقال الألباني في الضعيفة (١٠٩٢): ضعيف جدًا.

رفعت إلى فمي لقمة إلا وأنا عالم من أين مجيئها ، ومن أين خرجت ، ثم استشهد بقول النبي ﷺ : « كل لحم نبت من سحت فالنار أَوْلى به »[١] .

فعلى المؤمن أن لا يأكل إلا طيبًا ، وأن يعمل الأعمال الطيبة ، وأن يتجنب الحرام ما استطاع ، فإذا فعلى ذلك لم يقع في كرب أو شدة فيدعوا ربه إلا استجاب له وفرجها عنه .. والله الموفق .



(١) انظر جامع العلوم والحكم ٢/ ٢٥، والحديث أخرجه الطبراني ١٦٢/١٩ (٣٦١)، وفي الأوسط (٢٧٣٠) ، وفي الصغير (٦٢٥) ، والبيهقي في الشعب (٥٧٦٢) من حديث كعب ابن عجرة رضي الله عنه. وانظر الصحيحة (٢٦٠٩)، وعلل ابن أبي حاتم (١٩٢٩) .

الوحدة الإسلامية[1]

كثيرًا ما يذكر اللَّه تعالى في كتابه وجوب التماسك والاتحاد للأمة الإسلامية، وأن ذلك يكون سبب فوزها ونجاحها دنيا وأخرى، وأن الاعتصام والالتجاء بها هي القوة التي لا تنقهر والعزة التي لا تذل ولا تهين والعروة التي لا تنفصم. قال بعض العلماء: الوحدة الإسلامية هي حبل اللَّه المتين الذي قال اللَّه فيه: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٠٣] على أن الحبل قد يطلق على السبب الذي يتوصل به إلى المقصود، ويسمى الإيمان حبلًا؛ لأنه سبب يتوصل به إلى الاطمئنان وزوال الخوف.

وقد يكون معنى الحبل في هذه الآية دين اللَّه وشرعه الذي شرعه لعباده. فالأمة المتمسكة بهذا الدين هي حبل اللَّه المتين، قال ابن مسعود: عليكم بالجماعة المتمسكة بدينها، فإنها حبل اللَّه الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة والخلاف خير مما تحبون في الفرقة[2].

فالمتمسك بحبل اللَّه متمسك بعهد اللَّه وميثاقه، فمعنى[3]: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٠٣] أي: تمسكوا بعهد اللَّه وميثاقه، ولا تفرقوا فتصيبكم الذلة كما أصابت اليهود، قال تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١١٢] أي: وجدوا ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١١٢] يعني: عهدًا وميثاقًا من اللَّه، وعهدًا وميثاقًا من الناس. وهذا مشاهد حسًا، فإن اليهود على كثرتهم وقوتهم المادية التي

---

(١) صحيفة البلاد السعودية - العدد (٢٨٣١) ١٣٧٨/٢/١٠هـ.

(٢) ذكره البغوي في تفسيره ٧٨/٢ وفيه: «... وإن ما تكرهون في الجماعة والطاعة خير مما تحبون في الفرقة».

(٣) في الأصل: «فمعنى خير مما تحبون في الفرقة».

تجتمع لهم من دول العالم لو لم يكن لهم عهد وذمة من الدول الكبرى لاكتسحتهم أقل دولة إسلامية ، ولو كانت أقل منهم عددًا وعدة !! وهذا من سنن اللَّه الكونية وقدره النافذ في قديم الزمان وحديثه في ضرب الذلة على اليهود .

وقد وردت أحاديث في النهي عن الفرقة والاختلاف ، والأمر بالاجتماع والائتلاف ، ففي صحيح مسلم(١) عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ قال : « إن اللَّه يرضى لكم ثلاثًا : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا ، وأن تعتصموا بحبل اللَّه جميعًا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه اللَّه أمركم . ويسخط لكم ثلاثًا : قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال » .

وهذا الحديث وأمثاله يدل دلالة واضحة على أن العصمة قد ضُمنت لهذه الأمة- أعني : أمة الإجابة- عند اتفاقها واجتماعها ، وأنه يخشى عليها الضياع والهلاك عند افتراقها واختلافها ، ولهذا ذكر اللَّه تعالى منته على الأوس والخزرج ، وعلى العرب قاطبة ، في بعثة نبيه محمد ﷺ بقوله : ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٠٣] ، وقد كان بينهم حروب كثيرة وعداوة شديدة وضغائن جمة حصل بسببها قتال ووقائع ، فلما جاء الإسلام فدخلوا فيه صاروا إخوانًا متحابين بجلال اللَّه ، متواصلين في ذات اللَّه ، متعاونين على البر والتقوى ، قال تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۞ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣] .

ومن غير شك أن قوله تعالى : ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٠٣] ، وقوله : ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ [المؤمنون: الآية ٥٢] ، وقوله : ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ [الأنفال: الآية ٤٦] ، وقوله : ﴿ٱلَّذِينَ

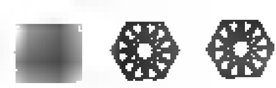
(١) أخرجه مسلم (١٧١٥) .

فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: الآية ١٥٩] ، وقوله : ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عِمران: الآية ١٠٥] ، كل هذه الآيات تهدف إلى الوحدة المؤمنة والتآزر المثمر والأخوة الحقَّة .

ومن غير شك أيضًا أن عالمنا هذا الذي نعيش فيه يتطلب منا وحدة في الرأي وقوة في العزم ومضاء في العمل وصبرًا على اللأواء وحبًّا للجماعة . وهذه الصفات كلها لازمة في تكوين الأمة وتهيئتها ؛ لتكون عضوًا في المجتمع الإنساني ، وسبيلًا لإعدادها حياة عزيزة كريمة فيها حثٌّ على طاعة اللّٰه تعالى وعبادته وصونٌ لحقوق الجنس البشري وحقوق الوطن ، وإنكارٌ لِلذّات واعتمادٌ على اللّٰه تعالى ثم على النفس ، وإغاثةٌ للملهوف ، وصدقٌ في القول ، وجلدٌ في المشاق ، وتعاونٌ في فعل الخير ، وحصافةٌ من الزلل ..

فما أحوجنا معاشر المسلمين إلى أن نهيئ السبيل لأمتنا ؛ لتعيش كريمة عزيزة ، ونعدها ونتعهدها لأداء واجبها نحو ربها ونحو وطنها ، ونبث فيها روح التنافس في الخير والرغبة الصادقة للعمل والخدمة العامة ، ونحبب إليها البحث والاستقصاء والمغامرة ، ونضيء لها الطريق حتى تسير إلى العلا وتتطلع إلى مجد العروبة التالد من آبائها وأجدادها الأوائل .

وما أحوجنا أيضًا إلى أن نقوي فيها العزم حتى تحتقر العمل المهين التافه ، وتسعى إلى جلائل الأمور وأصعبها وأدقها وأكثرها خطورة ، فتُعدَّ لكل مشكلة عدتها ، ولكل طارئ ما يدفعه فتنجو من كل هدف تستهدف له ، وكل عدو يتربص لها .. واللّٰه ولي التوفيق .



البطولة في الإسلام[1]

كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي اللّٰه عنه شديدًا في ذات اللّٰه حريصًا على الجهاد في سبيله ، حتى إنه ليُجيِّشُ الجيوش ويوجهها إلى العدو وهو في الصلاة ، فيجمع بين عبادتين ؛ الصلاة والجهاد في آنٍ واحد .

ولما بلغه سير أهل الري وهمذان وخراسان ونهاوند ، حين تعاهدوا وتعاقدوا وبايعوا يزدجرد- آخر ملوك الفرس- وقالوا : إن هذا الأمير قد طال ملكه ومكثه وتأخرت مدته ، حتى جيش إليكم الجيوش في بلادكم ، وليس بمقلع عنكم حتى تسيروا إليه فتقتلوه .

فحين بلغه هذا النبأ خاف على المسلمين المرابطين في الثغور ، فأخذ الصحيفة وجعل يبكي وينادي : أين المسلمون ؟! أين المهاجرون والأنصار ؟! . حتى وصل المنبر فصعد عليه ، واجتمع إليه الصحابة رضي اللّٰه عنهم حتى امتلأ المسجد . فحمد اللّٰه وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، أيها الناس ؛ إن الشيطان قد جمع لكم جموعًا كثيرة وأقبل بها إليكم !! ألا وإن أهل الري وهمذان وأصفهان وخراسان أممٌ مختلفةٌ ألوانها وأديانها ، قد تعاهدوا وتعاقدوا على أن يسيروا إليكم في بلادكم ، فأشيروا علي يرحمكم اللّٰه . فقام طلحة بن عبيد اللّٰه فحمد اللّٰه وأثنى عليه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، قد عنتك[2] البلايا وعجمتك التجارب ، وقد بلغت وأخبرت فلم ينكشف شيء من عواقب قضاء اللّٰه إلا عن خير ، وأنت ما عرفناك ألا ميمون النقيبة مبارك الأمر ، فقدنا ننقد .. ادعنا نجب .. احملنا[3] نركب . فأثنى عليه عمر خيرًا ، ثم جلس ، فقام عثمان رضي اللّٰه عنه وتكلم بمثل

---

(١) مجلة الحج ٩/٦ - ربيع الأول - سنة ١٣٧٢هـ .

(٢) في ثقات ابن حبان ٢/ ٢٢٥: « حنكتك » .

(٣) في الأصل : « أملنا » .

ما قال طلحة ، ثم قام علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه فحمد اللَّه وأثنى عليه ، ثم قال : أما ما كرهت يا أمير المؤمنين من سير هؤلاء القوم فإن اللَّه أكره لمسيرهم منك ، وهو قادر على تغيير ما كره . وأما ما ذكرت من كثرة جيوشهم ، فإنا ما كنا نقاتل مع نبينا ﷺ بالكثرة ، ولكنا نقاتل معه بالنصر من السماء . وأنا أرى يا أمير المؤمنين رأيًا من تلقاء نفسي ؛ أرى أن تكتب إلى أهل الثغور فيفترقوا ثلاث فرق ؛ فرقة تقيم في أهل عهدهم حتى لا ينقضوا عليهم ، وفرقة تقيم من ورائهم ، وفرقة تسير إلى إخوانهم مددًا لهم . فاستهل عمر مكبرًا بصوت جهوري يقول : اللَّه أكبر !! مرتين ، ثم قال : هذا رأيي ، كنت أحب أن أتابع عليه ، ثم قال : لأولين الراية غدًا رجلًا يكون الأولى بالأسنة يلقاها ، وهو النعمان بن مقرن المزني . ثم جيش الجيوش وبعثها إلى أطراف العراق ، وكتب كتابًا إلى أمرائهم يقول : إني قد استعملت عليكم النعمان بن مقرن ، فإن قتل فعليكم حذيفة بن اليمان العبسي ، فإن قتل فعليكم أبو موسى الأشعري . وذكر بعدهم ثلاثة أو أربعة .

ولما ورد الكتاب على النعمان بن مقرن- وكان رضي اللَّه عنه بطلًا لا ينازع ولا يهاب الأقران ، ولا تصده الكتائب- فرح فرحًا شديدًا بقتال الكفار ، وقال : هذا ما كنت أتمناه من طلب الشهادة .

ثم سار بالناس ، فالتقى المسلمون والمشركون بنهاوند ، وكان ذلك اليوم يوم الثلاثاء . فأقبل المشركون يحمون أنفسهم وخيولهم ، ولم يحصل قتال . ثم نهض إليهم المسلمون يوم الأربعاء فاقتتلوا قتالًا شديدًا حتى كثرت القتلى ، وفشت الجرحى والصرعى في الفريقين[١] جميعًا . ثم حجز بينهم الليل ، ورجع الفريقان إلى عسكريهما ، وبات المسلمون يتدارسون القرآن كأن أصواتهم فيه

(١) في الأصل : « القريتين » .

دوي النحل، وبات المشركون في معازفهم وخمورهم.

ثم غدوا يوم الخميس فاقتتلوا قتالًا شديدًا حتى كثرت القتلى، وفشت الجرحى، والصرعى في الفريقين[١] جمعيًا، ثم حجز بينهم الليل، ورجع الفريقان إلى عسكريهما وباتوا بالوصف الأول.

ثم غدا النعمان بن مقرن يوم الجمعة- وكان رجلًا قصيرًا أبيض على برذون أبيض عليه برد أبيض مصقول وقلسنوة بيضاء، فجميعه قد أعلم بالبياض- فجعل يقف على أهل الرايات واحدًا واحدًا، ويحرضهم على القتال، ويقول لهم: اللّٰه اللّٰه في الإسلام أن تخذلوه، فإنكم باب بين المسلمين والمشركون، إن كسر هذا الباب دخلوا على المسلمين. أيها الناس، إني هاز لكم الراية هزة، فليتعاهد الرجال الخيل في عزمها وأعنتها[٢].. ألا وإني هاز لكم الراية ثانية، فلينظر كل رجل إلى موقف فرسه، ومضرب رمحه، ووجه مقاتله.. ألا وإني هاز لكم الراية ثالثة، ومكبر فكبروا اللّٰه واذكروه، ومستنصر فاستنصروه، وحامل فاحملوا.

فقال رجل: قد سمعنا مقالتك وحفظنا وصيتك، فأخبرنا أي النهار يكون ذلك حتى نكون منه على إلة[٣] وعِدَة؟

فقال النعمان رضي اللّٰه عنه: ليس يمنعني أن يكون القتال من أول النهار إلا شيء شاهدته من رسول اللّٰه ﷺ: إن رسول اللّٰه ﷺ كان إذا غزا فلم يقاتل أول النهار، لم يعجل بالقتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح، ويطيب القتال وتحضر الصلاة، فإن النصر ينزل من السماء مواقيت الصلاة في الأرض.

فمكث المسلمون ينظرون إلى الراية ويرقبونها حتى إذا زالت الشمس عن كبد السماء وهز الراية الأولى، فانتزعوا المخالي عن الخيول وقرطوها الأعنة،

---

(١) في الأصل: «القريتين».

(٢) في الأصل: «وأعنتهما».

(٣) كذا بالأصل.

وأخذوا أسيافهم بأيمانهم وترسهم بشمائلهم ، وصلى كل رجل ركعتين يبادر بهما .

ثم هز الراية الثانية ، فركبوا خيولهم ، ووضع كل رجل منهم رمحه بين أذني فرسه ، ولزمت الرجال منهم نحور الخيل ، وجعل الرجل يقول لصاحبه : أي فلان تنح عني لا أوطئك[١] فرسي ، إني أرى وجه مقاتلي ، إني غير راجع عنهم - إن شاء اللّٰه - حتى أقتل أو يفتح اللّٰه على المسلمين .

ثم هز الراية ثالثة ، فكبر وكبر الناس لتكبيره ، فقذف اللّٰه الرعب في قلوب المشركين حتى إن أرجلهم لتخفف من شدة الخوف ، ولم يستطع أحد منهم أن يوتر قوسًا ويرمي بنبل أو غيره ، فاختلط المسلمون بالمشركين وقتلوهم قتلًا ذريعًا حتى انفرشت الأرض من جثث الكفار ، وهزموا الباقين شر هزيمة ، وأخذوا ما معهم من[٢] غنائم وجمعوها فكانت كالجبال ، وكان النعمان بن مقرن أول قتيل من المسلمين بعدما قاتل وأبلى بلاءً حسنًا رضي اللّٰه عنه وأرضاه[٣] .

فحبذا لو جمع المسلمون اليوم كلمتهم ، ووحدوا صفوفهم وصاروا كتلة واحدة ويدًا واحدة ، فطعنوا في صدر هذه الشرذمة الصهيونية الخبيثة ، فمزقوها تمزيقًا وأكلوها أكلًا ، وأرجعوا المشردين من المسلمين إلى ديارهم وأوطانهم !! وإذًا لسجلوا لهم في التاريخ صفحة مشرقة بالنور إلى يوم القيامة .



(١) في الأصل : « لا أوطئت » .
(٢) سقطت : « من » من الأصل .
(٣) انظر الثقات لابن حبان ٢/ ٢٢٥.

تضحية[١]

روى مسلم في صحيحه[٢] عن صهيب الرومي : أن النبي ﷺ قال : « كان فيمن كان قبلكم ملك ، وكان له ساحر ، فلما كبر قال للملك : قد كبرت سني وحضر أجلي فابعث إليَّ غلامًا أعلمه السحر ، فبعث إليه غلامًا ، وكان في طريقه الذي يسلكه راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه ، وكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه ، فإذا أتى الساحر ضربه ، وإذا رجع من عند الساحر قعد للراهب وسمع كلامه ، فإذا أتى أهله ضربوه ، فشكا إلى الراهب ، فقال له : إذا خشيت الساحر فقل : حبسني أهلي ، وإذا خشيت أهلك فقل : حبسني الساحر .

فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة قد حبست الناس فلا يستطيعون أن يجوزوا . فقال : اليوم أعلم أمرُ الراهب أفضل عند اللّه ، أم أمر الساحر ؟ فأخذ حجرًا ثم قال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس . فرماها فقتلها ، فمضى الناس ، فأتى الراهب فأخبره ، فقال له الراهب : أي بني أنت اليوم أفضل مني ؛ إذ قد بلغ من أمرك ما أرى ، وإنك ستبتلى ، فإن ابتليت فلا تدل عليَّ . وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ، ويداوي الناس من سائر الأدواء ، فسمع به جليس الملك ، وكان قد عمي ، فأتاه بهدايا كثيرة . فقال : ما هذا ؟! قال : هذا لك أجمع إن أنت شفيتني ، فقال : إني لا أشفي أحدًا إنما يشفي اللّه تعالى ، فإن آمنت باللّه وحده دعوت اللّه لك فشفاك ، فآمن باللّه فشفاه .

فأتى الملكَ فجلس إليه كما كان يجلس ، فقال له الملك : يا فلان من ردَّ عليك بصرك ؟ قال : ربي . قال : أنا ؟ قال : لا ، ربي وربك اللّه . قال : أَوَلك ربٌّ

(١) مجلة الحج- ربيع الآخر- ١٣٧١هـ .

(٢) أخرجه مسلم (٣٠٠٥) .

غيري ؟ قال : نعم ، ربي وربك اللَّه . فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الغلام . فجيء بالغلام فقال له الملك : أي بني ، قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص !! . قال : إني لا أشفى أحدًا إنما يشفي اللَّه تعالى . فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب ، فجيء بالراهب فقيل له : ارجع عن دينك . فأبى ، فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه .

ثم جيء بجليس الملك فقيل له : ارجع عن دينك ، فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه .

ثم جيء بالغلام فقيل له : ارجع عن دينك . فأبى ، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به ، فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه ، فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت . فرجت بهم الجبل فسقطوا ، فجاء يمشي إلى الملك ، فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟ فقال : كفانيهم اللَّه . فدفعه إلى نفر من أصحابه ، فقال : اذهبوا به فاحملوه في قرقر فتوسطوا به البحر ، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه . فذهبوا به ، فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت . فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ، وجاء يمشي إلى الملك ، فقال الملك : ما فعل أصحابك ؟ قال : كفانيهم اللَّه .

فقال للملك : إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به . قال : وما هو ؟ قال : تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ، ثم خذ سهمًا من كنانتي ، ثم ضع السهم في كبد القوس وقل : باسم اللَّه رب الغلام ثم ارمني ، فإنك إن فعلت ذلك قتلتني .

فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ، ثم أخذ سهمًا من كنانته ، ثم وضع السهم في كبد القوس ، ثم قال : باسم اللَّه رب الغلام . ثم رماه فوقع السهم في صدغه ، فوضع يده على صدغه في موضع السهم فمات ، فقال الناس : آمنا برب الغلام ، ثلاثًا . فأتي الملك فقيل له : أرأيت ما كنت تحذر !! قد واللَّه

نزل بك حذرك ، قد آمن الناس ... إلخ .

ليقف معي القارئ الكريم وينظر إلى هذه الروح الطيبة والنفس الزكية ، والبصيرة النيرة والإيمان المتين ، فقد أقدمت على القتل ؛ طلبًا لمرضاة ربها وهداية الخلق ، وإعلاء كلمة الدين والفوز بسعادة الدارين ، فيا لها من منقبة ما أجلها ومفخرة ما أعظمها ونفس ما أكبرها !! أنقذت الناس من رق المخلوقين وعبادتهم إلى رق الخالق وعبادته ، ومن حر جهنم وعذابها إلى برد الجنة ونعيمها ، ومن ظلمات الجهل والشرك إلى نور الإيمان والمعرفة .

قال النبي ﷺ : « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة لا ينقص من أجورهم شيء »[١] .

فهان الموت على هذه النفس الشريفة ، وتوصلت به إلى هداية الضالين وإرشاد الجاهلين والدعوة إلى اللَّه تعالى ؛ إذ هي أعلى مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإنما تتفاوت بحسب درجات الناس .

أما فوائد القصة ، فهي كالآتي :

أولًا : فضل الدعوة إلى اللَّه تعالى ؛ ولو أدى ذلك إلى ذهاب النفس والمال ، وأن هذا الغلام لما رأى أن طريق الدعوة لا ينهض إلا بالقتل فضله على البقاء ؛ لأجل صلاح الأمة وهدايتها . قال ﷺ لعلي : « لأن يهدي اللَّه بك رجلًا واحدًا خير لك من حُمر النعم »[٢] .

ثانيًا : إن الآمر بالمعروف يجب أن يراعي أحوال الناس وطبقاتهم وإلا التبس عليه الأمر ، فيأمر الملوك بغير ما يأمر به الرؤساء ، ويأمر الرؤساء بغير ما يأمر به العامة .

---

(١) أخرجه مسلم (١٠١٧) من حديث جرير بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه .

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٠٩، ٣٧٠١) ، ومسلم (٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد رضي اللَّه عنه .

ثالثًا : أنه يقدم اللين والرفق قبل كل شيء ؛ ليتمكن من جذب قلوب الناس وهدايتهم ، وليصل إلى إرضاء اللَّه تعالى وإرضاء العباد ، ولا يقول : رضاء الناس غاية لا تدرك ، فإنه لابد وأن يؤثر الأمر بالمعروف إذا كان بالطريقة المذكورة .

رابعًا : إن اللَّه تعالى هو المتفرد بالمرض والشفاء ، والإماتة والإحياء ، والفقر والغنى ، وغيرها من جميع التدابير الكونية ، لا يقدر أحد على إيجاد ذرة أو إعدامها إلا بإذنه وتصريفه ، وأن اللَّه تعالى يستجيب للمسلم ما لا يستجيب للكافر ، ويعافي المسلم من المصائب والبلاوي الدنيوية والآخروية ما لا يعافي الكافر .

وإن كان الكفار أكثر أموالًا وزخارف فليست شيئًا بجانب تفريج الكربات وإغاثة اللهفات ودفع الملمات عن عبده المؤمن ، ولهذا قال الغلام لجليس الملك : إن آمنت باللَّه دعوته لك فشفاك ، فآمن فدعا له فشفي .

وهذا خلاف ما عليه الكثير من الدجالين الذين يأمرون المرضى بالذبح للجن والتقرب إليهم بأنواع الوسائل التي هي من خصائص الباري تعالى ، ويزعمون أنهم بفعلهم هذا يشفون ويعافون !! ولا يمتري مؤمن ذو بصيرة أن مثل هذه الأمور يجريها اللَّه تعالى قدرًا على وفق ما عمل ابن آدم ؛ اختبارًا وامتحانًا وإمهالًا واستدراجًا ، ثم يأخذ أخذ عزيز مقتدر .

وأظن أن هذه الأشياء لا يفعلها إلا السخفاء من البشر الذين لا عقول تهديهم إلى إجلال اللَّه وتعظيمه ، يوقعهم فيها من يأكل أموال الناس بالباطل ، أو يطلب الجاه والمنزلة عند العوام ، فحسبنا اللَّه ونعم الوكيل .



أذى الجار وما جاء فيه[1]

ذكر ربنا تعالى حق الجار ونوَّه على عِظَمِه ولزومه، فقال: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [النِّساء: الآية ٣٦] الآية. وقد جمع في هذه الآية الكريمة بين حقِّه على العبد وحقوق العباد على العبد، وجعل العباد الذين أمر بالإحسان إليهم خمسة أنواع:

أحدها: من بينه وبين الإنسان قرابة، وخص منهم الوالدين بالذكر؛ لامتيازهما عن سائر الأقارب بما لا يشركونهما فيه، وأنهما كانا هما السبب في وجود الولد، ولهما في التربية والتأديب وغير ذلك.

الثاني: من هو ضعيف محتاج إلى الإحسان، وهو نوعان: من هو محتاج لضعف بدنه، وهو السقيم. ومن هو محتاج لقلة ماله، وهو المسكين.

الثالث: من له حق القرب والمخالطة، وهم ثلاثة: جار ذو قربى، وجار جنب، وصاحب بالجنب.

وقد اختلف المفسرون في تأويل ذلك، فمنهم من قال: الجار ذو القربى هو الجار الذي له قرابة، والجار الجنب هو الأجنبي. ومنهم من أدخل المرأة في الجار ذي القربى. ومنهم من أدخلها في الجار الجنب.

والمعنى: أن اللَّه تعالى قد أوجب له حقًّا علينا، وأوجب حقوقًا للعباد، ومن ألزمها وأوجبها حق الجار، ومن حقه إيصال الإحسان إليه وكف الأذى عنه، فإن الأذى بغير حق محرم لكل أحد، وفي حق الجار أشد وأعظم؛ لما روى ابن مسعود رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه سُئل: أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل للَّه ندًا وهو خلقك». قال: ثم أيّ؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم

---

(١) البلاد السعودية- العدد (١١٤٨)- في ١٣٧١/٦/٨هـ.

معك » . قال : ثم أيّ ؟ قال : « أن تزني بحليلة جارك »[١] .

وفي المسند عن المقداد بن الأسود قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « ما تقولون في الزنى ؟ » قالوا : حرام حرمه اللَّه ورسوله ، فهو حرام إلى يوم القيامة . فقال رسول اللَّه ﷺ : « لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر من أن يزني بامرأة جاره »[٢] .

وفي صحيح البخاري عن أبي شريح قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « واللَّه لا يؤمن » ثلاثًا . قالوا : من يا رسول اللَّه ؟ قال : « من لا يأمن جاره بوائقه »[٣] . والبوائق ، قيل : هي الغفلات والغرات ، وهي أن تتطلع على عوراته ، وتتبع غراته ، وتتكشف أستاره .

وفسر بما هو أعم من ذلك ، وهو كل ما كان فيه نوع أذية ، ومن ذلك الأصوات المزعجة المرسلة في الفضاء في الليل الحالك ، فإن كثيرًا من الجيران يفضلون النوم ؛ لا سيما وغالبهم موظفون أو أهل تجارة أو صناعة أو حرف أخرى ، يستغرقون نهارهم في أعمالهم الشاقة وإذا جن الليل ورجعوا إلى بيوتهم لأخذ الراحة واستجمام القوى وتليين الأعصاب ، أخذتهم الأصوات العالية من كل جانب ، فلا سبيل إلى النوم ولا سبيل إلى السكون .

وقد حرم العلماء رحمهم اللَّه تعالى قراءة القرآن بصوت رفيع عند النيام ، فما مقدار الأغاني إذن ؟!! وإن أعجب فعجبي ممن يفتح عليها على آخر حد ، وهو يعلم أنها إذا أرسلت وقت راحة الناس وهدوئهم يتضرر منها الجيران ويتألمون ، وتمنعهم نومهم وراحتهم ، ثم لا يكترث ولا يبالي !! لا شك أن هذا ظلم وتعدٍ على الغير ، قال تعالى في الحديث القدسي : « يا عبادي ، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا »[٤] .

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧٧، ٤٧٦١)، ومسلم (٨٦) .
(٢) أخرجه أحمد ٦/ ٨. وصححه الألباني في الصحيحة (٦٥) .
(٣) أخرجه البخاري (٦٠١٦) . وتقدم قريبًا نحوه من حديث أبي هريرة .
(٤) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رضي اللَّه عنه .

ويتضح تحريمها للمسلم في أمور خصوصًا في البلاد المقدسة :

أولًا : أنها أذية للجيران ، كما تقدم .

ثانيًا : أنها في أرض شريفة وبقعة طاهرة تضَخَّمُ السيئةُ فيها حتى تكون أمثال الجبال .

ثالثًا : أن تحريمها قد جاء عن النبي ﷺ ، فقد روى ابن أبي الدنيا في كتابه « ذم الملاهي » ، وابن القيم في « إغاثة اللهفان » عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال : « الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماءُ الزرع »[١] . ورواه البيهقي عن جابر[٢] .

واتفق جمع من الصحابة والتابعين على أن قول الله تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ﴾ [لقمان: الآية ٦] الآية . أنها نزلت في الغناء ، بل قد أقسم ابن مسعود على ذلك .

ومرَّ علي بن أبي طالب بقوم يلهون ، فقال : ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ؟![٣] . فشبه فعلهم بالأصنام ؛ بجامع المفسدة .

فمن الواجب على المسلم أن يراجع عقله ويفيء إلى رشده ، ويكف أذاه عن المسلمين وبالأخص الجيران ؛ لعظيم حقهم عليه ، وأن ينظر في عاقبة الغناء وحكمة تحريمه ؛ فإن غايته المفسدة العظمى والطاقة الكبرى . وعلى الجيران أن يناصحوا جارهم ويرشدوه ، فقد قال ﷺ : « يأتي الجار يوم القيامة متعلقًا بجاره ويقول : يا رب هذا جاري فلان ، رآني على منكر فلم ينهني »[٤] .

والله المسؤول أن يصلح أحوال المسلمين ويوفقهم لما فيه عزهم وفلاحهم ، ويصرفهم عما فيه ذلهم وشقاؤهم ، إنه سميع الدعاء .

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي (١٧) . وانظر إغاثة اللهفان ١/ ٢٤٨ .

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب (٥١٠٠) . وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٨٣٧٢) .

(٣) أخرجه ابن سعد ٦/ ٥٢٦، والبيهقي ١٠/ ٢١٢، وفي الشعب (٦٥١٨) .

(٤) لم نجده .

من أدب الإسلام وأدعيته(١)
«للأمن من الحريق»

يستحب للمسلم أن يداوم على الأدعية الواردة في الصباح والمساء، كآية الكرسي، وآيتين من آخر سورة البقرة، وعشر آيات من أول «الصافات»، وثلاث آيات من آخر «الحشر»، وسورتي الإخلاص والمعوذتين، ومثل: «أعوذ بكلمات اللَّه التامات ..» ثلاثًا، «أعوذ بكلمات الله(٢) التامة ..» ثلاثًا، «بسم اللَّه الذي لا يضر مع اسمه شيء ..».

فهذه الأدعية إذا حافظ عليها الإنسان آمنه اللَّه تعالى من المخاوف والشرور، وعافاه من الآفات، وحفظه من شياطين الإنس والجن.

وهذا دعاء خاص للأمن من الحريق وهو: «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم، ما شاء اللَّه كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم، أعلم أن اللَّه على كل شيء قدير وأن اللَّه قد أحاط بكل شيء علمًا، اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، إن ربي على صراط مستقيم»(٣).

قال عبد اللَّه بن الصامت: أتيت خالي أبا ذر فقلت: إن بيت الجيران قد اشتعلت فيه النار، ويخشى على بيتك. فقال: ما كان اللَّه ليفعل ذلك. قال: فذهبت أنظر إلى النار، قال: فواللَّه لقد طفئت على حدود بيت أبي ذر، فجئت إليه وأخبرته، فقال: قد علمت ذلك. قال: فلا أدري من أيِّ جوابيه أعجب!!

---

(١) صحيفة البلاد - العدد (٩٧٤) - ١٣٧٠/٢/٢٩هـ.

(٢) سقط من الأصل.

(٣) أخرجه الطبراني في الدعاء (٣٤٣)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٥٧)، والبيهقي في الدلائل ١٢١/٧ - ١٢٢، وفي الأسماء والصفات (٣٤٤) من حديث أبي الدرداء رضي اللَّه عنه، وقال الألباني في الضعيفة (٦٤٢٠): ضعيف جدًا.

قال : فسألته عن السبب ؟ . فقال : علمني خليلي محمد ﷺ هذه الكلمات ، وقال : هي أمان من الحريق ، وقد قرأتهن ، فأنا آمن .

ومن الأدعية المأثورة لطرد الجان وحرقهم : ما روى أبو النضر هاشم بن القاسم[(١)] قال : كنت أرى في داري بعض الجان ، فقالوا : يا أبا النضر تحوّل عن جوارنا . قال : فاشتد ذلك عليَّ ، فكتبت إلى الكوفة إلى ابن إدريس ، والمحاربي ، وأبي أسامة ؟ فكتب إليَّ المحاربي يقول : إن بئرًا بالمدينة كان يقطع رشاؤه ، فنزل بهم ركب فشكوا ذلك إليهم ، فدعوا بدلو من ماء ثم تكلموا بهذا الدعاء ، وصبوه في البئر ، فخرجت نار من البئر وطفئت على رأس البئر !! .

قال أبو النضر : فأخذت ماء ثم تكلمت فيه بهذا الدعاء ، ثم تتبعت به زوايا الدار فرششته ، فصاحوا بي : أحرقتنا ، نحن نتحول عنك . وهو هذا : « بسم اللَّه ، أمسينا باللَّه الذي ليس منه شيء ممتنع ، وبعزة اللَّه التي لا ترام ولا تضام ، وبسلطان اللَّه المنيع نحتجب ، وبأسمائه الحسنى كلها عائذين من الأبالسة ، ومن شر شياطين الإنس والجن ، ومن شر كل معلن أو مسر ، ومن شر ما يخرج بالليل ويكمن بالنهار ، ويخرج بالنهار ويكمن بالليل ، ومن شر ما خلق وذرأ ، ومن شر إبليس وجنوده ، ومن شر كل دابة ربي آخذ بناصيتها ، إن ربي على صراط مستقيم . أعوذ باللَّه بما استعاذ به موسى وعيسى وإبراهيم الذي وفَّى من شر ما خلق وذرأ وبرأ ، ومن شر إبليس وجنوده ، ومن شر ما يتقى . أعوذ باللَّه السميع العليم من الشيطان الرجيم ، بسم اللَّه الرحمن الرحيم ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرًا﴾ ... الآيات إلى : ﴿ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ١- ١٠] .

فالمدوامة على هذه الأدعية تؤمن الإنسان على نفسه وماله وأولاده ، ويعيش بإذن اللَّه تعالى آمنًا مطمئنًا . وإنما يشترط الإيمان الصادق ، والتوكل الصحيح .. واللَّه الموفق .

(١) انظر الوابل الصيب ص ١١١.

الخيرة النبوية[١]

[٢]كان العرب قبل الإسلام إذا همَّ أحدهم بأمر ذهب إلى رجل عنده قِدَاحٌ مصنوعة من خشب- مكتوب على الأولى: افعل. وعلى الثاني: لا تفعل. والثالث: غُفَلٌ لا شيء عليه- فيعطيه شيئًا من المال ويأمره أن يضرب له القداح، فإن خرج: افعل، فعل، وإن خرج لا تفعل، تَرَكَ، وإن خرج الغُفَل، أعاد.

ولما جاء الإسلام أبطل هذه العادة بالاستخارة النبوية، قال جابر رضي الله عنه: كان ﷺ يعلمنا الاستخارة، كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: «إذا همَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر- ويسميه بعينه- خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه. وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به»[٣].

فمن المستحب لكل مسلم إذا أراد أن يتزوج، أو يسافر، أو يشتري بيتًا، أو يستأجره، أو يفعل أمرًا من أموره- وهو إذ ذاك متردد- أن يعمل هذه الاستخارة المتقدمة الواردة عن الحضرة النبوية. ولابد أن يوفقه الله للخير، ويصرف عنه الشر.

---

(١) البلاد السعودية- العدد ١١٨٩ - في ١٥/رمضان/١٣٧١هـ.

(٢) جاء في صدر هذا المقال ما نصه: «استجابة لرغبة الكثيرين من قرائنا الذين طلبوا إلينا التوضيح من «الخيرة» المشروعة من سواها، يسرنا أن نقدم إليهم هذا الحديث القيم عن الخيرة النبوية، ونحن نرجو أن نكون قد وفقنا في استجابة رجائهم، وأن نكون قد أدينا واجبًا علينا في هذه المسألة الهامة. والله الموفق».

(٣) أخرجه البخاري (١١٦٢، ٦٣٨٢).

ثم يستشير اثنين من أصحابه الذين يثق بنصحهم ومودتهم، فإن انشرح صدره لهذا الأمر فعله، وإن انقبض تركه، وإن تردد أعاد.

وبها يتضح أن ما يفعله بعض الناس من الخيرة النبوية بالسبحة، أو بحبوب البن، أو النوى، أو ضرب أعواد، وخط في أرض، وما شاكلها؛ هي من العادات الباطلة والبدع المحرمة.

قال ﷺ: «من سعادة ابن آدم استخارة اللَّه تعالى، ومن شقوته ترك استخارة اللَّه تعالى»[١]. وقال بعض العلماء: ما ندم من استخار الخالق وشاور المخلوقين، وثبت في أمره، قال اللَّه تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٥٩]. قال قتادة: ما شاور قوم يبتغون وجه اللَّه إلا هدوا إلى أرشد أمرهم[٢]. والمقصود منها هي الخيرة النبوية التي علمها النبي ﷺ أصحابه رضي اللَّه عنهم. واللَّه الموفق.



---

(١) أخرجه أحمد ١/ ١٦٨، والترمذي (٢١٥١) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي اللَّه عنه. وضعفه الألباني في الضعيفة (١٩٠٦).

(٢) أخرجه الطبري ٧/٣٤٣- ٣٤٤ بنحوه، وأخرجه أيضًا ٧/٣٤٤ عن الحسن بهذا اللفظ.

من إصلاح المجتمع[(١)]

تكون الأسرة غالبًا من زوج وزوجة وأولاد، وقد يكون للزوج أخ ونحوه، وللزوجة أخت ونحوها.

وقد سأل سائل فقال: هل يحل للزوج أن يتكشف أخت زوجته، أو يخلو بها، وهل يحل لأخ الزوج أن يتكشف زوجة أخيه، أو يخلو بها؟

فأجبت قائلًا: إن هذا لا يحل؛ لأن اللّه تعالى قال: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾ [النور: الآية ٣١] الآية. قال ابن مسعود: الزينة هنا: الوجه والكفان والخاتم. ويروى عن ابن عباس أنه قال: وأي زينة أحسن من الوجه؟!!.

فقال السائل: أليس قول النبي ﷺ لأسماء بنت أبي بكر لما خرجت عليه في ثياب رقاق: «يا أسماء، إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا[(٢)] هذا»[(٣)]، وأشار بيده إلى وجهه؟ وصدُّه ﷺ وجهَ الفضل بن عباس في حجة الوداع عن المرأة التي تسأله وهي كاشفة وجهها ولم ينكر عليها[(٤)].

فقلت: أما حديث أسماء، فقد ضعفه الحفاظ بأحد رواته؛ خالد بن دريك، عن عائشة، وهو لم يدركها. وعلى تقدير صحته فهو في ابتداء الهجرة قبل نزول آيتي الحجاب والجلباب، ويشهد لهذا أن النبي ﷺ لما قال له أحد الصحابة: إني أريد أن أتزوج بفلانة، قال ﷺ: «اذهب فانظر إليها لعله أن يؤدم بينكما».

---

(١) البلاد السعودية- العدد (٩٨٠)- في ١٣٧٠/٣/٢١هـ.

(٢) سقطت: «إلا» من الأصل.

(٣) أخرجه أبو داود (٤١٠٤) - ومن طريقه البيهقي ٢/ ٢٢٦. وقال أبو داود: هذا مرسل خالد بن دريك لم يدرك عائشة. وانظر علل ابن أبي حاتم ٣٣٥/٤ فقد رجح الإرسال أيضًا.

(٤) يشير إلى حديث ابن عباس، أخرجه البخاري (١٥١٣، ١٨٥٥، ٦٢٢٨)، ومسلم (١٣٣٤).

والنظر من الخاطب غالبًا لا يكون إلا للوجه واليدين، فلو كان كشف الوجه معتادًا عند نساء الصحابة لم يأمره أن ينظر إليها؛ إذ نظره لها في السوق كافٍ.

وإنما الكشف عادة عند العرب قبل الهجرة، وعند الأعراب البعيدين عن القرى والبلدان التي انتشر فيها الإسلام، وأما بعد الهجرة فقد نزلت آية الحجاب لنساء النبي ﷺ، وآية الجلباب لنساء المسلمين، فلا يحل للمرأة أن تكشف وجهها إلا لمن ذكرهم تعالى في الآية السابقة. وأخو الزوج وزوج الأخت ليسا منهم، فدخلا في عموم الأجانب، بل لم يذكر اللَّه العمَّ والخال فيها؛ خشية أن يصفوها لأبنائهم. قاله ابن كثير.

وأما الأعرابية التي صدَّ النبيُّ ﷺ وجهَ الفضل عنها، فليس فيه تصريح بأن وجهها مكشوف. وعلى تقدير ذلك هي في ابتداء إسلامها، والذي جديد إسلامه يخاطب بالأهم فالأهم من أمور الشريعة.

قال: فما دليل تحريم خلوة الزوج بأخت زوجته، وأخو الزوج بزوجة أخيه؟

قلت: ما روى البخاري ومسلم، عن عقبة بن عامر رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ قال: «إياكم والدخول على النساء». فقال رجل من الأنصار: يا رسول اللَّه، أريت الحمو؟ قال: «الحمو الموت»[(١)]. يعني: هو الهلاك. والحمو: أخو الزوج ونحوه، والحماة: أخت الزوجة ونحوها.

وروى البخاري ومسلم أيضًا، عن ابن عباس رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ قال: «لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم»[(٢)]. وقال ﷺ: «لا يخلون رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما»[(٣)]. وروى الطبراني، عن أبي أمامة عن

(١) أخرجه البخاري (٥٢٣٢)، ومسلم (٢١٧٢).
(٢) أخرجه البخاري (٥٢٣٣)، ومسلم (١٣٤١).
(٣) أخرجه أحمد ١/١٨، والنسائي في الكبرى (٩٢١٩)، وابن حبان (٤٥٧٦)، وصححه الألباني في الصحيحة (٤٣٠).

رسول الله ﷺ قال: «إياكم والخلوة بالنساء، فو الذي نفسي بيده ما خلا رجل بامرأة إلا دخل الشيطان بينهما»[(١)].

وروى أيضًا عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس بينه وبينها محرم»[(٢)].

قال: فهل ورد عن السلف تفسير الحمو بأخ الزوج؟

قلت: نعم، روى مسلم في صحيحه[(٣)] عن أبي الطاهر، عن ابن وهب، عن الليث بن سعد قال: الحمو: أخو الزوج، وما أشبهه من أقاربه.

قال: فمن يقصد الليث بقوله: وما أشبهه؟

قلت: يقصد ابن أخ الزوج، وعمه، وابن عمه، وخاله، وابن خاله، فكلهم أجانب من زوجة أخيهم أو ابن أخيهم.

أما الحماة: فهي أخت الزوجة، وبنت أختها، وعمتها، وبنت عمتها، وخالتها، وبنت خالتها، فلا يحل لزوج الأخت أن يرى منهن شيئًا حتى الوجه واليدين؛ لأنهن في التحريم كغيرهن من الأجنبيات.

فقال: هذه عادة اتخذناها ولا نتحدث بشيء مما تقصد ولا يخطر ببالنا!!.

فقلت: العادات والتقاليد لا يبطلان الأحكام الشرعية، ولا يبيحان المحرم، وإني لأجزم وأتيقن أن فيكم شيمة رائعة ومروءة وخوفًا من الباري تعالى يمنعكم مما يشينكم أو يدنسكم! لكن النساء فتنة، وقد قال ﷺ: «ما تركت فتنة أضر على الرجال من النساء»[(٤)]. وكما ترى قد تساهلن في التكشف حتى لصبي العائلة

(١) أخرجه الطبراني (٧٨٣٠). وقال الألباني في الضعيفة (٦٠٥٦): منكر جدًا.

(٢) أخرجه الطبراني (١١٤٦٢). وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٧٢): صحيح لغيره.

(٣) أخرجه مسلم (٢١/٢١٧٢).

(٤) أخرجه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠، ٢٧٤١) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه، وفي الموضع الثاني عند مسلم عن سعيد بن زيد بن عمرو مقرونًا بأسامة بن زيد.

وعبيد العائلة وسقا البيت والجار ونحوهم ، ولا لوم عليهن لجهلهن ، وإنما اللوم على الرجال أهل الأنفة والغيرة ، لم لا يمنعونهن عن الاسترسال في مثل هذا ؟!!

قال : لا نستطيع على منعهن ؛ لأننا نخشى أن يقمن علينا ويصحن صيحة عامة ، ثم لا تنفعوننا .

فقلت : إن اللّٰه تعالى قد امتن على المسلم فوهب له زوجة بديعة ، متوددة مطيعة ، درة مصونة وجوهرة مكنونة ، وحرمها على غيره ؛ تكريمًا له وتحصينًا لفراشه وصيانة لماله وحفظًا لنسب أولاده ، فلا يحل له أن يسمح لها في التكشف ، أو البروز ...(١) لأخيه وابن أخيه ، وعمه وابن عمه ، ونحوهم ؛ لأن الشهوة الجنسية كامنة في النوعين وتثور ...(٢) ثوران الملح في النار ، ...(٢) شبابًا وشيوخًا .

ومن المعلوم أنها إذا برزت ورأى الأجانب ...(٢) ومحاسنها التي حرمت على الغير لأجله ، صار هو السبب في سواد هذه الدرة وضياع هذه الجوهرة . وكم أفسد هذا الكشف من أمم ، وكم هدم من بيوت ؟!! ولا شك أنها إذا رأت لينًا من زوجها أو وليها برزت غير متحشمة ولا مستحية ، فيحدثها الغِر من أنه ليس في الدنيا أحسن منك ! وأن جميع الرجال يودون أن يحصلوك أو يحصلوا مثلك ! هذا في الزمن السابق ، فما بالك بهذا الزمن الذي قد بعد عن أنوار الرسالة وضياء النبوة ؟!! .

فقال : لا تخلو الأرض أو البلد من مسلم ومسلمة قائمين للّٰه بحقه في العفة والمروءة ومكارم الأخلاق .

قلت : صدقت ، وإنما أنت الذي بدأت بالسؤال فأجبتك على نحو سؤالك ، واللّٰه أسأل أن يهدينا لطريقة النبي الكريم والرسول العظيم محمد صلى اللّٰه عليه وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين .

---

(١) كلمة غير واضحة في الأصل .

(٢) مقدار أربع كلمات غير واضحة في الأصل .

اختيار الزوجة[1]

يعمد بعض الشباب إلى طلب زوجته من الخارج ؛ ظنًا منه أن هذه الزوجة ستكون هي حياته وسعادته وطمأنينته ورخائه ، فيتكلف المشاق السفرية والمصاريف المالية دون تحفظ أو تعقل ، بل قد يندفع اندفاعًا جنونيًا ، ولكنه بعد وصوله إلى وطنه ، وبعد مدة قد تكون قصيرة ينقلب ظنه خطأ ، وسعادته شقاء ، وطمأنينته قلقًا ورخاؤه تنغيصًا .

والسبب في ذلك يرجع إلى أمرين :

أولهما : عدم التوفيق في الاختيار .

وثانيهما : الانخداع بالمظاهر البراقة والتمدين المزيف .

ولو فكر بعقله قليلًا ونظر ببصيرته لوجد في بلاده من تمتاز على تلك النساء في العقل والاتزان واحترام الزوج وتعظيمه والقيام بما تستطيعه من حقوقه ، وإذا لم تقنعه بنت البلد مثلًا ، ولم يجد فيها الصفات المطلوبة فليخرج إلى البادية حيث الراحة والقناعة واللطافة والملاحة والظرف ونعومة البشرة ورقة الأطراف وعذوبة اللفظ وجمال النطق ، كل هذا دون تصنع أو تكلف أو عناء ، وإنما هي الطبيعة ، فلا تعرف الأصباغ الخارجية ولا الحركات التقليدية .

وقد كان التغني بمديح بنات البادية وتفضيلهن على بعض الحضريات ولا يزال موضوع العلماء والأدباء والشعراء في سائر الأقطار ، بل في سائر الأمم .

ولا يستطيع أحد أن ينكر ما يمتاز به البدو علينا من حدة الحس وصدق الغريزة وحسن الصحة ، فأمراض السمن التي تجعل الحركة متثاقلة لا توجد بين المضارب ؛ حيث الهواء نقي والشمس ساطعة ، وتصلب الشرايين الذي هو آفة المدنية الحاضرة لا يوجد ، حيث يكون المرء معتدلًا بجسمه وقلبه وعقله ،

(١) صحيفة الندوة في ١٨/٨/١٣٧٩هـ .

والأدران والعفونات القذرة لا توجد في الصحراء الواسعة والهواء الصافي.

ولما سئم المتنبي غش الحضارة وتصنعها وبعدها عن الفطرة الطبيعية صار يرى جمال الحضريات الناعمات المتحليات بالذهب الإبريز المتجملات بالحرير المزركش المتأنقات بالعيش اللائي يكاد النسيم أن يجرح خدودهن! وقارن به جمال أخواتهن البدويات الحافيات المؤتزرات اللائي تعودن شظف العيش وخشونة الحياة، قال:

ما أوجه الحضر المستحسنات به … كأوجه البدويات الرعابيب
حسن الحضارة مجلوبٌ بتطرية … وفي البداوة حسنٌ غيرُ مجلوب
أين المعيز من الآرام ناظرةً … وغير ناظرة في الحسن والطِّيب
أفدي ظباءَ فلاة ما عرفن بها … مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب
ولا برزن من الحمَّام مائلةً … أوراكهنَّ صقيلات العراقيب

وقد جاء في كتاب «دار الإسلام» للكاتب الشهير السير مارن سابكس الإنكليزي قوله: البدو هم الأساس لكل ما يمثل الإسلام، وهم أدباء وشعراء من الطراز الأول، لكنهم ليس لهم منزلة في المجتمع المدني؛ لأن ولعهم بالحرية والخلاء الفسيح واعتناقهم للصنائع البدوية يمنع من سكنهم البيوت ونزولهم القرى منعًا باتًا. وأقصد بالمجتمع المدني: الجماعة من الناس التي تعيش في البيوت والمدن، وتئن من الأمراض العفنة المعدية، وتعرف القراءة والكتابة، وتحيط بها مئات من كماليات الترف، ولها القصور والمزابل، وفيها الأغنياء والفقراء، وهي تحسب نفسها في أرغد عيش تغبط عليه، بينما البدو الذين يعشقون التنقل في الأرض من مكان لآخر أفضل من أولئك عيشًا وصحة، وأن رؤية البدوي في الصحراء راكبًا وحده، ورمحه على عاتقه، يولد في الناظر شعورًا بالحرية، والخلاء لا يحس به إلا من رآه بعينه.

ولذا تجد القبيلة لا تخضع للقبيلة الأخرى، فتجد الحروب بينهم مستعرة من

آلاف السنين ولا تنقطع إلا قليلًا ، ولكنها ضرورية لبث الرجولية في القوم ، ورفع الملك من الصحراء عنهم ؛ لأن العيش هنالك بلا عمل سوى التنقل من محل لآخر يولد السأم والبله ، لذلك ترى أن البدو وهم يأنفون من الأعمال اليدوية ويعتبرونها عارًا ويتجنبون المعيشة الثابتة ، ولا يعرفون من الملاهي غير الفروسية ، وشيء قليل من الصيد ، مضطرون بالغريزة إلى اقتحام الحروب فيما بينهم ، لكنها أمام الحروب الجارفة التي بين الأمم الكبرى تكون بطبيعتها إلى اللعب أقرب منها إلى تنازع البقاء .

وأعتقد أن كل من يقول : إن البدوي تنقصه الشجاعة . يخطئ خطأً فادحًا ، بل هو لا يزال يستسلم ويستصغر حتى تهدد مصالحه الحيوية ، فحينئذٍ يبهر أعداءه بصلابته وشجاعته التي لم تكن متوقعة .

وهم لا يعرفون شيئًا من المصائب المدنية والترف ، ولا يرتكبون من الجنايات الاجتماعية إلا الحوادث القليلة ، وحياتهم طاهرة متصفة بالأخلاق .

وكل من يسعى لتحويل البدوي عن حالته الحاضرة السعيدة النقية وتعليمه المدنية وإنهاك جسمه بالأمراض القذرة ، وإبعاده عن مضاربه وسائمته ليكون من الجواسيس أو المحامين أو الجنود أو الأغنياء القارونيين أو الأغنياء الفرديين ، كل من يسعى إلى ذلك فإنه يحاول عبثًا وإزالة الجبل[1] عن مكانه أهون من إزالة البدوي عن حالته وطبيعته .

قُلْتُ : أما في عهدنا الحاضر فقد تغيرت حالتهم من الحرب إلى السلم ، ومن الجهل إلى العلم ، ومن الخوف إلى الأمن ، وقد انتقل غالبهم من البدو إلى الحضر ، وفاق من تعلم منهم غيره بمعرفة الآلات والصنائع ، وذهبت عنهم العداوة والأحقاد .

---

(١) في الأصل : « الجبن » .

ومن أصولهم في رعاية الذمم : أن من رد عليك السلام وجبت عليه حمايتك مسيرة يوم . ومن آواك صرت أخاه ووجبت عليه حمايتك . ففي هذه الأحوال لا يتأخر عن بذل حياته في سبيل الدفاع عنك وإرجاع سلبك ، سواء أخذه منك الأعداء أم الأصدقاء ، وتتفاوت القبائل في المحافظة على هذه القواعد .

ومن المحقق أن القبائل النجدية والقبائل الشمالية هي من أشد الناس تمسكًا بها كما دلتنا الاختبارات الشخصية .

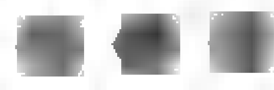
وبعدُ ؛ فاختيار الزوجة ليس بالأمر الهين ، لا سيما في هذه البلاد ، حيث الاحتشام والصيانة والحياء والتستر ، فقد لا يستطيع الخاطب رؤية مخطوبته ، وقد لا تستطيع المرأة التي يبعثها خاطبه أن ترى المخطوبة . وهذه عادة محمودة قد جرى عليها الناس من عهد النبوة إلى اليوم . ولا ينبغي أن نفهم من قول النبي ﷺ للصحابي : « إن استطعت أن تنظر إليها فافعل ، فلعله أن يؤدم بينكما » : إبراز بناتنا وأخواتنا سافرات لمن يريد خطبتهن ؛ لأنه لو كان كذلك لقال له النبي ﷺ : اذهب فانظر إليها ، ولم يقل : إن استطعت ، إذ لو كان في الإمكان رؤيتها سافرة أو كان من عادة الصحابيات السفور لم يذكر النبي ﷺ الاستطاعة ، فدل على أن الخاطب ينبغي أن يتحين الفرص في رؤية مخطوبته بغفلة منها .

وكذا لا ينبغي الاستدلال بقصة الواهبة ؛ لأن نساء الأمة كلهن ملك للرسول ﷺ يأخذ منهن من يشاء حتى بدون عقد كما وقع له مع زينب ، ويترك من يشاء كما وقع له مع الواهبة . وهن حين يهبن أنفسهن له ﷺ يرجين شفاعته في الآخرة وصحبته هنالك ، بل لو جاز أن يضعن خدودهن تحت قدميه يمشي عليها لفعلن وكل مؤمنة تتمنى هذا . فهل الأمة مثله ، لا شك أن الجواب : لا .

إذًا فلا ينبغي أن تخرج المرأة سافرة لا للخاطب ولا غيره ، وإن رآها بدون علمها فلا إثم عليها ، أما إذا كانت المخطوبة صغيرة كسن عائشة حين تزوجها الرسول ﷺ ، وسن أم كلثوم حين بعثها علي إلى عمر ، فإن الخاطب يستطيع

رؤيتها بسهولة ؛ لأنه يراها تلعب مع أترابها في الشارع ، غير أنه لا يوجد في هذا الزمان من يتقدم لخطبة من هذه سنها إلا نادرًا . والبيت غالبًا لا تحجب الحجب التام وتفرض عليها الرقابة من وليها إلا إذا بلغت السنة الرابعة عشر ، ففي هذه الحالة لا يمكن للخاطب أن يراها إلا خلسة ، فإن استطاع ذلك ، وإلا فليتوكل على اللَّه ، ويستخيره ويسأل ويستشير ، فقد قيل : ما خاب من استخار ولا ندم من استشار(١) .

هذا ، ولعلنا نعود إلى بحث هذا الموضوع مرة أخرى بأبسط من ذلك ، فنذكر أقوال المحدثين وشراح الحديث وأقوال الأئمة الأربعة وأتباعهم من الفقهاء ، إن شاء اللَّه .



(١) روي مرفوعًا من حديث أنس ، أخرجه الطبراني في الأوسط (٦٦٢٧) ، وفي الصغير (٩٨٠) . وقال الألباني في الضعيفة (٦١١) : موضوع .

الحل لمشكلة الزواج[1]

إننا لو عالجنا أمراضنا القلبية وعاداتنا الاجتماعية كلٌّ بمستطاعه وما يوحيه إليه ضميره من تقوى وذوق سليم ؛ لنجحنا نجاحًا ملموسًا ، ولوصلنا إلى درجة رفيعة ورتبة عالية ، وذلك باتباع ما سنه لنا نبينا ﷺ في الزواج ، فقد كان يحب اليسر والتسهيل فيه ، ويحض عليهما ، ويرغب الطرفين فيهما . ولذا لما جاءته امرأة قد أصدقها زوجها نعلين ، قال لها النبي ﷺ : « أرضيت لنفسك بنعلين ؟ » . قالت : نعم . فأمضى نكاحها[2] ، وورد عنه ﷺ أنه قال : « خيرهن أيسرهن مهرًا »[3] .

وكان أكابر صحابته رضي اللَّه عنهم يخطبون لبناتهم الأزواج ، فقد خطب عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه أبا بكر الصديق ثم عثمان لابنته حفصة ، ولم يمنعه من قبولها إلا ذكر النبي ﷺ لها أنه يريدها . وخطب أبو هريرة لابنته سعيد بن المسيب وزوَّجه إياها على دينارين من مال أبي هريرة .

وهذا في غاية النصف والعدالة ؛ لأن النساء شقائق الرجال ، ولهن من الزواج الحظ الأكمل والنصيب الأوفى ، إلا أن الحياء يغلب عليهن عن بيان ما لديهن .

أما نحن اليوم فقد أخلدنا إلى الأرض واتبعنا الهوى فأحببنا المظاهر الكاذبة والزخارف البرَّاقة ، وقلد بعضنا بعضًا في البذخ والسرف والخيلاء في زواجاتنا وأعمالنا ؛ حبًّا للسمعة وطلبًا للشرف وجريًا وراء العادة .

فتجد بعض رؤساء العوائل ؛ غالب قوته وقوت عياله مما يستدينه من أصحابه أو معارفه ، وإذا أراد أن يزوج ابنته أو بناته أخذه الشموس والاشمئزاز عن تستره

---

(١) البلاد السعودية العدد ١١١٤ في ١٣٧١/٣/١٧هـ .

(٢) أخرجه أحمد ٣/ ٤٤٥ ، والترمذي (١١١٣) من حديث عامر بن ربيعة رضي اللَّه عنه . وضعفه الألباني في الإرواء (١٩٢٦) .

(٣) أخرجه ابن حبان (٤٠٣٤) من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما . وضعفه الألباني في الضعيفة (٣٥٨٤) .

بزواجهن ، وعن الاقتصار[١] على ما يحمل الزوجة ليلة زفافها ، والاكتفاء بوليمة واحدة مختصرة في بيته أو بيت الزوج ، وقفلَ البابَ جملةً عن حضور النساء ؛ لأنه ليس في حضورهن إلا زيادة كلفة ومشقة .

وتجده يقر بجمال هذه الأمور وعظيم فائدتها عاجلًا وآجلًا ، ثم هو يهرب عنها ؛ خشية أن يرمى بالفقر أو البخل أو الجنون إذا ترك العادة .

والبعض الآخر يتسلط عليه أولاده وزوجته فيرغمونه على ارتكاب المسائل الصعبة الشاقة ؛ استدلالًا بفعل جارهم الفلاني في زفاف ابنته . ويقولون : انظر إلى فلان ، لقد أحضر جميع ما في البلد من أنوار ، ودعا كافة العوائل للوليمة ، وكان يومًا مشهودًا !! فما الذي يوجب التقصير في حق ابنتنا ؟! ألسنا كجيراننا عائلة وشرفًا ؟! فيغلب عليه الخجل ، ويضطر إلى أن يفعل كفعل الجار .

في اعتقادي أن هذين الأمرين هما اللذان يمنعان كثيرًا من الناس عن تسهيل الزواج . والحل لهذه المشكلة : هو أن يبدأ أولًا أمراؤنا الأعزاء ، ثم الوزراء ، ثم الأغنياء ، في تخفيف المهر وتقليل الخسائر والتكلفات التي يستغنى عن أكثرها ، وجعل الزواج هادئًا مقصورًا على حضور نفر قليلين ، ليس فيه سرف ولا مخيلة .

وإذا فعلوا ذلك فقد سنوا للشعب سنة حسنة وأحسنوا إليه إحسانًا كبيرًا ودفعوا عنه مفاسد جمة .

ولا شك أن طبقات المتوسطين والفقراء سيتقبلون هذا العمل بارتياح ويرحبون فيه ويفرحون به ويطمئنون إليه .

وإن لم يحصل ما ذكرنا فلا يمكن حل مشكلة الزواج ! فليقتصر العلماء والكتاب ، فإنهم مهما صاحوا بملء أفواههم وملئوا الصحف بالنصائح وشغلوا الإذاعة بالأحاديث لم يفدهم ذلك شيئًا !!

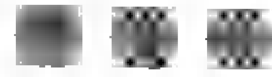
---

(١) في الأصل : « الاقتصاد » .

لكني أرجو اللَّه تعالى أن يوفق القادة والأغنياء إلى ترك ما يشق على فقراء شعبهم أو يكسر قلوبهم، فقد حرم النبي ﷺ الشرب في آنية الذهب والفضة؛ رحمة بالفقراء وشفقة عليهم، وإبعادًا عن كسر قلوبهم.

وليس ببعيد أن نرى هذا الحل قريبًا إن شاء اللَّه؛ فيتزوج العزاب، وترتفع الأيامى، ويكثر النسل المرغب فيه للأمة.

واللَّه هو الميسر للعسير، المسهل للصعب، الهادي للسبيل..



نعم: الشريعة الإسلامية تحدد المهور، وتسمح للخاطب برؤية خطيبته. النظرة إلى الخطيبة تؤكد المحبة والرغبة[1]

ما من شك في أن الروابط الزوجية من أقدس الروابط للصلات، وأعظم بين الأمر والعائلات والقبائل والطبقات، وأن لها أثرًا قويًا ومتينًا بين الأفراد والجماعات في العطف والشفقة والتكاتف والتآلف والحماية والرعاية، مما جعل الأمم تنمو وتزدهر بسبب هذه الرابطة- أي: رابطة الزوجية- وجاء الإسلام فقواها وأيدها وصقلها، حتى أصبحت أقوى من رابطة الأخوة، وأعظم من رابطة العمومة.

وقد أوضحت شريعة الإسلام حقوق وواجبات هذه الرابطة بين الزوجين وبين الأسر والمجتمعات، فتثبت حق الزوج على زوجته، وحقها عليه، فمنعته من العنف والقسوة، ومن التبرم والتذمر في أداء هذه الحقوق والمماطلة بها، كما منعت الزوجة من العنف والقسوة أيضًا، ومن التبرم والإيذاء له، والخروج بغير إذنه، وتكليفه من الملبس والمأكل والمشرب ما لا يطيقه، ومنعتها من النظر إليه نظرة احتقار وازدراء وتكبر، بل تطيعه في جميع ما يأمر به، ما عدا معصية اللّٰه تعالى، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

كما جاءت الشريعة الإسلامية بتنظيم الخطبة، فأباحت للخاطب أن ينظر إلى مخطوبته وبدون علمها؛ لأن النظر أدعى[2] للرغبة وآكد للمحبة، وأقوى لروابط الصلة بينهما.

وعندي: أنه من الأفضل لو سمح الأب للخاطب أن يدخل على مخطوبته،

---

(١) صحيفة قريش في ١٣٨٢/٧/٢١هـ.

(٢) في الأصل: «أوعى».

وهي بين أبيها وأمها وإخوتها ، فينظر إليها وتنظر إليه ، ويكلمها وتكلمه ، وإذا رغب فيها كزوجة فلا بأس أن يشافهها بالخطبة ، وأنه يريد ، وترد عليه بما تحب من رغبة أو رفض . وأعتقد أن هذا سيكون قريبًا وقريبًا جدًّا ؛ لأن المرأة إذا تعلمت وعرفت نفسها وحقها الشرعي أدلت برأيها في كل شيء دون خجل ولا مواربة ، وهذا هو فائدة العلم. وأعتقد أيضًا أن المرأة إذا تعلمت منعت والدها من المساومة بها ، وقد تمنعه من إظهار الفخر والخيلاء والإسراف في زفافها ، بل تدخر هذا إذا كان مهرها لإصلاح بيتها الذي ستنتقل إليه وعشها الذي ستكون ربة له ، وهذا أيضًا من فوائد العلم .

وجاءت الشريعة بتحديد المهور ، فقد روى أصحاب السنن[١] أن النبي ﷺ أصدق نساءه على خمسمائة درهم ، وكان صداق بناته كل واحدة أربعمائة درهم. وهذا تشريع للأمة في تسهيل الزواج وتبسيطه وعدم المغالات فيه والتفاخر به .

وأجاز النبي ﷺ زواج المرأة بخاتم من حديد وبأقل من الخاتم. وزوج صحابية على صحابي بآيات من القرآن[٢] . وهذا له دلالتان :

الأولى : تبسيط الصداق وتسهيله ، وأنه أفضل من المغالاة .

الثانية : إظهار فضل العلم والتعلم ، فإن الرجل إذا تزوج المرأة على أن يعلمها العلم النافع كفى صداقًا ، بل كفى به فخرًا لهما . وورد عنه ﷺ أنه قال : « أبركهن أيسرهن مهرًا »[٣] .

---

(١) أخرجه أبو داود (٢١٠٥) ، وابن ماجه (١٨٨٦) ، والنسائي (٣٣٤٧) من حديث عائشة رضي اللَّه عنها ، وهو عند مسلم (١٤٢٦) . وأخرجه الترمذي (١١١٤)، وابن ماجه (١٨٨٧) ، والنسائي (٣٣٤٩) من حديث عمر رضي اللَّه عنه .

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٢٩، ٥٠٣٠) ، ومسلم (١٤٢٥) من حديث سهل بن سعد رضي اللَّه عنه .

(٣) أخرجه أحمد ٥٤/٤٢ (٢٥١١٩) ، والنسائي في الكبرى (٩٢٧٤) من حديث عائشة =

والمغالاة في المهور قد ظهر أثره ومفعوله السيء في جميع الأزمان والعصور، فإن المرأة إذا أدخلت على زوجها بمهر باهظ وشاق، لا يزال ينظر إليها نظر المغتصب لأمواله، فتوالد الكراهية والمقت من جراء النظرة، فيحصل الشقاق والنزاع، ولا حل له أحيانًا، إلا إعطائه حقه ثم الفراق. لذا فإن الشريعة أكدت تدخل الحكومات في تحديد المهور على أساس المجتمع في الغني والفقير في كل عصر بما يناسبه، فلا يسمح للغني أن يفعل أشياء في تزويج ابنته وولده تحزن الفقير وتكسر قلبه، فقد حرم النبي ﷺ الأكل والشرب بآنية الذهب والفضة[١]، بل حرم اتخاذهما ولو بدون استعمال، كل ذلك حماية لشعور الفقراء، وهكذا ينبغي أن تحمي الدولة شعور الفقراء في تحديد المهور، فقد جاء في قول اللّٰه تعالى وفي سورة النساء: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النِّساء: الآية ٢٤]، فدلت الآية على أن المهر ينبغي أن يحدد فيجعل للبكر كذا، وللثيب كذا، ويسمى ذلك: الفريضة. وما تراضيا عليه بعد ذلك سرًا وعلنًا، بشرط أن لا يسيء إلى أحد، فلا بأس به.

ولا تعارض بين هذه الآية وآية النساء في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النِّساء: الآية ٢٠]، فإن هذه الآية دلت على أخذ ما بعد الفريضة، فإنه لا يجوز له أخذه، أما الصداق المفروض في العقد فلا بد من دفع للزوج إذا طلبت الخلع إذا لم يحصل وئام بين الزوجين، وطلبت[٢] الزوجة فراقه.

= رضي اللّٰه عنها. وضعفه الألباني في الإرواء (١٩٢٨)، والضعيفة (١١١٧)، وأخرجه ابن حبان (٤٠٣٤) من حديث ابن عباس رضي اللّٰه عنهما. وضعفه الألباني في الضعيفة (٣٥٨٤).

(١) أخرجه البخاري (٥٤٢٦، ٥٦٣٢، ٥٦٣٣)، ومسلم (٢٠٦٧) من حديث حذيفة رضي اللّٰه عنه.

(٢) في الأصل: «وطلب».

ويتضح مما سبق : الأب ليس له ولاية على ابنته إلا عقد النكاح إذا أذنت ، وليس له أن يزوجها بدون رضاها . وما يفهمه كثير من الناس أن للأب أن يجبر ابنته البكر على الزوج ، هو فهم خاطئ ، فالفقهاء من كل مذهب قرروا على أن الأب يجبر ابنته على التزوج فقط- أي : لا تكون بلا زوج- أما على نفس الشخص فلا ، وقالوا : لو أنها عينت كفؤًا ، وعين أبوها كفؤًا غيره ، أخذ بتعيينها لا بتعيينه ؛ لأن الحق لها ...[1] ؛ بدليل ما أخرجه أبو داود[2] أن خنساء بنت خذام جاءت إلى النبي ﷺ ، فقالت : يا رسول الله ، إن أبي زوجني بابن أخيه ؛ ليرفع بي خسيسته ، فقال لها النبي ﷺ : « فسخ النكاح إن أردت » . فقالت : قد أجزت ما فعل أبي ، ولكن ليعلم الآباء أن ليس لهم فينا أمر .

دل هذا الحديث على أنه لا بد من إذن المرأة إما بكلام أو سكوت ، وسواء في ذلك البكر والثيب ، وأنه لا بد من الكفء ، وليست الكفاءة الغنى والثراء ، وإنما هي الدين والأمانة والأخلاق الفاضلة .

وعندي : أن الولد يزوج نفسه ، وأن ذلك يلزمه وحده ، فلا يتكل على أموال والده ، مهما بلغ والده من الثراء . كما ينبغي للأسر أن ترفض طلب الولد الكسول الذي بغير عمل ، حتى ولو كان من أسرة أغنياء ، فقد منع بعض الفضلاء تزويج ابنته من هذا ، وقال : لا بد للشباب من عمل ؛ لئلا يكون هو وزوجته عالة على أهله أو على أهلها ، ولئلا يستمرئ البطالة فتكون عادة له ، فالذي يتكل على عمل غيره كوالده وأمه وجده وأخيه ليس بكفء للحرة الكريمة ، ولو كان أهله أغنياء ، فإن العاطل الكسول المتسكع ميت الضمير والإنسانية ، فلا يسمح له بامرأة قد

---

(١) كلمة غير واضحة .

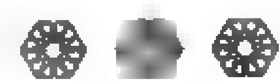
(٢) أخرجه أبو داود (٢١٠١) ، وهو عند البخاري (٥١٣٨) ، وهو عندهما بلفظ آخر مختصرًا ، أما اللفظ المذكور ، فأخرجه أحمد ٤٩٢/٤١ (٢٥٠٤٣) ، والنسائي (٣٢٦٩) من حديث عائشة رضي الله عنها ، وضعفه الألباني بهذا اللفظ .

تكون أعلى منه ضميرًا وإنسانية ، وقد تأنف[١] منه وتمجه ، فيحصل الفراق والطلاق سريعًا .

ولنا أن نتساءل : إذا رضيت المرأة بعاطل كسول استطاع أن يجمع قليلًا من المال ليدفعه مهرًا لها ، فهل لها أن تتزوجه ؟

والجواب : إذا رضيت به على كسله وتسكعه واعتماده على نفقات الغير ، واعتقدت أنه سيحصل بينهما وئام وائتلاف ومودة ورغبة ، فلا مانع شرعًا . ولكني أعتقد أن مثل هذا الزواج لا يدوم حتى ولو حصل على ائتلاف ومودة ؛ لأن سنة اللَّه الكونية في طبيعة البشر جعلت الرجل هو القوام على المرأة ، وإذا حصل العكس انعكست القضية ، فنظرت المرأة إلى الرجل بين النقص والازدراء ، فتكبرت وترفعت عليه ، وصارت هي التي تصدر الأوامر ؛ لأنها صاحبة الفضل ، وويل لرجل تتأمر عليه امرأة ! لا بد وأن يظهر بمظهر الخضوع والانكسار لها وللناس ، ويصير رجلا شكلًا ، وامرأة معنى !! قال ﷺ : « لا يفلح قوم ولو أمرهم امرأة »[٢] . وهذا عام في الفرد والجماعة .

نسأل اللَّه تعالى أن يوفقنا لإصلاح ديننا ودنيانا ، إنه نعم المجيب .



(١) في الأصل : « تألق » .

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٢٥، ٧٠٩٩) من حديث أبي بكرة رضي اللَّه عنه .

في بيتنا زوجة أخرى!!
لماذا يفتش الرجل عن زواج جديد؟
واجبات المرأة والرجل للحفاظ على سعادة الأسرة(١)

قرأت ما نشرته جريدة « الندوة » الغراء بقلم فاتن أمين شاكر، وما تضمنته من رسالة زوجة معذبة !!

والواقع أنني لم أتأثر من الرسالة بالرغم من أنها محزنة فعلًا ؛ ذلك لأني لمست من بين سطورها أن هذه الزوجة تدعي الكمال لنفسها بقولها : إنها لا تعلم لزوجها مبررًا من ابتعاده عنها والاقتران بغيرها ، ولا تعلم ما هو الذنب الذي فعلته تجاهه حتى فعل ما فعل .

وفي نظري أن هذا هو عيب كثير من النساء ، فهي تقع في أخطاء جمة ثم لا تعترف بها ، وقد تكون هذه الأخطاء هي السبب في ابتعاد الزوج عنها والبحث عن غيرها ، فهي في نظرها تافهة وصغيرة ، لكنها في نظر الزوج أكبر من الكبائر ، فالرجل يحب أن تظهر زوجته أمامه في كل لحظة مظهر العروس أيام زفافها ؛ أنيقة نظيفة باستقبال حسن ، حتى ولو كانت أم أطفال ، أو حتى ولو بلغت سن الإياس . لا يهمه منها إلا أن تحافظ على أمره ، وتحافظ على زينتها أمامه . فإن قالت : إنها لا تستطيع ذلك ؛ لأن أشغال البيت من كنس وطبخ وغسيل يأخذ أكثر أوقاتها ، وكذا إذا كان لها أطفال انشغلت بتنظيفهم وتلبيسهم ، وما إلى ذلك ..

فيقال : في إمكان الزوجة أن تستغل خروج زوجها من البيت فتعمل جميع ما تحتاج إليه في غيابه ، فإذا أحست بقدومه أسرعت إلى غرفتها فنزعت ثياب الطبخ والكنس والغسيل ، ولبست أجمل ما لديها وتزينت بأحسن زينة ، فإذا دخل

(١) صحيفة الندوة في ١٣٨٣/٧/٢٦هـ .

استقبلته أحسن استقبال بوجه ضاحك، وكلام عذب رقيق، فتجعله يبتسم إذا كان عابسًا، ويرضى إذا كان غضبانًا، ويفرح إذا كان حزينًا.

قال النبي ﷺ: «الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة»[1]. وهي التي إذا نظر إليها سرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله.

وإذن فليس الصلاح كثرة الصلاة والصوم والتسبيح، وإنما هو أكبر من ذلك؛ إطاعة أمر الزوج بعد طاعة اللَّه، والتماس رضاه بعد رضا اللَّه.

ولتحذر الزوجة- ولا أقصد زوجة معينة- من إهمال نفسها أمام زوجها والثقة به، فإن الرجل هو الرجل، يروغ كما يروغ الثعلب لأدنى سبب، حتى ولو كان يحبها ويعطف عليها، فإنها إذا وثقت منه فأهملت نفسها من النظافة والزينة بحجة أنها أنجبت له أطفالًا، أو أنها عاشرته عدة سنوات، فإنه سرعان ما ينقلب عليها ويكرهها، وقد يبحث عن غيرها.

ولتحذر من إهانته وإهماله والتشاغل عنه بأطفالها أو بيتها، أو بالحديث مع جيرانها أو أخواتها أو زوارها، فإن نفس الرجل كنفس الطفل، لو يستطيع أن ينتقم منها في ساعته لفعل!

وإذا أرادت منه شيئًا فليكن بلطف ودلال، لا بعنف وشدة وقسوة، كما يجب لها ذلك عليه وهو أن يعاملها بلطف وأدب.

ويجب على الزوجة أن تراعي موقع نظره منها وأنفه، كما أوصت بذلك المرأة العربية ابنتها بقولها: لا يقع بصره منك إلا على كل حسن نظيف، ولا يشم أنفه منك إلا كل رائحة طيبة. ثم الاهتمام بأمر طعامه وشرابه وتقديمه وقت طلبه.

أقول هذا لا لقصد زوج المعذبة صاحبة الرسالة، فلي معه كلام آخر هذا المقال ربما يكون نافعًا إن شاء اللَّه.

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٦٧) من حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما.

وهناك شيء آخر يجب الابتعاد عنه ؛ لأنه عدو لدود للزوج ، وهو الإهمال بشكليه المادي والمعنوي ، وهنا تقع المسئولية على الزوجة والزوج معًا ، فالأولى تهمل أناقتها ولباسها وتصرفاتها إزاء زوجها ، بينما يهمل هذا الأخير زوجته ؛ فلا يهتم بشئونها عندما يختلي بها ، مما يؤدي إلى تفكك عرى الزواج ، ولقد قلنا : إن الزواج انتقال من حياة فردية إلى حياة جماعية ، فإذا لم تجد هذه الحياة مقوماتها انهارت وضاعت ..

إن المرأة العاقلة مَنْ تعامل زوجها كضيف عزيز مهم تضع له المائدة كما تضعها لمدعويها ، وتستعمل أجمل ما لديها من أدوات بيته ، وترتدي أفضل ما لديها من ملابس ، وإلا كانت مهددة ، إن عاجلًا أو آجلًا ، برؤية زوجها ينحرف في تيار امرأة أخرى ، ومن تكون هذه المرأة الأخرى؟ إنها هنا تدخل مسرح الزوجية ، وليس فيها شيء يميزها عن الزوجة الأولى .

والواقع أن الزوجة نفسها هي التي ساعدت على دخول المرأة الجديدة إلى مسرح حياتها ، دخلت بادئ الأمر ببطء وأناة وكانت خجولة ثم ما لبثت أن انقلبت إلى مصيبة .

ويتساءل الأصدقاء عن الأسباب المباشرة التي دعت الزوج إلى ترك زوجته؟ فإذا بهم يتبينون واقعًا أليمًا يتصل بحياة الزوج الجنسية : أن المرأة الجديدة تشبع رغباته .

إن الزوجة في بدء الحياة الزوجية ترضي زوجها ، ولكنها لا تلبث أن تفقد إشعاعها الأول وتسير بها الحياة بطيئة مملة إلى أن تصبح كابوسًا .

وقد يكون عدم الخبرة الجنسية السبب في انفصام عرى الزوجين . ومن المؤسف أن النساء يشعون[1] بهذا الخطر بسهولة وسرعة ، كما أن المراهقات

(١) كذا بالأصل .

قبل الزواج لا يتلقين ثقافة تامة ، ولا يعرفن شيئًا يذكر عن العلاقة الجنسية ، وهن يجهلن أن الأمر فنٌّ يكتسب ولا يُخلق مع الإنسان ؛ ذلك أن موطن الرغبات متسع يشمل الجسم ومظهره الخارجي وحركات الإنسان ومشيته وحديثه ، فهو لا يحد بنطاق واحد .

وقد يكون الرجل ميالًا للمغامرة فحسب ، ولكن الحوادث تكرهه على الانسياق وراءها ، فإذا به ينفصل عن زوجته وأطفاله دون أن يكون راغبًا في ذلك .

ولنرجع إلى نصيحة الزوج الذي ترك زوجته وأطفاله كاليتامى :

فليتق اللَّه في نفسه وامرأته وأطفاله ، وليراجع عقله ويعي إلى رشده ، فإن اللَّه سينتقم ، قال ﷺ : « يأتي الرجل الذي لم يعدل بين نسائه وشقه مائل يوم القيامة »[(١)] . أي : وجهه مصروف إلى الوراء ، فهل يستسيغ مسلم أن يقف الناس جميعًا ؛ أنبياؤهم ورسلهم ، ومسلمهم وكافرهم ، ووجوههم مستقبلة لربهم خاشعة ، ويقف هو ووجه مصروف إلى الخلف ؟ لا أعتقد أن مسلمًا يرضى لنفسه بهذا الموقف . وإذن فليبادر إلى إرضاء زوجته والتسامح معها ، وإعطائها يومها وليلتها في القسم ، حتى ولو كانت حائضًا أو نفساء ، فالمقصود كونه عندها يومها وليلتها .

وليتق اللَّه فيها وفي أولاده ؛ فإنهم أمانة في عنقه ، ومسؤول عنهم يوم القيامة .

وليست الحياة هي الأكل والشرب والسكن كما يتصور[(٢)] ذلك بعضهم ، وإنما هي تربية الأولاد تربية إسلامية صحيحة ، ورعايتهم من أن يقعوا في انحراف عن هذا المبدأ ، ثم الوقوف بجانب امرأته ، فهي أسيرة عنده ، لا حول لها ولا قوة

---

(١) أخرجه أحمد (٣٢٠/١٣) (٧٩٣٦) ، وأبو داود (٢١٣٣) ، والترمذي (١١٤١) ، وابن ماجه (١٩٦٩) ، والنسائي (٣٩٤٢) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه ، بلفظ : « من كان له امرأتان ، فمال إلى إحداهما ، جاء يوم القيامة وشقه مائل » . وصححه الألباني في الإرواء (٢٠١٧) .

(٢) في الأصل : « يتصورون » .

إلا دموعها ، والقليل منهن التي تلجأ إلى كتاب اللَّه ، كما ذكرت صاحبة الرسالة ، ونعم الرفيق ، ولكنها قد تمل فهي تريد رجلًا ، تريد زوجًا تبادله حبًّا بحب وعطفًا بعطف وحنانًا بحنان ، تريد رجلًا تفضي إليه بخيرها وشرها ، ولا يمكن ذلك إلا للزوج .

فالواجب أن يتصور الرجل عظيم حق المرأة عليه قبل أن يجلب إليها أخرى ، وأن يتصور حالتها النفسية وما تؤول إليه ، فإن اطمأن إلى رضاها ، واطمأن إلى العدل بينهن ، وإلا حرم عليه ، قال اللَّه تعالى : ﴿فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾ [النِّساء: الآية ١٢٩] ، والنهي هنا يقتضي العقوبة الشديدة الشنعاء ، تلك التي يجب أن يتصورها ويجعلها دومًا نصب عينيه كل زوج اثنتين فأكثر ..

أما محبة القلب لإحداهما أكثر من الأخرى فلا يلام عليه ؛ لأنه ليس من جهته وإنما هو بيد اللَّه ، قال ﷺ : « اللهم هذا قسمي فيما أملك ، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك »(١) .

وذلك أنه ﷺ كان يحب عائشة رضي اللَّه عنها ، وكان يقسم لنسائه كل واحدة يومها وليلتها ، ولكنه يفرح إذا جاء يوم عائشة .

ولا يجوز للرجل أن يفسر القرآن برأيه وعلى هواه في قوله تعالى : ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النِّساء: الآية ٣] ، فإن هذا مشروط فيه العدل بينهن ، فإذا فقد العدل حرم تحريمًا باتًا ، بل قد يعد الزواج باثنتين فأكثر دون مراعاة العدل بينهن جريمة ، وأي جريمة تصل عقوبتها إلى أنه يصرف وجهه يوم القيامة إلى ظهره في أحرج موقف .

ونصيحتي للأخت صاحبة الرسالة أن تتذرع بالصبر قليلًا ، فالفرج قريب وقريب جدًّا ، أقرب مما تتصوره ، وسيعود إليها حتمًا بإذن اللَّه ، واللَّه الموفق .

---

(١) أخرجه أحمد (٤٦/٤٢) (٢٥١١١) ، وأبو داود (٢١٣٤) من حديث عائشة رضي اللَّه عنها ، وضعفه الألباني في الإرواء (٢٠١٨) .

وصية الأم[1]

روى الهيثم بن عدي[2] قال: حدثنا مجالد، عن الشعبي قال: قال لي شريح بن الحارث القاضي: يا شعبي، عليك بنساء بني تميم فإني رأيت لهن عقولًا! قال: وما رأيت من عقولهن؟ قال: أقبلت يومًا من جنازة فمررت بدورهم، وإذا أنا بعجوز على باب دار، وإلى جانبها جارية كأحسن ما رأيت من الجواري، فعدلت إليها فاستسقيت وما بي عطش، فقالت: أي الشراب أحب إليك؟ فقلت: ما تيسر. فقالت: ويحك يا جارية، ائتيه بلبن فإني أظن الرجل غريبًا. قلت: من هذه الجارية؟ قلت: هذه زينب بنت جرير، إحدى نساء بني حنظلة. قلت: فارغة هي أم مشغولة؟ قالت: فارغة. قلت: زوجينيها. قالت: إن كنت كفؤًا. ولم تقل: كفوًا، وهي لغة بني تميم. فمضيت إلى المنزل فصليت وسلمت، فإذا هي من خلفي، فلما صليت الظهر أخذت بأيدي إخواني من القراء الأشراف؛ علقمة، والأسود، والمسيب، وموسى بن عرفطة، ومضيت أريد عمها، فقال: ما حاجتك أبا أمية؟ قلت: زينب بنت أخيك. قال: ما بها رغبة عنك. فأَنكَحَنيها. فلما صارت في حياتي ندمت وقلت: أيُّ شيء صنعت بنساء بني تميم؟! وذكرت غلظ قلوبهن. قلت: أطلقها، ثم قلت: لا، ولكن أضمُّها إليَّ فإن رأيت ما أحب وإلا كان الثاني، فلو رأيتني يا شعبي وقد أقبل نساؤهم يهدينها حتى أدخلنها عليَّ!! فقلت: إن من السنة إذا دخلت المرأة على زوجها أن يقوم فيصلِّي ركعتين، فيسأل اللَّه من خيرها ويعوذ به من شرها. فصليت وسلمت، فإذا هي من خلفني تصلّي بصلاتي، فلما قضيت صلاتي أتتني جواريها فأخذن ثيابي وألبسنني ملحفة قد صبغت بالعصفر، فلما خلا البيت

---

(١) البلاد السعودية- العدد (٢٧٢٣)- في ١٣٧٧/٩/١٩هـ.

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ٢٣/٥١- ٥٢.

دنوت منها فمددت يدي إلى ناحيتها ، فقالت : على رسلك أبا أمية ، ثم قالت : الحمد للَّه أحمده وأستعينه وأصلي وأسلم على محمد وآله ، إني امرأة غريبة لا علم لي بأخلاقك وعاداتك فبين لي ما تحب فآتيه ، وما تكره فأجتنبه . وقالت : إنه قد كان لك في قومك منكح وفي قومي مثل ذلك ، ولكن إذا قضى اللَّه أمرًا كان ، وقد ملكت فاصنع ما أمرك اللَّه به ، إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ، أقول هذا وأستغفر اللَّه لي ولك . قال : فأحرجتني واللَّه يا شعبي إلى الخطبة في ذلك الوضع ، فقلت : الحمد للَّه أحمده وأستعينه وأصلي وأسلم على النبي محمد وآله ، وبعد ، فإنك قد قلت كلامًا إن تثبتي عليه يكن ذلك حظك ، وإن تدعيه يكن حجة عليك ، أحب كذا ، وأكره كذا ، ونحن جميع فلا تفرقي بيننا ، وما رأيت من حسنة فانشريها ، وما رأيت من سيئة فاستريها . ثم قالت : كيف محبتك لزيارة الأهل؟ قلت : ما أحب أن يملني أصهاري . قالت : فمن تحب من جيرانك يدخل دارك آذن لهم ، ومن تكرهه أكرهه؟ قلت : بنو فلان قوم صالحون ، وبنو فلان قوم سوء . قال : فبت يا شعبي بأنعم ليلة ، وسكنت معي حولًا لا أرى إلا ما أحب ، فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضايا فإذا بعجوز تأمر وتنهى ، فقلت : من هذه؟ فقالوا : هذه ختنك أم امرأتك . فلما جلست أقبلت العجوز فقالت : السلام عليك أبا أمية . قلت : وعليك السلام ، فمن أنتِ ؟ قالت : أنا فلانة أم امرأتك . فقلت : قربك اللَّه . قالت : كيف رأيت زوجتك ؟ قلت : خير زوجة . فقالت لي : يا أبا أمية ، إن المرأة لا تكون أسوأ حالًا منها في حالتين ، إذا ولدت غلامًا أو حظيت عند زوجها ، فإن رابك ريب فعليك بالسوط ، فواللَّه ما حار الرجال في بيوتهم شرًّا من المرأة المدللة . فقلت لها : أما واللهِ لقد أدبت فأحسنت الأدب ورضت فأحسنت الرياضة . قالت : تحب أن يزورك أختانك . قلت : متى شاؤوا .. قال : فكانت تأتيني على رأس كل حول توصيني بتلك الوصية .

ولما تزوج عمرو بن حجر الكندي بنت عوف بن محلم الشيباني وقرب دخوله بها خلت بها أمها ، فقالت : أي بنية ، إنك قد فارقت بيتك الذي منه خرجت ، وعشك الذي فيه درجت إلى رجل لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فكوني له أمة يكن لك[١] عبدًا ، واحفظي له خصالًا عشرًا يكن لك ذخرًا :

فأما الأولى والثانية : فالخشوع له بالقناعة ، وحسن السمع له والطاعة .

وأما الثالثة والرابعة : فالتفقد لمواضع عينه وأنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا شم منك إلا أطيب الريح .

وأما الخامسة والسادسة : فالتفقد لوقت منامه وطعامه ، فإن تواتر الجوع ملهبة ، وتنغيص نومه مغضبة .

وأما السابعة والثامنة : فالاحتراس بماله من مراعاة حشمه وعياله ، وملاك الأمر في الحال حسن التقدير ، وفي العيال حسن التدبير .

وأما التاسعة والعاشرة : فلا تعصين له أمرًا ولا تفشين له سرًا ، فإنك إن خالفت أمره أوغرت صدره ، وإن أفشيت سره لم تأمني غدره ، ثم إياك والفرح بين يديه إذا كان مهتمًا ، والكآبة بين يديه إذا كان فرحًا .

قال : فعملت بوصية أمها فأنجبت عشرة من الملوك .

ولا شك أن كل أم تلتزم تلك الوصايا في نفسها وتوصي بها ابنتها عند زواجها أو بعده ، وتنفذها البنت كاملة ، لا شك أنه لا يحصل شقاق بين زوجين البتة ، وبالتالي لا يحصل الفراق .



(١) في الأصل : « لا أرى إلا ما أحب ، فلما كان رأسي » .

مأساة أخرى .. ولكن من نوع جديد !(١)

[وليس هذا الجديد ببعيد عن أمراض مجتمعنا ، ولكنه نوع آخر ولون مختلف ، وإن جمعت المأساة بينهما .

إنها مأساة فتاتين حرمتا عطف وحنان الأبوة والأمومة ، ولم تكد عيونهما تتفتح على الحياة حتى صدمتهما بواقعها المر ! .

توفي الوالد والوالدة وعاشت الفتاتان في كنف عمهما ، عسى أن تجدا الحنان والسعادة ، وشبت الفتاتان وكبرتا . وتقدم رجل ثري كان يمد يد العون إلى العم لخطبة الفتاة الكبرى ، وزفت إليه ، ولكن لم يمض عام على زواجها حتى طلقها ، وهي تحمل على ذراعيها طفلًا صغيرًا .

ولكن الأمر لم ينته بذلك ؛ إذ تقدم الثري يطلب يد الفتاة الثانية ، ولكنها رفضت ، رفضت ؛ لأنها تخاف أن تواجه نفس مصير أختها ! والفتاة الثانية هي التي بعثت بمشكلتها ، إنها تقول : « وهنا بدأ الصراع يشتد ويقوى من جانب عمي ، الذي أخذ يتوعد ويهدد بإدخالنا دار الأيتام ؛ لأنه فقير » .

وقد أحلنا هذه المشكلة إلى الشيخ علي هندي لإبداء رأيه فقال](٢) :

---

(١) صحيفة الندوة في ١٣/٦/١٣٨٣هـ .
وقد جاء في صدر المقال ما نصه :
« انتهت المأساة الأولى : تلقت صفحة « مجتمعنا » رسالة من « الفتاة المعذبة » عن طريق الأخت فاتن أمين شاكر ، تشكر فيها « الندوة » والقائمين عليها على جهودهم ومساعيهم الحميدة ، واهتمامهم بمشكلتها ، كما تخص بالشكر كل من ساهم برأيه لحل مشكلتها ، وتقول : إن والدها اقتنع بوجهة نظرها ، وأن الثقة عادت إلى الأب والأم كما عاد الاطمئنان والاستقرار والحياة الهادئة إلى الأسرة » .

(٢) ما بين المعقوفين من كلام الصحيفة .

إذا كان الأب لا يقدر على إرغام الفتاة على الزواج، فكيف يستطيع ذلك العم؟!

قبل البدء في الإجابة أود أن أسأل هذه الفتاة الحائرة عن معنى قولها: «لا ترضاه».

هل لأنه ليس بكفؤ؟ فزواجه بأختها يكذبها. أم أنها رأته فكرهته؟ أم أن هناك أشياء لا تحب إيضاحها جعلتها تكرهه، أم أن الأمر لا يعدو أن يكون زوج أختها وطلقها، فلا ترغب أن تحل محل أختها؟

فإن كان كذلك فالحل أن تتزوج الرجل فربما يكون في اقترانها به سعادتها وسعادة أختها من ورائها؛ لأن كثيرًا من الأشياء يكرهها الإنسان بادئ الأمر، وتكون العافية حميدة جدًّا، وليس في ذلك تعذيب لضميرها ولا لضمير أختها؛ لأن كثيرًا من السلف الصالح، بل ومن علمائهم من يطلق المرأة ويتزوج أختها، ويعدون ذلك انتهاء رزق الأولى وابتداء رزق الثانية؛ لأنهم يؤمنون بأن كل شيء يعملونه هو بقضاء اللَّه وقدره وتيسيره، وهو الذي يقوي الأسباب ويربطها بمسبباتها.

والمرأة مكتوب في جبينها رزقها، ومن ستتزوج به من الرجال في حياتها، ومن ينتهي رزقها من الأزواج، وقد يستمر رزق المرأة عند رجل حتى يفرقهما الموت، وإذن فزواجها بزوج أختها ليس فيه غضاضة على أختها، بل أعتقد أن أختها يسرها ذلك إذا كانت عاقلة مؤمنة، كما أعتقد أنه حتى لو كان بين أختها والرجل محبة؛ فإن الطلاق يعقل من ذلك، بل قد يزيلها كليًّا؛ لأن غيرة المرأة على الرجل ما دامت في عصمته، فإذا فارقها وفارقته فلا يهمها في قليل ولا كثير.

هذا في الغالب، على أن بعض النساء قد تحتفظ بحب زوجها حتى ولو طلقها، ولكن هذا لا يكون سببًا في حرمان أختها من الاقتران بهذا الزوج؛ لأنها

تعتبر هذه الأمور لا تجري إلا بقضاء وقدر .

وإذا كانت تتوهم أن تحريم الجمع بين الأختين مستمر فهو وهم خاطئ ؛ لأن الرجل إذا طلق المرأة وأكملت عدتها منه أبيحت له أختها وعمتها وخالتها ؛ لأنه بمجرد الطلاق ينتهي تحريم الجمع .

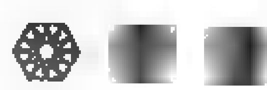
وحديث « تطلب المرأة طلاق أختها لتكفأ ما في صحفتها »(١) . هو فيما قبل الطلاق ، أما بعد الطلاق فقد انكفأت صحفتها بإرادة اللَّه تعالى ؛ فلا مانع إذن من اقترانها بزوج أختها .

ويجب في هذا الموضوع استبعاد العادات التي قد تسيء إلى الأسر من شباب وفتيات ؛ وهي : أن زوج أختها لا تتزوجه . ومن تربت معه في بيت واحد لا تتزوجه .. وأمثال هذه التي هي أشبه بفعل الجاهلين .

أما إذا كانت تكره هذا الرجل لسوء خلقه أو لشكله ، أو لفساد فيه ، أو لأشياء أخرى تعتقد جازمة أنه لا يمكن العيش معه ولا الاستمرار معه في عصمته ، فإني أرى من الأفضل لها أن لا تتزوجه .

وعمها ليس له حق في إرغامها على من لا تريده ؛ لأن الأب لا يجبر البنت على الزوج ؛ فالعم من باب أولى ، بل ليس له ذلك إطلاقًا ، ولا لغيره من الأولياء من الوجهة الشرعية .

وليس للعم إخراجهما من بيته ما دام ليس لهما مصدر رزق تعيشان منه ، وليستا يتيمتين حتى يدخلهما (دار الأيتام) ، وإنما هما من الأرامل تجب نفقتهما على عمهما- إن كان موسرًا- وإلا فالطفل على والده ، وهما على بيت المال .



(١) أخرجه البخاري (٢١٤٠، ٢٧٢٣، ٥١٥٢) ، ومسلم (١٤٠٨) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه ، بلفظ : « لا تسأل المرأة طلاق أختها لتستفرغ صحفتها » .

ليس لنا أن نترك الفجوة تتسع بين الشيوخ والشباب لنعط الشباب بعض ما يطلبون ونيسر لهم قبل أن يفلت الزمام[1]

بين الشيوخ والشباب :

أرى ويرى غيري أن بين شيوخنا وشبابنا فجوة واسعة وبونًا شاسعًا ، وفروقًا كبيرة تجعل كلًّا من الطرفين- غالبًا- لا يفهم الآخر ولا يتجاوب معه ، ولا يقدر له رأيه وموقفه !! .

فالشيوخ يرون أن الكلمة لهم ، وأن بيدهم زمام القيادة ، وينبغي للشباب أن يقلدهم ، حتى ولو كان أصفى ذهنًا وأدق إحساسًا وأكثر فهمًا للواقع !! فلا بد أن يستسلم ويذعن لجميع ما يراه الشيوخ من رأي ، حتى ولو كان قاسيًا وجامدًا ومخالفًا للحقيقة والإدراك ، فينبغي أن لا يناقشوا ولا يعارضوا في أي عمل عملوه ، ولا في أي رأي رأوه .

بينما الشباب يرى أن من حقه- كعضو له رأيه ومقدرته- أن يناقش كل أمر وكل عمل وكل فكرة ، سواء كانت قديمة أو جديدة ، يقول : إذا كانت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تشرح وتفسر وتناقش ، فمن باب أولى أن تشرح وتناقش وتعارض أراء الرجال ، ولا سيما في هذا العصر بالذات ، الذي ينبغي فيه للشباب أن يظهر جهوده ويكرس قواه في بناء مجتمع صالح عادل . وحيث قد وزع الباري تعالى الفهوم والأذواق والإرادات فلم يخص بها طائفة دون أخرى ، بل قد ظهر تفوق بعض الشباب على بعض الشيوخ في الفهم كما أخبر تعالى عن سليمان أنه فهم أشياء خفيت على داود عليهما السلام ، فإن هذا ليس نقصًا ولا عيبًا ؛ لأن الله قال : ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: الآية ٧٩] .

---

(١) صحيفة قريش- ١٣٨٣/١/١٩هـ .

وإذن فالفهم موهبة من اللَّه تعالى لبعض الأفراد دون بعض، فيهب بعض الناس في الوقت القصير ما لا يهبه للآخر في الوقت الطويل، سواء كان ذلك في العلم الديني أو العلم الدنيوي، فقد رأينا بعض الناس يكثر القراءة والمطالعة ولكن دون فهم !!.

وتحضرني كلمة قيمة للإمام العلَّامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن حينما قرئ عليه هذان البيتان:

أخي لن تنال العلم إلا بستة سأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة وإرشاد أستاذ وطول زمان

قال: ويكفي من ذلك فهم يعطيه اللَّه من يشاء، قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: الآية ٢٦٩].

ورأيي أننا لا نجعل الفجوة تتسع أكثر مما حدث؛ لأن القيادة إذا انفلتت من يد الشيوخ فلن ترجع، وهي حتما ستكون بيد الشباب في المستقبل، وإذا لم نضيق شقة الخلاف من الآن فنعط الشباب بعض ما يطلب به مما لا يخالف ديننا، ونمهل له قليلًا في اليسر والسهولة حتى يسير على النهج الذي يريده له الإسلام في هذا اليوم ويستمر عليه في المستقبل، وهي ما تأمر به حكمة الدين الإسلامي في توطيد التعاون الجماعي بين الشيوخ والشباب، وفي تجسيد العدالة التي أرادها المصطفى ﷺ لأمته في قوله: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا»[(١)]. وينطبق قوله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا»[(٢)].

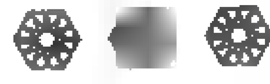
---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٢٥٧، وابن حبان (٤٥٨) من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما، وأخرجه أحمد ٢/ ٢٠٧، والبخاري في الأدب المفرد (٣٥٨) من حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما. وصححه الألباني في الصحيحة (٢١٩٦).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨١، ٢٤٤٦)، ومسلم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسى الأشعري رضي اللَّه عنه.

وبه يتضح أنه لا يصلح الشباب بدون الشيوخ ، ولا الشيوخ بدون الشباب ، وإذا لم نفعل ذلك فسيمسك بعجلة القيادة بالقوة ، ثم لا نستطيع إرجاعه إلى ما يريده اللّٰه له من الاستقامة .

فنكون قد جنينا عليه وعلى أنفسنا ، ولا سيما ونحن في عصر تيار جارف قد يستمد منه الشباب قوته ومصيره فينجرف من حيث نريد إصلاحه ، ويبتعد من حيث نريد قربه ، وينزلق من حيث نريد استقامته .



علماء السلف[1]

لما حج سليمان بن عبد الملك اجتاز في طريقه على المدينة المنورة فأقام بها أيامًا . قال الضحاك بن موسى[2] : وكان يحضر مجلسه أكابر أهلها ، فقال ذات يوم : هل بالمدينة أحد أدرك أحدًا من أصحاب رسول اللَّه ﷺ ؟ فقالوا له : نعم ؛ أبو حازم .

قال الضحاك : أبو حازم هذا هو سلمة[3] بن دينار يكنى أبا حازم الصغير ويلقب بالأعرج ، وكان قوي الشكيمة ذا صرامة وشهامة وقوة وشجاعة ، يخلط اللين بالشدة والقوة بالحزم ، لا تأخذه لومة لائم في الحق ، ولا يخشى أحدًا في أن يصدع به ، ويظهر لنا ذلك واضحًا جليًا في المحاورة التي حصلت بينه وبين الخليفة سليمان بن عبد الملك .

قال الضحاك : فلما قالوا للخليفة : نعم أبو حازم . أرسل إليه ، فلما دخل عليه سلم عليه سلام السنة فقط ولم يزد عليه . فقال له الخليفة : ما هذا الجفاء ، يا أبا حازم ؟ قال أبو حازم : يا أمير المؤمنين ، وأي جفاء رأيت مني ؟ قال : أتاني وجوه أهل المدينة ولم تأتني . قال : يا أمير المؤمنين أعيذك باللَّه أن تقول ما لم يكن ، ما عرفتني قبل هذا اليوم ولا أنا رأيتك . قال : فالتفت سليمان إلى محمد بن شهاب الزهري ، فقال : أصاب الشيخ وأخطأنا .

ثم قال : يا أبا حازم مالنا نكره الموت ؟ قال : لأنكم أخربتم الآخرة وعمرتم الدنيا فكرهتم أن تنقلوا من العمران إلى الخراب ، قال : أصبت .

ثم قال : يا أبا حازم ، كيف القدوم غدًا على اللَّه تعالى ؟ قال : أما المحسن

---

(١) مجلة الرياض .

(٢) أخرجه الدارمي (٦٤٧) ، وابن عساكر ٢٢/ ٣٢.

(٣) في الأصل : « مسلمة » . وهو خطأ . انظر تاريخ دمشق ٢٢/ ١٦، وتهذيب الكمال ١١/ ٢٧٢.

فكالغائب يقدم على أهله، وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه.

فبكى سليمان وقال: ليت شعري، ما لنا عند الله؟! قال: اعرض عملك على كتاب الله. قال: وأي مكان أجده؟ قال في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤].

قال سليمان: فأين رحمة الله يا أبا حازم؟ فقال: هي قريب من المحسنين. قال سليمان: فأي عباد الله أكرم؟ قال: أولوا المروءة والنهى. قال سليمان: فأي الأعمال أفضل؟ قال: أداء الفرائض مع اجتناب المحارم. قال سليمان: فأيُّ الدعاء أسمع؟ قال: دعاء المحسن للمحسن. قال: فأيُّ الصدقة أفضل؟ قال: للسائل البائس وجهد المقل ليس فيها منٌّ ولا أذى. قال: فأي القول أعدل؟ قال: قول الحق عند من تخافه أو ترجوه، قال: فأيُّ المؤمنين أكيس؟ قال: رجل عمل بطاعة الله، ودل الناس عليها. قال: فأي المؤمنين أحمق؟ قال: رجل انحط في هوى أخيه وهو ظالم له فباع آخرته بدنيا غيره.

قال له سليمان: أصبت، فما تقول فيما نحن فيه؟ قال: يا أمير المؤمنين إن آباءك قد ملكوا قبلك ثم ارتحلوا فلو شعرت بما قالوه وقيل لهم لم تلذ بنوم؟ ولم تفرط بعمل صالح؟ فاجعل رحلتهم نصب عينيك، وليكن ذلك لك عبرة وعظة.

فقال رجل من جلساء الخليفة: بئس ما قلت يا أبا حازم. فقال أبو حازم: كذبت، إن الله أخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه.

قال له سليمان: فكيف لنا أن نصلح؟ قال: تدعون التصلف وتمسكون بالمروءة وتقسمون بالسوية. قال: سليمان: كيف لنا بالمأخذ به؟ قال أبو حازم: تأخذه من حله، وتضعه في أهله.

قال له سليمان: هل لك يا أبا حازم أن تصحبنا فتصيب منا ونصيب منك؟ قال: أعوذ بالله. قال له سليمان: ولم ذلك؟ قال: أخشى أن أركن إليكم فأحسن لكم ما هو سيء عند الله فيذقني الله ضعف الحياة وضعف الممات. قال

سليمان : ارفع إلينا حوائجك . قال : تنجيني من النار وتدخلني الجنة . قال سليمان : ليس ذلك إليَّ . قال أبو حازم : ليس لي حاجة غيرها . قال : فادع لي . قال أبو حازم : اللهم إن كان سليمان وليك فيسره لخيري الدنيا والآخرة ، وإن كان عدوك فخذ بناصيته إلى ما تحب وترضى . قال له سليمان : زد . قال أبو حازم : قد أوجزت وأكثرت إن كنت من أهله فذاك ، وإن لم تكن من أهله فما ينفعني أن أرمي عن قوس ليس لها وتر . قال له سليمان : أوصني . قال : سأوصيك وأوجز : عظم ربك ونزهه أن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك .

فلما خرج من عنده بعث إليه بمائة دينار ، وكتب إليه : أن أنفقها ولك عندي مثلها كثير . قال الضحاك : فردها عليه ، وكتب إليه : يا أمير المؤمنين ، أعيذك باللَّه أن يكون سؤالك إياي هزلًا ، وردي عليك بذلٌ ، وما أُرضاها لك فكيف لنفسي !! وكتب إليه : أن موسى بن عمران لما ﴿وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ﴾ [القَصَص: الآية ٢٣] ، وجد عليها رعاء ﴿يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ﴾ [القَصَص: الآية ٢٣] جاريتين تذودان غنمهما فسألهما فقالتا : ﴿لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ * فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾ [القصص: ٢٣، ٢٤] ، وذلك أنه كان جائعًا خائفًا لا يأمن الطلب من فرعون ، فسأل ربه ولم يسأل الناس ، فلم يفطن الرعاء وفطنت الجاريتان ، فلما رجعتا إلى أبيها أخبرتاه بالقصة وبقول موسى ، فقال أبوها- هو شعيب- : هذا رجل خائف جائع . فقال لإحداهما : اذهبي فادعيه . فلما أتته عظمته وغطت وجهها ، وقالت : ﴿إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ﴾ [القَصَص: الآية ٢٥] ، ولم يجد بدًا من أن يتبعها ؛ لأنه كان بين الجبال جائعًا مستوحشًا ، فلما تبعها هبت الريح فجعلت تصفق ثيابها على ظهرها فتصف له عجيزتها- وكانت ذات عجز- وجعل موسى يعرض مرة ، ويغض أخرى ، فلما عيل صبره ناداها قائلًا : يا أمة اللَّه ، كوني خلفي وأريني الطريق بقولك : ذا ذا . فلما دخل على

شعيب إذا هو بالعشاء مهيئًا، فقال له شعيب: اجلس يا شاب فتعش. فقال له موسى: أعوذ بالله. فقال له شعيب: لم؟ أما أنت جائع؟ قال: بلى ولكني أخاف أن يكون هذا عوضًا لما سقيت لهما، وأنا من أهل بيت لا نبيع شيئًا من ديننا بملء الأرض ذهبًا. فقال له شعيب: لا يا شاب، ولكنها عادتي وعادة آبائي، نقري الضيف(١)، ونطعم الطعام. فجلس موسى وأكل!!

فإن كانت هذه المائة الدينار عوضًا عن حديثي لما حدثتك، فوالله إن الميتة والدم ولحم الخنزير في حال الاضطرار أحل من هذه، وإن كان حق في بيت المال فلي فيه نظراء، فإن ساويت بيننا وإلا فليس لي فيها حاجة.

وكذا يجب على العلماء أن يتصفوا بصفات سلفهم الصالح، وأن يقتدوا بهم في الابتعاد عن جشع الدنيا، وأن يكتفوا منها بالبلاغ حتى يكونوا قدوة صالحة يحتذى بهم وتقبل نصائحهم وينتفع العامة بإرشاداتهم وتوجيهاتهم.

والله المسئول أن يوفقنا جميعًا لما فيه الخير والصلاح، وصلى الله على محمد وآله وسلم.



(١) في الأصل: «الضعيف».

بين الماضي والحاضر(١)

كان السلف الصالح رضي الله عنهم شديدي التماسك صادقي التعاون والإخاء والمودة والصفاء، ذوي قوة في موضع القوة، ولين في موضع اللين، وتواضع فيما بينهم، يحبون لبعضهم الخير ويكرهون الشر، ويناصحون من زل أو غوى، ويدعونه بلطف ورفق وهدى دون تنقص أو عيب ودون سخرية وبهت وغيبة، بل يدعونه بالطرق السليمة والأقوال المقبولة المستقيمة؛ داعين له بالتوفيق والنجاح والرشد والصلاح، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس وما أقبح أثر الناس عليهم!!

وقد كان من هديهم الإمساك عما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم، والكف عن مساوئ من مات من المسلمين، والدعاء له بالمغفرة والرحمة والرضوان، قال تعالى حاكيًا عنهم: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: الآية ١٠].

وقد وجد في هذه الأزمان الأخيرة من هو بالضد من حالة السلف الصالح، فقد سمعنا من يذم علماء المسلمين والسابقين الأولين دون مسوغ ولا مبرر، وإنما هو اتباع الهوى!! وسمعنا من يسب التقليد والمقلدين والفقه والفقهاء إجمالًا، وهو لا يفهم معنى لهذا القول، ولم يعرف النتيجة الوخيمة فيه، وإنما وجد من يسايره على فعله ويناصره على قوله، فازدرى واحتقر وعاب وتنقص، وهو لو أنصف ورجع إلى الحق والعدل وقذف السخيمة من قلبه لوجد أن العلم النافع والعمل الصالح هو الدعاء لهم والاقتداء بهم؛ إذ هم الذين خاضوا في بحر الكتاب والسنة واستخرجوا دقائقهما ووضحوا معانيها ومعالمها حتى أبانوا للعامة

---

(١) صحيفة البلاد ١٠/٢/١٣٨٠هـ.

الطرق وأناروا لهم السبل، فدخلوا في عموم قوله ﷺ: «مَن يرد اللَّه به خيرا يفقهه في الدين»[١].

وليس الفقه في الدين أن نقرأ القرآن سردًا، ولا أن نقرأ الحديث لفظًا! وإنما الفقه أن نفهم ونتدبر معاني الكتاب والسنة ونعمل بهما وندعو إليهما.

وليس قولي هذا سدًّا لباب الاجتهاد، غير أن المجتهد ينبغي أن يوفق لمعرفة صحيح السنة من سقيمها، ناسخها من منسوخها، قديمها من حديثها، مقبولها من مردودها، ووفِّق لمعرفة تواريخها التي هي تفاصيل أيامها وحوادث وقائعها؛ ليكون على بصيرة لما يدعو إليه وقدوة حسنة لمن يأخذ عنه.

وإن أعجب فعجبي ممن يسب علماء المسلمين وهو لم يقرأ حرفًا واحدًا من القرآن! ولا درس حديثًا واحدًا من السنة! ومع هذا نجده شديد الثلب على المتقدمين من العلماء، دائم الطعن على من ينتسب لمذهب من المذاهب المشهورة المتبعة!! ولكن سرعان ما يذهب عجبي حين أقرأ قوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يلعن آخر هذه الأمة أولها»[٢]. وقد وقع كما أخبر ﷺ، فها هم يسبون الأئمة الأربعة وأتباعهم؛ أهل العلم والدراية والورع والهداية.

قارئي العزيز: قل لي بربك مَنْ مثل أبي حنيفة النعمان بن ثابت في الفضل والتقوى؟ ومن مثل أتباعه كمحمد بن الحسن الشيباني، وأبي يوسف، وعثمان البتي، وزفر بن الهذيل، وإبراهيم بن خالد الكلبي، وابن كج، والزيلعي؟!

ومَنْ مثل الإمام العلم مالك بن أنس الأصبحي إمام دار الهجرة، ومن ضربت إليه أباط الإبل، واستمد من علمه أهل الوبر والمدر؟ ومن مثل أتباعه كعبد اللَّه بن

(١) أخرجه البخاري (٧١، ٣١١٦)، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية رضي اللَّه عنه.

(٢) أخرجه الطبراني (٧٨٠٧)، والحارث بن أبي أسامة (٧٧١- بغية الحارث) من حديث أبي أمامة رضي اللَّه عنه. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ٢٦٢: وفيه علي بن يزيد، وهو متروك.

وهب المصري، وابن أبي ذئب، ويزيد بن هارون الأيلي، وابن الماجشون، وسحنون، وابن القاسم العبادي، ويحيي بن يحيي التميمي النيسابوري، ويحيي بن يحيي المصمودي ؟!

ومن مثل الإمام محمد بن إدريس الشافعي في الزهد والحلم والاجتهاد والعلم ؟ ومن مثل أتباعه كسليمان الجيزي(١)، وسليمان بن الربيع المرداوي(٢)، والخطابي، ومحمد بن المنذر، والقفال، والنووي، وابن حجر العسقلاني ؟!

ومن مثل الإمام أحمد بن حنبل في الورع والعفة والثبوت على المكروه والمحنة؟ ومن مثل أتباعه كأبي طالب، والميموني، وحنبل بن إسحاق، والحربي، والكرماني، وأبي داود السجستاني، ومحمد بن إسماعيل البخاري، والحسن بن حامد، والقاضي أبي يعلى، ويعقوب البرزيني، والحسن البربهاري، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وشمس الدين ابن القيم، وعلاء الدين المرداوي، وأمثال هؤلاء الذين هم من صفوة الأمة علمًا وعملًا ؟!!

على أنهم رحمهم اللَّه- مع علمهم وفضلهم وإخلاصهم واجتهادهم- لم يأمروا الناس بتقليدهم، ولم يدَّعوا أنهم من أهل العلم والاجتهاد، ولم يرضوا لأنفسهم أن يقلدوا؛ احتقارًا منهم لأنفسهم ولعلمهم، وإنما الباري تعالى عرف منهم الإخلاص والصدق فوفق الأمة للاقتداء بهم.

ومن هنا نعلم أن الاقتداء غير التقليد، فقد أمر اللَّه نبيه بالاقتداء بمن سبق من النبيين، قال تعالى: ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: الآية ٩٠]، فنحن مأمورون تبعًا لنبينا ﷺ أن نقتدي بالعلماء الصالحين العاملين بعلمهم، وهم بمن قبلهم. وهكذا بتسلسل حتى يصل إلى نهايته وهو المصطفى ﷺ.

وأما التقليد فهو جائز لمن هو متبع للكتاب والسنة لا يخالفهما ولا يخرج

---

(١) كذا في الأصل، وهو خطأ، وصوابه: «الربيع بن سليمان الجيزي». وانظر ترجمته في تهذيب الكمال ٩/ ٨٦، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٩١.

عنهما ما استطاع، وإذا خاف لعدم وقوفه على دليل منهما، أو لجهل في معانيهما، أو لاجتهاد ارتضاه، فإن الواجب على متبعه مخالفته والأخذ بالدليل أيا كان ومع من كان. وقد يخالف بعض الأئمة الدليل القطعي في مسألة من المسائل ويكون عذره أنه لم يبلغه، أو أن الحديث لم يصح عنده، أو بلغه لكنه لا يصلح دليلًا لها. فهو إذًا معذور ومأجور؛ لاجتهاده. ويجب علينا أن نحسن الظن به، وأن لا نطعن عليه أو نتنقصه؛ لأن لكل آية معنى ولكل حديث مغزى ولا يعرف ذلك إلا من وفقه اللَّه فهمًا فيما يقرأ وسدادًا فيما يرى وصوابًا فيما يقول.

ويحصل فهم الكتاب والسنة بالنظر في أقوال العلماء المبرزين المجتهدين، وفحص مفاهيمهم والمقارنة بينها. فقد يفهم الفرد من الحديث ما لا يفهمه الآخر، وقد يظهر لبعضهم من معاني القرآن وأسراره مما لا يظهر للآخر، والكل رائدهم الحق.

فهذا النوع من التقليد لا شك في جوازه، بل قد يتعين على الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب، أو قرأ شيئًا يسيرًا لكنه لم يرتفع عن درجة الأول للأخذ به. ودليله أمر اللَّه تعالى للأمة عما لا يعلمونه أن يسألوا، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: الآية ٤٣]، وسؤالهم يتطلب تقليدهم بلا ريب. وأهل الذكر هم أهل العلم.

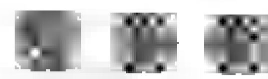
وأما التقليد المذموم؛ فهو متابعة الإمام أو العالم على خطأه، بحيث لا نخرج عن أقواله وأفعاله ولو خالف نصًا أو إجماعًا أو قياسًا صحيحًا؛ قائلين: إن إمامنا أعلم بالحديث ممن بعده، أو نحو ذلك.

والواقع أن الإمام لم يبلغه هذا الحديث، ولو بلغه لرجع إليه وقال به. وقد صح عن الأئمة رحمهم اللَّه أنهم قالوا: «إذا صح الحديث فهو مذهبي» و: «اضربوا بقولي الحائط». و: «كل يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر»

و : « لا تأخذوا برأيي ، ولا رأي سفيان ، وخذوا من حيث أخذنا »

هذه هي أقوال الأئمة الأربعة رضي اللّٰه عنهم ، ونرى فيها غاية العدالة والإنصاف والتواضع .. واللّٰه أدعوا أن يرزقنا الاقتداء بهم ، وأن يحشرنا في زمرتهم .

أحب الصالحين ولست منهم وأرجو أن أنال بهم شفاعة



في سجل التاريخ عبر !(١)

في التاريخ مواعظ وعبر، وفي سجلاته حوادث وأخبار تكشف لنا عن سير من مضى من الأمم، وما فعل الباري تعالى بمن غدر منهم وخان، ومن كفر نعمته ونسي عهده، فمن ذلك:

ما حكى ابن ظفر في كتابه «السُّلوان» أن الوليد بن يزيد لما بلغه أن ابن عمه يزيد بن الوليد قد شردت عنه القلوب واستجاش عليه الناس، ونازعوه في ملكه، احتجب عن سماره ونادى في بعض الليالي خادمًا وقال: انطلق متنكرًا حتى تقف ببعض الطريق، وتأمل من يمر بك من الناس، فإذا رأيت كهلًا رث الهيئة يمشي مشيًا الهوينا وهو مطرق، فسلم عليه وقل له: إن أمير المؤمنين يدعوك، فإن أسرع في الإجابة فأتني به، وإن استراب فدعه واطلب غيره حتى تجد رجلًا على الشرط الذي ذكرت لك.

فانطلق الخادم فأتاه برجل على الشرط، فلما دخل الرجل على الوليد حياه بتحية الإسلام، فأمر الوليد بالجلوس والدنو منه، وصبر إلى أن ذهب روعه وسكن جأشه، ثم أقبل عليه فقال له: أتحسن المسامرة للخلفاء؟ فقال: نعم يا أمير المؤمنين. فقال الوليد: إن كنت تحسنها فأخبرنا ما هي؟ فقال: يا أمير المؤمنين، المسامرة: إخبار لمنصت، وإنصات لمخبر، ومفارقة فيما يعجب ويليق.

قال الوليد: أحسنت، لا أزيدك امتحانًا، فقل أسمع لقولك. فقال الكهل: نعم يا أمير المؤمنين، ولكن المسامرة صنفان لا ثالث لهما؛ أحدهما: الإخبار

---

(١) كذا في الأصل، وهو خطأ، وصوابه: «الربيع بن سليمان المُرادي». ترجمته في تهذيب الكمال ٩/ ٨٧، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٨٧.

(٢) صحيفة الندوة في ١٢/٩/١٣٨٢هـ.

بما يوافق خبرًا مسموعًا ، والثاني : الإخبار بما يوافق غرضًا من أغراض صاحب المجلس ، وأنا لم أسمع بحضرة أمير المؤمنين طريقة فأنحو نحوها وألزم أسلوبها .

فقال الوليد : صدقت ، وها نحن نقترح لك ما تقتفيه ، قد بلغنا أن رجلًا من رعيتنا سعى في ضرر ملكنا ، فأثر سعيه في الناس وشق ذلك علينا ، فهل سمعت بذلك ؟ فقال الكهل : نعم . فقال له الوليد : قل الآن على حسب ما سمعت وعلى ما ترى من التدبير . فقال : يا أمير المؤمنين ، بلغني أن عبد الملك بن مروان لما ندب الناس لقتال ابن الزبير وخرج بهم متوجهًا إلى مكة - شرفها اللّٰه وعظمها - استصحب معه عمرو بن سعيد الأشدق ، وكان عمرو قد انطوى على فساد نية وخبث طوية ؛ طمعًا بالخلافة ، وكان عبد الملك قد فطن لذلك إلا أنه كان يحترمه ، ولما أبعد عبد الملك عن دمشق تمارض عمرو بن سعيد فاستأذن في العودة إلى دمشق ، فأذن له ، فلما دخل عمرو بن سعيد دمشق صعد المنبر ، فخطب الناس خطبة نال فيها من الخليفة واستولى على دمشق ، ودعا الناس إلى خلع عبد الملك فأجابوه إلى ذلك وبايعوه ، وحصن بعد ذلك أسوار دمشق وحمى حوزتها ، فبلغ ذلك عبد الملك وهو متوجه إلى ابن الزبير ، وبلغه مع ذلك أن والي حمص قد نزع يده من الطاعة ، وأن أهل الثغور قد تشوفوا للخلافة ، فأحضر وزراءه فأطلعهم على ما بلغه ، فلما سمع وزراؤه مقالته ذهلت عقولهم ولم يردوا جوابًا ، فقال لهم عبد الملك : ما لكم لا تنطقون ، هذا وقت الحاجة إليكم . فقال بعضهم : وددت أن كون عودًا من أعواد تهامة حتى تنقضي هذه الفتن .

فلما سمع عبد الملك ذلك أمرهم بلزوم موضعهم ، ثم خرج وركب منفردًا وأمر بعض شجعانه أن يتبعوه متباعدين عنه ، ففعلوا ، وسار عبد الملك حتى انتهى إلى شيخ ضعيف البدن سيئ الحال وهو يجمع حشائش ، فسلم عليه عبد الملك وآنسه بحديثه ، ثم قال له : أيها الشيخ ، ألك علم بنزول هذا العسكر ؟ فقال

الشيخ : وما سؤالك عنه ؟ فقال عبد الملك : إني أردت الانتظام في سلكه . فقال له : إني أرى عليك سمة الرياسة ، فينبغي لك أن تصرف نفسك عن هذا الرأي ، فإن الأمر الذي أنت قاصده قد انحلت عرى ملكه والسلطان في اضطراب أموره كالبحر إذا هاج . فقال عبد الملك : أيها الشيخ قد عزمت على صحبة هذا الأمير ، فهل لك أن ترشدني إلى رأي أنفق به عنده ، فلعله يكون سبب قربي منه . فقال الشيخ : إن هذه النازلة التي نزلت بهذا الأمير من النوازل التي لا تنفذ فيها العقول ، وإني لأكره أن أرد مسألتك بالخيبة ، فقال عبد الملك : قل جزاك الله خيرًا . فقال الشيخ : إن هذا الأمير خرج لقتال عدوه ، والإرادة غير قابلة لمراده ، والدليل على أن الله لم يرد ما قصده من محاربة ابن الزبير وثوب عمرو بن سعد على منبره ، واستيلاؤه على بيوت أمواله وسرير خلافته ، فإذا قصدت هذا الأمير وانتظمت في سلكه انظر في أمره ، فإن رأيته قد أصر على قصده لابن الزبير فاعلم أنه مخذول فاجتنبه ، وإن رأيته رجع من حيث جاء وترك قصده الأول فارج له النصر والسلامة . فقال عبد الملك : يا شيخ ، وهل رجوعه إلى دمشق إلا مثل سيره لابن الزبير ؟ فقال الشيخ : إن الذي أشكل عليك لواضح ، وها أنا أزيل عنك اللبس ، وهو أن عبد الملك إذا قصد ابن الزبير كان في صورته ظالم ؛ لأن ابن الزبير لم يطعه قط ، ولا وثب له على مملكة ، وإذا قصد عمرو بن سعيد كان في صورة مظلوم ؛ لأن ابن سعيد نكث بيعته وخان أمانته ووثب على دار ملك لم تكن له ولا لأبيه من قبله ، وعمرو عليها متعد ، ومن الأمثال : « سمين الغصب مهزول ، وولي الغدر معزول » وسأضرب لك مثلًا يشفي النفس ويزيل اللبس : زعموا أن ثعلبًا كان يسمى ظالمًا ، وكان له جحر يأوي إليه ، وكان مغتبطًا به ، فخرج يومًا يبتغي ما يأكل ، ثم رجع فوجد في جحره حية ، فانتظر خروجها فلم تخرج ، فعلم أنها استوطنته[1] ، وذلك أن الحية لا تتخذ جحرًا ، بل إذا أعجبها

(١) في الأصل : « إذا أعجبها جحر اغتصبته وطردت » .

جحر اغتصبته وطردت من به من الحيوان ، ولهذا قيل : فلان أظلم من حية . ولما رأى ظالم أن الحية قد استوطنت جحره ، ولم يمكنه السكن معها ، ذهب يطلب لنفسه مأوى ، فانتهى به السير إلى جحر حسن الظاهر حصين في أرض منيعة ذات أشجار ملتفة وماء معين ، فأعجبه وسأل عنه ، فقالوا : هذا جحر يملكه ثعلب اسمه : مفوض ، وأنه ورثه من أبيه . فناده ظالم ، فخرج إليه ورحب به وأدخله إلى جحره وسأله عن حاله ، فقص عليه خبره مع الحية ، فرق قلبه له وقال : الموت في طلب الثأر خير من الحياة في العار ، والرأي عندي أن تنطلق معي إلى مأواك الذي أخذ منك غصبًا ، فلعلي أهتدي إلى مكيدة تخلص بها مأواك .

فانطلقا معًا إلى ذلك الجحر ، فتأمله مفوض ، وقال لظالم : اذهب معي فبت الليلة عندي لأنظر ليلتي هذه فيما يصلح من الرأي والمكيدة . ففعلا ذلك ، وبات مفوض متفكرًا ، وجعل ظالم يتأمل مسكن مفوض ، فرأى من طيب هوائه وسعته وحصانته ما اشتد به حرصه عليه ، وطفق يدبر في حيلة اغتصابه ونفي مفوض عنه ، فلما أصبحا قال مفوض لظالم : إني رأيت ذلك الجحر بعيدًا عن الشجر والماء فاصرف نفسك عنه وهلم أعينك على احتفار جحر في هذا المكان الطيب . فقال ظالم : هذا غير ممكن ، لأن لي نفسًا تهلك لبعد الوطن . فلما سمع مفوض مقالة ظالم وما يتظاهر به من الرغبة في وطنه ، قال له مفوض : إني أرى أن نذهب يومنا هذا فنحتطب حطبًا ونربط منه حزمتين ، فإذا جاء الليل انطلقنا إلى بعض هذه الخيام ، فأخذنا قبسًا ، واحتملنا الحطب والقبس إلى مسكنك فنجعل الحزمتين في بابه ونضرم عليه النار ، فإن خرجت الحية احترقت ، وإن لزمت الجحر قتلها الدخان ، فقال له ظالم : هذا نعم الرأي ! فذهبا واحتطبا حزمتين ، ولما جاء الليل انطلق مفوض إلى ظاهر تلك الخيام فأخذ قبسًا ، وعمد ظالم إلى إحدى الحزمتين فأزالها في موضع غيبها فيه ، ثم جر الحزمة الثانية إلى باب مسكن مفوض ، فسده سدًا محكمًا ، وقدر في نفسه أن مفوضًا إذا أتى

الجحر لم يمكنه الدخول إليه لحصانته، فإذا يئس منه ذهب فنظر لنفسه مأوى، وكان ظالم قد رأى في مسكن مفوض طعامًا ادخره لنفسه، فعول ظالم على أن يقتات به إن حاصره مفوض وهو في الداخل، وأذهله الشره والحرص عن فساد هذا الرأي، ثم إن مفوضًا جاء بالقبس فلم يجد ظالمًا ولا وجد الحطب، فظن أن ظالمًا قد حمل الحزمتين تخفيفًا عنه، وأنه سبقه إلى مسكنه الذي فيه الحية إشفاقًا على مفوض، فشق ذلك عليه ورأى أنه من الأفضل أن يبادر إليه ويلحقه؛ ليحمل معه الحطب، فوضع القبس بالقرب من الحطب وهو لم يشعر به لشدة الظلمة، ولم يشعر أيضًا أن باب الجحر مسدودًا بالحطب، فما بعد عن الباب إلا قليلًا حتى لحقه الدخان وظهر ضوء النار، فعاد وتأمل الباب، فرأى الحطب قد صار نارًا، فعلم مكيدة ظالم، ورآه قد احترق داخل الجحر، وحاق به مكره. فقال متمثلًا: هذا الباحث عن حتفه بظلفه.

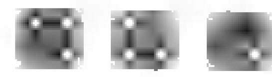
ثم إن مفوضًا صبر حتى انطفأت النار، فدخل جحره وأخرج جثة ظالم، فألقاها بعيدًا واستوطن جحره آمنًا.

فهذا المثل ضربته لك لأنه ملائم لفعل عمرو بن سعيد في بغيه ومخادعته لعبد الملك وحيلته عليه في أخذ مملكته، فلما سمع عبد الملك حكمة الشيخ في ضرب الأمثال سُرَّ بذلك سرورًا عظيمًا، ثم أقبل على الشيخ فقال: جُزيت عني خيرًا، وإني أريد أن تجعل بيني وبينك موعدًا وتعرفني بمكانك لألقاك بعد اليوم، فقال الشيخ: وما تريد مني؟ فقال له عبد الملك: أريد مكافأتك، فقال الشيخ: إني أعطيت الله عهدًا ألا أقبل منة بخيل. فقال عبد الملك: ومن أين علمت أنني بخيل؟ فقال: لأنك أخرت صلتي مع القدرة فما عليك لو وصلتني ببعض ما عليك. فقال عبد الملك: أقسم بالله لقد ذهلت، ثم نزع سيفه وقال له: اقبل مني هذا واحرص عليه فقيمته عشرون ألف درهم. فقال الشيخ: إني لا أقبل صلة ذاهل فدعني وربي الذي لا يذهل ولا يبخل فهو حسبي.

فلما سمع عبد الملك كلام الشيخ عظم في عينه وعلم فضله في دينه ، وقال له : أنا عبد الملك فارفع حوائجك إليَّ . فقال الشيخ : وأنا أيضًا عبد الملك ، فهلم نرفع حوائجنا إلى من أنا وأنت عبدان له . فبكى عبد الملك وانصرف وعمل برأي الشيخ ، فأنجح اللّٰه قصده وانتصر على أعدائه .

فلما سمع الوليد ما أخبره به الكهل استرجع عقله واستظرف أدبه ، واستحسن محاضرته ، وسأله عن نفسه ، فتسمى له ، فلم يعرفه ، وانتسب فلم يعرفه الوليد واستحى . وقال له : من جهل مثلك في رعيته ضاع ، فقال له الكهل : يا أمير المؤمنين إن الملوك لا تعرف إلا من تعرف إليها ولزم أبوابها ، فقال له الوليد : صدقت ، ثم أمر له بصلة وعهد إليه بملازمته ، فكان يتمتع من أدبه وحكمته حتى صار من الوليد ما هو مشهور .

وهكذا يصرع اللّٰه الظالم الباغي ، ويرد كيده في نحره ، وهكذا ينتقم منه ، وهكذا يأخذه أخذ عزيز مقتدر .



من أدب الدنيا والدين[1]

[١]

كيف تقرأ هذه الكلمات!

كثيرًا ما نسمع بعض من يقومون بتقديم أحاديث دينية وغيره، وبعض المذيعين في إذاعتنا وغيرها، يقرأون الكلمات التالية على غير وجه صحيح:

الغيرة على المرأة، القصص، جمع قصة. أخيرًا وليس آخرًا. فيقرأون الغيرة بكسر الغين، وهو خطأ؛ لأن الغيرة بكسر الغين: الميرة وتغير المعدة إذا امتلأت وتوخمت. أما الغيرة على الأهل فتقرأ بفتح الغين، قال الإمام العلامة أحمد بن فارس في كتابه «مقاييس اللغة»[2] جزء ٤- ص٤٠٣ و ٤٠٤: الغين والياء والراء أصلان صميمان، يدل أحدهما على صلاح وإصلاح ومنفعة، والآخر على اختلاف شيئين، فالأول: الغيرة بكسر الغين هي: الميرة وبها صلاح العيال، يقال: غرت أهلي غيرة، بكسرهما، أي مرتهم.

ثم قال: ومن هذا الباب الغيرة بفتح الغين: غيرة الرجل على[3] أهله، تقول: غرت على أهلي غيرة بالفتح.

هذي هي الأولى من الكلمات، أما الثانية فهي القصص جمع قصة يقرأونها بفتح القاف، وهو خطأ على اللغة، والصواب أن تقرأ بكسر القاف، إلا إذا قصد بها التلاوة، قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف: الآية ٣]. أي: نتلو عليك أحسن التلاوة.

﴿بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [يوسف: الآية ٣]، والقصص إما أن يكون مشتقًا من النبأ والإخبار، والمعنى على

---

(١) الندوة- العدد ١٤- الثلاثاء ٢٠ جمادى الأولى ١٣٨٣هـ.

(٢) مقاييس اللغة ٤/ ٣٢٤.

(٣) مكررة في الأصل.

هذا الوجه : نحن نخبرك بأحسن خبر . وإما أن يكون مشتقًا من الاقتصاص ، وهو تتبع الأثر ، والمعنى : نحن ننزل عليك سورة على أثر سورة .

قال الزمخشري : واشتقاق القصص من الاقتصاص ؛ ذلك أنه اقتص على أبدع طريقة وأعجب أسلوب ، وإنما كان أحسنه لما يتضمن من العير والنكت والحكم والعجائب التي ليست في غيره من الكتب المنزلة ، كما يقال : تلا القرآن ، إذا قرأه ؛ لأنه يتلو ما حفظ أية بعد آية . وعلى هذا فكأنه يرجح أنه مشتق من الاقتصاص ، ووجه الخطأ في اللفظ : هو أن فعلة- بكسر الفاء وسكون العين- لا تجمع على فعل- بفتح الفاء والعين- وإنما تجمع على فعل- بكسر الفاء وفتح العين .

الثالثة : أخيرًا وليس آخرًا . هكذا يقرأونها ، وهو خطأ ؛ لأن الآخر هو ما بعد الأول ، والأخير هو ما بعد الآخر . وإذن فالصواب أن يقال : وآخرًا وليس أخيرًا . لأن الأخير ليس بعده شيء ، فلا يجوز أن يقدم على الآخر .

ما معنى هذه الكلمة :

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ [النّحل: الآية ٤٧]

خطب عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه يومًا وقال : إني لا أعرف معنى هذه الكلمة في القرآن ، هي قوله تعالى : ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ [النّحل: الآية ٤٧] فقام رجل وقال : يا أمير المؤمنين ، هو التنقص ، أما سمعت الشاعر الهذلي حيث يقول :

تخوف الرحل منها كافحًا قردًا كما تخوف عود النبعة السفن[(١)]

أي : تنقص سنام هذه الناقة من الرحل الشديد الصلب ؛ لأنه كان ممتلأً شحمًا ولحمًا ، كما تنقص عود النبعة السفن ، أي : كما تنقص العود من الفأس أو القدوم . والمعنى : أن اللَّه تعالى ، قد يأخذ بعض الأمم على تنقص ، أي :

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٣٦/١٤ بدون ذكر الشعر . وانظر تفسير الرازي ٢٠/ ٣٢، وتفسير القرطبي ١٢/ ٣٣٢. وعندهما : « تامكًا » بدل : « كافحًا » .

بالنقص حتى يهلكوا جميعًا .

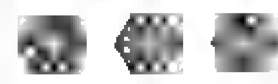
ومعنى البيت أن سنام الناقة أخذ من الرحل حتى أضعفه ، وكاد يقضي عليه ، كما أن عود النبع أخذ من القدوم حتى أضعفه وكاد يحطمه .

هل الجنة ثمن للعمل

يقول اللَّه تعالى : ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: الآية ٣٢] .

ويقول الرسول ﷺ : « لا يدخل الجنة أحد بعمله » . قالوا : ولا أنت يا رسول اللَّه ؟ قال : « ولا أنا ، إلا أن يتغمدني اللَّه برحمته »(١) . وإذا تأملنا الآية والحديث ، وجدنا بينها(٢) تفاوتًا كبيرًا ، فما هو الجمع بينها(٣) .

يقول الشيخ تقي الدين(٤) : إن الباء في الآية سببية ، أي : بسبب عملكم . لا أن الجنة ثمن للعمل ، أو أن العمل ثمن لها ، وإنما تدخلونها برحمة اللَّه أولًا ، وبسبب عملكم الصالح ثانيًا .



---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٧٣، ٦٤٦٣) ، ومسلم (٢٨١٦) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه .

(٢) كذا بالأصل ، ولعلها : « بينهما » .

(٣) كذا بالأصل ، ولعلها : « بينهما » .

(٤) جامع الرسائل لابن تيمية ١/ ١٤٥.

من أدب الدنيا والدين[١]

[٢]

مسح رأس اليتيم

داو قساوة قلبك عند الموعظة ، كما تداوي عسر هضمك عند الأكل ؛ فإذا لم ينفعك ذلك ، فامسح رأس يتيم ، فقد شكى للنبي ﷺ أحد الصحابة قسوة قلبه . فقال : « امسح رأس يتيم ، يلن قلبك »[٢] .

«الحدث بعد آخر سجدة»

قال أبو داود الطيالسي في « مسنده »[٣] : حدثنا عبد اللّٰه بن المبارك ، حدثنا عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي ، عن عبد الرحمن بن رافع ، عن عبد اللّٰه بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال : « إذا رفع رأسه من السجود ، ثم أحدث ، فقد تمت صلاته » . قال في « التقريب »[٤] : عبد الرحمن بن أنعم الإفريقي ، ضعيف في حفظه ، وعبد الرحمن بن رافع ، ضعيف في نقله .

« عملك »

يقول قيس بن عاصم : وفدت على النبي ﷺ ، ولما دخلت عليه قلت : يا نبي اللّٰه ، عظنا موعظة ننتفع بها ، فقال رسول اللّٰه ﷺ : « يا قيس ، إن من العز ذلًا ، وإن من الحياة موتًا ، وإن من الدنيا آخرة ، وإن لكل شيء رقيبًا ، وعلى كل شيء حسيبًا ، وإن لكل أجل كتابًا ، وإنه لا بد لك يا قيس من قرين يدفن معك

---

(١) صحيفة الندوة في ١٣٨٣/٧/٧هـ .

(٢) أخرجه أحمد ٢١/١٣ (٢٥٧٦) من حديث أبي هريرة رضي اللّٰه عنه . وانظر السلسلة الصحيحة (٨٥٤) .

(٣) الطيالسي (٢٣٦٦) . وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (٩٥) .

(٤) تقريب التهذيب ٢/ ٣٤٠.

وتدفن معه ، وأنت ميت ، فإن كان كريمًا أكرمك ، وإن كان لئيمًا أسلمك ، ثم لا تحشر إلا معه ، ولا تسأل إلا عنه ، فلا تجعله إلا صالحًا ، فإنه إن صلح أنست به ، وإن فسد لا تستوحش إلا منه ، وهو عملك »(١) .

ولد في جوف الكعبة

حكيم بن حزام بن خويلد الأسدي القرشي ، ابن أخي خديجة أم المؤمنين رضي اللَّه عنها . اشترى زيد بن حارثة ، فوهبه لها ، ووهبته للنبي ﷺ . أعتق مائة عبد في الجاهلية ، ومائة عبد في الإسلام . وقال له النبي ﷺ : « أسلمت على ما أسلفت من خير »(٢) . ولد رضي اللَّه عنه في جوف الكعبة ، وهو أول من أسرج المطاف . عاش مائة وعشرين سنة ؛ ستين في الجاهلية ، وستين في الإسلام .

لماذا جمعت « نعبد »

يقول اللَّه تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفَاتِحَة: الآية ٥] بصيغة للجمع ، وقد يكون المصلي واحدًا ، فلماذا ؟ ذكر كثير من المفسرين ، ومنهم الفخر الرازي : أن الشرع جاء بقبول البيع المعيب كله ، أو رده كله ، ولما كان المصلي قد يأت بصلاة معيبة ، فإذا قال : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفَاتِحَة: الآية ٥] فمعناه : أنا ومن صلى قبلي من عبادك الصالحين ، وحيث إن الرب جل جلاله قد يقبل الصلاة المعيبة بجانب صلاة السابقين الأولين ، فإن المصلي يقول : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفَاتِحَة: الآية ٥] . أي : أنا واحد ممن عبدوك من الصالحين من السلف إلى اليوم ، فاقبل صلاتي المعيبة بجانب صلاتهم الصحيحة ، وأنت المتفضل بالقبول .



(١) أخرجه ابن دريد في أماليه- كما في الإصابة ٥/ ٢٨٧. وسنده لا يصح .

(٢) أخرجه مسلم (١٢٣) من حديث حكيم بن حزام رضي اللَّه عنه .

من أدب الدنيا والدين[1]

[٣]

قبائل النصارى ودياناتهم

الأولى : اليعقوبية . والثانية : الملكية . والثالثة : الأريوسية . والرابعة : النسطورية . وقد تغيرت هذه الأسماء بأسماء جديدة ؛ وهي الأولى : الكاثوليك ، وهم أهل روما . والثانية : الأرثوذكس ، وهم القبط والحبشة اليونان . والثالثة : بروتستنت ، وهم مذهب جديد لألمانيا وفرنسا وانكلترا وأمريكا ، والرابعة : المارونية ، وهم طائفة بالشام ولبنان[2] .

« إنا لا نقبل زبد مشرك »

أهديت إلى النبي ﷺ هدية فقال لصاحبها : « أسلم أنت » ؟

قال : لا . قال النبي ﷺ : « إنا لا نقبل زبد مشرك »[3] . قال في « النهاية » . الزبد ، بالفتح والسكون : هو الرفد والعطية ، وبالضم : ما يستخرج من اللبن ، وكذا في « المصباح »[4] .

كيف أصبحت ؟

قال الإمام أبو بكر أحمد بن الحجاج المروذي : دخلت يومًا على أحمد بن حنبل فقلت له : كيف أصبحت ؟ فقال : كيف أصبح من ربه يطالبه بأداء السنة ، والملكان يطالبانه بتصحيح العمل ، ونفسه تطالبه بهواها ، وإبليس يطالبه

---

(١) صحيفة الندوة– العدد (١٤٦٥) الاثنين ٩ رجب ١٣٨٣هـ .

(٢) في الأصل : « البنان » .

(٣) أخرجه أحمد ٢٩/٢٩ (١٧٤٨٢) من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي اللّٰه عنه . وصححه الألباني في الصحيحة تحت حدث (١٧٠٧) .

(٤) في الأصل : « الصباح » وانظر « النهاية » ٢/ ٢٩٣، « والمصباح » (الزبد) .

بالفحشاء، وملك الموت يطالبه بقبض روحه، وعياله يطالبونه بنفقتهم[1]!

لا علم بدون حفظ

إذا لم تكن حافظًا واعيًا ، فعلمك في البيت لا يتسع، وتحضر بالجهل في مجلس، وعلمك في الكتب مستودع، ومن يك في دهره هكذا، يكن دهره القهقري يرجع.

أنينك طول الطويل

يقول ابن الجوزي في كتابه « صيد الخاطر »: كان أحد الفضلاء فقيرًا في شبابه، فلما شاخ وبلغ الثمانين، ملك أموالًا، واشترى غلمانًا وجواري من بنات الروم ، فأردن منه ما تريد الجواري من سيدهن، فقال يصف حالته معهن:

ما كنت أرجوه إذ كنت ابن عشرينا ... ملكته بعد أن جاوزت سبعينًا
تطوف بي من الأتراك أغزلة[2] ... مثل الغصون على كثبان يبرينا
وخرد من بنات الروم رائعة ... يحكين بالحسن حور الجنة العينا
يغمزنني بأساريع منعمة ... تكاد تعقد من أطرافها لينا
يردن إحياء ميت لا حراك به ... وكيف يحيين ميتًا صار مدفونا
قالوا أنينك طول الليل يسهرنا ... فما الذي تشتكي؟ قلت الثمانينا

« بيد » تأتي لمعان

يقول النبي ﷺ لما ذكر اليهود والنصارى، بأنهم سبقونا بالزمن: « بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا »[3]. فبيد بمعنى: على أنهم. وبمعنى: لكن. وبمعنى: من أجل. والاستثناء من تأكيد المدح بما يشعر الذم، فإن كوننا من بعدهم، فيه معنى النسخ لكتابهم، والناسخ هو الأفضل.

---

(١) طبقات الحنابلة ١/٥٦.
(٢) في الأصل: « أغزالة » والمثبت من « صيد الخاطر » ص ٧٢.
(٣) أخرجه البخاري (٨٧٦)، ومسلم (٨٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

« آية نسخ أولها وآخرها وأحكم وسطها »

يقول اللَّه تعالى : ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: الآية ١٩٩] .

يقول السيوطي : هذه الآية من عجيب المنسوخ ؛ لأن أولها منسوخ وآخرها منسوخ ، ووسطها محكم . فأولها وآخرها نسخا بآية السيف ، ويشبهها قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المَائدة: الآية ١٠٥] نسخ آخرها وأولها ؛ لأن الهداية لا تكون إلا بالأمر والنهي .

« مما قرأت »

التفكير الذي ينبعث من تصور الإنسان ، كإنسان ، هو تفكير عالمي ، والتفكير الذي ينبعث من تصور الإنسان مخلوق محلي ، هو تفكير محلي ، قد لا يصلح في بيئة أخرى .

« التربية الصحيحة »

اسلك في تربية ولدك طريق الترغيب قبل الترهيب ، والموعظة قبل التأنيب ، والتأنيب قبل الضرب ، وآخر الدواء الكي ، وكثيرًا ما تظهر نتائج فساد التربية في تدليل الأولاد وإعطائهم كل ما يطلبون ، فكن وسطًا ؛ لا تسرف في إعطائهم ، ولا تقس في منعهم .

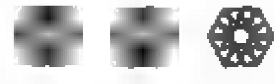
الوجه يتكلم

كم سألت عن الحق بنعمه متكلم عنه بوجهه وجوارحه ، وقد كان الأعرابي يرى رسول اللَّه ﷺ أول ما يراه ، فما يلبث أن يعلن إسلامه ، وهو يقول : أشهد أن هذا الوجه ليس بوجه كذاب[١] .

(١) أخرجه أحمد ٢٠١/٣٩ (٢٣٧٨٤) ، وابن ماجه (١٣٣٤، ٣٢٥١) ، والترمذي (٢٤٨٥) من حديث عبد اللَّه بن سلام رضي اللَّه عنه . وصححه الألباني .

من الابتلاء

من الابتلاء، العلم الناقص، إذ هو أشد خطرًا من الجهل البسيط؛ لأن الجاهل إذا قيض اللَّه له من يرشده من العلماء، أطاعه ولم يتفلسف عليه، فأما صاحب العلم الناقص، فهو لا يدري ولا يقتنع بأنه لا يدري، وكما قيل: ابتلاؤكم بمجنون، خير من ابتلائكم بنصف مجنون. أقول: ابتلاؤكم بجاهل خير من ابتلائكم بشبه عالم.



من أدب الدنيا والدين[١]

[٤]

احرص على ثلاثة

احرص على صحبة ثلاثة : عالم متخلق بأخلاق النبوة . وحكيم بيضت شعره ليالي التجربة . وشهم له من مروءته ما يحمله على نصحك إذا أخطأت ، وإقالتك إذا عثرت ، وجبرك إذا انكسرت ، والدفاع عنك إذا غبت ، والإكرام لك إذا حضرت .

المتمسكون بالحق

قد يستفيد الحق من المتمسحين به من ذوي المطامع ، فلا ضير إذن على الحق أن يستعين بهم إذا احتاج إليهم ، ألا ترى أن الصدقات جعل منها للمؤلفة قلوبهم ؟ .

كيف تعيش مع الناس

عش في حياتك كعابر سبيل يترك وراءه أثرًا جميلًا ، وعش مع الناس كمحتاج يتواضع لهم ، وكمستغن يحسن إليهم ، وكمسؤول يدافع عنهم ، وكطبيب يشفق عليهم . ولا تعامل الناس على أنهم ملائكة فتعيش مغفلًا ، ولا تعاملهم على أنهم شياطين فتعيش مثلهم ، ولكن عاملهم على أن فيهم بعض أخلاق الملائكة وكثيرًا من أخلاق الشياطين ، وقد قيل : احترسوا من الناس بسوء الظن . وقيل : التمس لأخيك عذرًا .

العقل والقلب

العقل المنير يحل المشكلات ، والنفس الصافية تترفع عن السخافات ، والخلق الحسن يخفف من آثار العداوات ، والقلب المؤمن بالله يبتسم عند الأزمات ، والقلب العارف بالله يحوم في آفاق السماوات .

---

(١) صحيفة الندوة العدد (١٤٧٢) في ١٣٨٣/٧/١٧هـ .

أعصابك !

عامل القدر بالرضا ، وعامل الناس بالحذر ، وعامل أهلك باللين ، وعامل إخوانك بالتسامح ، وعامل الدهر بانتظار تقلباته ؛ تسلم أعصابك من التلف والانهيار .

الزوجات حظوظ

يقولون : إن الزوج المحظوظ هو الذي يكون مع زوجته لا دائنًا ولا مدينًا .

والزوجات حظوظ الأزواج ، ومهما حاول الزوج حسن الاختيار ، فإن حظه في زوجته من صنع الأقدار ، وإذًا فالسعادة الزوجية لا تتم إلا بأن تفهم زوجتك وتفهمك زوجتك ، وتتحملها وتتحملك ، فإن لم تفهمك فافهمها ، وإن لم تتحملك فتحملها ، وإذا ساءتك بأشياء وسرتك بأشياء فلست بمغبون ، واجعل الإساءة مقابل المسرة .

الشكر يجلب النعم

قال إسحاق بن إبراهيم : وقفت علينا امرأة فقالت : يا قوم ، تغير علينا الدهر إذ قل منا الشكر ، وفارقنا الغنى وحالفنا الفقر ، فرحم اللّٰه امرءًا فهم بعقل ، وأعطى من فضل ، وواسى من كفاف ، وأعان على عفاف .

زينة الزوجات

نِصفُ أموالنا وثرواتنا تذهب لزينة زوجاتنا ، ثم إلى جيوب أعدائنا ! فما المخرج ؟ المخرج هو أن لا تحرمها كل ما تتطلب فتتمرد عليك ، ولا تعطيها كل ما تطلب فتطمع فيك وتستعصي عليك ، ولكن احرمها حين يكون الحرمان تأديبًا ، وأعطها حين يكون العطاء ترغيبًا .

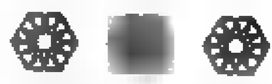
القرآن شفاء للصدور

يقول اللّٰه تعالى : ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾ [الإسراء: الآية ٨٢] ، يفسر بعضهم هذه الآية بأنها خاصة للصدور والقلوب . وهذا التفسير عكس ما فهمه

الصحابة رضي اللَّه عنهم من الآية ، فقد ورد في حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه : أنهم استضافوا أناسًا من العرب فمنعوهم الضيافة ، ولم يمض إلا وقت قصير من الليل حتى لدغ سيد القبيلة ، فأتوا إلى الصحابة يطلبون راقيًا يقرأ على اللدغة ، فقال لهم الصحابة رضي اللَّه عنهم : إنكم منعتمونا الضيافة ، ولا نرقي صاحبكم إلا بجعل . فاتفقوا على قطيع من الغنم يدفعونه لهم ، فقام أبو سعيد الخدري رضي اللَّه عنه ، ورقى على اللديغ بالفاتحة ، أي : قرأ عليه الفاتحة ، فقام كأنما نشط في عقال(١) . وهكذا ، فالقرآن عام للأبدان والصدور .

عمر بن الخطاب مع ابنه

رأى عمر رضي اللَّه عنه ولدًا له يوم عيد وعليه قميص خلق فبكى ! فقال : ما يبكيك يا أبي ؟ فقال : أخشى أن ينكسر قلبك في العيد إذا رآك الصبيان بهذا القميص الخلق ، فقال : إنما ينكسر قلب من حرمه اللَّه رضاه ، أو عق أمه وأباه ، أرجو أن يكون اللَّه راضيًا عني برضاك ، فبكى عمر رضي اللَّه عنه ، وضمه إلى صدره ، ودعا له بالصلاح والرشاد .



(١) أخرجه البخاري (٢٢٧٦، ٥٧٤٩)، ومسلم (٢٢٠١).

من أدب الدنيا والدين[1]

[٥]

من هو مؤلف «لسان العرب»؟

هو الشيخ جمال الدين أبو الفضل محمد بن المكرم الأنصاري الإفريقي المصري، جمع في كتابه «لسان العرب» بين «التهذيب»، و«المحكم»، و«الصحاح» وحواشيه، و«النهاية».

ولد في شهر محرم سنة ثلاثين وستمائة، وسمع من ابن المقير وغيره، وحدث، واختصر كثيرًا من كتب الأدب المطولة «كالأغاني» و«العقد الفريد»، ويقال: إن مختصراته تبلغ خمسمائة مجلد، وخدم في ديوان الإنشاء مدة عمره، وكان صدرًا رئيسًا فاضلًا في الأدب، مليح الإنشاء، روى عنه السبكي والذهبي، وكان يحب آل البيت، مات في شعبان سنة إحدى عشرة وسبعمائة.

مقام إبراهيم له عجل

ذكر بعض المؤرخين أن أحد أشراف مكة صنع تابوتًا صغيرًا لمقام إبراهيم عليه السلام، وجعل له عجلًا، فإذا جاء الحج وازدحم الناس أزاحوه إلى آخر المطاف، وإذا انتهى الحج ردوه إلى مكانه. قلت: يظهر أن هذا قبل القرن الثامن؛ لأن فرج بن برقوق أحد ملوك الجراكسة هو الذي بنى المقامات كلها حتى مقام إبراهيم، وهي البناية الموجودة الآن، وذلك عام ٨٧٩.

قريش اشتهرت بالتجارة في الجاهلية والإسلام

ذكر أبو عمر ابن عبد البر في «بهجة المجالس»[2] أن عبد الملك بن مروان

(١) صحيفة الندوة في ١٣٨٣/٨/٢هـ.

(٢) «بهجة المجالس وأنس المجالس» ص ٢٠.

قال يومًا لبنيه : يا بني ، لو عداكم ما أنتم فيه ما كنتم تعولون عليه ؟

قال الوليد : أما أنا ففارس حرب ، وقال سفيان : أما أنا فكاتب سلطان .

فقال ليزيد : فأنت ؟ فقال : واللَّه يا أمير المؤمنين ، ما تركا حظًا لمختار .

فقال عبد الملك : فأين أنتم يا بني من التجارة التي هي أصلكم ونسبكم ؟ قالوا : تلك صناعة لا يفارقها ذل الرغبة والرهبة ، ولا ينجو صاحبها من الدخول في جملة الدهماء والرعية .. فقال : فعليكم إذًا بطلب الأدب ، فإن كنتم ملوكًا سدتم ، وإن كنتم وسطًا رأستم ، وإن أعوزتكم المعيشة عشتم .

متى تقبل الموعظة ؟

مواعظ الواعظ لن تقبلا حتى يعيها قلبه أولًا
يا قوم من أظلم من واعظ خالف ما قاله في الملا

حق المسلم على المسلم

للمسلم على المسلم أن يستر عورته ، ويغفر زلته ، ويرحم عبرته ، ويقيل عثرته ، ويقبل معذرته ، ويرد غيبته ، ويديم نصيحته ، ويحفظ خلته ، ويرعى ذمته ، ويجيب دعوته ، ويقبل هديته ، ويكافئ صلته ، ويشكر نعمته ، ويحسن نصرته ، ويقضي حاجته ، ويشفع مسألته ، ويشمت عطسته ، ويرد ضالته ، ويواليه ولا يعاديه ، وينصره على ظالمه ، ويكفه عن ظلم غيره ، ولا يسلمه ، ولا يخذله ، ويحب له ما يحب لنفسه .



حول عمارة مسجد الراية[١]

نشرت جريدة «الندوة» بيانًا لمديرية الأوقاف العامة بشأن مسجد الراية؛ جاء فيه: أن مديرية الأوقاف تزمع عمارة مسجد الراية على حساب سمو ولي العهد المعظم؛ لكون هذا المسجد مقدسًا وأثريًّا، فقد صلى فيه النبي ﷺ، كما في الأزرقي، وأنه الواقع بسوق المعلَّا.. إلخ.

والكلمة بحد ذاتها لا اعتراض لنا عليها، إلا في المسائل التاريخية، فالمسجد الذي تزمع مديرية الأوقاف عمارته كما وصفته، وهو أنه بالمعلَّا أمام الحلقة ليس هو مسجد الراية الأثري الحقيقي، فإن هذا المسجد، أي: الذي بالمعلَّا سمي مسجد الراية حديثًا من عنديات العامة، لا يقوم على أساس من صحة هذه التسمية.

وأما مسجد الراية المعروف عند المؤرخين والمشهور في كتب السير والمغازي هو الذي أمام قصر النيابة، وقد تمت عمارته على حساب سمو الأمير فيصل على شكل مدور.

وسبب تسميته بذلك هو: أن الزبير بن العوام ركز الراية فيه عام الفتح، وصلاة النبي ﷺ فيه لم تثبت، وحتى الأزرقي ساقها بصيغة التمريض، فقال (جزء ٢ ص١٦٢)[٢]: ومسجد بأعلى مكة عند الردم عند بئر جبير بن مطعم يقال: إن النبي ﷺ صلى فيه، وقد بناه عبد اللّٰه بن عبيد اللّٰه بن العباس بن محمد بن علي بن عبد اللّٰه بن عباس، وبنى عنده جنبذًا يسقى فيه الماء. اهـ.

قال المحشي: يسمى مسجد الراية؛ لأن النبي ﷺ ركز الراية في هذا الموضع يوم الفتح، وكذلك غالب[٣] العلماء يرون أن تسميته بهذا الاسم هو أن

(١) صحيفة الندوة في ١٢/١١/١٣٧٨هـ.

(٢) أخبار مكة ٢/١٩٣.

(٣) في الأصل: «غالبت».

الراية ركزت فيه .

إذن أصبح المسجد الذي تزمع مديرية الأوقاف على عمارته هو بيت من بيوت اللّه ، ومسجد من سائر مساجد مكة ، ويؤجر من بناه أو تسبب في بنايته ؛ فقد قال ﷺ : « من بنى للّه مسجدًا ولو كمفحص قطاة ، بنى اللّه له بيتًا في الجنة »[1] .

على أن المهم لدى المسلمين هو قبول صلاتهم حتى ولو في المساجد العادية ؛ إذ من ردت صلاته لا يفيده تقديس المسجد حتى ولو كان تحت الكعبة .



(١) أخرجه أحمد ٥٤/٤ (٢١٥٧) من حديث ابن عباس رضي اللّه عنهما ، وأخرجه ابن حبان (١٦١٠، ١٦١١) من حديث أبي ذر رضي اللّه عنه . وصححه الألباني في تمام المنة ص ٢٨٩. وأخرجه مسلم (٥٣٣) من حديث عثمان ، بنحوه .

موجز من حياة الشيخ عبد اللّٰه بن حسن آل الشيخ[١]

سبق أن كتب الأساتذة الفضلاء الإخوان : أحمد غزاوي ، وعبد اللّٰه خياط ، وأحمد عبد الغفور عطار ، وعبد الرحمن بن عبد اللطيف ، ومحمد قبوري في رثاء الشيخ وتأبينه ، وذكروا بعض مواقفه في هذه البلاد مع النزاهة والإخلاص فيما تولى من الأعمال . فجزاهم اللّٰه خيرًا على مواساتهم في تخفيف مصاب أولاده وذويه ، وشكر اللّٰه لهم هذا الصنيع .

وحيث إنهم لم يتعرضوا لترجمة حياة شيخنا ووالدنا ، أحببت أن أوضح بعض ما عرفته عنه لصلتي الوثيقة به ، فأقول :

هو الإمام العلامة ، شيخ العلم والعمل ، ورجل الزهد والورع ، الشيخ : عبد اللّٰه بن حسن بن حسين بن علي بن حسين بن شيخ الإسلام ، وعلم الهداة الأعلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب إمام هذه الدعوة ، والمجدد لطريقة السلف الصالح ، رحمه اللّٰه .

ولد شيخنا عبد اللّٰه في مدينة الرياض ، صبيحة الثاني عشر من شهر محرم عام ١٢٨٧هـ ، فتربى في رعاية والده الشيخ حسن بن حسين ، ونشأ نشأة صالحة مباركة ، فقرأ القرآن على والده ، وحفظه وعمره تسع سنين ، ثم أعاد قراءته حفظًا مع التجويد مع المقرئ الشيخ علي بن داود من أهالي الدرعية ، وكان الشيخ علي بن داود قد أخذ القرآن والتجويد على الشيخ الإمام عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ . وكان الشيخ عبد اللطيف قرأ القرآن والتجويد والقراءات على علماء الأزهر بمصر .

وكان شيخنا رحمه اللّٰه ، حَسن التلاوة ، مع الضبط والإتقان ، ومع ما وهبه اللّٰه من حُسن الصوت ، فلا يكاد يسمع جليسه تلاوته حتى يمسك ويستمع ،

---

(١) صحيفة الندوة - الثلاثاء - ١٣٧٨/٨/١هـ .

فقد أعطاه اللَّه حلاوة الصوت ، وعذوبة اللفظ ، وجمال النطق بالقرآن ، مع اتباع الحروف بدون كلفة أو مشقة .

وقرأ النحو على الشيخ محمد بن فارس ، وقرأ الفرائض على الشيخ عبد اللَّه بن راشد ، وقرأ الفقه وأصوله على الفقيه المشهور محمد بن محمود ، وقرأ التوحيد والعقائد على الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن والشيخ عبد اللَّه بن عبد اللطيف ، وكان إذ ذاك يتردد على الشيخ الإمام سعد بن حمد بن عتيق ، ثم لازمه فقرأ عليه الفقه فأكثر ، وقرأ عليه الحديث ومصطلحه وأسماء الرجال ، والتفسير وأصوله ، ولديه - كما حدثني - إجازة من الشيخ سعد في مروياته في الحديث ؛ كالأمهات الست ، والموطأ وشروحه ، والمسانيد ، والمعاجم ، وفي التفسير ؛ كابن جرير ، وابن كثير ، والبغوي ، والخازن ، والبيضاوي ، والنسفي ، والفخر الرازي ، و« الكشاف » للزمخشري ، و« البحر » لأبي حيَّان ، وغيرها .

وفي السيرة : المغازي ، وشرح الأمهات ، وقد قرأت مروياته جميعها عليه ، ما عدا « غاية المقصود على سنن أبي داود » ، فإني لم أجده عنده ، وذكر أنه رأى فيه بعض الأجزاء عند شيخه سعد بن عتيق قائمًا ، وأن الشرح المذكور - ويبلغ سبعين مجلدًا - اختصره مؤلفه بكتابه : « عون المعبود » ، وهو المطبوع الموجود بأيد الناس ، وكان رحمه اللَّه ، إذا تكلم عن الحديث أورد جميع ما قيل في فقهه ، ويتعرض لغريبه وسنده ، فيتكلم على الرجال ، حتى كأنه معاصر لهم ، كل ذلك يسرده حفظًا ، وكان يقرأ ألفية ابن مالك كل ليلة جمعة حفظًا حتى يختمها .

وكان رحمه اللَّه ، يحب العلم والعلماء ، ويحث على العمل بالعلم ، ويقول : لا ينفع علم بدون عمل ؛ لأن العالم بلا عمل ، شبهه اللَّه بالذي يحمل أسفارًا . وكان يقول : ما هي فائدتنا من العلم إذ لم يكن هو طريقنا إلى اللَّه تعالى ، وإلى مرضاته ، فإن اللَّه قال : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فَاطِر: الآية ٢٨] . والخشية هي الورع ، والتعفف عن المحرمات ؛ خوفًا من اللَّه عز وجل ، فإن من

عرف اللّٰه اشتد خوفه منه، وعظم رجاؤه. وكان يقول: يجب تحسين الظن باللّٰه تعالى، لا سيما عند الموت، ولا يجوز أن يغتر الإنسان بحسن الظن إذا كان معافى، فيقول: أنا أحسن الظن بربي، مع ما هو عليه، من ارتكاب المنهيات؛ لأن اللّٰه قد ينظر إليه، وهو على بعض معاصيه فيمقته. وكان يقول: هذه الدنيا جيفة، ينبغي أن لا تدخل قلب العاقل فتلهيه عن طاعة ربه، أو يدخله الشيطان فيخدعه ويغره بها.

وكان رحمه اللّٰه، لا يحب الثناء الكاذب، ولا الإطراء السذج، ويبغض المتشدق في كلامه، ويعد ذلك نفاقًا، ويقول: ينبغي أن الإنسان يعرف نفسه، فلا يعدو قدره، ولا يغتر بما حاز إليه في الدنيا، بل ينظر إلى مصيره في الآخرة.

وكان يقول: إذا أثنى عليك أحد، فافحص كلامه، وانظر إلى قصده، فلعله يسخر منك، أو له غرض بهذا الثناء، ويقول: جربت كثيرًا من هذا الضرب من الناس، إذا لم توافقه على رأيه، أو تقضي له غرضه، رجع بعد حمده لك إلى ذمك، وقد يصفك بما فيك وما ليس فيك، فهؤلاء يجب الاحتفاظ منهم، وإرشادهم إلى سبيل الخير؛ لعل اللّٰه أن يمنَّ عليهم بالهداية، ولا يجوز الدعاء عليهم؛ لأنهم مبتلون.

وكان يقول: نحن في الفروع نقتدي بالإمام أحمد بن حنبل، وإذا رأينا الحنابلة خالفوا نصًّا صريحًا تبعنا النص، سواء كان يخالف الحنفي أو المالكي أو الشافعي، أو لم يأخذ به أحد؛ لأن اللّٰه تعالى أمرنا بذلك في محكم كتابه، فقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: الآية ٧]. وقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٣١].

أما في الأصول والعقائد، فنحن على مذهب أهل السنة والجماعة، نثبت للّٰه ما أثبته لنفسه، وننفي عنه ما نفى عن نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله، ولا

نشبه ولا نعطل ولا نكيف ...[١] وحسناته وأفعاله، ولنبيه بالرسالة، ووجوب الطاعة والاتباع، ونترضى عن الصحابة، ونعترف لهم بالفضل لسابقتهم وصحبتهم خير الخلق ﷺ. ولا نخوض فيما دار بينهم؛ لأن الواجب الكف عن ذلك، كما جاء في الحديث: «وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا»[٢].

ونحب آل بيته؛ لقرابتهم من رسول الله ﷺ، ولأن النبي ﷺ قال: «أوصيكم بأهل بيتي»[٣]. أو كما قال.

وكان رحمه الله، لا يحب ذكر الدنيا في مجالسه، ولا التكلم بأحد من المسلمين، وكان يكثر من الدعاء والاستغفار له وللمسلمين مديمًا على ذلك في كل لحظة، ويقول: إن الدعاء هو سلاح المؤمن، وكم من قبر مظلم على صاحبه إذا جاءه دعوة أخيه نور الله عليه قبره بسببها. وهذا من شدة شفقته ورحمته بالمسلمين، رحمه الله ورضي الله عنه.

حتى إنه كان ملازمًا للملك عبد العزيز رحمه الله، وحضر معه جميع غزواته، وكان هو مفتي الجيوش، وكذلك في الحج، وحضر وقعة عسير مع صاحب السمو الملكي الأمير فيصل، وكان هو وزيره ومستشاره الخاص في تلك الغزوة.

وفي مستهل عام ١٣١٧هـ عُين رئيسًا للقضاة في المملكة العربية السعودية، فشغلها بنصح وإخلاص، وبعد عن كل ما يشينه أو يدنسه.

---

(١) مقدار ثلاث كلمات غير واضحة بالأصل.

(٢) أخرجه الطبراني (١٠٤٤٨)، وابن أبي زمنين في «أصول السنة» (١٨٦)، وأبو نعيم في الإمامة (١٩٩) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وأخرجه الطبراني (١٤٢٧) من حديث ثوبان رضي الله عنه. وصححه الألباني في الصحيحة (٣٤).

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٠٨) من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه بلفظ: «وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكر الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي».

وحدثني رحمه اللّٰه ، أن جميع الصكوك التي ترد على رئاسة القضاء لا بد وأن تؤخذ فيها أصوات العلماء الموجودين في الرئاسة ، بعد الرجوع إلى المراجع الشرعية ، والتثبت منها .

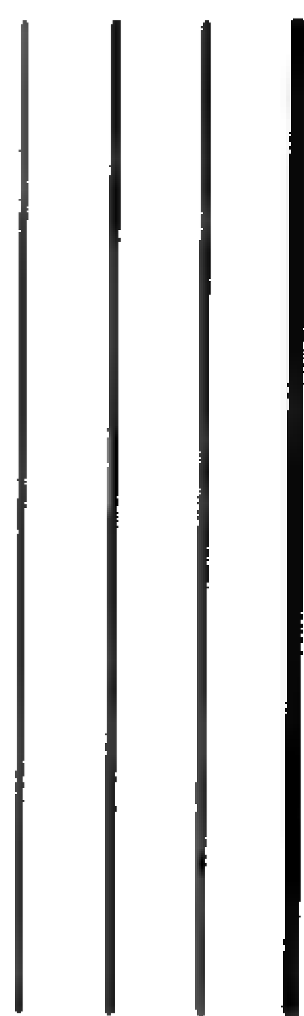
وقال : لا أذكر أنه خرج صك بغير هذا الإجراء ، حتى إنه إذا لم تحصل الأصوات المطلوبة يعاد التصويت على الموافقة على نقضه ، حتى يحصل الاتفاق . فقلت له : أليس هذا تطويلًا[1] ؟ وإنما هو إجراء شرعي ؛ لأننا مسؤولون أمام اللّٰه ، فيجب التثبت فيما نصدره ، واتفاق الأصوات من عشرة من أكابر العلماء أحسن بكثير من صوتين أو ثلاثة .

كان رحمه اللّٰه ، حسن السمت وقورًا مهيبًا ، ذا جلالة وبهاء ، قليل الكلام ، إلا فيما يعنيه ، قليل الاختلاط بالناس إلا إذا دعت ضرورة . وكان يفزع فزع المصاب إذا بلغه منكر ، ويأمر في الحال بإزالته ، لا تأخذه في اللّٰه لومة لائم .

توفي رحمه اللّٰه ، الساعة الرابعة من ليلة الأحد ، الموافق غرة رجب سنة ١٣٧٨هـ عن إحدى وتسعين سنة ، وهي السن التي توفي فيها جده الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، رحمهم اللّٰه ورضي اللّٰه عنهم ، وأسبغ على ضرائحهم سحائب الرحمة .



(١) كذا في الأصل ، ولعل بعدها : « قال : لا » .

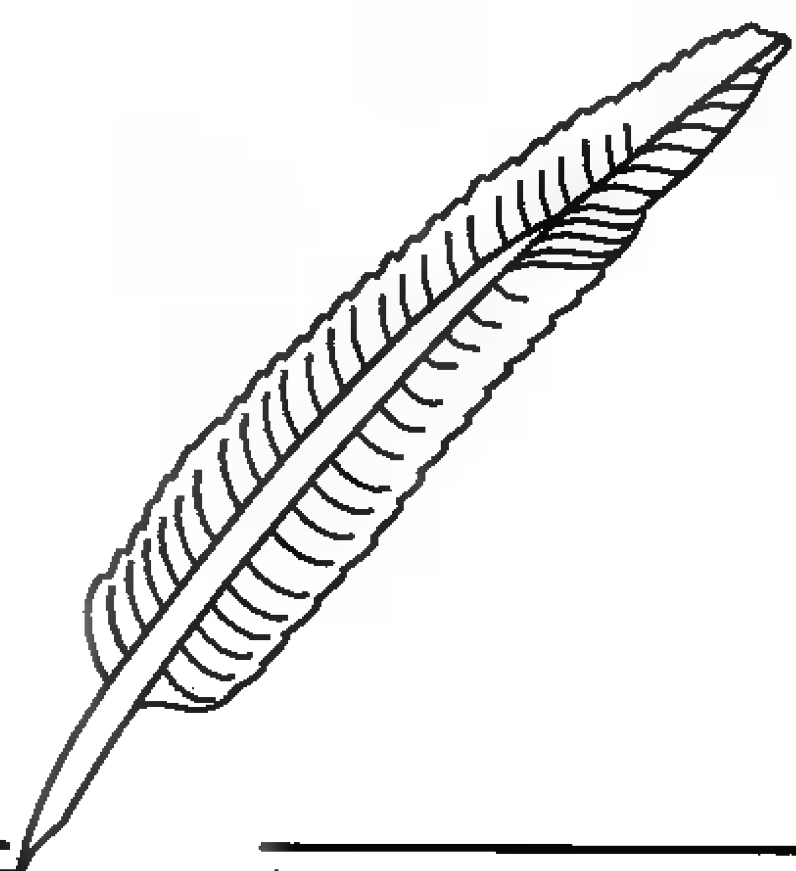


مقالات الشيخ

عبد العزيز بن باز رحمه الله

١٣٣٠هـ - ١٤٢٠هـ





مقالات الشيخ عبد العزيز بن باز[1]

(١) هو سماحة شيخنا الشيخ الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن باز . ولد في الثاني عشر من ذي الحجة سنة ١٣٣٠هـ بمدينة الرياض « وكان بصيرا ثم أصابه مرض الجدري المنتشر في تلك الفترة عام ١٣٤٦هـ وضعف بصره ثم فقده عام ١٣٥٠هـ .
حفظ القرآن الكريم قبل سن البلوغ ، ثم جد في طلب العلم على كثير من العلماء ، ومن أبرزهم : الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ « والشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ « والشيخ سعد بن حمد بن عتيق ، والشيخ حمد بن فارس ، والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، وقد لازم حلقاته نحوا من عشر سنوات وتلقى عنه جميع العلوم الشرعية ابتداء من سنة ١٣٤٧هـ إلى سنة ١٣٥٧هـ . والشيخ سعد وقاص البخاري .
عين في القضاء عام ١٣٥٠هـ ولم ينقطع عن طلب العلم ، ثم انتقل إلى الرياض للتدريس في معهد الرياض العلمي ، ثم في كلية الشريعة بعد إنشائها سنة ١٣٧٣هـ ، إلى أن نقل نائبا لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٣٨١هـ . وقد أسس حلقة للتدريس في الجامع الكبير بالرياض منذ انتقل إليها ، ولازمها كثير من طلبة العلم ، وأثناء وجوده بالمدينة عقد حلقة للتدريس في المسجد النبوي ، وقد نفع الله بهذه الحلقات ، وقد عين رئيسا لإدارات البحوث العلمية والإفتاء ، وعضوا في هيئة كبار العلماء ،ورئيسا للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ،ورئيسا وعضوا للمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي ،ورئيسا للمجلس الأعلى العالمي للمساجد ،ورئيسا للمجمع الفقهي الإسلامي ، وعضوا للمجلس الأعلى للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة .ولم يقتصر نشاطه على ما ذكر فقد كان يلقي المحاضرات ويحضر الندوات العلمية ويعلق عليها .
من طلابه : الشيخ عبد الله الكنهل ، والشيخ راشد بن صالح الخنين ، والشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك ، والشيخ عبد اللطيف بن شديد ، والشيخ عبد الله بن حسن بن قعود ، والشيخ عبد الرحمن بن جلال ، والشيخ صالح بن هليل ، والشيخ صالح بن فوزان الفوزان ، والشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد ، والشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ .
ومن مؤلفاته : « مجموع فتاوى ومقالات متنوعة » ، « الفوائد الجلية في المباحث الفرضية » ، « التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة » ، « التحذير من البدع » « العقيدة الصحيحة وما يضادها » وغيرها .
ويعمر المجالس الخاصة والعامة التي يحضرها بالقراءة والتعليق بالإضافة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أصبح صفة ملازمة له . =

خلاصة الدعوة النبوية(١)

لا ريب أن زبدة رسالة نبينا محمد ﷺ وخلاصة دعوته، تحرير العباد من رق الشرك وعبادة الخلق إلى حرية التوحيد، والإخلاص في عبادة الخالق وحده. وهذا هو دين الرسل كلِّهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: الآية ٣٦]، والمعنى: أن كل رسول يأمر أمته بذلك - يأمرهم بإخلاص العبادة كلها لله وحده، ويحذرهم من عبادة الطاغوت ويأمرهم باجتنابها - والطاغوت: كل ما عبد من دون الله، كفرعون وأمثاله ممن دعا الناس إلى عبادته، وكالأشجار، والأصنام، والكهوف، والأحجار، والقبور المعبودة من دون الله.

فإن كان المعبود ممن لا يرضى بذلك، كالأنبياء والصالحين، فالطاغوت: هو الشيطان الذي دعا إلى عبادته وحببها إلى الناس، وأبرزها لهم في قالب محبة الأنبياء والصالحين، واحترام مقاماتهم، وهذا هو المعنى الذي اتخذت من أجله قريش وأشباهها الآلهة مع الله، وزعموا بذلك أنهم قد اتخذوهم وسائط بينهم وبين الله؛ يقربونهم إليه سبحانه، ويشفعون لهم عنده، فأنكر الله عليهم ذلك وأبطله، وأبان أنه الشرك الذي لا يرضاه لهم، ولا يغفره إلا بالتوبة منه، كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: الآية ١٨]. وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ

= توفي - رحمه الله - في الطائف قبيل فجر يوم الخميس الموافق ١٤٢٠/١/٢٧هـ وصلي عليه في الحرم المكي، رحمه الله رحمة واسعة. انظر ترجمته في «المبتدأ والخبر» (٥/٣).

(١) مجلة اليمامة - العدد ٣ - في صفر ١٣٧٣هـ.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾ [الزمر: ٢، ٣].

فأبان اللَّه سبحانه في هاتين الآيتين الكريمتين هدف الكافرين وغايتهم التي من أجلها اتخذوا الآلهة مع اللَّه ؛ من ملائكة وأنبياء وصالحين وغيرهم ، وهي تقريبهم إياهم إلى اللَّه ، وشفاعتهم لديه سبحانه ، فأكذبهم اللَّه في ذلك وكفرهم به وأبان أنه كفر وشرك بقوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾ [الزُّمَر: الآية ٣] ، وبقوله : ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [يُونس: الآية ١٨] .

وعلم بذلك أن اتخاذ الآلهة مع اللَّه لا يكون سببًا لتقريب متخذيها إلى اللَّه ولا لشفاعتها لهم ، بل ذلك هو غاية الشرك باللَّه الذي يبعدهم منه ، ويوجب لمن اقترفه الخلود في أليم العذاب ، واليأس من المغفرة كما قال تعالى : ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ﴾ [المائدة: الآية ٧٢] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النِّساء: الآية ٤٨] .

وإنما سبب السعادة والنجاة والفوز بنعيم الجنات ؛ هو توحيد اللَّه وحده ، وإفراده بكل عبادة من دعاء ، وخوف ، وتوكل ، ورغبة ، ورهبة ، وذبح ، ونذر ، وغير ذلك من العبادات ، كما قال ﷺ فيما صح عنه : « من لقي اللَّه لا يشرك به شيئًا دخل الجنة ، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار »[(١)] .

فخليق بالعبد الناصح لنفسه أن يلزم الإخلاص للَّه في كل أعماله ؛ وأن يحذر الشرك كله دقيقه وجليله ، وصغيره وكبيره ؛ وأن يوصي أهله وإخوانه المسلمين بذلك ؛ لأن ذلك هو أصل الدين ، وأساس العمل والإصلاح لأعمال العباد وأقوالهم ، ولا نجاة لهم في الآخرة إلا بالإخلاص للَّه ، والمتابعة لرسوله الكريم

(١) أخرجه مسلم (١٥٢/٩٣) من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه .

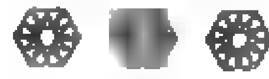
محمد ﷺ ، وهذا هو أول شيء دعا إليه نبينا عليه الصلاة والسلام حين بعثه اللَّه ، فإنه مكث بمكة عشر سنين يدعو الناس إلى أن يقولوا : لا إله إلا اللَّه ، وأن يخلعوا ما كان عليه آباؤهم من عبادة الأصنام والأوثان ، وقد فهم أعداؤه مراده ، وحادوا عن قبول دعوته ، إلا من هداه اللَّه منهم ، كما قال اللَّه تعالى : ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٤، ٥] . وقال تعالى : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٣٥، ٣٦] .

عرف المشركون أن كلمة التوحيد تقتضي إبطال آلهتهم ، وسلبها ما كانوا يخصونها به من العبادة ، وتخصيص ذلك باللَّه وحده ، فحادوا عنها واستكبروا عن النطق بها ؛ لما ألفوه من الشرك ، ولما قام في نفوس الكثير منهم من الكبر والاستنكاف عن اتباع داعي الحق .

أما المشركون اليوم الخاضعون لضرائح الموتى ، فهم يقولون : لا إله إلا اللَّه . ولكنهم لا يعقلون معناها ولا يؤمنون به ، بل ينقضونها ليلًا ونهارًا بندائهم للأموات واستغاثتهم بهم ، وتقربهم إليهم بالذبائح والنذور ، وغير ذلك من أنواع العبادات ، ويسمون ذلك : توسلًا وتشفعًا بالأنبياء والصالحين ! وهو نفس الشرك الذي أنكره اللَّه ورسوله على المشركين الأولين ، وبعث الرسل الكرام من أولهم نوح إلى آخرهم محمد عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام لإنكاره والتحذير منه ، ودعوة الناس إلى أن يخصُّوا اللَّه بالعبادة دون ما سواه ، كما قال اللَّه تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: الآية ٢٥] ، وقال تعالى : ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: الآية ٤٥]

فحقيق بك أيها العاقل أن تفكر في هذا طويلًا ، وأن تحاسب نفسك ، فتحذر ما حرم اللَّه عليك من الشرك ووسائله وذرائعه ، وأن تتوب إلى اللَّه سبحانه مما

سلف من ذلك ، وتنصح من ابتلى بشيء منه ، وتحذره من الإقامة عليه ، وتبين له سوء عاقبته ، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا »[1] . والله ولي التوفيق .



(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

الإسلام قول وعمل وعقيدة(١)

نشرت صحيفة « الندوة » في عددها (١٥٩٠) الصادر في ٨٣/١٢/١٧ تحت عنوان : « هذه الصفحات الإسلامية » بقلم المحرر ما نصه :

« تحرص كل الصحف هنا تقريبًا ، وفي أكثر البلاد الإسلامية على أن تخصص بعض صفحاتها أو بعض أعمدتها للحديث عن الإسلام بين الحين والحين فلماذا ؟! أليس الناس مسلمين يشهدون أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه ولو باللسان ؟! أليسوا يحملون أسماء إسلامية ؟ وتقول شهادات ميلادهم أو حفائظ نفوسهم : إنهم مسلمون ؟ بل وتقول دساتير دولهم كلها تقريبًا : إن دينهم هو الإسلام ؟ فلم إذن يكثر الحديث عن الإسلام ؟! وإلى أي شيء تهدف هذه الصحف أو هذه الصفحات ، أهي للدعوة إلى الصلاة ؟ ما شاء اللَّه ! المساجد مملوءة بالمصلين الذين يتقنون تسوية الصفوف والرد على الإمام : استوينا . أم هي الدعوة إلى الحج مثلًا ؟ إن أكثر المسلمين يتسابقون إلى الحج ، واللَّه أعلم بالنيات . أم هي إلى الزكاة ؟ وكثيرون منهم يؤدون الزكاة طائعين أو مكرهين . إن الإسلام الذي يكثر الناس الحديث عنه يتضمن كل هذه الأركان ، لكنه يتضمنها كقواعد يقوم عليها نظام كامل للحياة ؛ الحياة كلها بكل(٢) ما فيها من نشاط ، وبكل ما فيها من قيم وتصورات(٣) توضح أن الإسلام في صميمه نظام حياة ، نظام يقوم على تصور خاص للحياة بكل ما فيها من قيم ، وعلى أساس هذا التصور الصحيح يقوم نظام الحكم ، ونظام الاقتصاد ، ونظام التربية ، ونظام الأخلاق ، كما تقوم العلاقات الدولية بين الدول المسلمة وسائر الناس ، وعلى

---

(١) صحيفة الندوة في ١٣٨٣/١٢/٢٤هـ .

(٢) سقطت : « كل » من الأصل .

(٣) في الأصل : « وتصويرات » .

هذا التصور وحده يجب أن تسير الدعوة إلى الإسلام، وعلى هذا التصور سنحاول أن تكون هذه الصفحة إن شاء اللّٰه . وإننا ندعو القراء أن يكتبوا إلينا حين يكتبون على هذا الاعتبار وبهذه النظرة »

هذا كله أيها القارئ كلام المحرر في صحيفة الندوة .

وأقول وباللّٰه التوفيق : إنه لأمر غريب وعجب لا ينقضي أن ينبري كاتب ممن يشار إليه في أم القرى ؛ مهبط الوحي ومطلع شمس الرسالة ، فيسمح لقلمه أن يكتب في صحيفة سيارة مقالاً مضمونه : دعوة المسلمين إلى أن يعرضوا عن دينهم فلا ينشروا محاسنه ، ولا يدعوا إليه ، ولا يحذروا من مخالفته !! وأن يتساءل تساؤل المستغرب المستنكر : أليس الناس مسلمين .. إلخ ؟! ويدعو الناس أن يكتفوا من دينهم بمجرد اللفظ فقط ، بل إلى أدنى من ذلك ، وهو الاكتفاء بمجرد الأسماء الإسلامية كمحمد وعبد اللّٰه وعبد الرحمن ونحو ذلك ، وشهادة الميلاد وحفيظة النفوس ! أو ما هو أدنى من ذلك ، وهو الانتساب إلى دولة تزعم أن دستورها الإسلام !

سبحان اللّٰه ! كيف بلغ الجهل بهذا الرجل- أو التجاهل للإسلام- إلى هذا الحد حتى كتب هذه المقالة ؟! مع أنه يعلم نشاط المبشرين في دعوتهم إلى أديانهم الباطلة ، ونشاط الدعاة إلى المذاهب الهدامة ، كالبعثية والاشتراكية والشيوعية ، وتكريس جهودهم في تحبيذها وإبراز ما يزعمون أنه من محاسنها ، وإنفاق الأموال الطائلة في هذا السبيل الذي يقود أهله إلى النار .

أيها المحرر ، أين ذهب عقلك ؟! حتى قلت هذه المقالة الشنعاء عن دين الإسلام الذي هو خير الأديان وأحبها إلى اللّٰه ؟ وهو دين ودولة ، وعبادة وجهاد وسيف ومصحف ، وثقافة وحكم ، وهو المشتمل على صلاح أمر الدنيا والآخرة ، وعلى سعادة الفرد والجماعة في هذه الحياة العاجلة وفي الآخرة .

أليس دين هذه بعض محاسنه ومزاياه حقيقًا بأن يدعى إليه ، وتنشر محاسنه

على صفحات الصحف السيارة، وفي المجلات والنشرات، وعلى المنابر وفي سائر الحفلات والاجتماعات؟

أليس خليقًا بأن تكرس الجهود والأموال للدعوة إليه والترغيب في اعتناقه وتحكيمه، والاستقامة عليه، وتزييف ما خالفه من الأديان والمذاهب؟.

أليس القرآن الكريم الذي هو أعظم كتاب وأشرف دستور قد أمر بالدعوة إلى الإسلام ونشر محاسنه، وحصر الفلاح في الدعوة إليه[1]، وحكم بأن أهله هم خير أمة أخرجت للناس؛ لإيمانهم به ودعوتهم إليه؟ وإن كنت قد نسيت ذلك، فاسمع قوله عز وجل: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ [يُوسُف: الآية ١٠٨] .. الآية.

أوضح سبحانه في هذه الآية الكريمة أن أتباع الرسول ﷺ على الحقيقة والكمال هم الدعاة إلى سبيله على بصيرة. وسبيله هو الإسلام الذي أنكرت على أهله الدعوة إليه.

وقال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النّحل: الآية ١٢٥]، أمر سبحانه في هذه الآية نبيه ﷺ أن يدعو إلى الإسلام، وأن يجادل عليه بالتي هي أحسن، وأنت تعلم- وهكذا غيرك من القراء- أن كل دين وكل مذهب يهمل ولا يدعى إليه ولا تنشر محاسنه- بل يغفل عنه وينسى- مصيره إلى الذهاب والزوال. وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على رغبة أهله عنه، وقلة اكتراثهم به، فكيف سمحت لقلمك، بل كيف سمحت لك مروءتك وعروبتك- إن لم يكن هناك غيرة على الإسلام- أن تقول هذا المقال الذي مقتضاه وخلاصته: الدعوة إلى نبذ الإسلام والإعراض عنه، وألَّا يذكر في الصحف السيارة بين الناس؟ وأي قيمة لدين هذا شأنه؟ سبحان اللَّه ما

(١) في الأصل: «فالدعوة إليه».

أعظم شأنه ! والله أكبر وأجل وأعظم من أن تكون قيمة دينه ما ذكرته أيها المحرر .

وقال عز وجل : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: الآية ١١٠] ، وقال جل ذكره : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: الآية ١٠٤] ، وقال تعالى : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: الآية ٣٣] .

تأمل أيها المحرر ، وتأملوا أيها القراء هذه الآيات : كيف حكم الرب جل وعلا للدعاة إلى الله بالفلاح ، وأنهم خير الأمم ، وأنهم لا أحد أحسن قولًا منهم .

وصاحب المقال يحذر من طريقهم وينتقد سبيلهم ، ويتعجب منهم تعجب المستنكر والمستغرب ! .

ثم لنتأمل جميعًا ؛ هل رضي الله سبحانه من أهل الإسلام بمجرد اللفظ ، أو التسمي بالأسماء الإسلامية ، أو الانتساب إلى دولة إسلامية ؟ أم طالب المسلمين بالإيمان والعمل اللذين يترتب عليهما الفلاح والخير والسعادة في الدنيا والآخرة ؟ إن الأمر في غاية الوضوح ، بل هو أوضح من الشمس في الظهيرة ، ولكن الأمر كما قال الله عز وجل : ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: الآية ٤٦] .

ولولا ما يخشى من اغترار بعض الجهال بهذا المقال وصاحبه لما كان حقيقًا بالرد عليه ؛ لظهور بطلانه لكل من يطلع عليه من عامة المسلمين ، فضلًا عن مثقفيهم ، ونسأل الله أن يهدي كاتبه ، وأن يردنا وإياه إلى التوبة الصادقة .

وأما قوله في آخر المقال بعد ما ذكر الصلاة والزكاة والحج ما نصه :

« إن الإسلام يتضمن كل هذه الأركان ، لكنه يتضمنها كقواعد يقوم عليها نظام كامل للحياة ؛ الحياة كلها بكل ما فيها من نشاط ، وبكل ما فيها من قيم

وتصورات ، إن الإسلام في صميمه نظام حياة ، نظام يقوم على تصور خاص للحياة بكل ما فيها من قيم ، وعلى أساس هذا التصور الصحيح يقوم نظام الحكم ونظام الاقتصاد ونظام التربية ونظام الأخلاق ... إلخ »

فالجواب أن يقال لهذا الكاتب : إذا كان الإسلام دينًا يتضمن هذه الأسس ، ويصلح أن ينظم الحياة في جميع شئونها ، فكيف تنكر على أهله الدعوة إليه ونشر محاسنه ؟ وتقول : إن الناس مسلمون ولو باللفظ ؟ إذا كان يكفي من الإسلام مجرد اللفظ لم تتحقق هذه المقاصد وهذه الأسس التي أشرت إليها أخيرًا ، إنه لأمر عجيب وتناقض غريب ، أو تلبيس وخداع ! ولماذا لم تذكر أنه دين يترتب عليه صلاح أمر الدنيا والآخرة ، ويسعد أهله في الدنيا والآخرة ؟ وإنما قصرته على هذه الحياة فقط !

أتظن أن هذا الدين إنما جاء لإصلاح الدنيا فقط ، وليس له تعلق بالآخرة أم ماذا ؟

إن المقام واضح لا يحتاج إلى تفصيل ، وكل من له أدنى علم بالإسلام يعلم أنه نظام صالح شامل لكل ما فيه سعادة البشرية في هذه الدنيا وفي الآخرة ، وإنما يجيء الخلل لبعض أهله بسبب جهلهم به أو عدم تطبيقهم لأحكامه . والواقع قديمًا وحديثًا شاهد بذلك لكل من تأمل أحوال المسلمين في صدر الإسلام وفيما بعد ذلك .

فاتق اللَّه أيها الكاتب وحاسب نفسك وتب إلى ربك ، وارجع عن أخطائك فالرجوع إلى الحق فضيلة ، بل واجب لا بد منه ، وهو خير لك في الدنيا والآخرة من التمادي في الباطل .

وأسأل اللَّه لي ولك ولسائر المسلمين التوفيق لما يرضيه ، والهداية إلى سبيله ، إنه خير مسؤول وهو المستعان ، ولا حول ولا قوة إلا به ، وحسبنا اللَّه ونعم الوكيل ، وصلى اللَّه على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه وسلم .

تعقيب حول الشرك[1]

نشرت صحيفة الندوة في عددها (١٣٥٥) وتاريخ ٦- ٢- ٨٣هـ في الصفحة الخامسة من عددها المذكور كلمة للكاتب نعمان طاشكندي، تحت عنوان: «كلمة المحرر» قال فيها ما نصه: كان حديثي في كلمت سلفت عن مشكلة الوعظ والوعاظ في بلادنا، واليوم أعود من جديد لنفس الموضوع؛ لأوجه جل كلامي إلى الإخوة الوعاظ الذين اتخذوا من أقسام التوحيد وأنواع الشرك المادة الأساسية لكل وعظ، بل العنصر الذي لا يمكن لأي وعظ أن يخلو منه مهما كانت درجة هذا الوعظ، ومهما كان مقدار المستمعين لهذا الوعظ- إني أريد أن أتحدث بصراحة عن هذا الموضوع، ورائدي خدمة الحق- أريد أن أقول للإخوة الوعاظ: تأكدوا أيها الوعاظ والمرشدون، أن شيئًا اسمه: الشرك بالله، لن يحدث بعد اليوم. إني أؤكد هذا، وليقبله من شاء، وليرفضه من شاء، وهذا أؤمن به وأعتقده.

إن الاعتقادات السخيفة والخرافات الفجة التي يعرفها كل إنسان اليوم، والتي كانت تؤدي في الماضي إلى الشرك بالله، ليس لها وجود البتة اليوم، إن هذا العهد عهد العلم وعهد سلطان العقل، يسيطر فيه العقل على كل جوانب الحياة، ولن أتحدث في عهد العلم وسلطان العقل ما تتحدثون عنه اليوم في وعظكم، إنما الذي يحدث هو: إما الاعتدال الحقيقي الصحيح، أو الانحراف المتطرف الخطير، أو الحيرة والشك بين هذا وذاك. إن الذي يحدث اليوم هو: إما الإيمان القوي بالله وبعظمته ووحدانيته، وبالحق وبالخلق الفاضل، أو الإلحاد والكفر بالله، وبالحق وبالخلق الفاضل، أو الحيرة والشك بين الإيمان والكفر، وبين الخير والشر، والخبيث والطيب. انتهى المقصود.

---

(١) صحيفة الندوة- العدد (١٣٦٧) الخميس ٢٠ صفر ١٣٨٣.

ولما وقع في كلام الكاتب المذكور من مخالفة الواقع المشاهد في عالم العصر وما قبله ، رأيت أن أنبه على ذلك بما تقوم به الحجة وتزول به الشبهة- إن شاء اللَّه- نصيحة للَّه ولعباده ، واللَّه الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

إن بيان التوحيد وأقسامه ، والشرك وأنواعه ، هو الأصل الأصيل ، والأساس العظيم ، قد اهتمت به الرسل عليهم الصلاة والسلام قبل كل شيء ، من أولهم نوح إلى آخرهم ، وخاتمهم محمد بن عبد اللَّه ﷺ ، وكرسوا جهودهم لبيانه وإيضاحه للناس ، بشتى الوسائل ، وضرب الأمثال ، وما ذاك إلا لأنه أصل الدين وأساس الملة ، والشرط الأعظم لصحة العبادات كلها ، كما قال عز وجل : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: الآية ٣٦] . وقال سبحانه : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: الآية ٢٥] . وقال تعالى : ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: الآية ٨٨] .

ومكث نبينا ﷺ بمكة عشر سنين يدعو الناس إلى التوحيد الذي هو إفراد اللَّه بالعبادة ، ويحذرهم من الشرك الذي هو صرف شيء من العبادة لغير اللَّه سبحانه وتعالى قبل بقية الشرائع ، وأنزل عليه في ذلك قوله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: ١- ٥] .

وهذه السورة العظيمة ؛ هي أول ما نزل بعد سورة « اقرأ » وقد أمره اللَّه فيها بالإنذار ، ومعناه : الإنذار عن الشرك ، والدعوة إلى التوحيد عند جميع أهل التفسير ، وأنزل عليه في هذا المعنى آيات كثيرة منها قوله سبحانه : ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: الآية ٢٣] ، وقوله تعالى : ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢، ٣] .

فاستمر ﷺ على الدعوة إلى التوحيد ، والإنذار عن الشرك ، فأجاب دعوته الأقلون ، وأنكرها الأكثرون ، فلم يثنه ذلك عما أوجبه اللَّه عليه ، بل شمر عن

ساعد الجد، وصبر وصابر، وبذل نفسه لله، حتى بلغه الله مناه، وأيد دعوته، وأظهر دينه، ثم سار أصحابه رضي الله عنهم على سبيله في الدعوة إلى الله وإرشاد الناس إلى التوحيد، وأنذرهم من الشرك، وتبليغهم شرائع الإسلام حتى فتحوا البلاد، وسادوا العباد، ونشروا راية الإسلام خفاقة في غالب المعمورة، ثم سار التابعون لهم بإحسان على هذا السبيل القويم، يشرحون للناس توحيد الله الذي بعث الله به رسله ويعلمونهم شرائع الدين، ويحذرونهم من الشرك بالله، ومن كل ما نهى الله عنه. ثم تغيرت الأحوال، وغلب على أكثر النفوس الجهل والهوى، فقل العلم، وانتشر الجهل، واستحكمت غربة الإسلام وجهل أكثر الخلق حقيقة الدين الذي بعث الله به الرسل، وحقيقة الشرك الذي أنكرته الرسل؛ فعبدوا الأموات من الأنبياء والصالحين، وصرفوا لهم خالص الدعاء، واستجاروا بهم في الشدائد، واستغاثوا بهم، وذبحوا لهم، ونذروا لهم، إلى غير ذلك من أنواع العبادة التي صرفها الجهال لمعبوديهم من دون الله، من الأولياء والأنبياء، وقد تشبه بهم، أو نسبت إليهم، ولكن لم يزل- بحمد الله- في الأرض بقايا من أهل العلم والإيمان يدعون إلى توحيد الله ويحذرون من الشرك به، ويرشدون الناس إلى ما جهلوا من الشريعة، وينشرون محاسن الإسلام، ويفندون ما يفتريه أعداء الإسلام على الإسلام من المزاعم الباطلة التي ينفرون بها الناس عن دين الله، ومن هذه البقية- فيما نرجو- هؤلاء الوعاظ إلى التوحيد، والمحذرون من الشرك. ثم جزمت جزمًا مؤكدًا بأن شيئًا اسمه الشرك لن يوجد بعد اليوم؛ لأن العصر عصر العلم وسلطان العقل. وغاب عنك أيها الأخ: أن العلم الشرعي في القرون السالفة، أكثر وأن عقول الماضين من سلف هذه الأمة، أصبح[1] من عقول المتأخرين، ومن أجل ذلك كان المسلمون في العصور الماضية أكثر، وعلمهم بالشريعة أكمل، ومع ذلك فالشرك موجود فيما بينهم،

---

(١) كذا في الأصل. ولعلها: «أصح» أو نحوها.

والدعاة إلى الله لا يزالون ينكرونه، ويحذرون فيه[1]، وكانت عقول الكثير من المشركين في عهد رسول الله ﷺ، أصح من عقول الكثير من المشركين من متأخري هذه الأمة، وكانوا أفهم لمراد النبي ﷺ منهم، ولكن حملهم الحسد والبغي والعناد على إنكار دعوته ومخالفته، كما قال الله عز وجل: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: الآية ٣٣]، وقال سبحانه: ﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٤، ٥].

فأبان سبحانه في هذه الآيات أن المشركين في عهد نبيه ﷺ لا يكذبونه في الباطن، وإنما يجحدون ما دعاهم إليه عنادًا وكفرًا.

وأوضح سبحانه أنهم قد فهموا معنى لا إله إلا الله، وأنها تبطل آلهتهم التي يدعونها مع الله، فإنهم يعجبون من ذلك عجب الحاسد المستكبر، ولهذا قال في الآية الأخرى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٣٥، ٣٦] أما أكثر المشركين اليوم، وقبل اليوم بأزمان متطاولة، فإنهم يعتقدون الشرك ويفعلونه، ويظنون أنهم على هدى، مشابهة لمن قال الله فيهم: « ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٣٠]، وقال عز وجل: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

ولهذا تجد أكثر المشركين اليوم يقولون: لا إله إلا الله. وهم يعبدون غيره؛ فيدعون الأموات، ويستغيثون بهم، وينذرون لهم، ويتقربون لهم بالذبائح والنذور، ويظنون أن هذا ليس بشرك.

(١) كذا في الأصل: ولعلها: «منه».

ومن أنكر عليهم ذلك، اشتد غضبهم عليه، ورموه بأنه يبغض الأنبياء والصالحين ويتنقصهم، وهذا الذي فعلوه مع الأنبياء والصالحين هو الذي فعله كفار قريش وغيرهم مع آلهتهم من الملائكة والأنبياء والصالحين والأشجار والأحجار. وقد أنكر النبي ﷺ عليهم ذلك، وحكم بكفرهم، وقاتلهم عليه، حتى يخلصوا العبادة للّه وحده، كما قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: الآية ٣٩] الآية.

وقال عز وجل: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: الآية ٥].

ثم: وأي علم اليوم يمنع من وقوع الشرك ؟! أهو علم الذرة، وسفن الفضاء، أم علم الهندسة والحساب، وجغرافية الأرض، أم غير ذلك من بقية العلوم العصرية المادية التي انتشرت اليوم وأقبل الناس على طلبها.

إن هذا العلم لا يبصر بدين اللّه، ولا يعرفهم توحيد اللّه وشريعته، وإنما العلم الذي يعرف الناس دين اللّه، ويرشدهم إلى توحيد اللّه وأحكام شريعته، هو علم الكتاب والسنة، وأهله اليوم في غاية الغربة، وهم قبل اليوم أكثر، فكيف مع قلة العلم الشرعي وغربة أهله يزول الشرك ويمتنع حدوثه، ومع كثرة العلم الشرعي - فيما مضى - وانتشار أهله لا يزول الشرك من الأرض ولا يمتنع حدوثه.

وهل نسي ما يفعل الجهال اليوم حول قبر السيد الحسين في العراق ومصر، والسيد عبد القادر الجيلاني، والسيد موسى الكاظم في العراق، وحول السيد البدوي في مصر، وابن عربي في الشام، والعبدروس في عدن، والهادي وابن علوان وغيرهما في اليمن، وحول قبور لا تحصى في العالم الإسلامي من دعائهم والاستغاثة بهم، وسؤالهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، وشفاء الأمراض، وما يصرفونه لهم من النذور والذبائح.

نعم ، نحن لا ننكر أنه ينبغي للوعاظ أن يتفننوا في الوعظ والإرشاد ، وأن يطرقوا الموضوعات التي تهم المسلمين ، وأن يعالجوا مشاكلهم الحاضرة ؛ فتارة في التوحيد والشرك والعبادات ، وطورًا في المذاهب الهدامة الحديثة ، والتحذير منها ، وطورًا في المعاملات ، وما يجوز منها وما لا يجوز ، وتارة في الحث على الأخلاق الفاضلة والتحذير من ضدها .

فالمجال أمام الواعظ- بحمد الله- واسع ، ولا أعتقد أن واعظًا يقتصر على التوحيد والشرك فقط . وعلى فرض أن المحيط الذي يتكلم فيه الكاتب عن الوعاظ ، ليس فيه من يجهل الشرك ، فإن بيان الشرك والتحذير منه ، وبيان أنواعه ، وبيان التوحيد والتحريض على لزومه والثبات عليه ، مما يزيد العالم به بصيرة وثباتًا ، ونبه على أهمية هذا الأصل ، وعظم شأنه ، وأنه أول دعوة الرسل ، وزبدة رسالتهم ، وهو الحكمة في خلق الجن والإنس ، كما قال الله سبحانه ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: الآية ٥٦] . فكيف ينكر عاقل على من فعل ذلك ويعيبه به ، مع أن هذا الفرض باطل ، وحاجة الناس في كل زمان إلى بيان التوحيد(١) والشرك أشد الحاجة ، بل وهم في أشد الضرورة إلى ذلك ، ولا سيما في هذا العصر الذي قل فيه العلم والعلماء ، وغلب فيه الجهل والجهلاء ، وأعرض أكثر المنتسبين إلى الإسلام اليوم عن التفقيه في دينهم ، والتبصر فيما جاء به رسولهم ﷺ من طريق الكتاب والسنة ، وصار اشتغال الأكثر في العلوم المدنية والمادية التي تجلب إليهم الدنيا ، وتمكنهم من تحصيل لقمة العيش ، وكل من درس الواقع وعرف أحوال الناس ، يعلم ما ذكرته يقينًا(٢) .

نعم لا يشك عاقل : أن الكثير من الشباب اليوم من المتعلمين قد انحرفوا عن التعلق بالأموات والالتفات إلى القبور ، وعن كل ما يسمى دينًا ، وصار لا يهمهم

---

(١) في الأصل : « التوجيه » . ولعل المثبت هو الصواب .

(٢) تكررت في الأصل .

إلا الحياة المادية فقط ، وهناك قسم ضئيل بالنسبة إلى غيرهم من المنحرفين ، قد أبصر الحق ، وانحاز إلى الإيمان الصحيح ، وهناك قسم آخر ، قد استولت عليه الشكوك ، وغلبت عليه الحيرة ، فبقي مذبذبًا ؛ لا إلى هؤلاء ، ولا إلى هؤلاء ، ولكن لا يلزم من هذا كله أن الشرك قد زال ، وأنه لن يحدث بعد اليوم ، بل الشرك موجود ، وأهله لا يحصون كثرة ، ومن جال في البلدان العربية والعالم الإسلامي اليوم ، ونظر ما يفعله الجهال حول القبور المعظمة هناك ، علم صحة ما ذكرناه ، إذا كان يعرف التوحيد الذي بعث الله به رسوله محمدًا[1] ﷺ ، ويعرف الشرك الذي أنكره ﷺ على مشركي العرب وغيرهم .

وأخبر سبحانه أن الشيطان يأمر الناس أن يقولوا على الله ما لا يعلمون ؛ في قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٨، ١٦٩] .

وقد عظم البلاء في هذا العصر بكثرة الإلحاد والملحدين ، وامتاز على ما قبله من العصور بانحراف الكثير من المنتسبين إلى الإسلام عنه وتنكرهم له ، ومحاربتهم لتعاليمه ، ووصف معتنقيه بالألقاب البذيئة المنكرة ؛ كالرجعية والتحجر ، وشبه ذلك ! فكيف يكون هذا العصر الذي هذا شأنه وهذه صفة أهله سليمًا من الشرك ؟! بل ويمتنع حدوثه فيه بسبب كثرة العلوم العصرية البعيدة عن الإسلام ، وبسبب تفوق العقل البشري في الاختراع ، ووسائل التقريب والتدمير ، والإمعان في الشهوات البهيمية ، واحتقار القيم الروحية والمعاني الشرعية الإسلامية ، سبحانك هذا بهتان عظيم ! .

هذا ، وقد أخبر الرسول ﷺ : « أن الإسلام بدأ غريبًا ، وسيعود غريبًا كما

(١) في الأصل : « محمد » .

بدأ »[١] . وأخبر أن أمته تسلك سنن من كان قبلها من اليهود والنصارى وفارس وغيرهم ، وقد علم قطعًا أن من قبل هذه الأمة فيهم أصناف الشرك من عبادة الأنبياء والصالحين ، وعبادة الملائكة ، وعبادة الأشجار والأحجار وغير ذلك ، فلا بد أن يقع في هذه الأمة ما وقع فيمن قبلها بنص الرسول ﷺ ، وكلما تأخر الزمان وبعد العهد من عصر النبوة اشتدت غربة الإسلام وكثرت أنواع الكفر والشرك في الناس ، وهذا هو الواقع اليوم وقبل اليوم من عصور سالفة كثيرة ، وكل من له أدنى بصيرة بالشرع والواقع يعلم ذلك ، وقال قال عليه الصلاة والسلام : « لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين ، وحتى تعبد فئام من أُمتي الأوثان »[٢] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لا تقوم الساعة حتى تضطرب أَلَيَاتُ نساء دوسٍ حول ذي الخلصة »[٣] .

وقد ترجم البخاري رحمه اللَّه في « صحيحه » على هذا الحديث بقوله : « باب تغير الزمان حتى تعبد الأوثان » .

وفي « صحيح مسلم »[٤] عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص ، عن النبي ﷺ ، في حديث طويل فيما يكون في آخر الزمان ، قال في آخره : « ثم يرسل اللَّه ريحًا بادرة من قِبل الشام ، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير ، أو إيمان ، إلا قبضته ، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه » . قال : سمعتها من رسول اللَّه ﷺ قال : « فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع ، لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا ، فيتمثل لهم الشيطان

(١) أخرجه مسلم (١٤٥/١٤٦، ٢٣٢) من حديث أبي هريرة وابن عمر ، رضي اللَّه عنهم .
(٢) أخرجه أحمد ٧٨/٣٧ (٢٢٣٩٥) ، وابن حبان (٧٢٣٨٩ من حديث ثوبان رضي اللَّه عنه .
(٣) أخرجه البخاري (٧١١٦) ، ومسلم (٢٩٠٦) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه .
(٤) أخرجه مسلم (٢٩٤٠) .

فيقول : ألا تستجيبون ؟ فيقولون : فما تأمرنا ، فيأمرهم بعبادة الأوثان ، وهم في ذلك دارٌّ رزقُهم حسن عيشهم » . الحديث .

وفي « صحيح مسلم » أيضًا ، عن عائشة رضي اللَّه عنها ، قالت : قال رسول اللَّه ﷺ : « لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبد اللات والعزى »[(١)] .

والآيات والأحاديث الدالة على أن الشرك يكثر في الأمة ويزداد حتى ينزع الإيمان من الأرض ، ولا يبقى إلا الشرك ، وعلى أهله تقوم الساعة ، أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر ، وإنما القصد التنبيه والإشارة إلى ما يقيم الحجة ويزيل الشبهة .

وهنا أمر يحسن التنبيه عليه ؛ وهو أن الكاتب فرق بين الكفر والشرك وجزم أن شيئًا اسمه الشرك لن يوجد بعد اليوم ، وأما الكفر فسلم بوجوده !

وهذا التفصيل ليس على إطلاقه ، فإن الكتاب والسنة قد دلا على أن الكفر يسمى شركًا ، والشرك يسمى كفرًا ، وإنما يفرق بينهما عند الاقتران ؛ فيراد بالمشركين : عباد الأوثان ونحوهم . ويراد بالكفار : أهل الكتاب من اليهود والنصارى ونحوهم ، كما في قول اللَّه سبحانه : ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البيّنة: الآية ١] .

وفي مواضع أخرى من القرآن أطلق اللَّه سبحانه على الكفار وصف الشرك ، وعلى المشركين وصف الكفر ، كما في قوله سبحانه : ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة: الآية ٧٢] الآية . فأطلق على النصارى وصف الشرك .

وقال تعالى : ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ

(١) أخرجه مسلم (٢٩٠٧) .

وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: الآية ٣١]، فوصف سبحانه وتعالى اتخاذ الأحبار والرهبان أربابًا من دون اللَّه بأنه شرك، وهو من قبيل الكفر، فعلم بذلك أن الكافر يسمى مشركًا، والمشرك يسمى كافرًا.

وفي الحديث الصحيح عن عدي بن حاتم أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: الآية ٣١] الآية. فقال: يا رسول اللَّه، لسنا نعبدهم. فقال ﷺ: «أليسوا يحلون لكم ما حرم اللَّه فتحلونه، ويحرمون عليكم ما أحل اللَّه فتحرمونه؟». قلت: بلى يا رسول اللَّه، قال: «فتلك عبادتهم»[1].

والبراهين من الكتاب والسنة على إطلاق الكفر على الشرك، والشرك على الكفر كثيرة يعلمها من طلبها، والقصد: التنبيه والإرشاد إلى الحق.

وأسأل اللَّه عز وجل أن يهدينا وسائر المسلمين سواء السبيل، إنه على كل شيء قدير، وصلى اللَّه وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه.



(١) أخرجه الترمذي (٣٠٩٥)، والطبراني ٩٢/١٧ (٢١٨).

ما هكذا تعظم الآثار[(١)]

[١]

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على رسول الله :

اطلعت على ما نشرته « صحيفة الندوة » في عددها الصادر بتاريخ ٢٤/٦/١٣٨٠هـ بعنوان : « آثار المدينة المنورة » بقلم مصطفى أمين . فلما تأملت المقال المشار إليه وجدته قد اشتمل على أخطاء كثيرة يجب التنبيه عليها ؛ لئلا يغتر بها القراء ؛ والمقتضي لذلك قوله ﷺ : « الدين النصيحة ...» الحديث[(٢)] . وقوله ﷺ : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان »[(٣)] .

وإليك أيها القارئ الأخطاء ، والحجة على إنكارها :

أولًا : قوله في « المدينة » : « هذه المدينة المقدسة ، بها آثار كثيرة تستحق الذكرى ، ونحن العرب لم نهتم بهذه الآثار ، بينما نشاهد معالم باريس ولندن بها من الآثار ما يجعل شعوبها تخلد هذه الذكرى ، فما بالنا نحن المسلمين العرب لا نهتم بآثار العصور الماضية ؟ .. إلى قوله : وإنما يدعو الإسلام .. إلخ » .

يدعونا الكاتب في هذه الكلمة إلى التشبه بباريس ولندن في تعظيم الآثار ! وتخليد ذكراها بالأبنية وأشباهها !! وهذا غريب وعجيب أن يدعو مسلم إلى التشبه بأعداء الله ، والرسول ﷺ يقول : « من تشبه بقوم فهو منهم »[(٤)] .

أيها القارئ ، إن تعظيم الآثار لا يكون بالأبنية والكتابات والتأسي بالكفرة ،

---

(١) صحيفة الندوة ٥/٨/١٣٨٠هـ ، مجلة راية الإسلام العدد(٩) في شعبان ١٣٨٠هـ .

(٢) أخرجه مسلم (٥٥) من حديث تميم الداري رضي الله عنه .

(٣) أخرجه مسلم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٤) أخرجه أحمد ١٢٣/٩ (٥١١٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما . وصححه الألباني في الإرواء (٢٦٩١) .

وإنما تعظيم الآثار يكون باتباع أهلها في أعمالهم المجيدة، وأخلاقهم الحميدة، وجهادهم الصالح؛ قولًا وعملًا، ودعوةً وصبرًا، هكذا كان السلف الصالح يعظمون آثار سلفهم الصالحين.

وأما تعظيم الآثار بالأبنية والزخارف والكتابة ونحو ذلك فهو خلاف هدي السلف الصالح، وإنما ذلك سنة اليهود والنصارى ومن تشبه بهم، وهو من أعظم وسائل الشرك وعبادة الأنبياء والأولياء كما يشهد به الواقع، وتدل عليه الأحاديث والآثار المعلومة في كتب السنة، فتنبه واحذر.

نعم، ينبغي للمسلمين أن يستعدوا لأعدائهم في إيجاد المصانع النافعة للمجتمع، واختراع الأسلحة المناسبة للعصر، لا تأسيًا بالكفرة ولكن طاعة للّٰه ولرسوله، وتأسيا بالسلف الصالح من الصحابة رضي اللّٰه عنهم، ومن سلك سبيلهم، والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾ [النّساء: الآية ٧١]، وقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: الآية ٦٠]، وقول النبي: «المؤمن القوي خير وأحب إلى اللّٰه من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن باللّٰه ولا تعجزن» الحديث[1].

والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وكلها تدل على أنه يجب على المسلمين أن يوجدوا بينهم من المصانع والأسلحة وأسباب العيش والرفاهية ما يقوم بكفايتهم، ويغنيهم عن الحاجة إلى غيرهم، ويعينهم على جهاد أعدائهم وحماية مصالحهم والنصر لدينهم، واسترجاع أمجادهم السالفة، وصد عدوان من أرادهم أو أراد دينهم بسوء.

هذا- يا مصطفى أمين- هو تعظيم الآثار، لا ما أشرت إليه من الأبنية ونحوها، واللّٰه المستعان.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة رضي اللّٰه عنه.

ثانيًا : يقول الكاتب مصطفى : « والمعرفة لا تجعل التقوى في الضعف ولا في الخوف ، بل في العلم بسنة الكون والوقوف على أسراره ، والاتصال بما دق وجل منه ... إلخ » .

نعم لا ينبغي أن تجعل التقوى في الضعف والخوف والتأخر عن ميادين الإصلاح والنفع الخاص والعام ، والنظر في سنن الكون والتبصر في حكمة الرب سبحانه فيما خلق وشرع ، بل يجب أن يكون أهل التقوى هم أشجع الناس على كل خير ، وأكملهم عناية بكل إصلاح ؛ لأن تقواهم لله سبحانه تقتضي منهم ذلك . ولكن كلام الكاتب يوهم أن التقوى تنحصر في العلم بسنة الكون والوقوف على أسراره ، والتأسي بمن بلغ في هذا الباب أقصى ما يمكنه من العناية ! وليس الأمر كذلك ، وإنما العلم بسنة الكون والعناية بأسراره من التقوى ، لا أنه كل التقوى ؛ لأن التقوى عند علماء الشرع : فعل ما أمر الله به ، وترك ما نهى الله عنه ، عن إيمان وصدق ، وإخلاص ومحبة ، ورغبة ورهبة ، ومن ذلك العناية بالمصالح العامة ، وإيجاد مصانع نافعة ، والتأسي بمن سبقنا في هذا الميدان من السلف الصالحين والأئمة المتقين .

ولا حرج علينا في أن نأخذ مما وقف عليه غيرنا من أسرار الكون واكتشف من العلوم النافعة الدنيوية التي لا تخالف الشرع المطهر ، وإنما تعين على حمايته من كيد أعدائه ، وتغني أهله عن الحاجة إلى الغير . بل يجب ذلك ويتعين على أهل الإسلام ، لا تأسيًا بالكفار ؛ بل لأن دينهم الكامل يأمرهم بالحرص على ما ينفعهم ، والحذر عن كل ما يضرهم كما تقدمت الأدلة على ذلك .

وهؤلاء الكفار الذين بلغوا في الاختراع الغاية لم يزدهم ما وصلوا إليه من العلم إلا كفرًا وإلحادًا وهبوطًا في الأخلاق ، وجشعا على المادة ! فلا ينبغي أن نغتر بعلمهم ، ولا أن نقلدهم في أخلاقهم وأزيائهم المخالفة لشرع الله ، وإنما يؤخذ من علومهم ما ينفع وتدعو الحاجة إليه ، مع التقيد بتعاليم الشريعة والاستقامة على

صراط اللَّه المستقيم، والحذر من كل ما خالف ذلك.

فتنبه أيها القارئ الكريم لهذا المقام العظيم تنجو من ضلالات كثيرة وشبهات متنوعة، واللَّه الهادي إلى سواء السبيل.

ثالثًا: يقول الكاتب مصطفى: «فمن الواجب على الذين يزورون قبر سيد الشهداء أن يلتمسوا فيه هذه الأسوة، وأن يعلموا أن اللَّه يجزيهم بجهادهم لبلوغ الغاية منها، ولا يجزيهم لمجرد الزيارة والتبرك والدعاء! .. إلى أن قال: وأسوة حمزة رضي اللَّه عنه هي الجهاد في سبيل اللَّه، له المثل الأعلى .. إلخ».

أقول: إن هذا الكلام فيه حق وباطل؛ فأما الحق فهو تشجيع زوار قبر حمزة بن عبد المطلب رضي اللَّه عنه وغيره من المؤمنين على تذكر أعمالهم المجيدة التي قاموا بها حين كانوا في قيد الحياة؛ من الجهاد في سبيل اللَّه، والدعوة إليه، والعناية بالمصالح العامة، والتأسي بهم في ذلك.

وهذا حق ينبغي لكل مسلم أن يتذكره كثيرًا، وأن يتأسى بأهله في سائر أطوار حياته حتى يعمل كأعمالهم، ويسير كسيرتهم حسب الطاقة.

وأما الباطل فهو ما يوهمه كلامه من حصر المقصود بالزيارة في التأسي بالمزور في أعماله الطيبة السالفة.

وقوله: «إن اللَّه لا يجزي الزائر لمجرد الزيارة والتبرك والدعاء» وهذا بلا شك خطأ ظاهر، ومخالف للأحاديث الصحيحة التي يقول فيها النبي ﷺ: «زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة»(١). وفي بعضها: «وتزهد في الدنيا»(٢).

فالنصوص الواردة عن النبي ﷺ في هذا الباب تدل على أن مقصود الزيارة تذكر الآخرة والزهد في الدنيا، والدعاء لأهل القبور من المسلمين بالعافية والمغفرة.

---

(١) أخرجه مسلم (٩٧٦/١٠٨) بلفظ: «فإنها تذكر الموت».

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٥٧١) من حديث ابن مسعود رضي اللَّه عنه. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٩٧٦٢).

والكاتب المذكور قد أعرض عن هذا، ولم يرفع به رأسًا، وشجع على أمر آخر يؤخذ من نصوص أخرى، ولو جمع بين الأمرين لما فاته الصواب.

وأما قصد الزائر للقبور التبرك بها، فليس ذلك من دين الإسلام، بل هو من أعمال أهل الجاهلية، ومن أخلاق عباد الأوثان، فيجب الحذر منه، ونهي الزوار عنه. وقد ثبت في «صحيح مسلم»[(١)] عن بريدة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية».

وفي «جامع الترمذي»[(٢)] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر النبي ﷺ بقبور المدينة «فقال: السلام عليكم يا أهل القبور، يغفر الله لنا ولكم، أنتم سلفنا ونحن بالأثر».

فهذه سنة الرسول ﷺ في زيارة القبور، وبيان المقصود منها، وأما التبرك بها والبناء عليها، والكتابة عليها، فليس ذلك من سنته، بل هو من سنة اليهود والنصارى وأهل الجاهلية، نسأل الله لنا وللمسلمين جميعًا العافية من ذلك.

رابعًا: يقول الكاتب مصطفى في أثناء كلامه: «واتخذت بعض الأمم الإسلامية ملوكها أربابًا، وجعلت من بعض الصالحين فيها أولياء اتخذتهم إلى الله زلفى. ولهؤلاء وأولئك بنت القباب، وأقامت عليها المساجد؛ لا تقصد تخليد ذكراهم ليكون للذكرى في الأجيال أسوة ومثلًا، بل تقصد أن تكون القباب والمساجد محاريب لعبادتهم، والتوسل إلى الله، ولو أنهم أقاموا القبة والمسجد للأسوة وللذكرى لكان ذلك خيرًا .. إلخ».

---

(١) أخرجه مسلم (٩٧٥).

(٢) أخرجه الترمذي (١٠٥٣). وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٣٧٢).

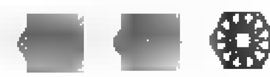
أقول : في هذا الكلام حق وباطل :

أما الحق فهو إقرار الكاتب بوجود هذه البدع والمنكرات في بعض الأمم الإسلامية ، وانتقاده اتخاذ تلك القبب والمساجد محاريب لعبادة الأموات والتوسل بهم . وهذا لا شك واقع ، ومن زار البلدان المجاورة رأى ذلك عيانًا ، فإنا للَّه وإنا إليه راجعون ، ونسأل اللَّه أن يعافي المسلمين من ذلك ، وأن يمنحهم الفقه في الدين الذي بعث اللَّه به محمدًا ﷺ حتى يعرفوا أن هذه المحدثات حول القبور تخالف شرعه ، وتوقع في عبادة غير اللَّه سبحانه ، كما هو الواقع .

وأما الباطل الذي اشتمل عليه كلام الكاتب فهو تفصيله بين اتخاذ القباب والمساجد للعبادة والتوسل ، وبين اتخاذها لتخليد الذكرى فقط . فمنع الأول وأجاز الثاني ! وهذا التفصيل ليس عليه دليل ، بل النصوص من الكتاب والسنة تخالفه ، وتدل على أنه لا يجوز اتخاذ القباب والمساجد على القبور مطلقًا ؛ لأن اتخاذها لعبادة الأموات والتوسل بهم بالدعاء والاستغاثة ونحو ذلك شرك أكبر من جنس عمل الجاهلية الأولى حول اللات والعزى ومناة وأشباهها ، واتخاذها للذكرى وسيلة قريبة وذريعة إلى الشرك بأهل القبور وعبادتهم مع اللَّه سبحانه .

ولهذا المعنى جاءت النصوص من الكتاب والسنة تنكر ذلك وتحذر منه ، وتحسم وسائل الشرك ، ومن ذلك ما ثبت في « الصحيحين »[1] عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت : قال رسول اللَّه ﷺ : « لعنة اللَّه على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » . قالت عائشة رضي اللَّه عنها : يحذر ما صنعوا ، ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا .

يتبع .



(١) أخرجه البخاري (٤٣٥، ٤٣٦، ٤٤٤١، ٤٤٤٣، ٤٤٤٤) ، ومسلم (٥٢٩، ٥٣١) .

ما هكذا تعظم الآثار[١]

[٢]

وفي « صحيح مسلم »[٢] عن جندب بن عبد اللّٰه رضي اللّٰه عنه أن رسول اللّٰه ﷺ قال : « ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فإني أنهاكم عن ذلك » .

وفي « صحيح مسلم »[٣] أيضًا عن جابر رضي اللّٰه عنه أن رسول اللّٰه ﷺ : نهى أن يجصص القبر ، وأن يقعد عليه ، وأن يبنى عليه .

فهذه الأحاديث وما جاء في معناها تدل على تحريم اتخاذ المساجد والقباب على القبور ، وأن الرسول ﷺ حذر أمته من ذلك ؛ لئلا يفعلوا فعل اليهود والنصارى من تعظيم الأموات واتخاذ قبورهم مساجد ، والصلاة عندها والدعاء ونحو ذلك ؛ فيقعوا في الشرك وعبادة الأنبياء والصالحين من دون اللّٰه كما وقع غيرهم .

وهذا الذي خافه ﷺ قد وقع في أمته ، فعظموا الأموات من الأنبياء والصالحين التعظيم الذي لم يشرعه اللّٰه ، وبنوا على قبورهم المساجد والقباب ، وصرفوا لهم الدعوات والرغبات ، حتى وقع الشرك المحذور وحصل التأسي بعباد القبور ، فلا حول ولا قوة إلا باللّٰه العلي العظيم .

ومن ذلك ما ثبت في « الصحيحين »[٤] من حديث أم سلمة وأم حبيبة رضي اللّٰه عنهما : أنهما رأتا في أرض الحبشة كنيسة يقال لها : مارية ، وما فيها من

---

(١) صحيفة الندوة ١٣٨٠/٨/٧هـ- مجلة راية الإسلام - العدد ١٠، ١١ رمضان وشوال ١٣٨٠هـ .

(٢) أخرجه مسلم (٥٣٢) .

(٣) أخرجه مسلم (٩٧٠/٩٤) .

(٤) أخرجه البخاري (١٣٤١) ، ومسلم (٥٢٨) .

الصور، فذكرتا ذلك للنبي ﷺ فقال: «أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدًا، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند اللَّه».

فبين ﷺ أن بناة المساجد والقباب على القبور والمصورين فيها الصور هم شرار الخلق عند اللَّه، ولعنهم في حديث عائشة(١)، ولم يفصل بين من بناها للعبادة، أو لتخليد الذكرى، فعلم بذلك أن بناءها لا يجوز مطلقًا؛ وما ذلك إلا لكونها من أعظم وسائل الشرك ومن أظهر أعلامه وشعائره، وهي سنة اليهود والنصارى التي نهينا عن اتباعها، وحذرنا من سلوكها، كما في قوله ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه». قالوا: يا رسول اللَّه، اليهود والنصارى؟ قال: «فمن»؟ متفق عليه(٢).

فهذا الخبر الصحيح يدل على أن هذه الأمة تسلك مسالك اليهود والنصارى في الشرك والبدع، إلا من عصم اللَّه من ذلك، وهم الطائفة المنصورة، كما في الأحاديث الأخر.

ويدل هذا الخبر أيضًا على تحذير الأمة من اتباع سنن اليهود والنصارى؛ لأن اتباعهم يفضي بأهله إلى مخالفة الرسول ﷺ، وقد أمر اللَّه سبحانه في كتابه الكريم بطاعة الرسول ﷺ والحذر عما نهى عنه، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: الآية ٧]. وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: الآية ٦٣].

ولا ريب أنه ﷺ دعا إلى كل خير وحذر أمته من كل شر، فلا يجوز لمن

---

(١) تقدم تخريجه قريبًا.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٥٦، ٧٣٢٠)، ومسلم (٢٦٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه.

يؤمن باللَّه واليوم الآخر أن يخالف سبيله ، أو يدعو إلى غير طريقه .

ولا شك أن البناء على القبور واتخاذ المساجد والقباب عليها من سبيل اليهود والنصارى ، ومن وسائل الشرك والضلال مطلقًا ؛ فوجب تركها والحذر منها . واللَّه ولي التوفيق .

خامسًا : يقول الكاتب : « وكذلك البقيع ، هذا الجزء الذي دفنوا فيه أزواج وعمات رسول اللَّه ﷺ ، وقبر إبراهيم ، وقبور الصحابة ، كان في الماضي بالقباب . حتى جاءت الدولة الرشيدة وأزالت تلك القباب ، ولكن تركت القبور كما هي لم تعلم . ويحضر إلى هذا البقيع مئات الألوف من زوار المسجد النبوي لزيارة أهل البقيع فلا يعرفون من فضلهم اللَّه على العباد أمثال زوجات رسول اللَّه وابنه إبراهيم وعشرات الصحابة ، فلو عملت إدارة الأوقاف على هذه القبور لوحات يكتب عليها اسم صاحب القبر ، ويحاط أيضًا القبر بشبك من حديد ؛ للتعرف عليه ، والسلام عليه ليس إلَّا ... إلخ » .

يدعو الكاتب في هذه الكلمات إدارة الأوقاف بالمدينة إلى عمل لوحات يكتب فيها أسماء المشهورين من المدفونين في البقيع ، وإلى إقامة شبك من حديد على قبورهم للتعرف بذلك !! .

أقول : قد يكون هذا الاقتراح من الكاتب عن حسن نية ومقصد صالح ، ولكن الآراء والاستحسانات لا ينبغي للمؤمن الاعتماد عليها حتى يعرضها على الميزان العادل الذي يميز طيبها من خبيثها ، ألا وهو كتاب اللَّه وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، ولعل الكاتب حين كتب هذه الكلمة من أولها إلى آخرها لم يكن عنده علم بما جاءت به السنة الصحيحة عن رسول اللَّه ﷺ حول القبور ، فلذلك وقعت منه الأخطاء السالفة ، ووقع منه هذا الخطأ وهو : اقتراحه على إدارة الأوقاف ما تقدم ذكره !

وقد سبق في الحديث الصحيح نهي الرسول ﷺ عن البناء على القبور . ولا

شك أن اتخاذ الشبابيك عليها نوع من البناء، ووسيلة إلى الغلو فيها والفتنة بها، وهكذا الكتابة عليها فهي من وسائل الغلو فيها واتخاذها أوثانًا؛ فإن الجهال إذا قرأوا أسماء المدفونين وعرفوا أنهم من المعظمين لعلم أو عبادة أو رئاسة، أو لكونهم من أهل بيت النبي ﷺ، أكبوا عليهم للتمسح بهم والتبرك بتربتهم، كما يفعل الجهال في البلدان المجاورة بكثير من الموتى. وقد صح عن رسول الله ﷺ النهي عن الكتابة على القبور[١]، كما صح عنه النهي عن البناء عليها، وأن يزاد عليها من غير ترابها، وأن تتخذ عليها المساجد والسرج[٢]، كما سلفت الأحاديث بذلك. وما ذلك منه ﷺ إلا حماية لجناب التوحيد وسدًا لطرق الشرك، وخوفًا على الأمة من الوقوع فيما وقع فيه من قبلهم من ضلال[٣] اليهود والنصارى وعباد الأوثان من شتى قبائل العرب، فلقد بلَّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة أبلغ نصيحة، عليه من ربه أفضل الصلاة وأكمل التسليم.

والمقصود من الزيارة لأهل البقيع هو الدعاء لهم بالعافية والمغفرة، والتذكر للآخرة بزيارتهم كما سلف في أول هذه الكلمة، وذلك[٤] متيسر بحمد الله وإن لم يعلم الزائر أسماءهم، وليس هناك حاجة إلى ما اقترحه هذا الكاتب من الكتابة وإقامة الشبك، ولو كان في ذلك خير للمسلمين لكان السلف الصالح من الصحابة وأتباعهم بإحسان أسبق إلى ذلك وأولى بفعله من المتأخرين؛ لأنهم بالشريعة أعلم، وفي العمل بها أرغب، ولزوجات النبي ﷺ وغيرهم من أهل البيت أحب وأغير، فلما تركوا ذلك واكتفوا بما كان عليه الحال في زمن

(١) أخرجه الترمذي (١٠٥٢) من حديث جابر رضي الله عنه، بلفظ: «نهي النبي ﷺ أن تجصص القبور وأن يكتب عليها ...».

(٢) أخرجه أحمد ٤٧١/٣ (٢٠٣٠)، وأبو داود (٣٢٣٦)، والترمذي (٣٢٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وانظر الإرواء (٧٦١).

(٣) في الأصل: «خلال».

(٤) سقطت: «وذلك» من الأصل.

الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين علم أن ما أحدثه الناس بعدهم في القبور من البناء والكتابة هو الباطل والغلو المحرم والحدث المنكر .

فتنبه أيها القارئ لذلك واحذر من شبه المشبهين وبدع المتأخرين . واللّٰه الهادي .

وقد جاء بعد الرسول ﷺ دعاة الشرك من اليهود والنصارى ، ومن تشبه بهم من هذه الأمة ؛ يدعون الناس إلى خلاف ما دعاهم إليه الرسول ﷺ ، وينشرون بينهم الأفكار الهدامة ، والدعايات المضللة عن قصد وعن غير قصد ، فراج الباطل بسبب ذلك ، وخفي الحق على أكثر الخلق ، وقلَّ دعاة الهدى وأنصار الشريعة ، وكثر بين الناس أدعياء العلم وأنصار الشرك ودعاة الرذيلة ، فحسبنا اللّٰه ونعم الوكيل .

ومن هنا يعلم القراء الصالحون والعلماء المهتدون أن الواجب عليهم التشمير عن ساعد الجد في الدعوة إلى الإسلام الصافي من شوائب الشرك والبدع ، ونشر محاسنه وأحكامه العادلة وأهدافه السامية وتعاليمه السمحة بين طبقات الأمة في المجتمعات والمحافل والصحف والنشرات ، ومن طريق الخطابة والإذاعة ؛ ليتعلم الجاهل وينتبه الغافل ويتذكر الناسي ، ويقف المضلل عند حده فلا يكيد للإسلام وأحكام الشريعة بمرأى من أهل العلم ومسمع ، ومتى شمر دعاة الإسلام لنصره ونشطوا في الدعوة إليه ذلَّ دعاة الشرك والإلحاد والبدع والأهواء وخمدت نارهم ، وقبعوا في زوايا الخمول ، وابتعدوا عن مناص الخطابة ومنابر الصحافة ، أو دخلوا في الحق وناصروا أهله ؛ لما سطع لهم نوره وظهر لهم رشده ، وانزاح عن قلوبهم حجب الشبهات والجهالة .

فما أوجب النصرة لدين الإسلام على أهل الإسلام ، وما أعظم حقه عليهم !!

ولقد قام بهذا الواجب جم غفير من علماء الإسلام ودعاة الإصلاح ، وإني لأرجو لهم التوفيق والثبات ، ومزيد القوة والنشاط في الحق ، وهدم حصون

الضلال ، وقلع أسس الباطل ، وإني لأرى لزامًا على الذين لم يساهموا في هذا الميدان من القرّاء النابهين والعلماء المبرزين أن ينفضوا عنهم غبار الكسل وشبهة التواكل ، وأن يقتحموا الميدان بصدق وشجاعة وعلم وحلم ؛ حتى ينصروا دينهم ويحموا شريعتهم ، ويهدوا الناس إليها ويرشدوهم إلى الصراط المستقيم ، ولهم بذلك مثل أجور أتباعهم إلى يوم القيامة كما قال الصادق الأمين ﷺ : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا »(١) .

والله المسؤول أن يهدينا وجميع إخواننا صراطه المستقيم ، وأن يعيذنا جميعا من طريق المغضوب عليهم والضالين ، إنه على كل شيء قدير ، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه .



(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

نداء الجامعة الإسلامية

نداء من الجامعة الإسلامية إلى العالم الإسلامي

ببيان حكم من استهزأ بالرسول العظيم عليه الصلاة والسلام أو سبه، أو تنقصه، أو استحل شيئا مما حرمه[1]

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله..

لقد اطلعت على ما نشرته صحيفة «صوت الإسلام» بالقاهرة؛ نقلًا عن صحيفة «المساء» المصرية الصادرة في ٢٩ يناير الماضي؛ من الجرأة على الجناب الرفيع والمقام العظيم مقام سيدنا وإمامنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا؛ بتمثيله بحيوان من أدنى الحيوانات وهو الديك !!.

لا يشك مسلم أن هذا التمثيل كفر بواح، وإلحاد سافر، واستهزاء صريح بمقام سيد الأولين والآخرين ورسول رب العالمين وقائد الغر المحجلين.

إنها لجرأة تحزن كل مسلم، وتدمي قلب كل مؤمن، وتوجب اللعنة والعار والخلود في النار وغضب العزيز الجبار، والخروج من دائرة الإسلام والإيمان إلى حيز الشرك والنفاق والكفران لمن قالها أو رضي بها.

ولقد نطق كتاب الله الكريم بكفر من استهزأ بالرسول العظيم، أو بشيء من كتاب الله المبين وشرعه الحكيم، قال الله عز وجل: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ

(١) مجلة الحج في ذي الحجة ١٣٨١هـ، وهو في صحيفة عكاظ في ١٣٨١/١٢/١٩هـ، وصحيفة اليمامة العدد ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨ في ١- ١٣٨٢/١/٨هـ، صحيفة قريش في ١٣٨١/١٢/٢٥هـ وفي المنهل والبلاد والندوة. وقد اعتمدنا على نقل المقال من «مجلة الحج» مع وجود فروق بينها وبين غيرها من الصحف في بعض الألفاظ ليست باليسيرة.
ومما ينبغي التنبيه إليه أن وقت هذا المقال هو إبان إعلان رئيس جمهورية مصر آنذاك جمال عبد الناصر الاشتراكية قولا وعملًا.

وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ❁ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦] .. الآية . فهذه الآية الكريمة نص ظاهر وبرهان قاطع على كفر من استهزأ بالله العظيم أو رسوله الكريم أو كتابه المبين .

وقد أجمع علماء الإسلام في جميع الأعصار والأمصار على كفر من استهزأ بالله أو رسوله أو كتابه أو شيء من الدين . وأجمعوا على أن من استهزأ بشيء من ذلك وهو مسلم أنه يكون بذلك كافرًا مرتدًا عن الإسلام يجب قتله ؛ لقول الرسول ﷺ : « من بدل دينه فاقتلوه »(١) .

ومن الأدلة القاطعة على كفر من استهزأ بالله أو رسوله أو كتابه : أن الاستهزاء تنقص واحتقار للمستهزأ به ، والله سبحانه له صفة الكمال ، وكتابه من كلامه ، وكلامه من صفات كماله عز وجل ، ورسوله محمد ﷺ هو أكمل الخلق وسيدهم وخاتم المرسلين وخليل رب العالمين ، فمن استهزأ بالله أو رسوله أو كتابه أو شيء من دينه فقد تنقصه واحتقره ، واحتقار شيء من ذلك وتنقصه كفر ظاهر ونفاق سافر ، وعداء لرب العالمين ، وكفر برسوله الأمين .

وقد نقل غير واحد من أهل العلم إجماع العلماء على كفر من سب الرسول الكريم ﷺ أو تنقصه ، وعلى وجوب قتله .

قال الإمام أبو بكر ابن المنذر رحمه الله : أجمع عوامُّ أهل العلم على أن حدَّ من سب النبي ﷺ القتل ، وممن قاله مالك والليث وأحمد وإسحاق ، وهو مذهب الشافعي انتهى .

وقوله : « عوام » جمع عامة ، والعامة هنا بمعنى الجماعة ، فمراده رحمه الله أن جماعات العلماء أجمعوا على وجوب قتل من سب النبي ﷺ .

ولاشك أن السب يتنوع أنواعًا كثيرة ، ولا ريب أن الاستهزاء به عليه الصلاة والسلام وتنقصه وتمثيله بحيوان حقير لا همَّ له إلا السفاد من أقبح السب وأعظم

(١) أخرجه البخاري (٣٠١٧، ٦٩٢٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

التنقص، فيكون فاعل ذلك كافرًا حلال الدم والمال.

وقال القاضي عياض رحمه الله: أجمعت الأمة على قتل متنقصه من المسلمين وسابه. انتهى. وقال محمد بن سحنون من أئمة المالكية: أجمع العلماء على أن شاتم النبي ﷺ والمتنقص له كافر، والوعيد جاء عليه بعذاب الله له، وحكمه عند الأمة القتل، ومن شك في كفره وعذابه كفر. انتهى.

قال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله بعدما نقل أقوال العلماء في شاتم الرسول ﷺ ومتنقصه في كتابه: «الصارم المسلول على شاتم الرسول» ما نصه[1]: وتحرير القول فيه: أن الساب إن كان مسلمًا أنه يكفر ويقتل بغير خلاف، وهو مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم» وقال حنبل: سمعت أبا عبد الله يقول: من شتم الرسول ﷺ أو انتقصه- مسلمًا كان أو كافرًا- فعليه القتل، وأرى أن يقتل ولا يستتاب. انتهى.

وكلام العلماء في هذا الباب كثير، وفيما نقلنا عنهم كفاية لطالب الحق.

ولقد وفقت صحيفة «صوت الإسلام» القاهرية في ردها على جريدة «المساء» المصرية ما اقترفته من المحاربة للإسلام، ومن الجرم الفظيع «والمنكر الشنيع في حق المصطفى ﷺ وشريعته» بقلم رئيس التحرير الشيخ محمد عطية خميس. ولقد أحسن فضيلته إحسانًا عظيمًا حيث أنكر ما فعلته هذه الصحيفة من الكفر الصريح والاستهزاء السافر بسيد عباد الله وأفضل رسول، واحتج على حكام مصر وطالبهم بوضع حد لهذه الفتنة.

وإلى القرّاء بعض كلمته:

قال وفقه الله بعد كلام سبق في رد مقالات شنيعة كتبتها بعض الصحف المأجورة ما نصه: فلا عجب بعد كل هذا أن يجترئ صحفي من صحفيي

(١) الصارم المسلول ١/ ١٠.

جريدة المساء ليعرض برسول اللَّه ﷺ في صورة كاريكاتورية في عددها الصادر في ٢٩ يناير الماضي ؛ فيرسم شخصًا له جسم الديك ، ويقول تحت هذه الصورة : « أهو ده يا سيدي محمد أفندي اللي متجوز تسع » !! بمثل هذا الخبث تنشر مثل هذه الصورة التي تعرض برسول اللَّه ﷺ وبشريعته الإسلامية !! من الذي تزوج تسعًا غير رسول اللَّه ﷺ ؟! أيصل الأمر إلى أن ينشر مثل هذا الرسم في جريدة يومية يشرف عليها الاتحاد القومي ، وتصل السخرية والتريقة على شخص رسول اللَّه ﷺ ، وأن يقال عنه : « محمد أفندي » ويرمز إليه بمثل هذا الرمز ؟! لماذا اختار المحرر والرسام محمد أفندي بالذات ولم يختر علي أفندي أو سعيد أفندي أو أي اسم آخر ؟! ولماذا حدد العدد بتسع بالذات ، ولم يحدد بسبع أو عشر أو اثني عشر ؟!

إن خبث الرسَّام ظاهر واضح ولا يحتاج إلى تأويل والتماس عذر له . إن مثل هذا الرسم لو نشر في أية صحيفة إنجليزية أو أمريكية أو فرنسية أو حتى إسرائيلية لقامت الدنيا وقعدت ، ولاتخذت سلاحًا بتارًا للدعاية والتشهير ! أما أن ينشر في جريدة من جرائد هذه الأمة فتغمض عنها الأعين ، وتمر بها مرورًا عابرًا !! ومن المؤسف المؤلم أن يحدث هذا في صحافتنا في الوقت الذي يعمل فيه الأعداء أكثر من حساب لمشاعرنا نحن المسلمين ، فأمريكا وإيطاليا تريدان إنتاج فيلم عن رسول اللَّه ﷺ ، فإذا بهم يلجأون إلى مشيخة الأزهر والجامعة العربية ؛ ليأخذوا رأيها وموافقتها في كل ما يتعلق بهذا الفيلم من حوار وسيناريو وخلافه ، وكان في استطاعة هاتين الدولتين أن يخرجا الفيلم كما يشاءان ، وعلى النحو الذي يتفق مع روحهم العدائية لنا . هذا ما يحدث من أعدائنا ، وهذا ما يحدث من أبناء أمتنا ! إلى متى يسكت المسؤولون عن هذه الصحافة ؟ وإلى متى نسكت نحن أبناء هذه الأمة ؟ أننتظر إلى أن يلجأ هؤلاء الخونة والمفسدون إلى التصريح بدلًا من التلميح ؟ أننتظر إلى أن يسخر من أسلافنا في الشوارع والطرقات ؟ واللَّه إنها لفتنة

سوداء يوقدها هؤلاء الجهلاء المأجورون تنذر بالخطر الفادح إن لم يوضع لها حد ، فإننا لن نستطيع أن نسكت بعد هذا على هذا التمادي في محاربة الإسلام والأخلاق ، وفي التعريض برسول الله ﷺ وشريعته ، فالأمة لا تزال معتزة بدينها غيورة على رسولها ، فإن أرادت هذه الصحافة الماجنة أن تعلنها حربًا فلتعلنها كما تريد ، ولكن لن نقف مكتوفي الأيدي وكفى ! فإسلامنا هو وطننا ولا وطن لنا غيره ، وإسلامنا هو روحنا ولا حياة لنا بسواه ، وإسلامنا هو رزقنا فلا قيمة للطعام والشراب عندنا بدونه ، وإسلامنا هو كل شيء في الوجود بالنسبة لنا . وأقول هذا باسم أكثر من عشرين مليون مسلم من أبناء هذا الشعب العزيز ، ونحن في انتظار بيان رسمي من الاتحاد القومي وما صنعه مع جريدة المساء ورسامها والمسؤولين عنها ، ومع صحافتها على العموم ؛ حتى نطمئن إلى مستقبل ديننا ، والله أكبر ، والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين . انتهى كلام الشيخ محمد عطية خميس .

ولقد أجاد وأفاد وصدع بالحق ، فجزاه الله عن ذلك خيرًا ، وزاده من الهدى والتوفيق ، وكثَّر في المسلمين من أمثاله من الصادعين بالحق بين الظلمة اللئام ، والحمد لله الذي أوجد في مصر في عصرها المظلم من ينطق بالحق ، ويصدع بالرد على من حاد عنه ، وإن دلَّ ذلك على شيء فإنما يدل على أن بالزوايا خبايا ، وأن في الرجال بقايا ، ولا شك أن ذلك من حفظ الله لدينه وحماية لخاتم أنبيائه وسيد أصفيائه محمد ﷺ .

ولقد أخبر الله سبحانه في كتابه المجيد عن أعدائه من الكفار والمنافقين أنهم يسخرون بالمرسلين والمؤمنين ويضحكون منهم ، فلا غرابة أن سلك حكام وصحف القاهرة إلا ما شاء الله منها مسلك أئمتهم من المشركين والمنافقين ، وساروا على منهاجهم الوخيم وطريقهم الذميم ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: الآية ٥٣] ، قال الله عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ [المطففين: ٢٩، ٣٠] الآيات ، وقال

سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٩- ١١١]، وقال جل وعلا عن رسوله نوح وقومه: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [هود: ٣٨، ٣٩]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: الآية ٧٩]

ففي هذه الآيات المحكمات والبراهين البينات دلالة ظاهرة وحجج قاهرة على أن الاستهزاء بالمرسلين والمؤمنين من صفات الكفار والمنافقين والمشركين، ومن عدائهم السافر وكفرهم الظاهر. ولقد تخلق حكام القاهرة وصحف القاهرة بأخلاقهم، وساروا سيرتهم ونهجوا نهجهم، فلهم حكمهم في الدنيا والآخرة، وقد ثبت عن المصطفى ﷺ أنه قال: «من تشبه بقوم فهو منهم»(١).

فليس من شك عند كل من له أدنى مسكة من علم وهدى أن من شبه الرسول ﷺ بشيء من الحيوانات الحقيرة فقد تنقصه واحتقره، ومن فعل ذلك أو رضيه من حكام القاهرة أو غيرها فهو كافر ملحد حلال الدم والمال.

وهنا أمر عظيم ينبغي التنبيه له، وهو أن يقال: ما السر في تشبيه صحيفة «المساء» القاهرية للرسول ﷺ بالديك دون بقية الحيوانات؟! إنه ظاهر لمن تأمله؛ ألا إنه الجحود لنبوته والإنكار لرسالته، ورميه بأنه ثائر شهواني ليس له هم

(١) أخرجه أحمد ٩/١٢٣ (٥١١٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وصححه الألباني في الإرواء (٢٦٩١).

إلا إشباع نهمته من النساء ! وهذا إمعان في الكفر ، وإيغال في الاستهزاء والاحتقار للجناب العظيم والمقام الرفيع . لعن اللَّه من تنقصه أو رماه بما هو براء منه ، وقاتل اللَّه صحيفة « المساء » القاهرية والقائمين عليها ، ما أعظم ما اجترأوا عليه من الباطل ! وما أقبح ما وقعوا فيه من الإسفاف والاستهزاء !!

ولقد صان اللَّه رسوله ﷺ وحماه مما قاله المبطلون ورماه به المفترون ، فقد كان أعف الناس ، وأنصحهم للَّه ولعباده ، وأرفعهم قدرًا وأشرفهم نفسًا ، وأشدهم صبرًا ، وأقومهم بحق اللَّه وتبليغ رسالته ، وأخشاهم للَّه وأتقاهم له ، وأزهدهم في كل ما يلوث مقامه العظيم أو يعوقه عن مهمته في الجهاد والنصح والتبليغ ، وإنما تزوج النساء كسنة من قبله من المرسلين ، كما قال اللَّه سبحانه : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرّعد: الآية ٣٨] .

وفي تزوجه ﷺ بتسع من النساء حكم كثيرة ، وأسرار بديعة ، ومصالح عظيمة :

منها : إعفافهن والإحسان إليهن .

ومنها : أن يتعلمن منه ﷺ أصول الشريعة وأحكامها ثم يعلمنها الناس بعده كما قد وقع ؛ فقد كان بيت كل واحدة منهن مدرسة للمسلمين والمسلمات ، يردونها للتعلم ، ويشربون من معينها الصافي عللًا بعد نهل ، ويسألون أمهات المؤمنين عن حياته ﷺ وشمائله وأخلاقه وأعماله داخل بيوته وخارجها .

ومن ذلك ما في تعددهن من مصلحة التأليف والتعاون على البر والتقوى ، وتبليغ القرآن والسنة بواسطة أصهاره ومن يتصل بهم ؛ لأن أزواجه كن من قبائل شتى ، وذلك أبلغ في مقام الدعوة والتأليف ، وأنفع للأمة وأكمل من جهة التبليغ والتعليم .

ومن ذلك ما في تعددهن مع صلاحهن وجمالهن ونسبهن من راحته ﷺ

وأنسه ، فإن اللَّه سبحانه قد حبب إليه النساء والطيب ، وجعل قرة عينه في الصلاة[١] .

وقد صح عنه أنه ﷺ قال : « الدنيا متاع وخير متاعها الزوجة الصالحة »[٢] .

وقد جبل اللَّه الرجال على حب النساء والميل إليهن ، وجعلهن سكنًا للرجال ، كما قال عز وجل : ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرُّوم: الآية ٢١] ، وأعطى نبيه ﷺ في ذلك من كمال الرجولة والقوة على القيام بأمر الزوجات وحقوقهن ما لم يعطه الكثير من قبله ، وليس هذا بمستنكر في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فإنهم أكمل الرجال رجولة ، وأعفهم فرجًا ، وأقومهم بحق اللَّه وحق عباده .

وقد كان لنبي اللَّه داود زوجات كثيرة ، ولنبي اللَّه سليمان بن داود مائة زوجة ، وقد قواهما اللَّه على الطواف عليهن والقيام بحقهن . فكيف يستغرب على من هو أفضل منهما وأرفع عند اللَّه منزلة ، وهو محمد ﷺ ، أن يبيح اللَّه له تسعًا من النساء ؟! مع ما في ذلك من المصالح الكثيرة التي تقدم بعضها ، وكلها تعود على الأمة بالخير والإحسان والنفع العام ، وقد خص اللَّه نبيه ﷺ بخصائص عظيمة وحباه بصفات كريمة ، فبعثه إلى الناس عامة ، وجعله رحمة للعالمين ، واتخذه خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا ، ورفع منزلته في أعلى الجنة ، وهي الوسيلة ، وجعله سيد أولاد آدم كلهم ، وأعطاه المقام المحمود والشفاعة العظمى يوم القيامة ، ونصره بالرعب مسيرة شهر ، وشرح له صدره ، وغفر له ذنبه ، ووضع

---

(١) يشير إلى حديث أنس رضي اللَّه عنه مرفوعًا : « حُبب إليَّ مِن الدنيا : النساء ، والطيب ، وجُعل قرة عيني في الصلاة » . أخرجه أحمد ٣٠٥/١٩ (١٢٢٩٣) ، والنسائي (٣٩٣٩، ٣٩٤٠) . وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣١٢٤) .

(٢) أخرجه مسلم (١٤٦٧) من حديث عبد اللَّه بن عمرو .

عنه وزره، ورفع له ذكره، فلا يذكر سبحانه إلا ذكر معه كما في الخطب والتشهد والإقامة والتأذين.

وخصائصه وشمائله ﷺ كثيرة جدًّا، فكيف بعد هذا كله تجترئ الصحافة المصرية والقائمون عليها على الاستهزاء به والحط من قدره، وتمثيله بحيوان من أحقر الحيوانات وأدناها؛ إمعانًا في الاحتقار ومبالغة في الاستهزاء؟! سبحان اللَّه، ما أعظم شأنه، واللَّه أكبر، ما أوسع حلمه: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: الآية ٥٩].

وليس هذا الكفر الظاهر والنفاق السافر والاستهزاء الصريح- بأشرف عباد اللَّه ومن أنقذ اللَّه به العباد من الظلمات إلى النور- بغريب من صحف الخلاعة والمجون، وأبواق الكفر والإلحاد، ومنابر الظلم والعدوان، ومحاربة الفضائل والدعوة إلى الرذائل.

أقول: ليس ذلك بغريب على حكام القاهرة، الذين باعوا أنفسهم للشيطان، وأعرضوا عما جاءت به الرسل ونزل به القرآن، واستبدلوا بذلك سيرة الفراعنة والملاحدة وعباد الصلبان، وجندوا أبواقهم وصحفهم لمحاربة الإسلام وطمس شعائره العظام، والتضليل والتلبيس على خفافيش الأبصار وسفهاء الأحلام.

ثم أقول: ليس هذا وحده جرم حكام القاهرة وصحف القاهرة! فكم لهم من جرائم، وكم لهم من مخاز، وكم لهم من مكفرات ونواقض للإسلام؟! أليسوا هم الذين أعلنوها اشتراكية سافرة وشيوعية حمراء وظلمًا للعباد والبلاد، وزعموا تلبيسًا وتضليلًا أنها من الإسلام؟! والإسلام براء من ذلك.

الإسلام حرم على الناس دماءهم وأموالهم وأعراضهم. الإسلام يحترم مال الفرد والجماعة، ويحرسه ويحميه بقطع يد السارق، وقتل المحارب إذا قتل، وقطع يده ورجله من خلاف إذا أخذ المال فقط، ويقول الرسول العظيم ﷺ في حجة الوداع في المشعر الحرام يوم النحر: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم

عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا »[(١)] . ويقول ﷺ : « من ظلم شبرًا من الأرض طوقه اللَّه إياه يوم القيامة من سبع أرضين »[(٢)] . ويقول عليه الصلاة والسلام : « من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب اللَّه له النار وحرم عليه الجنة » قالوا : وإن كان شيئًا يسيرًا يا رسول اللَّه ؟ قال : « وإن كان قضيبًا من أراك »[(٣)] .

ويقول اللَّه في كتابه الكريم : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ [النِّساء: الآية ٢٩] .. الآية ، وقال تعالى : ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: الآية ١٨٨] .

وقال سيد الخلق ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال : « يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا »[(٤)] . وقال عليه الصلاة والسلام أيضًا : « لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيبة من نفسه »[(٥)] . والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة .

وقد أجمعت الرسل عليهم الصلاة والسلام في شرائعهم المتنوعة على عصمة مال المسلم ، وتحريم دمه وماله وعرضه إلا بحق ، وأجمع علماء المسلمين على ذلك .

ومع هذا كله فحاكم القاهرة وأعوانه على الظلم والعدوان ؛ استباحوا أموال

(١) أخرجه البخاري (٦٧، ١٠٥) ، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رضي اللَّه عنه .
(٢) أخرجه البخاري (٢٤٥٢، ٢٤٥٣، ٣١٩٥) ، ومسلم (١٦١٠، ١٦١٢) من حديث سعيد بن زيد وعائشة رضي اللَّه عنهما .
(٣) أخرجه مسلم (١٣٧) من حديث أبي أمامة رضي اللَّه عنه .
(٤) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر ري اللَّه عنه .
(٥) أخرجه أحمد ٢٩٩/٣٤ (٢٠٦٩٥) ، والدارقطني ٢٦/٣ من حديث أبي حرة الرقاشي عن عمه مرفوعًا . وورد عن جماعة من الصحابة آخرين . وصححه الألباني في الإرواء (١٤٥٩) .

الناس باسم التأميم والحراسة والمصادرة وغير ذلك، ونبذوا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وراءهم ظهريًا. ولو أنهم قالوا: قد عرفنا أنه ظلم وعدوان وقدمنا عليه، لكان أسهل عند الله وعند المؤمنين، ولكنهم مع الظلم السافر والكفر الظاهر يزعمون أن أعمالهم الماركسية وتصرفاتهم الشيوعية وسيرتهم الكفرية والإلحادية: من الإسلام! ويزعم لهم أذنابهم وعبيدهم- تلبيسًا وتضليلًا- أن الإسلام جاء بذلك! والله سبحانه ورسوله ودينه براء من ذلك كله: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: الآية ٥]، ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: الآية ١٧١]. ولقد صدق الله سبحانه حيث يقول، وهو أصدق القائلين: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣، ٤٤].

ومن زعم أن ما يفعله من الظلم والاستبداد والتعدي على حرمات المسلمين: من الإسلام، فهو كافر ضال كاذب على الله ورسوله وعلى شرعه.

كما أن من أنكر الحدود، كحد السرقة أو غيره، وزعم أنها ليست من شرع الله- كما ينعق بذلك بعض مذيعي القاهرة- فهو كافر مكابر مكذب لمثل قوله سبحانه: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: الآية ٣٨].

ومن زعم أن الاشتراكية الماركسية مباحة، أو أنها من الإسلام، أو أنها خير من الإسلام وأرحم من الإسلام، فهو من أكفر عباد الله وأضلهم عن سواء السبيل؛ لأنه لا شيء أحسن من الإسلام، ولا حكم أعدل من حكمه، ومن جعل الظلم منه ونسبه إليه فقد تنقصه وكذب عليه، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل: الآية ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ

وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ١١٦، ١١٧].

والله سبحانه قسم بين الناس معيشتهم ورفع بعضهم فوق بعض درجات؛ لتنتظمَ أمورهم، ويستعينَ بعضهم ببعض؛ فتكملَ مصالحهم، وتظهر مواهبهم، ويتميز غنيهم من فقيرهم، وشاكرهم من كافرهم، وناصحهم من خائنهم، وطيبهم من خبيثهم، إلى غير ذلك من الحِكَم والأسرار الكامنة في حكمة التفاوت بينهم في المعيشة والأسباب والأخلاق والعقول، كما قال تعالى منكرًا على المشركين الأولين: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: الآية ٣٢]. وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ [النحل: الآية ٧١] .. الآية. وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ [الأنعام: الآية ١٦٥] .. الآية.

فلو سوى بينهم سبحانه في المعيشة والأخلاق والعقول والأسباب؛ لتعطلت مصالحهم، ولم تظهر هذه الحكم والأسرار التي رتب عليها الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة، ولم يعرف العباد معاني أسمائه الحسنى وصفاته العلى، ولم يخضع أحد لأحد، ولم يعرف أحد قدر نعمة الله عليه، ولم يؤد ما يجب عليه من الشكر، إلى غير ذلك من الأسرار والمعاني الشريفة والحكم الرفيعة التي لا يدركها ولا يوفق لها إلا أهل الإيمان بالله واليوم الآخر، وأرباب العلم النافع والبصائر.

والاشتراكية استوردها أربابها؛ ليغنوا بها الفقراء بزعمهم. وإنما جلبوها في الحقيقة ليفقروا بها الأغنياء، ويسلبوا بها أموال الناس بالباطل؛ باسم: رحمة الفقراء، ويصرفوها في مطامعهم الأشعبية وأغراضهم الدنيئة وشهواتهم البهيمية،

ويخمدوا بها جذوة الحركة والعمل، ويصدوا بها الناس عن التفكير في حق رب العالمين، والتنافس في مصالح الحياة، والثورة على الظلمة الحاكمين، والاشتغال بلقمة العيش وسد حاجة الأولاد من وراء الحكام المستبدين والطغاة الظالمين.

هذه حال الاشتراكية وأهلها؛ حسدوا الناس على ما آتاهم اللَّه من فضله، وتجرأوا على شرعه ورسله، وظلموا العباد، واستبدوا بالأموال والعتاد، وحاربوا اللَّه في أرضه، واستكبروا عن طاعته وحقه، وأنكروا الآخرة ومعاد الأبدان، وكذبوا بالجنة ولقاء الرحمن ، وصاروا من حزب الشيطان وأعداء بني الإنسان! تبًّا لهم؛ ما أخسر صفقتهم، وأخس مروءتهم، وأسوأ عاقبتهم!!.

فالحذر الحذر- أيها المسلمون- من أرباب هذه الفتنة العمياء والبدعة النكراء، والكفر الصريح، والمعاداة للَّه ولرسوله وشرعه لعلكم تفلحون.

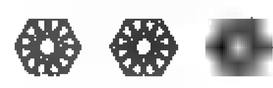
ومن نواقض الإسلام والمكفرات العظام التي أصر عليها حكام القاهرة أول إجراء[١]: فصل الدين عن الدولة، وعزل الشريعة الإسلامية عن الحكم بين الناس، واستبداله بالقوانين الوضعية والأحكام البشرية المستوردة من الشرق والغرب، واللَّه سبحانه يقول: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: الآية ٥٠]، ويقول عز وجل: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: الآية ٤٤]، ويقول وهو الصادق في قوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النِّساء: الآية ٦٥]

أيها القراء.. أيها العلماء.. أيها المسلمون: إن حكام القاهرة، وإذاعات القاهرة، وصحف القاهرة، قد تمادوا في الكفر والطغيان، والكذب على اللَّه

(١) في الأصل: «وول إجرى» ولعل الصواب ما أثبتنا.

وعلى رسوله وعلى أهل الإيمان، ولبسوا على الناس دينهم، وشككوا في عقائدهم، ونسبوا إلى الله وإلى دينه وإلى رسوله ما ليس منه؛ فأصبح كفرهم وضلالهم وتضليلهم من أوضح الواضحات، وصار جهادهم بالقلم واللسان وبالسيف والسنان من أكبر الواجبات؛ صيانة للإسلام وحماية لشرائعه العظام ورسوله الكريم وكتابه المبين، وإنقاذ الشعب المصري من ظلمهم وإلحادهم، فأعلنوها حربًا شعواء لا تبقي لأهل الإلحاد ولا تذر، ولا تخافوا في الله لومة لائم، والله ناصر من نصره وخاذل من خذله، وهو القائل في كتابه المبين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: الآية ٧]، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۞ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: الآية ٤٧]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

والله سبحانه أسأل أن يخذل حكام القاهرة وأعوانهم وكلَّ مبطل، وأن ينزل بهم بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين، وأن ينصر دينه ومن نصره، وأن يحمي حوزة الإسلام من كيد أعدائه اللئام، وأن يقيم علم الجهاد، ويقمع أهل الكفر والفساد، وأن يخلص الشعب المصري وسائر المسلمين من الكفر ودعاة الضلالة، إنه على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وأصحابه والتابعين، والحمد لله رب العالمين.



الخالق للكائنات والمسيطر عليها هو الله، لا الطبيعة ولا الإنسان[1]

اطلعت على مقال نشر في صحيفة البلاد عدد (١٤٠) وتاريخ ١٣٧٩/١هـ تحت توقيع خالد الغزاوي، بعنوان: «الطبيعة والإنسان»، قال فيه ما نصه: قبل أن يوجد الإنسان، وقبل ما توجد الحياة تدب دبيبها على وجه الأرض كانت الطبيعة هي المسيطرة على المكونات الأرضية، وكانت للطبيعة قواها وخوارقها، كما أتيح للإنسان في العصر الحاضر قوى جبارة، ولكن شتان بين قوى الطبيعة وقوى الإنسان!! وإذا أردنا أن نحصي بين قوى الطبيعة والقوى البشرية أمكننا أن نجتمع بسلسلة متصلة لا ..[2] من الفروق والاختلافات ...[2] مثل لقوى الطبيعة بالجبال، والبحار، والأنهار، وقبة السماء، والنجوم، والكواكب، والأقمار، والأجرام السماوية ..

ثم قال: وكل هذا من عمل الطبيعة، وكل هذا من إنتاج الخوارق الطبيعية التي يعجز الإنسان عن الإتيان بها أو مثل قوتها إلى الأبد!!.

والسؤال الذي يتردد إلى خاطر كثير منا، هو: هل استطاع الإنسان في الوقت الحاضر أن يسيطر على القوى الطبيعية ويسخرها...[2] البشرية في المنافع ...[2]؟

والجواب على هذا يتطلب منا شيئًا من تحري الحقائق، وقليلًا من التعمق والانتباه، فالإنسان قد استطاع بذكائه وحيلته أن يكشف الطبيعة، وأن يستغلها ضمن نطاق هذا الكشف والتحري بذكاء الإنسان لا بقوته، استطاع أن يسخر الطبيعة لخدمته وأغراضه وشتى منافعه ..

---

(١) صحيفة البلاد ١٣٧٩/٢/١٢هـ.

(٢) كلمة غير واضحة بالأصل.

إلى أن قال: والإنسان في هذا الوقت قد بلغ مرحلة جنونية من الذكاء والتحايل، فاكتشف الذرة، ليخدم مصالحه إلى جانب غاياته الاستعمارية، ثم لم يكتف بعالم الأرض بل انتقل إلى الفضاء بصواريخه وأقماره الصناعية ...[١] الإنسان دائمًا في صراع مع الطبيعة!.

ومن هذا الصراع تبين لدينا قدرة الإنسان ومقدار حضارته على قياس فنه وذكائه! ترى إلى متى سيبقى الإنسان في ذلك الصراع؟ هل يتغلب الإنسان دومًا على الطبيعة، أم أن الطبيعة ستتغلب في يوم ما على ذلك الإنسان؟ إن الأيام ستكشف لنا حقيقة ذلك!!

هذا ملخص المقال المذكور!

ولقد استغربت كثيرًا صدور هذا المقال في صحيفة إسلامية، وبلد إسلامي، وحكومة إسلامية!! وعجبت كثيرًا من غفلة المراقبين على الصحافة والنشر، كيف يقرون صدور مثل هذا المقال؟! وهل هذا إلا دليل على غفلة الرقابة أو جهلها، وأعوذ بالله أن يكون ذلك من خلل في العقيدة، وموافقة على الباطل؛ لأن هذا المقال مخالف للأديان السماوية، مناقض لما جاءت به الرسل، لا يتمشى إلا على طريقة الملاحدة المنكرين لوجود[٢] الله تعالى، ويكفي في رده وإبطاله كونه خلاف القرآن الكريم، وخلاف السنة المطهرة، وخلاف إجماع المسلمين، وخلاف العقول الصحيحة، والفطرة السليمة، وما كان بهذه المثابة فهو من أبطل الباطل، ومثله حقيق بأن لا يشتغل بالتنبيه على بطلانه لولا خشية أن يغتر به من لا بصيرة عنده من القراء.

لقد كان المشركون الأولون على ما هم عليه من الجهل والشرك مقرين بأن صانع العالم، ومكون الكائنات من سماء وأرض وجبال وبحار وغير ذلك،

---

(١) كلمة غير واضحة بالأصل.

(٢) في الأصل: «لوجه».

هو الله وحده لا شريك له . وقد فطر الله الأمم عربها وعجمها على ذلك إلا من اجتالته الشياطين عن فطرته . وقد نص الله تعالى في كتابه الكريم الذي ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ﴾ [فُصّلَت: الآية ٤٢] على أن الله سبحانه هو خالق كل شيء ، ومدبر جميع الكائنات ، وبارئ جميع المصنوعات ، ونبه سبحانه في كتابه العظيم على اعتراف المشركين بذلك ، فقال تعالى : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ [الزُمَر: الآية ٦٢] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: الآية ٥٤] . وقال تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [يُونس: الآية ٥] ، وقال تعالى : ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يُونس: الآية ٣١] .

والآيات في هذا المعنى كثيرة ، والنصوص من الكتاب والسنة على أن الله هو المستقل بخلق المخلوقات ، وصنع الكائنات أشهر من أن تذكر ، وأكثر من أن تحصر ، والبراهين العقلية ، والآيات المشاهدة الدالة على أن الصانع للعالم واحد ، وهو الله سبحانه ، جلية واضحة ، لا يجحدها إلا مكابر ، أو فاقد للعقل .

وقد تجاهل فرعون اللعين رب العالمين ، حين قال لموسى : ﴿وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الشُّعَراء: الآية ٢٣] ؟ فأجابه موسى بقوله : ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الدّخَان: الآية ٧] .

وفي موضع آخر من القرآن ، يحكي الله عن فرعون ما نصه : ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۝٤٩ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠ قَالَ فَمَا بَالُ

ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِي ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه: ٥٠- ٥٤].

وفي موضع ثالث، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ فَسْـَٔلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء: ١٠١، ١٠٢].

فانظر أيها القارئ، كيف أوضح موسى لفرعون حقيقة الإله الذي صنع هذا العالم، وبين شيئًا من دلالة وحدانيته، وأنه رب العالمين، خالق كل شيء، ومدبره، وأخبر أنه مع كفره ودعواه الربوبية قد علم أن صانع العالم واحد، وهو رب السماوات والأرض، ولذلك اعترف اللعين عندما أدركه الغرق بهذا الحق حيث يقول: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [يونس: الآية ٩٠]. وقال تعالى عنه وعن قومه: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: الآية ١٤].

وصاحب هذا المقال قد نسي ربه، ونسب مخلوقاته إلى الطبيعة التي هي خلق من خلقه جهلًا بالله وآياته، وتقليدًا للملحدين، ولم يرفع رأسًا بما في القرآن والسنة من الدلائل الراسخة والبراهين الساطعة على أن خالق العالم وصانع الكائنات هو الله وحده، ولا يحكم عقله، ولا فطرته في هذا الأصل العظيم حتى يبصر الحقائق على ما هي عليه، ويعلم أن ما دلَّ عليه القرآن والسنة في هذا الباب وغيره هو الحق الذي تشهد به الفطر السليمة والعقول الصحيحة التي لم تلعب بها الشياطين، ولم تغيرها شبه الملحدين، ويا ليت شعري، ما هذه الطبيعة التي صنعت الكائنات، وأين مكانها، وما هي صفاتها التي تعرف بها؟

وقد فسر أئمة اللغة العربية لفظ الطبيعة بكلمات متقاربة المعنى، وإليك ألفاظهم:

١- الجبلة . ٢- الخلق .

٣- السجية . ٤- الفطرة .

٥- المزاج .

وقيل : ما ركب فينا من المطعم والمشرب ، وغير ذلك من الأخلاق التي لا تزايلنا .

وقال أبو الحسن الجرجاني في « التعريفات » : الطبيعة : عبارة عن القوة السارية في الأجسام بها يصل الجسم إلى كماله الطبيعي .

فهل ترى أيها الكاتب أن سجايا الحيوان ، وقوى المخلوقات السارية فيها التي بها نموها هي التي صنعت العالم ، ودبرت الكائنات ، وهي كما ترى عرض قائم بغيره ، مفتقر إلى سواه ؟! هذا لا يقوله عاقل يدري ما يقول ؛ لأن صانع الأشياء لا يكون إلا منفصلًا عنها مستقلًا بنفسه دونها ، لا يحتاج إليها بوجه من الوجوه ، والطبيعة كما يظهر من تعاريفها ليست بهذا الوصف ، وإذًا لا بد من صانع لها كغيرها من المخلوقات ، وهو اللّٰه الذي أخبرت عنه الرسل ، وفطر اللّٰه العباد على الإقرار به ، على اختلاف أجناسهم ولغاتهم .

ولعل الكاتب قلد من قال : إن الطبيعة هي : القوة المكونة للعالم المادي ، كما في القاموس العصري وأشباهه . فيقال له : هذا التعريف للطبيعة قول محدث خلاف ما قاله أئمة اللغة العربية ، ولكن يستفاد منه أن قائليه عرفوا بفطرتهم أن هذه الكائنات لا بد لها من صانع صنعها ، ولم يعرفوا ما قالته الرسل عن وصف صانع العالم فسموه بالطبيعة وسمته الرسل والكتب السماوية بغير ذلك مما سمى اللّٰه به نفسه من الأسماء الحسنى والصفات العلى : كـ : اللّٰه . ورب العالمين ، والخالق ، والرازق ، والمالك ، وغير ذلك مما ورد في القرآن والسنة .

ولكن يبقى أن يقال لهم : ما صفات هذه القوة التي كونت العالم ؟ فإن وصفوها بما وصف اللّٰه به نفسه ، صار الخلف بينهم وبين أتباع الرسل لفظيًّا ،

وإن وصفوها بغير ذلك صار معناهم باطلًا كلفظهم ، وظهر لطالب الحق صحة ما جاءت به الرسل ، وأنه الموافق للفطر والعقول ، وهذا هو المطلوب .

وإذا كنت أيها الكاتب أردت بالطبيعة هذا المعنى الأخير ، وهو أن المراد بالطبيعة : القوة المكونة للعالم المادي ، وأردت بذلك الرب الذي أخبرت عنه الرسل ، وإنما قلدت الملاحدة في هذه العبارة ، فيقال لك :

أولًا : هذه التسمية باطلة ؛ لأن العلماء قد قرروا في كتب الأصول أن الله سبحانه لا يسمى إلا بما سمى به نفسه ، أو سماه به رسوله ﷺ ، ولا يوصف إلا بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله عليه الصلاة والسلام ، وهذه التسمية - أعني إطلاق الطبيعة على الله - لا أصل لها في الكتاب ، ولا في السنة ، ولا في كلام سلف الأمة ، فتكون باطلة . ثم يقال :

ثانيًا : لفظ الطبيعة لفظ مشترك محمل يحتمل حقًّا وباطلًا ، فلا يجوز إطلاقه على الله ؛ لأن أسماءه كلها حسنى ، ليس فيها احتمال ولا نقص بوجه من الوجوه ، بل كلها دالة على وصف الله بصفات الكمال والجلال وتنزيهه عن صفات النقص والعيب ، كما في قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية ١١] . وقوله تعالى : ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: الآية ٧٤] . إلى غير ذلك من الآيات المحكمات الدالة على وصفه سبحانه بصفات الكمال وتنزيهه عن مماثلة المخلوقات . ثم يقال :

ثالثًا : إذا فرضنا أنك أردت بالطبيعة هذا المعنى ، وهو إطلاقها على الله ، فكيف يلتئم ذلك من قوله في أثناء المقال : فالإنسان قد استطاع بذكائه وحيلته أن يكشف الطبيعة وأن يستغلها ضمن نطاق هذا الكشف والتحري .. إلخ . إذ هذا القول يقتضي أن الإنسان بذكائه قد كشف الله واستغله وسخره في خدمته وشتى أغراضه ومصالحه !! . وهذه جرأة على الله سبحانه ، وافتراء من القائل ، وسوء أدب مع رب العالمين ؛ فإن الإنسان أحقر وأقل من أن يكشف الله ويسخره

في خدمته - تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا - وإنما الحق والمنطق الصحيح أن يقال : إن الله تعالى هو الذي علم الإنسان ما لم يعلم ، وسخر له المخلوقات حتى استغلها في مصالحه الخاصة والمتعدية ، وذلك من نعم الله عليه ، ومما يعرفه بالله وعظيم قدرته ، وعميم إحسانه ، ويوجب عليه شكر المنعم والثناء عليه والاعتراف بكمال علمه ، وكمال قدرته ، وكمال إحسانه . كما قال تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: الآية ٢٩] . وقال تعالى : ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: الآية ١٣] .

وقال تعالى : ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١- ٥] . وهذه الآيات هي أول ما أنزل من القرآن على نبينا محمد ﷺ يمتن الله فيها سبحانه على بني الإنسان بتعليمه لهم بالقلم ، وتعليمهم ما لم يعلموا ، ولا ريب أن ذلك من أعظم نعمه وآياته الدالة على أنه رب العالمين ، وأنه صانع كل مصنوع ، وخالق كل شيء ، وأن العبد ضعيف عاجز عن كل شيء لولا تعليم الله له وإقداره إياه ، ومن هذا قوله : ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: الآية ٧٨] ، وقوله تعالى : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: الآية ١٢] . ويقال :

رابعًا : إذا أردت أن الطبيعة هي الله ، فكيف يجوز لك أن تقول في آخر المقال ما نصه : (ترى إلى متى سيبقى الإنسان في ذلك الصراع ، هل يتغلب الإنسان دومًا على الطبيعة ، أم أن الطبيعة ستتغلب في يوم ما على ذلك الإنسان ؟ إن الأيام ستكشف لنا حقيقة ذلك) . اهـ .

هذا الكلام يقتضي أن الإنسان قد تغلب على الطبيعة ، أي : تغلب على الله ،

على حسب الغرض المتقدم ، ويشك هل تعود الغلبة على الطبيعة في المستقبل ، أو يستمر الإنسان غالبًا لها ، فكأنك لا تؤمن باليوم الآخر ، وأن اللَّه سبحانه سوف يطوي هذا العالم ويذهب بالدنيا ويميت الإنسان ، ثم يبعثه ويجازيه بعمله ، ثم يصير إلى الجنة أو النار ، على حسب ما مات عليه من عمل ، وإذا كنت تؤمن بهذا ، وتعتقد أن الطبيعة هي اللَّه ، فكيف تشك في قهر اللَّه للمخلوقات وغلبته إياها ، كما دل عليه القرآن العظيم ، وأحاديث الرسول الأمين ، وكما يدل عليه الواقع المشاهد في أنفسنا وغيرنا ، إن مقالك هذا لفي غاية من الغرابة والبعد عن الصواب .

فالواجب عليك أن تتوب إلى اللَّه سبحانه ، وأن تفكر في كتابه وآياته ، وأن تكتب في بيان الحق والتصريح ببطلان ما كتبته في هذا المقال كتابة واضحة يعلم القراء منها اعترافك بالخطأ ، ورجوعك إلى الصواب ، ولا ضير عليك في ذلك ، فمن كمال الإنسان إذا أخطأ أن يعترف بالخطأ ، ويرجع إلى الصواب ، والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل ، ولا تصح التوبة في مثل هذا إلا بالبيان ، ومن تاب توبة نصوحًا تاب اللَّه عليه ، كما قال : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠] .

فتفطن أيها الكاتب وأيها القارئ لقوله تعالى : ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟﴾ [البقرة: الآية ١٦٠] . تعرف أنه لا بد في التوبة من بيان الحق المكتوم مع الإصلاح في العمل ، واللَّه المسؤول أن يهدينا وسائر المسلمين لمعرفة الحق والعمل به والاستقامة عليه ، والتوبة النصوح من سالف الذنوب ، وأن يوفقنا وسائر الكُتاب والقراء للعلم النافع والبصيرة النافذة ، والدعوة إلى الحق على بصيرة وصبر وإخلاص ، وأن يعيذنا جميعًا من الجهل والتقليد الأعمى ، إنه على كل شيء قدير ، وصلى اللَّه على محمد وآله وصحبه وسلم .

تعقيب حول ذكرى المولد النبوي(١)

الحمد للّه وحده، والصلاة والسلام على رسول اللّه ..

في يوم الخميس الموافق ١٨ /٣ /١٣٧٨هـ اطلعت على مقال بقلم محمد أمين يحيى؛ نشرته صحيفة «الأضواء» في عددها الصادر يوم الثلاثاء الموافق ١٦ /٣ /٣٧٨هـ، ذكر فيه الكاتب المذكور أن المسلمين في كافة أقطار الأرض يحتفلون بيوم المولد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة وأكمل التسليم بشتى أنواع الاحتفالات! وأنه يجب علينا قبل غيرنا أفرادًا وجماعات أن نحتفل به احتفالًا عظيمًا! وعلى الصحف أن تهتم به وتدبج به المقالات! وعلى الإذاعة أن تهتم بذلك وتعد البرامج الخاصة لهذه الذكرى الخالدة!! هذا ملخص المقال المذكور.

وقد عجبت كثيرًا من جرأة هذا الكاتب على الدعاية- بهذا المقال الصريح- إلى بدعة منكرة تخالف ما كان عليه رسول اللّه ﷺ وأصحابه الكرام والسلف الصالح التابعون لهم بإحسان في بلاد إسلامية تحكم شرع اللّه وتحارب البدع!!

ولواجب النصح للّه ولكتابه ولرسوله وللمسلمين رأيت أن أكتب كلمة على هذا المقال؛ تنبيهًا للكاتب وغيره على ما تقتضيه الشريعة الكاملة حول الاحتفال بمولد النبي ﷺ:

فأقول: لا ريب أن اللّه سبحانه قد بعث محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق، وهما العلم النافع والعمل الصالح، ولم يقبضه إليه حتى أكمل له ولأمته الدين وأتم عليهم النعمة، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المَائدة: الآية ٣]

فأبان سبحانه بهذه الآية الكريمة أن الدين قد كمل، والنعمة قد أتمت، فمن

---

(١) صحيفة البلاد السعودية العدد ٢٨٧٤ في ١/٤/١٣٧٨هـ.

رام أن يحدث حدثًا يزعم أنه مشروع ، وأنه ينبغي للناس أن يهتموا به ويعملوا به فلازم قوله أن الدين ليس بكامل ، بل هو محتاج إلى مزيد وتكميل . ولا شك أن ذلك باطل ، بل من أعظم الفرية على اللَّه سبحانه والمصادمة لهذه الآية الكريمة .

ولو كان الاحتفال بيوم المولد النبوي مشروعًا لبينه الرسول ﷺ لأمته ؛ لأنه أنصح الناس ، وليس بعده نبي يبين ما سكت عنه من حقه ؛ لأنه ﷺ خاتم النبيين ، وقد أبان للناس ما يجب له من الحق ، كمحبته واتباع شريعته ، والصلاة والسلام عليه ، وغير ذلك من حقوقه الموضحة في الكتاب والسنة ، ولم يذكر لأمته أن الاحتفال بيوم مولده أمر مشروع حتى يعملوا بذلك .

ثم الصحابة رضي اللَّه عنهم أحب الناس له وأعلمهم بحقوقه لم يحتفلوا بهذا اليوم ، لا الخلفاء الراشدون ولا غيرهم ، ثم التابعون لهم بإحسان لم يحتفلوا بهذا اليوم .

أفتظن أن هؤلاء كلهم جهلوا حقه أو قصروا فيه حتى جاء المتأخرون فأبانوا هذا النقص وكملوا هذا الحق؟! لا واللَّه ، ولن يقول هذا عاقل يعرف حال الصحابة وأتباعهم بإحسان .

وإذا علمت- أيها القارئ الكريم- أن الاحتفال بيوم المولد النبوي لم يكن موجودًا في عهده ﷺ ، ولا في عهد أصحابه الكرام ، ولا في عهد أتباعهم في الصدر الأول ، ولا كان معروفًا عندهم ، علمت أنه بدعة محدثة في الدين ، لا يجوز فعلها ولا إقرارها ولا الدعوة إليها ، بل يجب إنكارها والتحذير منها ؛ عملًا بقوله ﷺ في خطبته يوم الجمعة : « خير الكلام كلام اللَّه ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة »[1] . وقوله ﷺ : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا

---

(١) أخرجه مسلم (٨٦٧) من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه .

عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة »[١] . وقوله عليه الصلاة والسلام : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »[٢] . وفي لفظ : « من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد »[٣] . والأحاديث في هذا المعنى كثيرة .

ومعلوم عند كل من له أدنى مسكة من علم وبصيرة أن تعظيم النبي ﷺ لا يكون بالبدع ، كالاحتفال بيوم المولد ، وإنما يكون بمحبته واتباع شريعته وتعظيمها ، والدعوة إليها ومحاربة ما خالفها من البدع والأهواء ، كما قال الله تعالى : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: الآية ٣١] ، وقال سبحانه : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: الآية ٧] .

وفي الحديث عنه ﷺ أنه قال : « كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى » . قيل : يا رسول الله : ومن يأبى ؟ قال : « من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى »[٤] .

وتعظيمه ﷺ لا ينبغي أن يكون في وقت دون آخر ، ولا في السنة مرة واحدة ، بل هذا العمل نوع من الهجران ، وإنما الواجب أن يعظم ﷺ كل وقت بتعظيم سننه والعمل بها والدعوة إليها والتحذير من خلافها ، وببيان ما كان عليه ﷺ من الأعمال الصالحة والأخلاق الزاكية ، والنصح لله ولعباده ، وبالإكثار من الصلاة والسلام عليه ، وترغيب الناس في ذلك وتحريضهم عليه ، فهذا هو التعظيم الذي شرعه الله ورسوله ﷺ للأمة ، ووعدهم الله عليه الخير الكثير والأجر الجزيل والعزة في الدنيا والسعادة الأبدية في الآخرة .

---

(١) أخرجه أحمد ٣٧٣/٢٨ (١٧١٤٤) ، وأبو داود (٤٦٠٧) ، والترمذي (٢٦٧٦) ، وابن ماجه (٤٢) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٧) ، ومسلم (١٧/١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٣) أخرجه مسلم (١٨/١٧١٨) .

(٤) أخرجه البخاري (٧٢٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وليس ما ذكرته هنا خاصًا بمولد النبي ﷺ ، بل الحكم عام في سائر الموالد التي أحدثها الناس .

وقد قامت الأدلة على أن الاحتفال بمولده ﷺ بدعة منكرة لا يجوز إقرارها ، فغيره من الموالد أولى بأن يكون الاحتفال بمولده بدعة .

فالواجب على العلماء وولاة أمر المسلمين في سائر الأقطار الإسلامية أن يوضحوا للناس هذه البدعة وغيرها من البدع ، وأن ينكروها على من فعلها ، وأن يمنعوا من إقامتها ؛ نصحًا لله ولعباده ، وأن يبينوا لمن تحت أيديهم من المسلمين أن تعظيم الرسول ﷺ وغيره من الأنبياء والصالحين إنما يكون باتباع سبيلهم ، والسير على منهاجهم الصالح ، ودعوة الناس إلى ما شرعه الله ورسوله وتحذيرهم مما خالف ذلك .

وقد نص العلماء المعروفون بالتحقيق والتعظيم للسنة على إنكار هذه الموالد والتحذير منها ، وصرحوا بأنها بدع منكرة لا أصل لها في الشرع المطهر ، ولا يجوز إقرارها .

فالواجب على من نصح نفسه أن يتقي الله سبحانه في كل أموره ، وأن يحاسب نفسه فيما يأتي ويذر ، وأن يقف عند حدود الله التي حدها لعباده ، وأن لا يحدث في دينه ما لم يأذن به الله . فقد أكمل الله الدين وأتم النعمة ، وتوفي الرسول ﷺ وقد ترك أمته على المحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها إلا هالك .

والله المسؤول أن يهدينا وسائر المسلمين صراطه المستقيم ، وأن يعصمنا وإياهم من البدع والأهواء ، وأن يمن على الجميع بالتمسك بالسنة وتعظيمها والعمل بها والدعوة إليها والتحذير عما خالفها ، وأن يوفق ولاة أمر المسلمين وعلماءهم لأداء ما يجب عليهم من نصر الحق ، وإقامة أعلام الشرع ، وإنكار البدع والقضاء عليها ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

حكم الشريعة الإسلامية في غلام أحمد برويز[(١)]

الحمد للّٰه ، والصلاة والسلام على رسول اللّٰه وعلى آله وأصحابه ومن والاه .

أما بعد : فقد اطلعت على ما نشرته « مجلة الحج » في عددها الثاني الصادر في ١٦ شعبان من عام ١٣٨٢هـ عن الاستفتاء المقدم إليها من أخينا العلامة الشيخ محمد يوسف البنوري مدير المدرسة العربية الإسلامية بكراتشي : عن حكم الشريعة الإسلامية في غلام أحمد برويز الذي ظهر أخيرًا في بلاد الهند ، وعن حكم معتقداته التي قدم فضيلة المستفتي نماذج منها لاستفتائه ، وعن حكم من اعتنق تلك العقائد واعتقدها ودعا إليها ؟ .. إلخ .

والجواب : كل من تأمل تلك النماذج التي ذكرها المستفتي في استفتائه من عقائد غلام أحمد برويز ، وهي عشرون أنموذجًا موضحة في الاستفتاء المنشور في المجلة المذكورة ، كل من تأمل هذه النماذج المشار إليها من ذوي العلم والبصيرة يعلم علمًا قطعيًا لا يحتمل الشك بوجه ما أن معتنقها ومعتقدها والداعي إليها كافرٌ كفرًا أكبر مرتدٌ عن الإسلام ، يجب أن يستتاب ، فإن تاب توبة ظاهرة ، وكذب نفسه تكذيبًا ظاهرًا ينشر في الصحف المحلية ، كما نشر فيها الباطل من تلك العقائد الزائفة ، وإلا قتل .

وهذا شيء معلوم من دين الإسلام بالضرورة ، والأدلة عليه من الكتاب والسنة وإجماع أهل العلم كثيرة جدًا لا يمكن استقصاؤها في هذا الجواب .

وكل أنموذج من تلك النماذج التي قدمها المستفتي من عقائد غلام أحمد برويز يوجب كفره وردته عن الإسلام عند علماء الشريعة الإسلامية .

وإلى القارئ الكريم نبذة من تلك النماذج التي أشرنا إليها ؛ ليعلم مدى بشاعتها وشناعتها وبُعدها عن الإسلام ، وأن معتقدها لا يؤمن باللّٰه واليوم الآخر ،

(١) مجلة الحج - رمضان - ١٣٨٢هـ .

ولا يؤمن بالرسول ﷺ، ولا بما أخبر اللَّه به عز وجل ورسوله ﷺ عن الآخرة والجنة والنار، وليعلم أيضًا أن معتقدها بعيد كل البعد عما جاءت به الرسل، شديد العداوة والحقد والكيد للإسلام والمسلمين، بارع في المكر والتلبيس، متجرد من الحياء والأدب، نسأل اللَّه تعالى العافية والسلامة لنا وللمسلمين من شر ما ابتلي به هذا الزنديق الملحد.

النموذج الأول: من عقائد الملحد غلام أحمد برويز على ما نشرته المجلة المذكورة في الاستفتاء المنوه عنه آنفًا: يقول: «إن جميع ما ورد في القرآن الكريم من الصدقات والتوريث وما إلى ذلك من الأحكام المالية؛ كل ذلك مؤقت تدريجي، إنما يتدرج به إلى دور مستقل يسميه هو نظام الربوبية، فإذا جاء ذلك الوقت تنتهي هذه الأحكام؛ لأنها كانت مؤقتة غير مستقلة».

النموذج الثاني: «أن الرسول والذين معه قد استنبطوا من القرآن أحكامًا فكانت شريعة، وهكذا كل من جاء بعده من أعضاء شورائية لحكومة مركزية لهم أن يستنبطوا أحكامًا من القرآن؛ فتكون تلك الأحكام شريعة ذلك العصر، ليسوا مكلفين بتلك الشريعة السابقة، ثم لا تختص تلك بباب واحد، بل العبادات والمعاملات والأخلاق كلها يجري فيه ذلك، ومن أجل ذلك القرآن لم يعين تفصيلات العبادة».

النموذج الثالث: قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النِّساء: الآية ٥٩].

«أن المراد من إطاعة اللَّه ورسوله هو إطاعة مركز الأمة. أي: الحكومة المركزية. والمراد بأولي الأمر: الجمعيات التي تنعقد تحتها، فالحكومة المركزية تستقل بالتشريع، وليس المراد بإطاعة اللَّه إطاعة كتابه القرآن، ولا بإطاعة الرسول إطاعة أحاديثه، فكل حكومة مركزية قامت بعد عهد الرسالة منصبها منصب الرسول، فإطاعة اللَّه والرسول إنما هي إطاعة تلك الحكومة،

والرسول كان مطاعًا من جهة أنه كان أميرًا وإمامًا للحكومة المركزية ، والحكومة المركزية هي المطاعة » .

النموذج الرابع : « قد صرح القرآن الكريم بأنه لا يستحق الرسول أن يكون مطاعًا ، وليس له أن يأمرهم بطاعته ، وليس المراد من إطاعة اللَّه وإطاعة الرسول إلا إطاعة مركز نظام الدين الذي ينفذ أحكام القرآن فقط » .

النموذج السادس : « ليس المراد بالجنة والنار أمكنة خاصة ، بل هي كيفيات للإنسان » .

النموذج التاسع عشر : « الإيمان بالقدر خيره وشره مكيدة مجوسية جعلتها عقيدة للمسلمين » .

فهذه أيها القارئ الكريم نماذج نقلتها لك من الاستفتاء المنشور في المجلة حسب ترتيبها فيها ؛ لتعلم صحة ما ذكرته لك آنفًا ، وإذا قرأت بقية النماذج التي في المجلة علمت من كفره وشناعة آرائه ما يؤيد ذلك ، ويرشدك إلى كثير من آيات اللَّه الساطعة وبراهينه القاطعة على حكمته في عباده وقدرته العظيمة على تقليب القلوب والقضاء عليها بالزيغ حتى تصل إلى حد لا يكاد يتصوره العقل البشري ، فسبحان اللَّه ما أعظم شأنه ، وما أكمل قدرته !! : ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الرُّوم: الآية ٥٩] .

وهذه النماذج التي نقلنا يدل على بطلانها وعلى بطلان بقية النماذج الأخرى آيات كثيرات وأحاديث صحيحة وإجماع أهل العلم :

فمن الآيات : قوله سبحانه وتعالى : ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٦، ١٣٧] .

وهذا الملحد لم يؤمن بما أنزل الله على محمد ﷺ ، وما أنزل على الرسل قبله ، بل أنكر ذلك غاية الإنكار ، كما يدل على ذلك إنكاره طاعة الله ورسوله وتأبي ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٦، ١٣٧] شريعته ، وإنكاره الجنة والنار ، وإنكار القدر ، فيكون بذلك غير مهتد ، بل هو من أهل الشقاق والكفر والإلحاد .

وقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٩] .

وهذا الملحد لا يدين بذلك ، ويرى أن طاعة الرسول ﷺ مقيدة بحياته ، وأنه لم يطع لكونه رسول الله ، وإنما أطيع لكونه أمير الحكومة المركزية !! .

وهذا الملحد أيضًا لا يرى طاعة الله ، ولا يلتزم بها ، وإنما الطاعة عنده للحكومة المركزية كيفما كانت . وهذا صريح في تكذيب الله وتكذيب كتابه ، وصريح في إنكار الإسلام وإنكار أن يكون هو الدين الذي يجب التزامه ، وإنما الدين عنده ما شرعته الحكومة المركزية وأمرت به ، وإن خالف القرآن والسنة !!

وقال تعالى : ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٨٥] .

وهذا الملحد كما سبق لا يدين بهذه الآية ، فيكون مكذبًا لله ومعترضًا على الله ، فيكون في الآخرة من الخاسرين ، والخاسر في الآخرة الخسارة المطلقة هو الكافر المستوجب للخلود في النار ، نعوذ بالله من ذلك .

وقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النِّساء: الآية ٥٩] ، وقال تعالى : ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا

تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾ [يوسف: الآية ٤٠] ، وقال عز وجل : ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى: الآية ١٠] .

وهذا الزائغ الملحد لا يدين بهذه الآيات ، ولا يوجب طاعة اللَّه ورسوله ، ولا التحاكم إليهما كما سبق ، بل يرى كل ذلك للحكومة المركزية .

وهذا كله كاف في تكفيره وشناعة عقيدته ، وتكذيبه للَّه ولكتابه ولرسوله وللمسلمين ، ومن كان بهذه المثابة فكفره وزيغه وبعده عن الهدى لا يحتاج إلى إقامة الأدلة ؛ لكونه أظهر وأبين من الشمس في رابعة النهار في اليوم الصحو . والآيات في معنى ما ذكرته كثيرة .

وأما الأحاديث : فقد صح عن رسول اللَّه ﷺ في « الصحيحين »[(١)] وغيرهما أنه قال : « وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة » . وصح عنه ﷺ أنه قال : « كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى » قيل : يا رسول اللَّه ، ومن يأبى ؟ قال : « من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى » . رواه البخاري[(٢)] .

وفي القرآن الكريم يقول اللَّه سبحانه : ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: الآية ١٥٨] ، ويقول : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النساء: الآية ٨٠] .

وهذا الملحد لا يؤمن ببعثته ، ولا بوجوب طاعته ، ولا يراه رسولًا إلى الناس عامة ، وإنما يطاع عند هذا الزنديق في حياته فقط ؛ لكونه أمير الحكومة المركزية لا لكونه رسول اللَّه ، فسبحان اللَّه ما أشنع هذا القول وما أبعده عن الهدى !! .

وقد أجمع المسلمون إجماعًا قطعيًا معلومًا من الدين بالضرورة ، ومنقولًا في كتب أهل العلم التي تحكي الإجماع والخلاف على أن من كذب اللَّه سبحانه أو كذب رسوله ﷺ ولو في شيء يسير ، أو أجاز الخروج عن دينه ، أو قال : إن

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥، ٤٣٨) ، ومسلم (٥٢١) من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه .

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٨٠) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه .

محمدًا ﷺ رسول إلى العرب خاصة، أو إلى أهل زمانه خاصة، فهو كافر مرتد عن الإسلام يباح دمه وماله، ليس في ذلك بين أهل العلم- بحمد اللَّه - خلاف. فلا حاجة إلى التطويل بنقل إجماعهم من مصادره، وأرجو أن يكون فيما ذكرته كفاية للقارئ والمستفتي؛ لأن كفر هذا الملحد؛ غلام أحمد برويز على حسب ما ذكر من آرائه ومعتقداته يعلم بالبداهة لعامة المسلمين، فضلًا عن علمائهم، فلا ضرورة إلى بسط الأدلة عليه.

ونسأل اللَّه أن يعافي المسلمين من شره وأمثاله، وأن يكبت أعداء الإسلام أينما كانوا، ويبطل كيدهم، ويميتهم بغيظهم لم يدركوا ما أرادوا، إنه على كل شيء قدير، وحسبنا اللَّه ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم، وصلى اللَّه وسلم وبارك على عبده ورسوله سيدنا وإمامنا محمد بن عبد اللَّه المبعوث إلى الناس عامة بالشريعة الكاملة إلى يوم القيامة، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، والحمد للَّه رب العالمين.



التحذير من الكذب على النبي ﷺ[1]

قد ثبت في «الصحيحين» عن علي رضي اللَّه عنه مرفوعا: «لا تكذبوا عليَّ، فإنه من يكذب عليّ يلج النار»[2]. وفيهما أيضًا عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»[3]. وفيهما أيضًا عن المغيرة بن شعبة رضي اللَّه عنه مرفوعًا: «إنَّ كذبًا عليَّ ليس ككذب على أحد، فمن كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»[4]. وفي «صحيح مسلم» عن سمرة رضي اللَّه عنه مرفوعا: «من حدث عني بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين»[5]، وقد ضُبط قوله: «يرى» بالضم والفتح، فعلى الضم يكون معناه: يظن، وعلى الفتح يكون معناه: يعلم. كما نبه عليه النووي[6] رحمه اللَّه تعالى [في «شرح مسلم».

وهذه الأحاديث تدل على تحريم الكذب على النبي ﷺ][7]، وتحريم رواية ما يعلم أو يظن أنه كذب على النبي ﷺ.

وقد جاء في هذا المعنى أحاديث كثيرة متواترة عن النبي ﷺ تدل على شدة الوعيد في حق من كذب على النبي ﷺ، وإن الكذب عليه من الكبائر العظيمة.

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى كفر من تعمد الكذب [على النبي ﷺ، ولكن الأكثر من أهل العلم على خلاف ذلك إلا أن يستحله، فإن استحله كفر

---

(١) صحيفة المدينة المنورة العددان (٤١٥) (٤١٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٠٦)، ومسلم (١).

(٣) أخرجه البخاري (١١٠، ٦١٩٧)، ومسلم (٣).

(٤) أخرجه البخاري (١٢٩١)، ومسلم (٤).

(٥) أخرجه مسلم ١/٧ في مقدمة صحيحه.

(٦) في الأصل: «البغوي» والمثبت من مجموع فتاوى الشيخ (٢٦/٣١٦).

(٧) سقط ما بين المعقوفين من الأصل والمثبت من مجموع فتاوى الشيخ (٢٦/٣١٦).

بالإجماع][(١)] . وعلى كل تقدير فالكذب عليه ﷺ من أكبر الكبائر ؛ لما يترتب عليه من المفاسد الكثيرة وما صاحبه عن الكفر ببعيد ، أسأل اللّٰه العافية والسلامة .

وقد صرح أهل العلم رحمهم اللّٰه تعالى بأنه لا تجوز رواية الحديث الموضوع إلا مقرونًا ببيان حاله ، فإن كان ضعيفًا وليس بموضوع لم يجز الجزم بأن النبي ﷺ قاله ، ولكن يروى بصيغة التمريض ، كـ« يروى » عن النبي ﷺ ، أو « يذكر » ونحو ذلك .

وإنما قال ذلك أهل العلم حذرًا من الكذب على النبي ﷺ ورواية ما يخشى أنه كذب .

وفي هذه الأيام عرض عليّ بعض طلبة العلم نبذة مشتملة على حديث مطول في الإسراء والمعراج في أربعين صحيفة قد نسبها جامعها إلى ابن عباس ، عن النبي ﷺ . ولما قرأتها وتدبرت ما فيها تحققت أنها مكذوبة على النبي ﷺ ، وعلى ابن عباس ، وليس فيها من الأحاديث الصحيحة المرفوعة إلى النبي ﷺ ، إلا الشيء اليسير ؛ أراد واضعها أن يروِّج بذلك باطله ، وأن يشبِّه بذلك على ضعفاء البصيرة كالعامة والمنتسبين إلى العلم بدون تحقيق وعناية .

وأحاديث الإسراء والمعراج محفوظة[(٢)]- بحمد اللّٰه تعالى- وليس فيها ما يدل على صحة ما افتراه هذا الواضع في هذه النبذة ، وكل من تدبرها من أهل البصيرة والعلم بأسلوب كلام النبي ﷺ وأحاديثه الصحيحة الثابتة في قصة المعراج والإسراء يعلم قطعًا أنها موضوعة ليس فيها كلام رسول اللّٰه ﷺ المعروف إلا الشيء اليسير .

والنبذة المذكورة قد طبعت على نفقة « المكتبة العربية » ببغداد لصاحبها سلمان نعمان الأعظمي . وإنني لآسف كثيرًا لصاحب هذه المكتبة كيف

---

(١) ما بين المعقوفين غير واضح في الأصل وأثبتناه من مجموع فتاوى الشيخ .

(٢) من هنا تتمة المقال في العدد (٤١٧) من صحيفة المدينة المنورة .

استساغ طبع هذه النبذة وتغرير المسلمين بها ولم ينتبه لبطلان ما فيها ؟ .

والواجب على المتصدِّي لنشر العلم من أهل المكاتب وغيرهم التحري والتثبت والحذر من نشر ما يضر بالمسلمين .

وقد عمت البلوى بنشر الكتب والصحف المشتملة على الخرافات والأحاديث الموضوعة والصور الفاتنة .

فالواجب على أهل العلم التحذير من ذلك وإنكاره والتنبيه إليه ؛ ليسلم المسلمون من دسائس أهل الأغراض المشغوفين بنشر كل ما يشوه سمعة الإسلام ويصد عن الحق ، ويقتل الفضيلة ويحيي الرذيلة ، كبتهم اللّٰه وأعاذ المسلمين من شرهم ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

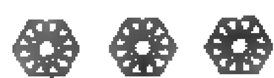
هذا وقد نبه الحافظ الذهبي رحمه اللّٰه تعالى في كتابه « الميزان »[1] بصحيفة (٢٢٢) من المجلد الثالث في ترجمة ميسرة بن عبد ربه الفارسي الترَّاس على أنه الواضع لهذا الحديث ، وهذا نص كلامه : « ميسرة بن عبد ربه الفارسي ، ثم البصري ، الترَّاس ، قال ابن أبي حاتم : هو الترَّاس ، روى عن ليث بن أبي سليم وابن جريج وموسى بن عبيدة والأوزاعي . وعنه شعيب بن حرب ويحي بن غيلان وداود بن المحبر وجماعته . قال محمد بن عيسى الطباع : قلت لميسرة بن عبد ربه : من أين جئت بهذه الأحاديث : « من قرأ كذا كان له كذا » ؟ قال : وضعته أُرَغِّب الناس . قال ابن حبان : كان ممن يروي الموضوعات عن الأثبات ويضع الحديث ، وهو صاحب حديث فضائل القرآن الطويل . وقال أبو داود : أقر بوضع الحديث . وقال الدارقطني : متروك . وقال أبو حاتم : كان يفتعل الحديث ، روى في فضل قزوين والثغور . وقال أبو زرعة : وضع في فضل قزوين أربعين حديثًا ، وكان يقول : إني أحتسب ذلك . وقال البخاري : ميسرة بن عبد ربه يرمى

(١) ميزان الاعتدال ٤/ ٢٣٠. وانظر التاريخ الكبير للبخاري ٧/ ٣٧٧، والجرح والتعديل ٨/ ٢٥٤.

بالكذب ، وقال داود بن المحبَّر : حدثنا ميسرة بن عبد ربه ، عن موسى بن عبيدة ، عن الزهري ، عن أنس مرفوعًا : « من كانت له سجية من عقل وغريزة يقين لم تضره ذنوبه » قيل : وكيف ذاك يا رسول اللَّه ؟ قال : « لأنه كلما أخطأ لم يلبث أن يتوب » ، وقال ابن حبان : روى ميسرة بن عبد ربه ، عن عمر بن سليمان الدمشقي ، عن ابن عباس مرفوعًا : « لما أسري بي إلى السماء الدنيا رأيت فيها ديكًا له زغب أخضر وريش أبيض ورجلاه في التخوم ورأسه عند العرش » ، وذكر حديثًا في المعراج نحو عشرين ورقة . رواه حميد بن زنجويه ، عن محمد بن أبي خداش الموصلي ، عن علي بن قتيبة ، عن ميسرة بن عبد ربه ... فذكره » . اهـ . المقصود منه .

وهذا الذي ذكره الحافظ الذهبي رحمه اللَّه في ترجمة ميسرة بن عبد ربه نقلًا عن ابن حبان رحمه اللَّه دليل ظاهر على أن ميسرة المذكور هو الواضع لهذا الحديث المطول ، عامله اللَّه بما يستحق .

وبهذا يعلم القراء أن هذه النبذة يتعين إتلافها وإراحة المسلمين منها ؛ لأن وجودها منكر ظاهر تجب إزالته ؛ ولوجوب البيان والنصح للمسلمين حرر .



التكبير الجماعي[1]
بدعة لا سنة

بسم اللَّه، والصلاة والسلام على رسول اللَّه.

نشرت صحيفة «الندوة» في عددها الصادر في ٨/١٠/٧٩هـ عدد (٣٦٢) كلمة بعنوان: هذا شرك، وهذه بدعة. بقلم رئيس التحرير حول التكبير الجماعي، هاجم فيها رئيس التحرير من أنكر التكبير الجماعي! وهاجم فيها الدعاة إلى اللَّه سبحانه في المسجد الحرام، فرماهم بعدم الإخلاص! وعابهم بأن بضاعتهم الكلام في الشرك والبدعة! وزعم أن مكة منذ أربعة عشر قرنًا قد أذن اللَّه سبحانه أن لا يبقى فيها مُشرك، وأن لا يدخلها بعد ذلك اليوم كافر.

هذه خلاصة كلمته، ثم نشر في الصحيفة المذكورة في العدد (٣٦٣) كلمة عن محمد بن علي اليماني، مضمونها: تأييد مَن قال بمشروعية التكبير الجماعي، وأخرى في العدد (٣٦٤) عن محمد الشنقيطي، زعم فيها أن التكبير الجماعي سنة فعلها عمر بن الخطاب! وأشار فيها إلى أن البدعة تنقسم إلى قسمين: إلى بدعة مستحسنة، وغير مستحسنة.

وزعم أن مَن منع التكبير الجماعي فهو ممن تشمله الآية الكريمة، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ [البقرة: الآية ١١٤] الآية.

وقال: إن الأحكام تشابهت على المانعين كما تشابه البقر على بني إسرائيل!!.

لقد تأملت هذه الكلمات الثلاث، وما اشتملت عليه من نصوص الكتاب والسنة والآثار السلفية التي احتج بها هؤلاء الكُتاب الثلاثة على شرعية التكبير

(١) صحيفة البلاد ١٧/١١/١٣٧٩هـ.

الجماعي ، والرد على مَن قال : إنه بدعة . فوجدتها بعيدة عن محل النزاع ؛ إذ الكلام في تكبير مخصوص يقوم به جماعة صباح العيد في المسجد الحرام ، وفيما شاء اللَّه من البلاد بصوت واحد يبتدئونه جميعًا وينهونه جميعًا .

هذا هو التكبير الجماعي المشار إليه في صدر هذه الكلمة ، وهو بهذه الكيفية هو محل البحث والإنكار . وليس فيما احتج به هؤلاء دليل على شرعية هذه الكيفية ، والعبادات لا يجوز إثباتها بمجرد الرأي والاستحسان ، بل هي توقيفية لا يجوز إثباتها إلا بالنص . والأدلة العامة لا يصح الاستدلال بها على كيفيات خاصة .

وهذه الكيفية لا نعلم في كتاب اللَّه ، ولا في سنة رسول اللَّه ﷺ ، ولا في هدي الخلفاء الراشدين ما يدل عليها . ولو كانت موجودة في الصدر الأول لتوفرت لهمم من نقلة الأخبار على نقلها ، ولا يجوز أن يظن بأئمة الإسلام من الصحابة ومن كان في عصرهم إهمال ذلك مع ثقتهم وأمانتهم وعنايتهم بنقل السنة وسيرة الخلفاء الراشدين ، ومن وجد شيئًا من ذلك فليدل عليه وليبين من خرَّجه من الأئمة ، والحق أحق بالاتباع .

وأما جنس الذكر والتكبير فليس فيه نزاع بين أهل العلم - بحمد اللَّه - بل الأدلة من الكتاب والسنة والآثار السلفية مما ذكره هؤلاء الكُتاب وغيرهم طافحة بالدلالة على شرعية الذكر والتكبير في يوم العيد وغيره .

وليس فيما فعله أمير المؤمنين عمر وابنه عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما في يوم العيد وأيام منًى ما يدل على شرعية التكبير الجماعي الذي قدمنا كيفيته ، وهكذا حديث أم عطية في تكبير النساء يوم العيد بتكبير الناس ، وإنما يدل ذلك على شرعية التكبير مطلقًا ؛ لا بهذه الكيفية المشار إليها ، وفرق بين الأخص والأعم ، وبين تكبير مطلق وتكبير مقيد .

فتنبه أيها القارئ وتفهم ، واحذر أن تعجل فتندم ، ولو كان ما ورد من الأدلة

في فضل التكبير والذكر دليلًا على شرعية التكبير الجماعي لكان ذلك دليلا على ما أحدثه الصوفية من الطرق والأذكار المحدثة التي أجمع المسلمون على إنكارها، ولكان ما ورد في فضل الصلاة دليلًا على ما أحدثه بعض الناس من «صلاة الرغائب» وغيرها، ولكان ما ورد في فضل المساجد وبنائها حجة للقبوريين في بناء المساجد على القبور وإسراجها وتقبيبها.

ومعلوم أن هذه الأشياء بدعة باتفاق أهل العلم المعروفين بالسنة والتحقيق، بل اتخاذ المساجد على القبور من أعظم وسائل الشرك بمن يثبت عليه، كما هو الواقع، وهذا قليل من كثير مما يلزم من احتج بالأدلة العامة على ما أحدثه الناس من البدع.

ومما يوضح أن التكبير الجماعي بدعة لا سنة، قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٣١].

وقول النبي ﷺ في خطبة الجمعة: «وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»(١). وقوله عليه الصلاة والسلام في حديث عائشة المتفق على صحته: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». وفي رواية مسلم: «مَن عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد».

هذه أدلة صحيحة صريحة في وجوب اتباع الرسول ﷺ والتحذير من محدثات الأمور، والدلالة على أن كل محدثة بدعة يجب تركها والتحذير منها.

ومن زعم أن التكبير الجماعي من سنته عليه الصلاة والسلام فليبرز ذلك بالأدلة الصحيحة الدالة على هذه الكيفية المعينة، ولن يجد إلى ذلك من سبيل.

ومما يزيد ما ذكرناه إيضاحًا ويدل على أن الصحابة رضي اللَّه عنهم يعتبرون مثل هذه الكيفية بدعة: ما رواه الدارمي وغيره(٢)، عن أبي عبد الرحمن عبد اللَّه

(١) تقدم تخريجه من حديث العرباض بن سارية.
(٢) تقدم تخريجه.

ابن مسعود - وهو من كبار علماء الصحابة - أنه دخل ذات يوم مسجد الكوفة فرأى فيه حلقًا ، في كل حلقة رجل يقول لهم : هللوا مائة ، فيهللون مائة ، سبحوا مائة ، فيسبحون مائة ، كبروا مائة ، فيكبرون مائة . فقال لهم عبد اللَّه بن مسعود : ويلكم يا أمة محمد ، ما أسرع هلكتكم ! هؤلاء أصحاب رسول اللَّه متوافرون ، وهذه ثيابه لم تبل وآنيته لم تكسر ، والذي نفسي بيده ، إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد ﷺ ، أو مفتتحوا باب ضلالة . فقالوا : واللَّه يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير . فقال لهم : كم من مريد للخير لم يصبه ، عدُّوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء .

فانظر أيها القارئ ، إلى هذا الصحابي الجليل والعالِم الكبير ، كيف أنكر على هؤلاء تهليلهم وتكبيرهم وتسبيحهم لما كان بصفة محدثة وطريقة جديدة لم تكن في عهده ﷺ ، ولم ينظر إلى أن جنس الذكر وجنس التكبير أمر مشروع ؛ لعلمه بعظيم الفرق بين الذكر المطلق والتكبير المطلق ، وبين ذكر وتكبير محدث بكيفية مخصوصة .

وليس بعد هذا الأثر والأدلة المتقدمة شبهة في إثبات أن التكبير الجماعي بالكيفية المتقدمة بدعة لا سنة .

ومن هنا يعلم القارئ الكريم أن من منع الأذكار المبتدعة غير داخل فيمن ذمهم اللَّه سبحانه في قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ [البَقَرَة: الآية ١١٤] .

ويعلم أيضًا أن من فرق بين السنة والبدعة ليس ممن تشابهت الأحكام عليه كما تشابهت البقر على بني إسرائيل ! وإنما يليق هذا الوصف بمن التبست عليه الأمور حتى جعل البدعة سنة ، واحتج لها بما لا يصلح دليلًا عليها . وأما من فرق بين السنة والبدعة وأقام الأدلة على ما قاله فهو على صراط مستقيم واضح المعالم ، لم تتشابه الأحكام عليه .

وأما قول الكاتب الشنقيطي – عفا اللّه عنه– : إن التكبير الجماعي سنة فعلها عمر . فجرأة لا تليق بأهل العلم ؛ لما قد سبق لك من أن ما فعله عمر بن الخطاب يوم العيد وأيام التشريق لا يدل على هذه البدعة ، وإنما يدل على شرعية التكبير فقط . وفرق بين أن يكبر الإنسان فيسمعه غيره فيقتدي به كما فعل عمر وابنه وغيرهما ، وبين تكبير جماعي بصوت واحد مقصود منظم ، ولو قصد به أهله تذكير الناسي وتنبيه الغافل ؛ لما تقدم لك من الأدلة ، ولما تقدم من إنكار ابن مسعود على الجماعة الذين أحدثوا للذكر كيفية مخصوصة ، وقال لهم– لما قالوا : ما أرادنا إلا الخير– : كم من مريد للخير لم يصبه ؛ تنبيهًا لهم على أن العبادات بالتوقيف لا بالرأي والاستحسان .

وأما ما قاله بعض أهل العلم من انقسام البدعة إلى : بدعة حسنة ، وبدعة سيئة . فهو قول مرجوح ، بل باطل ؛ لكونه مصادمًا لقول النبي ﷺ : « وكل بدعة ضلالة » . وهذه الجملة من جوامع الكلم الذي أوتيه ﷺ لا تدع شيئًا من المحدثات في باب العبادات إلا دخل فيها .

ثم اعلم أيها القارئ الكريم ، أن البدعة تنقسم قسمين : بدعة محضة . وهي التي لا أصل لها في الشرع بوجهٍ من الوجوه .

وبدعة ذات شائبتين ؛ وهي التي لها أصل في الشرع ، ولكن أضيف إليها من حيث الزمان أو المكان أو الكيفية ما جعلها بدعة .

والتكبير الجماعي من هذا النوع ؛ لكونه تكبيرًا مشروعًا في الأصل ، ولكن أحدث له من الكيفية ما جعله بدعة ، ومما ويضح لك أيها القارئ هذه القاعدة ما أضربه لك من الأمثلة :

١– من المعلوم أن قراءة القرآن من أفضل الذكر ، فلو أن إنسانًا قال : يستحب أن يقرأ المسلم كل ليلة : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآية ١] . ألف مرة ، أو غيرها من السور ، لكان ذلك بدعة ؛ لكونه شرع قراءة مخصوصة

في زمن مخصوص بغير حجة .

٢- يعلم كل منا أن الصلاة النافلة مشروعة كل وقت ما عدا أوقات النهي ، فلو أن شخصًا قال : يشرع أن يصلي المسلمون ركعتين أو أكثر في يوم مخصوص أو مكان مخصوص لم يرد به الشرع ، لكان ذلك بدعة ؛ لكونه أحدث للعبادة مكانًا أو زمانًا لم ينقل عن الشارع[1] .



(١) للمقال بقية في العدد نفسه لم يتيسر الحصول عليه .

تنبيه هام
على كذب الوصية المنسوبة
للشيخ أحمد خادم الحرم النبوي الشريف[1]

من عبد العزيز بن عبد اللَّه بن باز إلى من يطلع عليه من المسلمين ، حفظهم اللَّه بالإسلام ، وأعاذنا وإياهم من شر مفتريات الجهلة الطغام ، آمين .

سلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته .

أما بعد : فقد اطلعت على كلمة منسوبة إلى الشيخ أحمد خادم الحرم النبوي الشريف بعنوان : « هذه وصية من المدينة المنورة عن الشيخ أحمد خادم الحرم النبوي الشريف » .

قال فيها : « كنت ساهرًا ليلة الجمعة أتلو القرآن الكريم ، وبعد تلاوة قراءة أسماء اللَّه الحسنى ، فلما فرغت من ذلك تهيأت للنوم ، فرأيت صاحب الطلعة البهية رسول اللَّه ﷺ الذي أتى بالآيات القرآنية والأحكام الشريفة رحمة بالعالمين سيدنا محمد ﷺ ، فقال : يا شيخ أحمد . قلت : لبيك يا رسول اللَّه ، يا أكرم خلق اللَّه . فقال لي : أنا خجلان من أفعال الناس القبيحة ، ولم أقدر أن أقابل ربي ولا الملائكة ؛ لأن من الجمعة إلى الجمعة مات مائة وستون ألفًا على غير دين الإسلام ..»

ثم ذكر بعض ما وقع فيه الناس من المعاصي . ثم قال : « فهذه الوصية رحمة بهم من العزيز الجبار »

ثم ذكر بعض أشراط الساعة ، إلى أن قال : « فأخبرهم يا شيخ أحمد بهذه الوصية ؛ لأنها منقولة بقلم القدر من اللوح المحفوظ ، ومن يكتبها ويرسلها من بلد إلى بلد ومن محل إلى محل بني له قصر في الجنة ، ومن لم يكتبها ويرسلها

(١) صحيفة الندوة في ١٣٨٣/١٠/٧هـ .

حرمت عليه شفاعتي يوم القيامة ، ومن كتبها وكان فقيرًا أغناه اللَّه ، أو كان مديونًا قضى اللَّه دينه ، أو عليه ذنب غفر اللَّه له ولوالديه ببركة هذه الوصية ، ومن لم يكتبها من عباد اللَّه اسودَّ وجهه في الدنيا والآخرة » وقال : « واللَّه العظيم ثلاثًا هذه حقيقة ، وإن كنت كاذبًا أخرج من الدنيا على غير الإسلام ، ومن يصدق بها ينجو من عذاب النار ، ومن يكذب بها كفر » .

هذه خلاصة ما في هذه الوصية المكذوبة على رسول اللَّه ﷺ ، ولقد سمعنا هذه الوصية المكذوبة مرات كثيرة منذ سنوات متعددة ، تنشر بين الناس فيما بين وقت وآخر ، وتروج بين الكثير من العامة ! وفي ألفاظها اختلاف ، وكاذبها يقول : إنه رأى النبي ﷺ في النوم فحمَّله هذه الوصية !

وفي هذه النشرة الأخيرة التي ذكرنا لك- أيها القارئ- زعم المفتري فيها أنه رأى النبي ﷺ عندما تهيأ للنوم ، لا في النوم ! فالمعنى : أنه رآه يقظة !!

زعم هذا المفتري في هذه الوصية أشياء كثيرة ، هي من أوضح الكذب وأبيَن الباطل ، سأنبهك عليها قريبًا في هذه الكلمة إن شاء اللَّه ، ولقد نبهت عليها في السنوات الماضية ، وبينت للناس أنها من أوضح الكذب وأبيَن الباطل ، فلما اطلعت على هذه النشرة الأخيرة ترددت في الكتابة عنها ؛ لظهور بطلانها ، وعظم جراءة مفتريها على الكذب ، وما كنت أظن أن بطلانها يروج على من له أدنى بصيرة ، أو فطرة سليمة ، ولكن أخبرني كثير من الإخوان أنها قد راجت على كثير من الناس ، وتداولوها بينهم وصدقها بعضهم ، فمن أجل ذلك رأيت أنه يتعين على أمثالي الكتابة عنها لبيان بطلانها ، وأنها مفتراة على رسول اللَّه ﷺ حتى لا يغتر بها أحد .

ومن تأملها من ذوي العلم والإيمان ، أو ذوي الفطرة السليمة والعقل الصحيح ، عرف أنها كذب وافتراء من وجوه كثيرة .

ولقد سألت بعض أقارب الشيخ أحمد المنسوبة إليه هذه الفرية عن هذه

الوصية ؟ فأجابني : بأنها مكذوبة على الشيخ أحمد ، وأنه لم يقلها أصلًا ، والشيخ أحمد المذكور قد مات من مدة ، ولو فرضنا أن الشيخ أحمد المذكور ، أو من هو أكبر منه ، زعم أنه رأى النبي ﷺ في النوم أو اليقظة وأوصاه بهذه الوصية لعلمنا يقينًا أنه كاذب ، أو أن الذي قال له ذلك شيطان وليس هو الرسول ﷺ لوجوه كثيرة منها :

أن الرسول ﷺ لا يرى في اليقظة بعد وفاته ﷺ ، ومن زعم من جهلة الصوفية أنه يرى النبي ﷺ في اليقظة ، أو أنه يحضر المولد أو ما شابه ذلك ، فقد غلط أقبح الغلط ، ولبس عليه غاية التلبيس ، ووقع في خطأ عظيم ، وخالف الكتاب والسنة وإجماع أهل العلم ؛ لأن الموتى إنما يخرجون من قبورهم يوم القيامة لا في الدنيا ، ومن قال خلاف ذلك فهو كاذب كذبًا بينًا ، أو غالط ملبس عليه لم يعرف الحق الذي عرفه السلف الصالح ، ودرج عليه أصحاب رسول الله ﷺ وأتباعهم بإحسان ، قال الله تعالى : ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٥، ١٦] ، وقال النبي ﷺ : « أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ، وأنا أول شافع ، وأول مشفع »[1] . والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة .

الوجه الثاني : أن الرسول ﷺ لا يقول خلاف الحق ، لا في حياته ولا في وفاته ، وهذه الوصية تخالف شريعته مخالفة ظاهرة من وجوه كثيرة- كما يأتي- وهو ﷺ قد يرى في النوم ، ومن رآه في المنام على صورته الشريفة فقد رآه ؛ لأن الشيطان لا يتمثل في صورته كما جاء بذلك الحديث الصحيح الشريف[2] ، ولكن الشأن كل الشأن في إيمان الرائي وصدقه وعدالته وضبطه وديانته وأمانته ، وهل رأى النبي ﷺ في صورته أو في غيرها .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري (١١٠، ٦١٩٧) ، ومسلم (٢٢٦٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

ولو جاء عن النبي ﷺ حديث قاله في حياته من غير طريق الثقات العدول الضابطين ، لم يعتمد عليه ولم يحتج به ، أو جاء من طريق الثقاة الضابطين ولكنه يخالف رواية من هو أحفظ منهم وأوثق مخالفة لا يمكن معها الجمع بين الروايتين لكان أحدهما منسوخًا لا يعمل به ، والثاني ناسخ يعمل به ، حيث أمكن ذلك بشروطه ، وإذا لم يمكن ذلك ولم يمكن الجمع وجب أن تطرح رواية من هو أقل حفظًا وأدنى عدالة ، والحكم عليها بأنها شاذة لا يعمل بها .

فكيف بوصية لا يعرف صاحبها الذي نقلها عن رسول الله ﷺ ؟ ولا تعرف عدالته وأمانته ؟ فهي- والحالة هذه- حقيقة بأن تطرح ولا يلتفت إليها ، وإن لم يكن فيها شيء يخالف الشرع ، فكيف إذا كانت الوصية مشتملة على أمور كثيرة تدل على بطلانها ، وأنها مكذوبة على رسول الله ﷺ ومتضمنة لتشريع دين لم يأذن به الله !! وقد قال النبي ﷺ : « من قال عليَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعدة من النار »[1] .

وقد قال مفتري هذه الوصية على رسول الله ﷺ ما لم يقل ، وكذب عليه كذبًا صريحًا خطيرًا ، فما أحراه بهذا الوعيد العظيم ، وما أحقه به إن لم يبادر بالتوبة ، وينشر للناس أنه قد كذب هذه الوصية على رسول الله ﷺ ؛ لأن من نشر باطلًا بين الناس ونسبه إلى الدين لم تصح توبته منه إلا بإعلانها وإظهارها حتى يعلم الناس رجوعه عن كذبه ، وتكذيبه لنفسه ؛ لقول الله عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠] ، فأوضح الله

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٩) من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه ، بلفظ : « من يقل عليَّ » ، وأخرجه أحمد ١٢/١١ (٦٤٧٨) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، باللفظ المذكور .

سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة أن من كتم شيئًا من الحق لم تصح توبته من ذلك إلا بعد الإصلاح والتبيين ، واللَّه سبحانه قد أكمل لعباده الدين وأتم عليهم النعمة ببعث رسوله محمد ﷺ ، وما أوحى اللَّه إليه من الشرع الكامل ، ولم يقبضه إليه إلا بعد الإكمال والتبيين ، كما قال عز وجل : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المَائدة: الآية ٣] .. الآية .

ومفتري هذه الوصية قد جاء في القرن الرابع عشر ؛ يريد أن يلبس على الناس دينًا جديدًا ، يترتب عليه دخول الجنة لمن أخذ بتشريعه ، وحرمان الجنة ودخول النار لمن لم يأخذ بتشريعه ، ويريد أن يجعل هذه الوصية التي افتراها أعظم من القرآن وأفضل ؛ حيث افترى فيها : أن من كتبها وأرسلها من بلد إلى بلد أو من محل إلى محل بني له قصر في الجنة ، ومن لم يكتبها ويرسلها حرمت عليه شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة !! .

وهذا من أقبح الكذب ، ومن أوضح الدلائل على كذب هذه الوصية ، وقلة حياء مفتريها ، وعظم جرأته على الكذب ؛ لأن من كتب القرآن الكريم وأرسله من بلد إلى بلد ، أو من محل إلى محل ، لم يحصل له هذا الفضل إذا لم يعمل بالقرآن الكريم ، فكيف يحصل لكاتب هذه الفرية وناقلها من بلد إلى بلد ؟! ومن لم يكتب القرآن ولم يرسله من بلد إلى بلد ، لم يحرم شفاعة النبي ﷺ إذا كان مؤمنًا به تابعًا لشريعته .

وهذه الفرية الواحدة في هذه الوصية تكفي وحدها للدلالة على بطلانها وكذب ناشرها ، ووقاحته وغباوته ، وبعده عن معرفة ما جاء به الرسول ﷺ من الهدى .

وفي هذه الوصية- سوى ما ذكر- أمور أخرى كلها تدل على بطلانها وكذبها ، ولو أقسم مفتريها ألف قسم أو أكثر على صحتها ، ولو دعا على نفسه بأعظم العذاب وأشد النكال على أنه صادق ، لم يكن صادقًا ولم تكن صحيحة ،

بل هي- واللَّه ثم واللَّه- من أعظم وأقبح الباطل ، ونحن نشهد اللَّه سبحانه ومن حضرنا من الملائكة ومن اطلع على هذه الكتابة من المسلمين شهادةً نلقى بها ربنا عز وجل : أن هذه الوصية كذب وافتراء على رسول اللَّه ﷺ ، أخزى اللَّه من كذبها وعامله بما يستحق .

ويدل على كذبها وبطلانها ، سوى ما تقدم أمور كثيرة :

الأول منها : قوله فيها : « لأن من الجمعة إلى الجمعة مات مائة وستون ألفًا على غير دين الإسلام » ؛ لأن هذا من علم الغيب ، والرسول ﷺ قد انقطع عنه الوحي بعد وفاته . وهو في حياته لا يعلم الغيب ، فكيف بعد وفاته ؟! لقول اللَّه سبحانه : ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ [الأنعام: الآية ٥٠] .. الآية ، وقوله تعالى : ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النَّمل: الآية ٦٥] .

وفي الحديث الصحيح[1] عن النبي ﷺ أنه قال : « يذاد رجال عن حوضي يوم القيامة ، فأقول : يا رب أصحابي أصحابي ، فيقال لي : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك . فأقول كما قال العبد الصالح : ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: الآية ١١٧] » .

الثاني : من الأمور الدالة على بطلان هذه الوصية وأنها كذب ، قوله فيها : « من كتبها وكان فقيرًا أغناه اللَّه ، أو مديونًا قضى اللَّه دينه ، أو عليه ذنب غفر اللَّه له ولوالديه ببركة هذه الوصية .. إلى آخره » .

وهذا من أعظم الكذب وأوضح الدلائل على كذب مفتريها ، وقلة حيائه من اللَّه ومن عباده ؛ لأن هذه الأمور الثلاثة لا تحصل بمجرد كتب القرآن الكريم ،

(١) أخرجه البخاري (٦٥٨٢) ، ومسلم (٢٣٠٤) من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه .

فكيف تحصل لمن كتب هذه الوصية الباطلة ؟! وإنما يريد هذا الخبيث التلبيس على الناس ، وتعليقهم بهذه الوصية حتى يكتبوها ويتعلقوا بهذا الفضل المزعوم ، ويدعوا الأسباب التي شرعها اللَّه لعباده ، وجعلها موصلة إلى الغنى وقضاء الدين ومغفرة الذنوب ، فنعوذ باللَّه من أسباب الخذلان وطاعة الهوى والشيطان .

الأمر الثالث : من الأمور الدالة على بطلان هذه الوصية قوله فيها : « ومن لم يكتبها من عباد اللَّه اسود وجهه في الدنيا والآخرة »

وهذا أيضًا من أقبح الكذب ، ومن أبين الأدلة على بطلان هذه الوصية ، وكذب مفتريها !! كيف يجوز في عقل عاقل : أن من لم يكتب هذه الوصية التي جاء بها رجل مجهول في القرن الرابع عشر يفتريها على رسول اللَّه ﷺ ، ويزعم أن من لم يكتبها يسود وجهه في الدنيا والآخرة ، ومن كتبها كان غنيًا بعد الفقر ، وسليمًا من الدين بعد تراكمه عليه ، ومغفورًا له ما جناه من الذنوب ! سبحانك هذا بهتان عظيم !!

وإن الأدلة والواقع يشهدان بكذب هذا المفتري ، وعظم جرأته على اللَّه ، وقلة حيائه من اللَّه ومن الناس . فهؤلاء أمم كثيرة لم يكتبوها فلم تسود وجوههم ، وههنا جمع غفير لا يحصيهم إلا اللَّه قد كتبوها مرات كثيرة فلم يقض دينهم ولم يزل فقرهم !! فنعوذ باللَّه من زيغ القلوب ورين الذنوب .

وهذه صفات وجزاءات لم يأت بها الشرع الشريف لمن كتب أفضل كتاب وأعظمه وهو القرآن الكريم ، فكيف تحصل لمن كتب وصية مكذوبة مشتملة على أنواع من الباطل وجمل كثيرة من أنواع الكفر ؟! سبحان اللَّه ما أحلمه على من اجترأ عليه بالكذب .

الأمر الرابع : من الأمور الدالة على أن هذه الوصية من أبطل الباطل وأوضح الكذب قوله فيها : « ومن يصدق بها ينجو من عذاب النار ، ومن كذب بها كفر »

وهذا أيضًا من أعظم الجرأة على الكذب ومن أقبح الباطل ؛ يدعو هذا

المفتري جميع الناس إلى أن يصدقوا بفريته ، ويزعم أنهم بذلك ينجون من عذاب النار ، وأن من كذب بها يكفر ، لقد أعظم والله هذا الكذاب على الله الفرية ، وقال والله غيرَ الحق .

إن من صدق بها هو الذي يستحق أن يكون كافرًا لا من كذب بها ؛ لأنها فرية وباطل وكذب لا أساس له من الصحة ، ونحن نشهد الله على أنها كذب وأن مفتريها كذاب يريد أن يشرع للناس ما لم يأذن به الله ، ويدخل في دينهم ما ليس منه ، والله قد أكمل الدين وأتمه لهذه الأمة من قبل هذه الفرية بأربعة عشر قرنًا .

فانتبهوا أيها القراء والإخوان ، وإياكم والتصديق بأمثال هذه المفتريات ، وأن يكون لها رواج فيما بينكم ، فإن الحق عليه نور لا يلتبس على طالبه ، فاطلبوا الحق بدليله ، واسألوا أهل العلم عما أشكل عليكم ، ولا تغتروا بحلف الكذابين ، فقد حلف إبليس اللعين لأبويكم على أنه لهما من الناصحين ، وهو أعظم الخائنين وأكذب الكذابين ، كما حكى الله عنه ذلك في سورة الأعراف حيث قال سبحانه : ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: الآية ٢١]

فاحذروه واحذروا أتباعه من المفترين ، فكم له ولهم من الأيمان الكاذبة والعهود الغادرة والأقوال المزخرفة للإغواء والتضليل ؟! عصمني الله وإياكم وسائر المسلمين من شر الشياطين وفتن المضلين وزيغ الزائغين ، وتلبيس أعداء الله المبطلين الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويلبسوا على الناس دينهم ، والله متم نوره وناصر دينه ولو كره أعداء الله من الشياطين وأتباعهم من الكفار والملحدين .

وأما ما ذكره هذا المفتري من ظهور المنكرات ، فهو أمر واقع ، والقرآن الكريم والسنة المطهرة قد حذرا منها غاية التحذير ، وفيهما الهداية والكفاية ، ونسأل الله أن يصلح أحوال المسلمين ، وأن يمن عليهم باتباع الحق ، والاستقامة

عليه ، والتوبة إلى اللّٰه سبحانه من سائر الذنوب ، فإنه التواب الرحيم والقادر على كل شيء .

وأما ما ذكر عن شروط الساعة ، فقد أوضحت الأحاديث النبوية ما يكون من أشراط الساعة ، وأشار القرآن الكريم إلى بعض ذلك . فمن أراد أن يعلم ذلك وجده في محله من كتب السنة ومؤلفات أهل العلم والإيمان ، وليس بالناس حاجة إلى بيان مثل هذا المفتري وتلبيسه ومزجه الحق بالباطل .

وحسبنا اللّٰه ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا باللّٰه العلي العظيم ، والحمد للّٰه رب العالمين ، وصلى اللّٰه وسلم على عبده ورسوله الصادق الأمين ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين .



حول تعرض الإيمان للقلق[١]

نشرت مجلة « الراية » في عددها الثاني رسالة للمركز الإسلامي في جنيف ، والتي ورد فيها أسئلة ؛ أولها عن الإيمان ، وتعرضه عند عدد كبير لكثير من القلق والشك ، هل هذا القول صحيح ؟.. إلخ. وكانت الكلمة بقلم الأخ الدكتور سعيد رمضان .

فبعد حمد الله نقول : لا ريب أن الله سبحانه وتعالى قد فطر العباد على الإيمان به ربًا وإلهًا ومدبرًا ؛ يخاف ويرجى ، ويتقرب إليه بأنواع القرب ، كما قال : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: الآية ٣٠] ، وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « يقول الله تعالى إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا »

والإيمان الشرعي : هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، كما قد فسره النبي ﷺ بذلك في جوابه لسؤال جبريل عليه السلام . وهو بضع وسبعون شعبة ؛ أفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، كما دلت على ذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ودرج عليه سلف الأمة .

وبعد هذه المقدمة وتعريف الإيمان نقول : إن هذا الإيمان يتعرض للشك والقلق وذلك لأسباب عدة :

١- أعظمها الجهل بمقتضى الإيمان وأدلته .

٢- عدم العمل بمقتضى العلم ، فيضعف الإيمان شيئًا بعد شيء حتى يزول ، ويحل محله الشك والقلق ، كما يدل عليه الواقع وتقتضيه النصوص .

---

(١) مجلة راية الإسلام العدد ٦ جمادى الأولى سنة ١٣٨٠ هـ .

٣- وجود المؤمن في بيئة غير مؤمنة ، فتملى عليه شكوكها وشبهاتها ؛ فيتزعزع إيمانه ويضعف أمام المغريات ودواعي الانحراف ، لا سيما إذا كان قليل العلم ، وفقد المجالس الصالح الذي يثبته ويعينه .

ويدل على هذا ما جاء في الحديث الصحيح عن الرسول الكريم ﷺ أنه قال : « بادروا بالأعمال ؛ فتنًا كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل فيها مسلما ويمسي كافرا ، ويمسي مسلما ويصبح كافرا ، يبيع دينه بعرض من الدنيا » .

وهذا الحديث يرشد إلى أن البدار بالأعمال الصالحات من أسباب ثبات الإيمان ، وأن عدمها من عوامل الشك والتأثر بالفتن .

وهذه الفتن يدخل فيها فتن الشهوات والشبهات وفتن الحروب ، وأعظمها فتن الشهوات إذ هي أكثر إغراء ، وأقرب إلى النفوس الضعيفة ، فينخدع المؤمن أول الأمر ، ثم يتورط فيها حتى تسوخ قدمه ويذهب إيمانه .

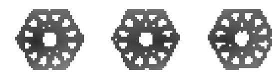
وطريق السلامة والنجاة أن يتباعد المؤمن عن أسباب الفتن ، وأن يحذرها غاية الحذر ، ويجتهد في سؤال اللّٰه الثبات على الإيمان ، ويقبل على كتاب اللّٰه تاليا ومتدبرا للآيات الدالة على اللّٰه والإيمان به ، المشتملة على الحجج العقلية والبراهين النظرية ، المرشدة إلى وجوده سبحانه ووحدانيته ، واستقلاله بتدبير الأمور كلها ، واستحقاقه أن يعظم ويطاع باتباع شريعته والوقوف عند حدوده .

ومتى رسخ الإيمان في القلوب وذاقت حلاوته واستنارت بأدلته صعب اقتلاعه منها ، وندر رجوع صاحبه عنه واستبداله بغيره ، كما قال هرقل لأبي سفيان حين سأله عن مسائل تتعلق بدعوة الرسول ﷺ : هل يرتد أحد من أصحاب محمد بعد دخوله في دينه سخطة له ؟ فأجاب أبو سفيان بالسلب ، فقال هرقل : وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب .

والواقع يشهد بما قال هرقل ، ولهذا لم يرو أن الرسول أنكر عليه هذا الجواب .

أما التجربة العملية لهذا فقد ذكر ابن القيم في قصيدته النونية أنه وقع له شيء من الشك والقلق بسبب النظر في كتب أهل الكلام وشبهاتهم ؛ حتى أتاح اللَّه له شيخ الإسلام ابن تيمية فأرشده إلى الآيات والأحاديث المعرفة باللَّه ، وكمال عظمته وأسمائه واستقلاله بتدبير الأمور ، فاستقام إيمانه وزال عن نفسه ما ساورها من أنواع الشكوك والقلق .

وصلى اللَّه وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .



حكم الجمع والقصر في السفر[١]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه.

أما بعدُ؛ فقد ورد عليَّ سؤال من بعض الإخوان عن حكم القصر والجمع في السفر؟ ورغب أن يكون الجواب على صفحات «البلاد السعودية»؛ لتعم الفائدة، وهذا نص السؤال:

س: ما قولكم في قصر الصلاة في السفر والجمع فيه بين الصلاتين؟ وهل هما متلازمان؟ وما حكم الجمع في الإقامة التي تعرض للمسافر؟ وما تحديد الإقامة المانعة من القصر والجمع؟ هذه خلاصة السؤال.

وجوابًا على ذلك، نقول: قد دلت سنة رسول الله ﷺ مع ظاهر القرآن الكريم على شرعية قصر الصلاة في السفر، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [النساء: الآية ١٠١] الآية. وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: أول ما فرضت الصلاة ركعتين، فأقرت صلاة السفر، وأتمت صلاة الحضر[٢].

وفي صحيح مسلم عن يعلى بن أمية قال: سألت عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [النساء: الآية ١٠١]. وقد أمنا؟ فقال: عمر عجبت مما عجبت منه، فسألت رسول الله ﷺ؟ فقال: «صدقة تصدق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته»[٣].

فهذا الحديث الصحيح يدل على أن قوله تعالى: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ

---

(١) البلاد السعودية ٢٨١٧ في ١٣٧٨/١/٢٤هـ.

(٢) أخرجه البخاري (١٠٩٠)، ومسلم (٦٨٥).

(٣) أخرجه مسلم (٦٨٦).

كَفَرُوٓاْ﴾ [النساء: الآية ١٠١] ليس بشرط، وإنما خرج مخرج الغالب؛ لأن أسفار النبي ﷺ وأصحابه بعد الهجرة وقبل صلح الحديبية كانت مخوفة، والشرط إذا خرج مخرج الغالب لا مفهوم له، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [النور: الآية ٣٣]. الآية. وما جاء في معناها. نبه على ذلك الحافظ ابن كثير وغيره في تفسير هذه الآية الكريمة وأمثالها، وخرّج أحمد، والنسائي، وابن ماجه، بإسناد صحيح عن عمر بن الخطاب رضي اللّٰه عنه أنه قال: صلاة السفر ركعتان، وصلاة الأضحى ركعتان، وصلاة الفطر ركعتان، وصلاة الجمعة ركعتان، تمام غير قصر على لسان نبيكم ﷺ(١).

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي اللّٰه عنهما قال: فرض اللّٰه الصلاة على لسان نبيكم محمد ﷺ؛ في الحضر أربعًا، وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة(٢). اهـ.

وكان النبي ﷺ في جميع أسفاره يقصر الصلاة من حين يخرج من المدينة حتى يرجع إليها.

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس أن النبي ﷺ أقام بمكة عام الفتح تسعة عشر يومًا يقصر الصلاة(٣)، وأقام ﷺ بتبوك عشرين يومًا يقصر الصلاة(٤)، وثبت في أحاديث كثيرة أنه ﷺ قدم مكة في حجة الوداع صبح رابعة من ذي الحجة، فلم يزل يقصر حتى رجع إلى المدينة(٥).

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٣٧، والنسائي (١٤٢٠، ١٥٦٦)، وابن ماجه (١٠٦٣، ١٠٦٤). وصححه الألباني.

(٢) أخرجه مسلم (٦٨٧).

(٣) أخرجه البخاري (١٠٨٠، ٤٢٩٨).

(٤) أخرجه أحمد ٣/ ٢٩٥، وأبو داود (١٢٣٥) من حديث جابر رضي اللّٰه عنه. وصححه الألباني.

(٥) أخرجه مسلم (١٢١٦) من حديث جابر رضي اللّٰه عنه، وأخرجه ابن خزيمة (٩٥٦) من حديث أنس رضي اللّٰه عنه.

فهذه الأحاديث وما جاء في معناها كلها صريحة في شرعية قصر الصلاة في السفر وأن ذلك هي سنة رسول الله ﷺ التي استمر عليها إلى أن لقي ربه.

فلا ينبغي للمسافر أن يخالفها، بل السنة في حقه لزومها والتأسي بالنبي ﷺ في ذلك.

والإقامة العارضة للمسافر في أثناء سفره لا تخرجه عن كونه مسافرًا، كما يدل على ذلك هديه ﷺ حين أقام بمكة وتبوك، ولم يقل للناس: إذا أقمتم كذا وكذا فأتموا الصلاة.

ولو كانت الإقامة العارضة في السفر تمنع من القصر لبين ذلك ﷺ وقال مقدارها حتى لا يبقى على الأمة لبس، فلما لم ينقل شيء من ذلك دل سكوته ﷺ على أن الإقامة العارضة لا تمنع من القصر طالت أو قصرت، ما لم يجمع المسافر على الإقامة في ذلك المحل والاستيطان به.

وقد ورد عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم أنهم أقاموا في أثناء السفر مددا طويلة يقصرون فيها الصلاة. وقد أوضح ذلك العلامة ابن القيم رحمه الله في «زاد المعاد»[١] في فوائد غزوة تبوك، فليراجعه من أحب الوقوف على ما ورد في ذلك، ولولا قصد الاختصار لنقلته.

وقد حكى ابن المنذر إجماع العلماء على أن المسافر إذا أقام في أثناء سفره لحاجة عارضة لا يدري متى تنقضي أنه يقصر، ولو أقام سنين، وأما إذا أجمع الإقامة مدة معلومة فقد اختلفت العلماء رحمهم الله، هل يقصر أم لا؟

واختلفوا في تقدير المدة المانعة من القصر على أقوال: الصحيح أن الإقامة العارضة لا تمنع القصر مطلقًا كما تقدم.

وهذا هو الذي نصره شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه العلامة ابن القيم

---

(١) زاد المعاد ٥٦١/٣ - ٥٦٤.

رحمة اللَّه عليهما ، وعليه يدل هدي رسول اللَّه ﷺ ، وهدي أصحابه رضي اللَّه عنهم .

وأما الجمع بين الصلاتين فهو رخصة لا تختص بالسفر ، بل يشرع في السفر والحضر عند وجود مقتضيه ، وليس ملازمًا للقصر ، بل كان النبي ﷺ إذا جد به السير جمع بين الصلاتين ، وإذا أقام صلى كل صلاة في وقتها قصرًا بلا جمع ، هذا هو فعله ﷺ في عام الفتح وحجة الوداع بمكة ومنى وغالب أسفاره ، وربما جمع وهو نازل إذا دعت الحاجة إلى ذلك ، كما ثبت عنه ﷺ ذلك في غزوة تبوك ، ولعله فعل ذلك لبيان جواز الجمع حال الإقامة في السفر ، ويكون تركه في هذه الحال أفضل عملًا بسنته المشهور في غالب إقامته .

وما يدل على جواز الجمع للمسافر حال الإقامة العارضة جمعه ﷺ بين الظهر والعصر بعرفة .

والخلاصة : أن الجمع غير ملازم للقصر ؛ لأن القصر سنة مستقرة في السفر لا ينبغي تركه ، والجمع رخصة عارضة ، والأفضل تركه حال الإقامة في أثناء السفر إلا أن توجد مصلحة شرعية تقتضيه ، كما فعله ﷺ حال إقامته بتبوك ، وأما إذا جد بالمسافر السفر فالمشروع له أن يجمع بين الصلاتين ؛ اقتداءً برسول اللَّه ﷺ ، وأخذًا بالرخصة التي منَّ اللَّه بها على عباده ، وفي الحديث : « إن اللَّه يحب أن تؤتى رخصته ، كما يكره أن تؤتى معصيته »[(١)] .

وكان النبي ﷺ إذا ارتحل في السفر قبل زوال الشمس أخر الظهر إلى العصر فجمع بينهما جمع تأخير ، وإذا ارتحل بعد الزوال قدم العصر فصلاها مع الظهر جمع تقديم ، وإذا ارتحل قبل أن تغيب الشمس أخر المغرب إلى العشاء ، فجمع

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ١٠٨ ، وابن حبان (٢٧٤٢) من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما . وصححه الألباني في الإرواء (٥٦٤) .

بينهما جمع تأخير ، وإذا ارتحل بعد الغروب قدم العشاء مع المغرب ، فجمع بينهما جمع تقديم .

وهذا الفعل أرفق بالمسافر وأيسر عليه ، وهكذا شأن الشريعة في مصادرها ومواردها كلها يسر وتسهيل ، فللَّه الحمد والمنة على ذلك ، ونسأل اللَّه تعالى أن يمنَّ على المسلمين بشكر نعمه والفقه في دينه والقيام بحقه ، إنه على كل شيء قدير ، وصلى اللَّه على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .



حكم زكاة حلي النساء[1]
ومقدار نصاب الزكاة
«هل تجب الزكاة في حلي النساء المعد للاستعمال أو العارية ؟»

هذا السؤال ورد عليَّ من بعض الطلبة في معهد عنيزة ، ورجا أن يكون الجواب على صفحات إحدى الصحف المحلية ؛ ليعم النفع به ، وقد أجبته إلى ذلك ؛ حرصًا على ظهور الحق وعموم الفائدة ، فأقول :

لا ريب أن هذه المسألة من مسائل الخلاف بين أهل العلم ، وقد دلَّ الكتاب والسنة على وجوب رد ما تنازع فيه الناس إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ؛ عملًا بقوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: الآية ٥٩] .

وإذا رددنا هذه المسألة إلى الكتاب والسنة وجدناهما يدلان دلالة ظاهرة على وجوب الزكاة في حلي النساء من الذهب والفضة ، وإن كان معدًا للاستعمال أو العارية ، سواء كانت قلائد أو أسورة أو خواتيم أو غيرها من أنواع الذهب والفضة ، ومثل ذلك ما تحلى به السيوف والخناجر من الذهب والفضة ، إذا بلغ الموجود من ذلك نصابًا ، أو كان عند مالكه من الذهب أو الفضة أو عروض التجارة ما يكمل النصاب .

وهذا القول هو أصح أقوال أهل العلم في هذه المسألة ، والدليل على ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا

(١) صحيفة اليمامة (١١٨/٥) في ١٣٧٧/٩/٢٤هـ . مجلة راية الإسلام- العددان (١٠ ، ١١) رمضان وشوال عام ١٣٨٠هـ .

فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥].

ومن السنة المطهرة ما ثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي زكاتهما إلا صفحت له يوم القيامة صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبهته وظهره، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»(١).

فهذان النصان العظيمان من الكتاب والسنة يعمان جميع أنواع الذهب والفضة، ويدخل في ذلك أنواع الحلي من الذهب والفضة، ومن استثنى شيئًا من ذلك فعليه الدليل المخصص لهذا العموم، لو لم يرد في هذه المسألة إلا العموم، فكيف وقد ورد في هذه المسألة بعينها أحاديث صحيحة دالة على وجوب الزكاة في الحلي:

منها: ما أخرجه أبو داود، والنسائي، بإسناد صحيح، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن امرأة دخلت على النبي ﷺ، وفي يد ابنتها مسكتان من ذهب، فقال ﷺ: «أتعطين زكاة هذا؟» قالت: لا. قال: «أيسرك أن يسورك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار». فألقتهما وقالت: هما لله ولرسوله(٢). قال الحافظ ابن القطان: إسناده صحيح.

وخرَّج أبو داود بإسناد جيد عن أم سلمة رضي الله عنها أنها كانت تلبس أوضاحًا من ذهب، فقالت: يا رسول الله، أكنز هو؟ فقال ﷺ: «ما بلغ أن تؤدى زكاته فزكي فليس بكنز»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٩٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه أبو داود (١٥٦٣)، والنسائي (٢٤٧٩). وحسنه الألباني.
(٣) أخرجه أبو داود (١٥٦٤). وحسن الألباني المرفوع فقط في صحيح أبي داود (١٣٩٧).

ففي هذا الحديث فائدتان جليلتان :

إحداهما : اشتراط النصاب . وإن لم يبلغ النصاب فلا زكاة فيه ، ولا يدخل المتوعد عليه بالعذاب .

والفائدة الثانية : أن كل مال وجبت فيه الزكاة فلم يزك فهو من الكنز المتوعد عليه بالعذاب .

وفيه أيضًا فائدة ثالثة وهي المقصود من ذكره : وهي الدلالة على وجوب الزكاة في الحلي ؛ لأن أم سلمة رضي اللَّه عنها سألت عن ذلك ، كما هو صريح الحديث .

ومن ذلك : ما ثبت في سنن أبي داود عن عائشة رضي اللَّه عنها أن النبي ﷺ رأى عليها فتخات من فضة ، فقال : « ما هذا يا عائشة ؟ » فقالت : صنعتهن أتزين لك يا رسول اللَّه . فقال : « أتؤدين زكاتهن ؟ » قالت : لا . أو ما شاء اللَّه . قال : « هو حسبك من النار »[(١)] .

ففي هذه النصوص الدلالة الظاهرة على وجوب الزكاة في حلي الذهب والفضة وإن أعد للاستعمال أو العارية ؛ لأن الرسول ﷺ أنكر على عائشة والمرأة المذكورة في حديث عبد اللَّه بن عمرو ترك زكاة حليهما ، وهما مستعملتان له ، ولم يستثن ﷺ من الحلي شيئًا ؛ لا المعار ولا غيره ، فوجب الأخذ بصريح النص وعمومه ، ولا يجوز تخصيص النصوص إلا بنص ثابت يقتضي التخصيص .

وأما ما يروى عن الرسول ﷺ أنه قال : « ليس في الحلي زكاة »[(٢)] . فهو حديث ضعيف لا يصلح للاحتجاج ، ولا يقوى على معارضة أو تخصيص هذه النصوص المتقدم ذكرها ، بل قال الحافظ البيهقي : إنه حديث باطل لا أصل له ،

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥٦٥) . وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٣٩٨) .

(٢) أخرجه ابن الجوزي في التحقيق في أحاديث الخلاف (٩٨١) من حديث جابر رضي اللَّه عنه . وضعفه .

نقل عنه ذلك الحافظ الزيلعي في «نصب الراية»، والحافظ ابن حجر في «التلخيص»[١].

ولتمام الفائدة نوضح للقارئ حد النصاب من الذهب والفضة، ومقدار ذلك من العملة الموجودة، فنقول:

نصاب الذهب: عشرون مثقالًا، ومقدارها من العملة الذهبية السعودية الرائجة بين الناس اليوم أحد عشر جنيهًا وثلاثة أسباع جنيه؛ لأن زنة الجنيه السعودي ومثله الجنيه الإنكليزي المعروف بين الناس مثقالان إلا ربع، فإذا كان الحلي يشتمل على أحد عشر جنيها وثلاثة أسباع الجنيه فأكثر وجبت فيه الزكاة، وما كان أقل من ذلك فليس فيه زكاة، إلا أن يكون عند مالكه من الذهب أو الفضة أو عروض التجارة ما يكمل النصاب.

وأما نصاب الفضة: فهو مائة وأربعون مثقالًا، ومقدارها من الدراهم السعودية الرائجة بين الناس ستة وخمسون ريالًا، لأن زنة الريال السعودي مثقالان ونصف مثقال، فإذا كان الحلي من الفضة يبلغ هذا المقدار ففيه الزكاة، وما كان أقل من ذلك فليس فيه زكاة إلا أن يكون عند مالكه ما يكمل النصاب كما تقدم. والله أعلم، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه.



---

(١) انظر معرفة السنن والآثار عقب (٨٢٩٨) ، ونصب الراية ٢/ ٢٦٧، والتلخيص الحبير ٢/ ١٧٦.

زاوية الفتوى[1]

الشيخ عبد العزيز بن باز : يجيب

اطلعت على الاستفتاءين المنشورين في «صحيفة اليمامة» رقم (٣٨٤) تاريخ ٨٢/١٢/٣ أحدهما : عن رواتب الموظفين ، هل فيها زكاة بعد القبض ، وتمام النصاب والحول ؛ وعن حكم ما يعده الإنسان من النقود للزواج ونحوه ، هل فيه زكاة .. إلخ ؟

والجواب : من تأمل النصوص الواردة في الزكاة ، علم أن الرواتب التي بلغت النصاب ومضى عليها الحول ، تجب فيها الزكاة ، إذا قبضها مستحقها ، والأصل في ذلك قوله عز وجل : ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: الآية ١٠٣] ، وقوله سبحانه : ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: الآية ٣٤] ، وقد دلت الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ على أن كل مال زكوي لا تؤدى زكاته ، فهو كنز يعذب به صاحبه ، وكل ما تؤدى زكاته بكنز ، وهذه الأوراق التي يتعامل بها الناس حكمها في الزكاة حكم الذهب والفضة ؛ لكونها بدلًا منها .

وأما النقود التي يعدها الإنسان لشراء عقار أو لنكاح أو قضاء دين ، أو ما يشبه ذلك ، ففيها الزكاة لعموم الأدلة ، وهذه النية التي أضمرها مالكها ، لا تخرجها عن كونها مالًا زكويًا ، تجب فيه الزكاة إذا حال عليه الحول ، وكان قد بلغ النصاب .

والنصوص الواردة في هذا الباب الدالة على وجوب الزكاة ، لم تفصل بين من أراد بالنقود التجارة أو[2] النفقة ، أو الزواج ، أو شراء عقار ، أو غير ذلك ، فوجب الأخذ بعمومها ، والله الموفق .

---

(١) صحيفة اليمامة– العدد (٤١٠).

(٢) في الأصل : «والنفقة» . ولعل المثبت هو الصواب .

أما الاستفتاء الثاني : يتضمن السؤال عن القماش المسمى :(اللاس) بأنواعه ، هل هو حرير أم لا ؟

والجواب أن يقال : هذا اللباس ونحوه ، يجب أن يسأل عنه أهل الخبرة بالحرير ، فإن ثبت أنه من الحرير ، حرم على الذكور لبسه ، وصار من ملابس الإناث ، فإن لم يكن من مادة الحرير ، لم يحرم على الرجال . وأنا إلى حين تحرير هذا الجواب ، لم أجد من أطمئن إليه في التعريف عن حقيقة هذا القماش ، هل هو من الحرير أم لا .

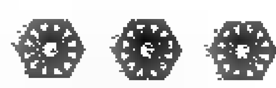
قال النبي ﷺ : « من اتقى الشبهات ، فقد استبرأ لدينه وعرضه »(١) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس » . رواه مسلم في صحيحه(٢) .

وقال ﷺ : « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك »(٣) .

ومن هذه الأدلة يعلم المؤمن أن ترك هذا اللباس المشتبه أولى وأحوط ، وفي بقية الملابس الواضح حلها غنية عنه ، والله المسئول أن يوفق المسلمين لكل ما فيه صلاحهم وسعادتهم وبراءة ذمتهم وسلامتهم من كل ما يخالف شرعه ، إنه سميع قريب .

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه .



(١) أخرجه البخاري (٥٢) ، ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه .

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٥٣) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه .

(٣) أخرجه أحمد ٢٤٨/٣ (١٧٢٣) ، والترمذي (٢٥١٨) ، والنسائي (٥٧٢٧) من حديث الحسن بن علي رضي الله عنه . وصححه الألباني في الإرواء (١٢ ، ٢٥٧٤) .

سماحة نائب رئيس الجامعة الإسلامية يفتي بجواز إخراج الزكاة على إخواننا الجزائريين(١)

بسم اللَّه والصلاة والسلام على رسول اللَّه ...

أما بعدُ :

فلا شك أن المجاهدين الجزائريين في أمس الحاجة إلى التعضيد والمساعدة من الزكاة وغيرها ، وقد سبق أن نشرنا من مدة قريبة- كما لا يخفاكم- نداء من الجامعة الإسلامية لمساعدة المجاهدين الجزائريين على جهادهم الباسل ضد المستعمر الكافر الغاشم ، وأوضحنا هناك أن مساعدتهم بالمال من الجهاد الذي أوجبه اللَّه على المسلمين ، وأمر به في مثل قوله سبحانه : ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: الآية ٤١] .

وفي مثل قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ١٠- ١٣] .

وفي مثل قول النبي ﷺ : « جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم »(٢) .

والآيات والأحاديث في الأمر بالجهاد بالنفس والمال والترغيب فيه ومضاعفة

---

(١) المدينة المنورة - عدد (١٠٤١) ١٨/٩/١٣٨١هـ .

(٢) أخرجه أحمد ٣/ ١٢٤، وأبو داود (٢٥٠٤) ، والنسائي (٣٠٩٦) من حديث أنس رضي اللَّه عنه . وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٢٦٢) .

أجر النفقة في ذلك كثيرة معلومة .

وأما ما سألتم عنه من صرف الزكاة فيهم ؟ فالجواب : أنه لا بأس بذلك بمثل صرف الزكاة فيهم من أهم المهمات ، ومن أفضل النفقات .

وقد اجتمع في المجاهدين الجزائريين مقتضيان يسوغان صرف الزكاة فيهم :

أحدهما : كونهم فقراء .

والثاني : كونهم مجاهدين .

وقد قسم اللَّه سبحانه وتعالى في كتابه الكريم الزكاة بين أصناف ثمانية ، فقال تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: الآية ٦٠] .

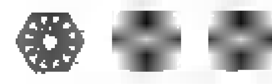
فأوضح سبحانه وتعالى بنفسه عز وجل أصناف أهل الزكاة ، وهو العليم بأحوال عباده ، ومن يستحق الزكاة من غيره ، وهو الحكيم في شرعه وقدره .

والمجاهدون الجزائريون داخلون في الصنفين الأولين ، وداخلون في الصنف السابع المنوه عنه بقول اللَّه سبحانه : ﴿وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ، والمراد به : المجاهدون من المسلمين ، وقد ثبت لدينا من طرق كثيرة فقر المجاهدين الجزائريين ، واتصافهم بالإسلام والجهاد الشرعي ، فمن أفضل الجهاد مساعدتهم بالمال والزكاة وغيرها .

أما ما قد يشكل على الكثير من الناس في نقل الزكاة من بلد إلى بلد ؟ فلا شك أن هذه المسألة مسألة خلاف بين العلماء ، والصواب : جواز ذلك إذا كان لمصلحة شرعية ، وهو أصح قولي العلماء ، وقد ورد في الأدلة الشرعية ما يدل عليه . والمصلحة الشرعية في مساعدة المجاهدين الجزائريين من الزكاة ظاهرة لا تخفى على أحد عرف أحوالهم وجهادهم .

ونسأل اللَّه بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يجمع كلمة أمر المسلمين على

الحق والهدى ، وأن يوفقهم لجهاد أعداء الإسلام ، وأن يؤيد إخواننا المجاهدين الجزائريين بروح منه ، وأن يثبتهم على الحق ، وأن ينصرهم على عدوهم الغاشم الظالم ، وأن يجعل العاقبة الحميدة لهم ، وأن يمنحهم الصبر والثبات والاستقامة ، إنه خير مسئول وأكرم مجيب ، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله سيدنا محمد وآله وصحبه .



نداء من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة إلى جميع المسلمين(١)

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز، إلى من يراه من المسلمين، وفقني الله وإياهم لاغتنام الخيرات، وجعلني وإياهم من المسارعين إلى الأعمال الصالحات. آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعدُ:

أيها المسلمون، قد أظلكم شهر عظيم مبارك، ألا وهو شهر رمضان، شهر الصيام والقرآن، شهر العتق والغفران، شهر الصدقات والإحسان، شهر تُفتح فيه أبواب الجنان، وتضاعف فيه الحسنات، وتقال فيه العثرات، شهر تجاب فيه الدعوات، وترفع الدرجات، وتغفر فيه السيئات، شهر يجود الله فيه سبحانه وتعالى على عباده بأنواع الكرامات، ويجزل فيه لأوليائه العطيات، شهر جعل الله صيامه أحد أركان الإسلام، فصامه المصطفى ﷺ، وأمر الناس بصيامه، وأخبر عليه الصلاة والسلام أن من صامه إيمانًا واحتسابًا غفر الله ما تقدم من ذنبه، ومن قامه إيمانًا واحتسابًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، من حُرم خيرها فقد حُرم.

فعظموه، رحمكم الله، بالنية الصالحة، والاجتهاد في حفظ صيامه وقيامه، والمسابقة فيه إلى الخيرات، والمبادرة فيه إلى التوبة النصوح من سائر الذنوب والسيئات، واجتهدوا في التناصح والتعاون على البر والتقوى، والتواصي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى كل خير؛ لتفوزوا بالكرامة والأجر العظيم.

وفي الصيام فوائد كثيرة، وحكم عظيمة:

منها: تطهير النفس وتهذيبها، وتزكيتها من الأخلاق السيئة والصفات

(١) صحيفة البلاد ١٣٨٢/٩/٤هـ.

الذميمة؛ كالأشر، والبطر، والبخل، وتعويدها الأخلاق الكريمة؛ كالصبر، والحلم، والجود، والكرم، ومجاهدة النفس فيما يرضي الله ويقرب لديه

ومن فوائد الصوم أنه يعرف العبد نفسه، وحاجته، وضعفه، وفقره لربه، ويذكره بعظيم نعم الله عليه، ويذكره أيضًا بحاجة إخوانه الفقراء، فيوجب له ذلك شكر الله سبحانه، والاستعانة بنعمه على طاعته، ومواساة إخوانه الفقراء والإحسان إليهم

وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى هذه الفوائد في قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: الآية ١٨٣]. فأوضح سبحانه أنه كتب علينا الصيام لنتقيه سبحانه وتعالى، فدل ذلك على أن الصيام وسيلة للتقوى، والتقوى هي: طاعة الله ورسوله، بفعل ما أمر وترك ما نهى عنه، عن إخلاص لله عز وجل، ومحبة، ورغبة، ورهبة، وبذلك يتقي العبد عذاب الله وغضبه

فالصيام شعبة عظيمة من شعب التقوى، ووسيلة قوية إلى التقوى في بقية شؤون الدين والدنيا

وقد أشار النبي ﷺ إلى بعض فوائد الصوم في قوله ﷺ: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»(١).

فبين النبي ﷺ أن الصوم وجاء للصائم، وما ذاك إلا لأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، والصوم يضيق تلك المجاري، ويذكر بالله وعظمته، فيضعف سلطان الشيطان، ويقوي سلطان الإيمان، وتكثر به الطاعات من المؤمنين، وتقل به المعاصي.

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٥)، ومسلم (١٤٠٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

وفي الصوم فوائد كثيرة غير ما تقدم، تظهر للمتأمل من ذوي البصيرة.

ومنها: أن يطهر البدن من الأخلاط الرديئة، ويكسبه صحة وقوة، وقد اعترف بذلك الكثير من الأطباء، وعالجوا به كثيرًا من الأمراض.

وقد ورد في فضله وفرضيته آيات وأحاديث كثيرة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾ [البقرة: ١٨٣، ١٨٤]. إلى أن قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [البقرة: الآية ١٨٥].

وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت»(١).

وفي الصحيح عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: أن جبريل عليه السلام سأل النبي عليه السلام عن الإسلام، فقال له رسول الله ﷺ: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا». قال: صدقت. قال: أخبرني عن الإيمان؟ فقال له رسول الله ﷺ: «الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره». قال: أخبرني عن الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه

(١) أخرجه البخاري (٤٥١٤)، ومسلم (١٦).

يراك »[١] . وهذا حديث جليل ينبغي تأمله ، وتعقل معانيه .

وأخرج الترمذي[٢] عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار . فقال : « لقد سألت عن عظيم ، وإنه ليسير على من يسره الله عليه ؛ تعبد الله ولا تشرك به شيئًا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا » . ثم قال النبي ﷺ : « ألا أدلك على أبواب الخير ؛ الصوم جُنة ، والصدقة تطفئ الخطيئة ، كما يطفئ الماء النار ، وصلاة الرجل في جوف الليل » . ثم تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى : ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦، ١٧] .

ثم قال عليه الصلاة والسلام : « ألا أخبرك برأس الأمر ، وعموده ، وذروة سنامه » ؟ قلت : بلى يا رسول الله ، فقال : « رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله » . ثم قال ﷺ : « ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ » قلت : بلى يا رسول الله . قال : « كف عليك هذا » . وأشار إلى لسانه . فقلت : يا رسول الله ، وإنا لمؤخذون بما نتكلم به ؟ فقال ﷺ : « ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم - أو قال : على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم ؟ » .

أيها المسلمون ، إن الصوم عمل صالح عظيم ، وثوابه جزيل ، ولا سيما صوم رمضان ، فإنه الصوم الذي فرضه الله على عباده ، وجعله من أسباب الفوز لديه ، وقد ثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال : « كل عمل ابن آدم له ؛ الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، يقول الله عز وجل : إلا الصيام فإنه لي

---

(١) أخرجه مسلم (٨) .

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦١٦) . وصححه الألباني .

وأنا أجزي به ، إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي ، للصائم فرحتان ؛ فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه ، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك »(١) .

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا دخل رمضان فُتحت أبواب الجنة ، وغُلقت أبواب النار ، وسلسلت الشياطين »(٢) .

وأخرج الترمذي ، وابن ماجه عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا كان أول ليلة من رمضان صفدت الشياطين ، ومردة الجن ، وفتحت أبواب الجنة ؛ فلم يغلق منها باب ، وغلقت أبواب النار ، فلم يفتح منها باب ، وينادي منادي : يا باغي الخير أقبل ، ويا باغي الشر أقصر ، ولله عتقاء من النار ، وذلك كل ليلة »(٣) .

وجاء عن النبي ﷺ أنه كان يبشر أصحابه بقدوم شهر رمضان ، ويقول لهم : « جاء شهر رمضان بالبركات ، فمرحبًا به من زائر وآت »(٤) .

وأخرج ابن خزيمة(٥) عن سلمان الفارسي عن النبي ﷺ أنه خطب الناس في آخر يوم من شعبان فقال : أيها الناس ، إنه قد أظلكم شهر عظيم مبارك ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر ، شهر جعل الله صيامه فريضة ، وقيام ليله تطوعًا ، من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة ، وشهر يزاد فيه في رزق المؤمن .. الحديث .

فيا معشر المسلمين ، اغتنموا هذا الشهر العظيم ، وعظموه رحمكم الله

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٩٢) ، ومسلم (١١٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٧٧) ، ومسلم (١٠٧٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أخرجه الترمذي (٦٨٢) ، وابن ماجه (١٦٤٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وصححه الألباني .

(٤) لم أجده مسندًا .

(٥) أخرجه ابن خزيمة (١٨٨٧) . وقال الألباني في الضعيفة (٨٧١) : منكر . وتقدم تخريجه .

بأنواع العبادة والقربات ، وسارعوا فيه إلى الطاعات ، فهو شهر عظيم ، جعله اللَّه ميدانًا لعباده يتسابقون غليه فيه بالطاعات ويتنافسون في أنواع الخيرات ، فأكثروا فيه رحمكم اللَّه من الصلوات والصدقات ، وقراءة القرآن الكريم ، والإحسان إلى الفقراء والمساكين والأيتام ، وقد كان رسول اللَّه ﷺ أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان .

فتأسوا بنبيكم ﷺ ، واقتدوا به في مضاعفة الجود والإحسان في شهر رمضان ، وأعينوا إخوانكم الفقراء على الصيام والقيام ، واحتسبوا أجر ذلك عند الملك العلام ، واحفظوا صيامكم عما حرمه اللَّه عليكم من الأوزار والآثام ، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : « من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس للَّه حاجة في أن يدع طعامه وشرابه »(١) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « الصيام جُنة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق ، فإن امرؤ سابه أحد ، فليقل : إني امرؤ صائم »(٢) .

وجاء عنه ﷺ أنه قال : « ليس الصيام من الطعام والشراب ، وإنما الصيام من اللغو والرفث »(٣) .

وقال جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه : إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم ، ودع أذى الجار ، وليكن عليك وقار وسكينة ، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواك »(٤) .

فينبغي للصائم الإكثار من تلاوة القرآن بتدبر وتفكر ، والإكثار من الصلوات

---

(١) تقدم تخريجه .

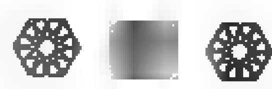
(٢) تقدم تخريجه .

(٣) أخرجه البيهقي ٤/ ٢٧٠، وفي فضائل الأوقات (٦١) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ٤/ ٨، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٦٤٦) ، وفي الفضائل (٦٢) . وهو منقطع .

والصدقات والذكر والاستغفار وسائر أنواع القربات في الليل والنهار؛ اغتنامًا للزمان ورغبة في مضاعفة الحسنات، ومرضاة فاطر الأرض والسماوات، ويجب على كل مسلم اجتناب ما ينقص الصوم، ويضعف الأجر، ويغضب الرب عز وجل من سائر المعاصي؛ كالتهاون بالصلاة، والبخل بالزكاة، وأكل الربا، وأكل أموال اليتامى، والظلم، والسرقة، وعقوق الوالدين، وقطيعة الرحم، والغيبة، والنميمة والكذب، وشهادة الزور، والدعاوى الباطلة، والأيمان الكاذبة، وحلق اللحى وتقصيرها، وإطالة الشوارب، واستماع الأغاني، وآلات الملاهي، وتبرج النساء وعدم تسترهن عن الرجال، والتشبه بنساء الكفرة في لبس الثياب القصيرة، وغير ذلك مما نهى اللَّه عنه ورسوله، وهذه المعاصي التي ذكرنا محرمة في كل زمان ومكان، ولكنها في رمضان أشد تحريمًا وأعظم إثمًا؛ لفضل الزمان وحرمته

فاتقوا اللَّه أيها المسلمون، واحذروا ما نهاكم اللَّه عنه ورسوله، واستقيموا على طاعته في رمضان وغيره، وتوصوا بذلك، وتعاونوا عليه؛ لتفوزوا بالكرامة والسعادة، والعزة والنجاة في الدنيا والآخرة، واللَّه المسئول أن يعصمنا والمسلمين عن أسباب غضبه، وأن يتقبل منا جميعًا صيامنا وقيامنا، وأن يصلح ولاة أمر المسلمين، وأن ينصر بهم دينه، ويخذل بهم أعداءه، وأن يوفق الجميع للفقه في الدين، والثبات عليه، والحكم به، والتحاكم إليه في كل شيء، إنه على كل شيء قدير، وصلى اللَّه وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه وسلم.



نداء من الجامعة الإسلامية بالمدينة إلى المسلمين في كل مكان (رمضان شهر القرآن والرضوان)(١)

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى من يراه من إخواننا المسلمين، وفقنا الله وإياهم للعمل بما يرضيه:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فيا أيها المسلمون، هذا شهر القرآن والرضوان، شهر السماحة والإحسان، شهر الرحمة والغفران: شهر رمضان. قد أظلتكم أيامه وهلّت عليكم بشائره تحمل إليكم بشرى الحسنات وتكفير السيئات، والعتق من النار، والفوز برضاء الله.

قال ﷺ: «كل عمل ابن آدم يضاعف؛ الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله تعالى: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، إنه يترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي، للصائم فرحتان؛ فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»(٢).

فاستقبلوه أيها المسلمون بالفرح والسرور، ونية الإكثار من الطاعات، وتقديم القربات، والإقبال على العبادات، والتوبة من السيئات. وصوموه إيمانًا واحتسابًا يغفر الله لكم ما تقدم من الذنوب، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه»(٣). فما أعظمها من نعمة، وما أجلها من بشرى!

وفي هذا الشهر المبارك تسلسل الشياطين، وتفتح أبواب الجنة، وتغلق

---

(١) المدينة المنورة - العدد (١٠٣٧) ٥/٩/١٣٨١هـ. قريش العدد ١١٧ في ١٣/٩/١٣٨١هـ.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٠٤، ٥٩٢٧)، ومسلم (١١٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٣٨، ١٩٠١)، ومسلم (٧٦٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أبواب الجحيم ، وينادي دعاة الهدى : أيها المسلمون ، هلموا إلى طاعة اللَّه ، هلموا إلى رضوان اللَّه ، هلموا إلى العتق من النار ، هلموا إلى الجنة ؛ فقد ورد عنه ﷺ أنه قال : « إذا كان أول ليلة من رمضان غلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب ، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب ، وينادي مناد : يا باغي الخير أقبل ، ويا باغي الشر أقصر ، وللَّه عتقاء من النار ، وذلك في كل ليلة حتى ينقضي رمضان »(١) .

فلبوا أيها المسلمون منادي الخير ، واستجيبوا لداعي الطاعة ، وأقبلوا على صيامكم بنفوس صافية راغبة فيما عند اللَّه ، وقلوب خاشعة زاهدة فيما يسخط اللَّه ، وتزودوا في شهركم هذا بكل ما يزيدكم قربًا من ربكم ، واشغلوا أوقاتكم فيه بالأعمال الصالحة من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير وقراءة القرآن ، والمحافظة على الصلوات المكتوبة مع الجماعة ، واغتنموا قيام ليالي رمضان بالصلاة والقراءة والذكر والدعاء، فقد قال ﷺ : « من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر اللَّه ما تقدم من ذنبه »(٢) .

ومن قيام رمضان صلاة التراويح المعروفة ، فقد كان الناس على عهد رسول اللَّه ﷺ يصلون أوزاعًا في مسجده عليه الصلاة والسلام ، وقد صلى بهم ﷺ ثلاث ليال في رمضان ثم ترك ذلك ، وقال : « إني أخاف أن تفرض عليكم صلاة الليل »(٣) . فلما توفي ﷺ واستقرت الشريعة الكاملة جمعهم عمر رضي اللَّه عنه على إمام واحد في مسجد النبي ﷺ . ولم يزل الناس على ذلك إلى يومنا هذا .

وصلاة الليل موسع فيها ، وكان ﷺ يصلي غالبًا إحدى عشرة ركعة ؛ يطيل فيها القراءة والركوع والسجود ، ويسلم من كل ركعتين ، ويوتر بواحدة . ولما

---

(١) أخرجه الترمذي (٦٨٢) ، وابن ماجه (١٦٤٢) ، وابن خزيمة (١٨٨٣) ، وابن حبان (٣٤٣٥) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه . وصححه الألباني .

(٢) أخرجه البخاري (٣٧، ٢٠٠٩) ، ومسلم (٧٥٩) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه .

(٣) أخرجه البخاري (٩٢٤، ١١٢٩) ، ومسلم (٧٦١) من حديث عائشة رضي اللَّه عنها .

سئل عن صلاة الليل ؟ قال : « مثنى مثنى ، فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له بما قد صلى » . متفق عليه[(١)] .

يدل هذا الحديث الشريف على التوسعة في صلاة الليل في رمضان وفي غيره ، ودل فعله عليه الصلاة والسلام على أن قيام الليل بإحدى عشرة ركعة يطيل قيامها وركوعها وسجودها ، أفضل من الأكثر مع العجلة . وكثير من الناس يصلي في رمضان بصلاة لا يعقلها ولا يطمئن فيها ، وذلك لا يجوز ؛ لأن الطمأنينة في الصلاة من أعظم فرائضها وأركانها ، وكل صلاة لا تؤدى بالخشوع والطمأنينة فهي باطلة ، كما صح عن النبي ﷺ أنه قال للذي أساء في صلاته ؛ ولم يتم ركوعها ولا سجودها : « ارجع فصل فإنك لم تصل » . حتى فعل ذلك ثلاثة مرات . ثم قال : يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق لا أحسن غير هذا ، فعلمني . قال له النبي ﷺ : « إذا قمت إلى الصلاة فكبر ، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ، ثم اركع حتى تطمئن راكعًا ، ثم ارفع حتى تعتدل قائمًا ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا ، ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا ، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها »[(٢)] . متفق عليه .

فيا معشر المسلمين ، اتقوا الله في صلاتكم ، واطمئنوا فيها ، وأحضروا قلوبكم بين يدي الله ؛ فإن الصلاة هي قرة العيون ، وراحة القلوب ، ونعيم الأرواح ، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا قام أحدكم في الصلاة فإنه يناجي ربه »[(٣)] . وقال ﷺ : « وجُعلت قرة عيني في الصلاة »[(٤)] .

فأنت أيها المسلم في الصلاة تناجي ربك وتقرأ كلامه ، وتسأله بأنواع الدعاء ،

---

(١) أخرجه البخاري (٩٩٠) ، ومسلم (٧٤٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .
(٢) أخرجه البخاري (٧٥٧، ٧٩٣) ، ومسلم (٣٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
(٣) أخرجه البخاري (٤٠٥، ٤١٣، ٥٣١) ، ومسلم (٥٥١) من حديث أنس رضي الله عنه .
(٤) أخرجه أحمد ٣/ ٢٨٥، والنسائي (٣٩٤٠) من حديث أنس رضي الله عنه . وصححه الألباني .

فاخشع في صلاتك واجعلها قرة عينك حتى تستريح فيها وتخشع لربك وتؤدي حقه كاملًا فتفوز بالقبول والمغفرة والحياة الطيبة ، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : « ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يقوم فيصلي ركعتين مقبل عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة »(١) . وصح عن النبي ﷺ أنه قال : « أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات ، هل يبقى من درنه شيء ؟ » قالوا : لا يبقى من درنه شيء . قال : « فكذلك الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا »(٢) . وصح عنه ﷺ أنه قال : « الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان ، مُكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر »(٣) .

فاغتنموا أيها المسلمون هذا الخير العظيم ، وحافظوا على الصلوات بخشوع وطمأنينة ، لا سيما في هذا الشهر الكريم ، واحذروا مسابقة الإمام في الصلاة ؛ فقد صح عن الرسول ﷺ أنه قال : « إنما جعل الإمام ليؤتم به ، فلا تختلفوا عليه ، فإذا كبر فكبروا ، ولا تكبروا حتى يكبر ، وإذا ركع فاركعوا ، ولا تركعوا حتى يركع ، وإذا سجد فاسجدوا ، ولا تسجدوا حتى يسجد »(٤) . وقال ﷺ : « أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار ، أو يجعل الله صورته صورة حمار »(٥) .

أيها المسلمون : إنكم في شهر عظيم تضاعف فيه القربات ، وتعظم فيه السيئات ، وترفع فيه درجات المحسنين ، فاستكثروا فيه من الأعمال الصالحات ، وأكثروا فيه من إطعام الطعام ، والصدقة على المحتاجين ، فقد كان نبيكم ﷺ جوادًا كريمًا ، وكان أجود ما يكون في رمضان ، تأسوا به ﷺ ، وأحسنوا إلى

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٤) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٨) ، ومسلم (٦٦٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) أخرجه البخاري (٧٢٢) ، ومسلم (٤١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) أخرجه البخاري (٦٩١) ، ومسلم (٤٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

عباد الله بأنواع الإحسان ، وقد قال ﷺ : « من فطر صائمًا كان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء »(١) .

وكل مسلم يستطيع أن يتصدق بما يسر الله ، كما في الحديث : « اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة »(٢) .

فمن لم يكن لديه ما يتصدق به فقد جعل الله له بكل تسبيحة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، والأمر بالمعروف صدقة ، والنهي عن المنكر صدقة ، وحتى في شهوته الحلال يستمتع بها له فيها صدقة ، فقد صح أن أناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا : يا رسول الله ، ذهب أهل الدثور - يعني الأموال - بالأجور ، يصلون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون بفضول أموالهم . قال رسول الله ﷺ : « أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به : إن بكل تسبيحة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهي عن المنكر صدقة ، وفي بضع أحدكم صدقة » . قالوا : يا رسول الله ، أيأتي أحدنا شهوته ، ويكون له فيها أجر ؟! قال : « أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر »(٣) . وقال ﷺ : « أحب الكلام إلى الله أربع : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر »(٤) . وقال عليه الصلاة والسلام : « الباقيات الصالحات : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ،

---

(١) أخرجه أحمد ٤/ ١١٦، والترمذي (٨٠٧)، وابن ماجه (١٧٤٦) من حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه . وصححه الألباني .

(٢) أخرجه البخاري (١٤١٣، ٦٠٢٣)، ومسلم (١٠١٦/ ٦٨) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه .

(٣) أخرجه البخاري (٨٤٣، ٦٣٢٩)، ومسلم (٥٩٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وأخرجه مسلم (١٠٠٦) من حديث أبي ذر رضي الله عنه .

(٤) أخرجه مسلم (٢١٣٧) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه .

ولا حول ولا قوة إلا بالله »[١].

فانظروا أيها المسلمون إلى فضل الله عليكم، كيف يسر لكم سبل الثواب وطرق الطاعة. وجعل لكم على اللفظ القليل الثواب العظيم. فاشكروه على فضله عليكم ورحمته بكم وتخفيفه عنكم، وتزودوا من طاعته بما يرضيه عنكم، وأكثروا من هذه الأذكار التي حثكم عليها نبيكم ﷺ

واحذروا أيها المسلمون أن تفعلوا ما يجرح صيامكم أو يقلل أجركم من الأقوال السيئة والأفعال المنكرة؛ كالغيبة، والنميمة، والكذب، والسباب، واللعن، والقذف، وشهادة الزور، والدعاوى الكاذبة، والأيمان الفاجرة، وعقوق الوالدين، وقطيعة الرحم، وأكل الربا، وأكل أموال اليتامى، وشرب المسكرات، والغش في المعاملات، والخيانة في الأمانات، ونحو ذلك من المعاصي التي نهى الله عنها، فقد قال النبي ﷺ: «الصوم جنة، ما لم يخرقها». قيل: بم يخرقها؟ قال: «بكذب أو غيبة»[٢]. وقال عليه الصلاة والسلام: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه»[٣]. وقال عليه الصلاة والسلام: «الصيام جُنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق، فإن امرؤ سابه أحد فليقل: إني صائم»[٤].

فاتقوا الله عباد الله، واحذروا أن يكون حظكم من صيامكم الجوع والعطش، ومن قيامكم السهر والتعب.

---

(١) أخرجه أحمد ٤/٢٦٧ من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه، وأخرجه النسائي في الكبرى (١٠٦٨٤).

(٢) أخرجه أحمد ١/ ١٩٥، والنسائي (٢٢٣٣) من حديث أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، وأخرجه الطبراني في الأوسط (٤٥٣٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقال الألباني في الضعيفة (١٤٤٠): ضعيف جدًّا.

(٣) أخرجه البخاري (١٩٠٣، ٦٠٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (١٨٩٤، ١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والصيام شرعه اللَّه للناس لحكم كثيرة وأسرار عظيمة منها : أنه زكاة للعبد ، وتطهير للنفس ، وتمرين لها على الصبر ومخالفة الهوى ، وتذكير للعبد بفضل ربه عليه ، ونعمه السابغة التي متعه بها ، وتنبيه للأغنياء على عظيم نعمة اللَّه عليهم ، وأن لإخوانهم الفقراء حقًا في أموالهم ، فلا ينبغي أن ينسوهم ، فليكن صومنا زكاة لأجسادنا ، وطهورًا لنفوسنا ، ومهذبًا لقلوبنا ، وجُنة لنا من عذاب اللَّه ، وحافزًا لنا على طاعة اللَّه ، وداعيًا لنا للعطف على المساكين ومساعدة المحتاجين ، وفطامًا لأنفسنا من الشهوات المحرمة ، وكبحا لجماحها عن المحرمات ، فإذا صمنا عن الطيبات التي أحل اللَّه فلتصم جوارحنا عن المعاصي والآثام التي حرم اللَّه في رمضان وفي غيره ، فلا نطلق أبصارنا إلى ما حرم اللَّه علينا ، ولا نتناول بأيدينا ما لا يحل لنا ، ولا نخطوا بأقدامنا إلى معصية ، ولا تنطق ألسنتنا بما لا ينبغي ، ولا تسمع آذاننا إلى ما حرم من الأغاني المنكرة والأصوات الخبيثة ، ولا نسر في أنفسنا أو نطوي جوارحنا إلى ما يغضب اللَّه علينا ، وإنما الواجب علينا أن نستعمل جوارحنا في طاعة اللَّه التي أوجب علينا ، ونشغل أفكارنا وأوقاتنا فيما يرضي اللَّه عنا .

وإن رئاسة الجامعة الإسلامية بالنيابة بالمدينة المنورة- مهبط الوحي ومأرز الإيمان- حينما توجه هذا النداء المخلص إلى جميع المسلمين في كل مكان من هذه المعمورة ، لتسأل اللَّه سبحانه أن ينفع به ، وأن يجعل هذا الشهر مباركًا على المسلمين ، وأن يتقبل منهم صيامه وقيامه ، ويوفقهم لكل ما يحبه ويرضاه ، وأن يعيده عليهم وهم في أحسن حال ، وأن يهدي قادتهم وزعمائهم للتمسك بدينه وتحكيم شريعته والحذر مما خالفها ، إنه سميع قريب ، وصلى اللَّه على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه وسلم .

❁❁❁

الفتاوى(١)

س١- تزوج رجل امرأة، ولها بنت من رجل آخر، وهي مزوجة، فهل يكون زوج الأم محرمًا لها، وهل تكشف له، فإن لم يكن، فهل يتزوجها بعد موت أمها وطلاقها؟

س٢- ارتضعت بنت من امرأة، ولزوج المرأة أخ، فهل يكون عمًا للبنت، وهل تكشف له كعمها أخي أبيها؟

[صالح بن محمد الغامدي - المدينة]

س٣- المرأة الحبلى والمرضع، هل يجوز لها الفطر في رمضان، وهل عليها القضاء أم لا؟ أرجو التكرم بإفادتنا بالخلاصة من الأحاديث في هذا الموضوع. جزاكم الله خيرًا.

[المدينة : غيضه بن عبد الله]

الجواب : الحمد لله.

إذا تزوج الرجل امرأة ودخل بها- أي: وطئها- حرمت عليه بناتها وبنات بناتها، وإن نزلن، وبنات أبنائها، وإن نزلوا، لأن الجميع ربائب، وإن لم يكن في حجر الزوج في قول أهل العلم، إلا خلافًا شاذًا في من لم تكن في الحجر، ولا يعول عليه، والحجة في هذا قوله تعالى: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ﴾ [النِّساء: الآية ٢٣]. وقوله تعالى: ﴿ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ﴾ [النِّساء: الآية ٢٣]، وصف أغلبي وليس بشرط، لأنه سبحانه لما ذكر البنت المباحة لم يذكر الحجر فقال: ﴿فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ﴾ [النِّساء: الآية ٢٣]، ولم يقل: فإن لم يكن في حجوركم فلا جناح عليكم. ولما

(١) صحيفة راية الإسلام عدد ١٠- ١١ رمضان وشوال.

ثبت في «الصحيحين»[١] عن أم حبيبة أن النبي ﷺ قال: «لا تعرضن عليَّ بناتكن ولا أخواتكن».

فإذا علمت هذا، عرفت أن الربيبة المدخول بأمها محرم الزوج أمها، وإن كانت مزوجة قبل زواجه بأمها، وليس له نكاحها في حياتها، والله أعلم.

وأما التي ارتضعت من زوجة رجل، وله أخ، فهل يكون الأخ محرمًا لها؟ **فالجواب**: نعم يكون أخو زوج المرضعة محرمًا للرضيعة، لأنه عمها من الرضاعة، وقد قال النبي ﷺ: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»[٢].

وقال لعائشة لما استأذن عليها أخو أبي القعيس- وكانت زوجة أبي القعيس قد أرضعتها: «ائذني له فإنه عمك»[٣].

وهذا كله إذا كان الرضاع شرعيًا، وهو الذي يقع في الحولين، ويستكمل الطفل فيهما خمس رضعات، لقول النبي ﷺ: «لا رضاع إلا في الحولين»[٤].

ولقول عائشة رضي الله عنها: كان من[٥] ما أنزل من القرآن عشر رضاعات يحرمن، ثم نسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله ﷺ وهي في ما يقرأ من القرآن. رواه مسلم في صحيحه[٦].

وأما الحامل والمرضع: فقد ثبت عن النبي ﷺ من حديث أنس بن مالك

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٠١، ٥١٠٧)، ومسلم (١٤٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (٥١١٠، ٥١١١)، ومسلم (١٤٤٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه البخاري (٤٧٩٦، ٦١٥٦)، ومسلم (١٤٤٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) أخرجه الدارقطني ٤/ ١٧٤، والبيهقي ٧/ ٤٦٢ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وصحح الدارقطني والبيهقي وقفه.

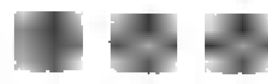
(٥) في الأصل: «مني».

(٦) أخرجه مسلم (١٤٥٢).

الكعبي عند أحمد وأهل السنن[1] بإسناد صحيح ، أنه رخص لهما في الإفطار ، وجعلهما كالمسافر .

فعلم بذلك أنهما تفطران وتقضيان كالمسافر ، وذكر أهل العلم أنه ليس لهما الإفطار إلا إذا شق عليهما الصوم كالمريض ، أو خافتا على ولديهما . والله أعلم .

عبد العزيز بن عبد الله بن باز



(١) في الأصل : « السنة » . ولعل المثبت هو الصواب .

إعادة رسوم الحج عمل غير جائز شرعًا[(١)]

اطلعت على ما نشرته « صحفية اليمامة » في عددها الصادر في ١٢/١/٨١هـ، ونقلته عنها « صحيفة الندوة » في ٢٠/١/٨١هـ بقلم: علي فدعق؛ حول وضع الرسوم عن الحجاج، والتحريض على إعادتها؛ زاعمًا أن ذلك يمنع من حج بعض الفقراء، ويعين الدولة على تنظيم الحج! ويقول: إنه لا يستطيع مسلم أن يقول: إنه أمر لا يجوز، أو حتى لا يليق! إنه ضرورة حتمية يفرضها التنظيم العام للحج نفسه!!. انتهى.

أقول: إن هذا الاقتراح غريب بعيد عن الصواب، كيف يقترح عاقل إعادة ظلم حجاج بيت الله الحرام، وما يصدهم عن المسجد الحرام، وعن أداء فريضة من أركان الإسلام الخمسة؟!.

إن حكومتنا السَّنيَّةَ تُشكر على وضعها الرسوم، وتسهيلها أمر الحج، وذلك واجب عليها، والنفقات في هذا السبيل مخلوفة، وأجرها مضاعف. وليست بحمد الله في حاجة إلى أن يساعدها في ذلك غيرها من الحكومات، بل هي ترى، ويرى غيرها من أهل العلم والإيمان أن الإنفاق في سبيل تسهيل أمر الحج من أفضل القربات التي يثيب الله عليها، ويخلف النفقة فيها، كما قال عز وجل: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سَبَأ: الآية ٣٩].

وفقراء الحجيج أحق بالتسهيل والتيسير من الأغنياء، وقد قال ﷺ: « وهل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم »[(٢)].

وأَمَرَ أئمة المساجد أن يراعوا الأضعف لا الأقوى، والله سبحانه حرم أخذ أموال الناس بغير حق، قال ﷺ: « كل المسلم على المسلم حرام: دمه،

---

(١) صحيفة الندوة في ٧/٢/١٣٨١هـ.

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٩٦) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

وماله ، وعِرضه »[١] .

وأجمع علماء الإسلام على تحريم أخذ مال المعصوم إلا بحقه ، وليس تسهيل أمر الحج من المسوغات لأخذ أموال الناس ، بل هو من المصالح العامة التي يجب على الحكومة القيام به ، وهي بحمد اللّٰه قادرة عليه ، ولم تزل ولا تزال تبذل الجهود الكبيرة والنفقات السخية في تنظيم شؤون الحج وتسهيلها .

وقد صح عن الرسول ﷺ أنه قال : « الظلم ظلمات يوم القيامة »[٢] .

فاتق اللّٰه أيها الكاتب ، وقل عن علم ، وقد حرم اللّٰه القول في دينه بغير علم ، والعلم قال اللّٰه ، قال رسوله ، لا ما تستحسنه الآراء من غير برهان من كتاب أو سنة ، ألهمك اللّٰه رشدك .



(١) أخرجه مسلم (٣٢/٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي اللّٰه عنه .
(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤٧) ، ومسلم (٢٥٧٩) من حديث ابن عمر رضي اللّٰه عنهما ، وأخرجه مسلم (٢٥٧٨) من حديث جابر بن عبد اللّٰه رضي اللّٰه عنه .

حديث ديني هام حول الحج والصلاة خلف الإمام بواسطة المذياع(١)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

وبعدُ؛ فهذه أسئلة هامة حول الصلاة خلف الإمام بواسطة المذياع، وحول الحج وردت إلي من عبد الحي بن حسن كمال. وقد رغب السائل أن يكون الجواب على صفحات «البلاد السعودية»؛ لتعم الفائدة.

وهذا نص السؤال والجواب:

هل يجوز الاقتداء بإمام المسجد الحرام أو بغيره من أئمة البلاد الأخرى بواسطة المذياع، إذا كان المؤتم في بلد غير بلد الإمام؟

ظاهر الكتاب والسنة عدم صحة اقتداء المؤتم بأي إمام بواسطة المذياع؛ لوجوه:

الأول: أن هذا خلاف السنة التي درج عليها رسول الله ﷺ وأصحابه؛ إذ السنة المعلومة من الدين أن يصفَّ المأموم خلف الإمام في محل واحد، بحيث يرونه ويشاهدون أفعاله، ويسمعون صوته، حتى يتم لهم الاقتداء بالفعل والقول أو بأحدهما، ويحصل للجميع إقامة هذا الشعار الديني العظيم: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ [النور: الآية ٣٦]

والائتمام بالإمام بواسطة المذياع على هذا الوجه ليس مما جاء به الرسول ﷺ، وليس عليه أمره، وليس لأحد أن يحدث فيها ما لم يأذن به الله.

وبهذا الوجه وحده يعلم كل من له أدنى بصيرة وإنصاف بطلان الاقتداء بأي إمام خلف المذياع.

---

(١) صحيفة البلاد السعودية العدد ٢٧٨٣ في ١٣٧٧/١٢/٧هـ.

الوجه الثاني: أن المؤتم بالمذياع إن كان فذًّا[١] فصلاته باطلة؛ لما ثبت عنه ﷺ أنه رأى رجلًا يصلي خلف الصف وحده، فأمره أن يعيد الصلاة. وقال: «لا صلاة لمنفرد خلف الصف»[٢].

والقول بما دل عليه الحديث[٣] أن عدم صلاة الفذ خلف الصف هو الصحيح من أقوال أهل العلم للدليل المذكور.

وإن كان المؤتم جماعة لم يصح اقتداؤهم أيضًا؛ لما تقدم في الوجه الأول، ولأن القول بصحة اقتدائهم يفضي إلى التهاون بالجماعة وتعطيل المساجد التي أذن الله أن ترفع.

وشرع سبحانه أن يجتمع المسلمون فيها لحكم كثيرة لا تخفى على من تأمل حكم الشريعة وأسرارها. ومن أهم قواعد الإسلام سد الذرائع المفضية إلى تعطيل ما شرعه الله، أو ارتكاب ما حرمه.

الوجه الثالث: أن الرسول ﷺ أمر المسلمين بإجابة المنادي للصلاة وشهودها مع إخوانهم في المساجد، وهمَّ بعقوبة من تخلف عنها، وقال: «من سمع النداء فلم يأت فلا صلاة له إلا من عذر»[٤]. والمصلي خلف المذياع لم يجب المنادي الإجابة الشرعية، ولم يشهد الصلاة مع المسلمين في محلها؛ فيكون مذمومًا ومتعرضًا للوعيد.

وبالجملة فمن تأمل نصوص الكتاب والسنة الواردة في شأن الصلاة وإقامتها في المساجد عرف أن المصلي خلف المذياع مخالف لها، سائر على غير منهجها.

---

(١) الفذّ: هو الفرد. وفيه قوله ﷺ: «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة». أخرجه البخاري (٦٤٥)، ومسلم (٦٥٠٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٤/ ٢٣، وابن ماجه (١٠٠٣)، وابن خزيمة (١٥٦٩) من حديث علي بن شيبان رضي الله عنه. وصححه الألباني في الإرواء (٥٤١).

(٣) في الأصل: «الحديثان».

(٤) أخرجه ابن ماجه (٧٩٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وصححه الألباني.

هل تجوز الاستنابة في رمي الجمار للعاجز عن مباشرة الرمي لمرض أو نحوه ؟ .

نعم تجوز الاستنابة في رمي الجمار للعاجز عن مباشرة ذلك ؛ لمرض أو كبر سن أو صغر ، وكذا لمن يخشى على غيره ؛ كالحامل وذات الطفل التي لا تجد من يحفظ طفلها حتى ترجع ؛ لما عليها من الخطر والضرر في مزاحمة الناس وقت الرمي .

وقد نص أهل العالم على هذه المسألة ، واحتجوا عليها بما رواه أحمد ، وابن ماجه عن جابر رضي الله عنه قال : حججنا مع رسول الله ﷺ معنا النساء والصبيان فلبينا عن الصبيان ورمينا عنهم .(١)

ومن الحجة على ذلك أيضًا : قوله تعالى : ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: الآية ١٦] . وقوله تعالى : ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾ [البقرة: الآية ١٩٥] .

وقول النبي ﷺ : « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم »(٢) .

وقوله عليه السلام : « لا ضرر ولا ضرار »(٣) .

إذا ناب الإنسان عن غيره في رمي الجمار فكيف يكون رميه لها ؟ .

يرمي النائب الجمار كلها عن نفسه ثم عن مستنيبه ، أما رمي جمرة العقبة يوم النحر ، فالأمر فيه واضح ، وهو أن يحضر النائب بالحصيات التي يريد الرمي بها عن نفسه وعن غيره ، فيرمي أولًا بسبع عن نفسه ، ثم يرمي سبعًا عن مستنيبه ، وهو في موقفه ؛ واحدة بعد واحدة ، يرفع يديه ويكبر مع كل حصاة ، ولا حاجة إلى أن يرجع إلى منزله ليأتي بحصيات المنوب عنه ، كما قد يفتي بذلك بعض الجهال .

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٣١٤، وابن ماجه (٣٠٣٨) . وضعفه الألباني .

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٨٨) ، ومسلم (١٣٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أخرجه أحمد ٣١٣/١ من حديث ابن عباس رضي الله عنه ، وأخرجه مالك ٧٤٥/٢ مرسلًا ، وصححه الألباني في الإرواء (٨٩٦) .

وأما الرمي في أيام التشريق ، فللنائب فيه حالان :

إحداهما : أن يرمي الجمار الثلاث عن نفسه أولًا ثم عن مستنيبه . وهذه الصفة قد نص عليها أهل العلم ، ولا أعلم فيها مخالفًا .

الحالة الثانية : أن يرمي الجمرة الأولى عن نفسه ثم عن مستنيبه ، ثم ينتقل إلى الوسطى فيرميها عن نفسه ثم عن مستنيبه ، ثم إلى الثالثة فيرميها كذلك . وهذه الصفة قد منع منها بعض أهل العلم . واختار جماعة من العلماء جوازها ؛ لعدم الدليل على المنع ، ولأنها أيسر وأسهل على النائب في هذا المقام الشديد الخطير ، وقد قال اللَّه تعالى : ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٥] . وقال تعالى : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحَجّ: الآية ٧٨] .

وقالت عائشة رضي اللَّه عنها : ما خير رسول اللَّه ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا ، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس عن الإثم[1] .

ومعلوم أن هذا المقام يحتمل الأمرين ، وهما : رميه عن نفسه لجميع الجمار أولًا ثم عن مستنيبه . والأمر الثاني : رميه كل جمرة عن نفسه ثم عن مستنيبه . ولا ريب أن الثاني أيسر وأسهل وأبعد عن الخطر ؛ فيكون أقرب إلى الشريعة التي جاءت بالتيسير ونفي الحرج والإصر . ولا ينبغي لطالب العلم أن يفتي الناس بأمر يشق عليهم ويحرجهم بلا حجة ظاهرة ، وهو يجد لهم ما هو أيسر وأسهل من غير أن يخالف دليلًا شرعيًا ، فكيف إذا كان الأمر الأيسر هو الموافق لظاهر النصوص والقواعد الشرعية والأصول المرعية .

ولو كان المشروع للنائب أن يرمي الجمار الثلاث عن نفسه ، ثم يرجع فيرميها عن مستنيبه ؛ لنقل ذلك عن النبي ﷺ أو عن أصحابه ، فلما لم ينقل ذلك

(١) أخرجه البخاري (٣٥٦٠، ٦١٢٦) ، ومسلم (٢٣٢٧) .

دلَّ على عدم وقوعه. وقد أوضحت هذه المسألة في رسالتي الموسومة بـ« التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة على ضوء الكتاب والسنة » .

تنبيه عام للقراء :

قد اجترأ صاحب المكتبة السلفية بالرياض فطبع رسالتي الموسومة بـ« التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة » بغير إذني ، وزاد في آخرها أدعية لم أجمعها ، ولم آذن فيها . وقد أشعرته بعدم موافقتي وأمرته بحجز النسخ . وللإشعار حرر .



هل تجوز إعادة ضريبة العقار[1]

بسم اللَّه، والصلاة والسلام على رسول اللَّه.

لقد قرأت في «صحيفة القصيم» الصادرة في ١٣٨١/٤/٢هـ تحت عنوان: «المعتدل والمايل». كلمة تتضمن المطالبة بإعادة الضرائب على عقارات المسلمين، وتحبذ ذلك» وتشجع عليه! فاستنكرت ذلك كثيرًا، وعجبت من صحيفة إسلامية» وكاتب بين المسلمين، يدعو إلى ظلم إخوانه، ومخالفة النصوص من الكتاب والسنة الدالة على تحريم ظلم المسلمين في دمائهم وأموالهم وأعراضهم!!.

اللَّه أكبر، وما أعظمها من فرية، وما أكبره من منكر؛ أن يعلن كاتب من المسلمين في غير حياء ولا خجل الدعوةَ إلى الظلم، ثم لا يكفيه أن يدعي أنه مباح» بل يتمادى به الهوى والجهل حتى يحبذ الظلم، ويرغب فيه!! سبحانك هذا بهتان عظيم، ومنكر وخيم، يستحق صاحبه التأديب عليه؛ لإعلانه الدعوة إلى منكر قد علم تحريمه وإنكاره من الدين بالضرورة، وقد أجمع المسلمون على تحريمه، وصرح النبي ﷺ بإنكاره والتحذير منه في أعظم جمع يوم عرفة، وفي يوم النحر، حيث قال: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام» كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا». ثم قال عليه الصلاة والسلام: «ألا هل بلغت». فقالوا: نعم» فجعل يرفع أصبعه إلى السماء، ويقول: «اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد»[2].

فلقد بلغ عليه الصلاة والسلام ونصح وحذر، فالواجب على كتابنا وعلمائنا وولاة أمرنا وعلى جميع المسلمين أن يحرموا ما حرمه اللَّه ورسوله، وأن ينهوا عما

---

(١) صحيفة الندوة في ١٣٨١/٤/٢٣هـ.

(٢) أخرجه البخاري (١٠٥، ١٧٤١، ٧٠٧٨)، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رضي اللَّه عنه.

نهى اللَّه عنه ورسوله ، وبذلك تحصل لهم العزة والسعادة والسلامة في الدنيا والآخرة .

والظلم لا يأتي بخير ، ألا هو ظلمات يوم القيامة ، وسبب لخراب المجتمع وفساده ، وسبيل إلى تغيير القلوب وحقدها على ولاة الأمور .

وأظن الكاتب لو علم ما يترتب على وضع الضرائب من المفاسد الكثيرة ، مع كون ذلك من المعاصي الظاهرة والظلم السافر ، لما قال ما قال ، ولكن جهله بالواقع والواجب وسيطرة التقليد على مشاعره للدول الكافرة ومن تشبه بها ، هو الذي أوقعه في هذه الورطة الكبيرة ، نسأل اللَّه لنا وله ولسائر المسلمين الهداية والتوفيق للحق .

ولقد دلت النصوص الكثيرة والحوادث على أن من ترك شيئًا للَّه عوضه اللَّه خيرًا منه ، ومن اتقى اللَّه في كل أعماله يسر اللَّه أمره وجعل له من كل هم فرجًا ومن كل ضيق مخرجًا في العاجل والآجل .

والحكومة بحمد اللَّه غنية ومحبة للإصلاح ، وليست في حاجة إلى ظلم الرعية بوضع الضرائب أو غيرها ، بل عليها أن تضاعف من الإحسان والعطف على فقيرها ، وإيجاد المشاريع النافعة والأعمال المثمرة بين أبناء شعبها ، وأن تبتعد عن جميع أنواع الظلم ؛ رغبة فيما عند اللَّه سبحانه ، وحذرًا من عقابه ، وتنفيذًا لأحكامه .

ويجب عليها أن تضرب بيد من حديد على أيدي دعاة الباطل ، وأن توقفهم عند حدهم ، وأن توجههم الوجهة الشرعية ؛ حتى يسير الجميع على المنهج القويم والصراط المستقيم ، ويسلم المسلمون من الدعوات المغرضة والمقالات المضللة .

ونسأل اللَّه أن يوفقها لذلك ويعينها عليه ، وأن يهدينا وإياها وسائر المسلمين سواء السبيل ، إنه جواد كريم .

التحذير من القمار وبيع الغرر(١)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعدُ:

فإن الله سبحانه أحل لعباده الطيبات من المطاعم والمشارب والملابس والمعاملات؛ لحاجة العباد إليها وعظيم نفعها وسلامتها من الضرر. وحرم عليهم عز وجل جميع الخبائث من المطاعم والمشارب والملابس والمعاملات؛ لعظم ضررها، وعدم نفعها أو قلته في جنب المضرة العالية، قال تعالى في سورة المائدة: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [المائدة: الآية ٤]. وقال تعالى في السورة المذكورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِي ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝٩١ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٠- ٩٢].

وقال تعالى في سورة الأعراف في وصف نبينا وسيدنا وإمامنا محمد بن عبد الله ﷺ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: الآية ١٥٧].

أوضح الله سبحانه في هذه الآيات أنه أحل لعباده الطيبات، وحرم عليهم الخبائث، وبيّن سبحانه أنه من جملة الخبائث الخمر؛ لعظم مضرتها وسلبها

(١) صحيفة القصيم العدد ١٤٣- الثلاثاء - ٤- جمادى الأولى- سنة ١٣٨٢هـ، مجلة الحج محرم ١٣٨٢هـ.

العقول وجلبها الشحناء والعداوة بين المتعاطين لها وغيرهم، وصدها عن ذكر اللَّه وعن الصلاة، فهي أم الخبائث، ووسيلة الرذائل، وهي من أقبح الكبائر، وأعظم الجرائم، وقد أوعد اللَّه من مات عليها أن يسقيه من طينة الخبال، وهي عصارة أهل النار، نستجير باللَّه من ذلك.

ومن جملة الخبائث الكسبية: الميسر، وهو القمار؛ وما ذاك إلا لما يترتب عليه من الأضرار العظيمة التي منها سلب الثروات، وأكل المال بغير حق، وجلب الشحناء والعداوة، والصد عن ذكر اللَّه وعن الصلاة.

وكثير من الناس اليوم يتعاطى الميسر، ولا يبالي بما قاله اللَّه ورسوله في تحريمه والنهي عنه، ولا بما يترتب عليه من المفاسد والأضرار، وذلك لما جبلت عليه القلوب من الجشع والطمع والحرص على استحصال المال بكل وسيلة، ولو كان في ذلك غضب اللَّه وعذابه، بل ولو كان في ذلك ذهاب ماله وتلف نفسه في العاقبة إلا من شاء اللَّه من العباد، وما ذاك إلا لسكر القلوب بحب المال، والحرص عليه، ونسيان ما يترتب على وسائله المحرمة؛ كالقمار، وبيع الغرر، من العواقب الوخيمة في الدنيا والآخرة، وقد صح عن النبي ﷺ أنه نهى عن بيع الغرر[1].

ومن المعاملة الداخلة في القمار وفي بيع الغرر ما حدث في هذا العصر من وضع بعض الشركات والتجار جوائز خفية في بعض الأشربة والصابون وغير ذلك من المبيعات؛ طمعًا في استنزاف ثروات المسلمين وترغيبًا لهم في شراء السلع المشتملة على الجوائز بأغلى من ثمنها المعتاد، والاستكثار من تلك السلع؛ رجاء الظفر بتلك الجوائز.

ولا ريب أن هذه المعاملات من الميسر، ومن بيع الغرر؛ لأن المشتري يبذل

---

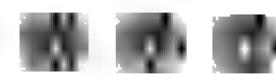
(١) أخرجه مسلم (١٥١٣) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه.

ماله الكثير رجاء مال مجهول ، لا يدري هل يظفر به أم لا ، وهذا من الميسر وبيع الغرر الذي حذر اللّٰه ورسوله منه .

فاتقوا اللّٰه أيها المسلمون ، واحذروا هذه المعاملات المحرمة ، وحذروا منها إخوانكم ، واحرصوا على حفظ أموالكم وعدم صرفها إلا فيما تتحققون منفعته وسلامته مما يخالف شرع اللّٰه ، وإياكم أن تساعدوا أعداءكم وأرباب الجشع من تجاركم بما يسلب أموالكم ويغضب اللّٰه عليكم .

ويجب على الحكومة - وفقها اللّٰه لكل خير - أن تمنع هذه المعاملات ، وأن تمنع ورود هذه السلع المشتملة على الجوائز التي توقع الناس في القمار ، وتسلب الأموال وتضر المجتمع .

نسأل اللّٰه أن يوفق الحكومة والمسلمين لما فيه صلاح البلاد والعباد ، وأن يهدينا وتجارنا وسائر المسلمين لما يرضي اللّٰه ويقرب لدينه وينفع المسلمين ، إنه على كل شيء قدير ، وصلى اللّٰه وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه .



واجب الصحف والإذاعة(١)

نشرت بعض الصحف المحلية لبعض الكتاب والكاتبات كلمات لا تهدف إلى صالح المجتمع ، بل تضره وتفضي به إلى أسوأ العواقب ، وقد يكون ذلك الكاتب وتلك الكاتبة لا يشعران بمدى خطورة ما كتبا ، ولا يعلمان عظيم جنايتهما على المجتمع الإسلامي الذي يعيشان فيه ، ولا سيما في هذا العصر الرهيب الذي استحكمت فيه غربة الإسلام ، وظهر فيه الإلحاد والإباحية ، وانتشر أنصارهما والدعاة إليهما ، تارة باسم التقدم والرقي والقومية العربية ، وتارة باسم الحرية والاشتراكية ، وطورًا بأسماء أخرى !!

شعارات براقة وأساليب خداعة لا تمت إلى الخير بصلة ، ولا تهدف إلى الحق بأدنى وسيلة ؛ يغتر بها السذج والسفهاء ، ويخدع بها الجهال والحمقى ، ويربح من ورائها الأعداء .

وكان الواجب على كتابنا من الرجال والنساء أن يتحروا الحق فيما يكتبون ، وأن يزنوا كلماتهم وأهدافهم بالميزان الذي لا يجور ، وهو ميزان الشريعة الإسلامية الكاملة المعروف من كتاب اللَّه وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، وأن لا يغتروا بالشعارات المضللة والدعايات الجوفاء والأساليب الساحرة التي انتحلها أعداؤهم ، وقصدوا من ورائها تضليل المسلمين ، وتلبيس دينهم عليهم ، ودعوتهم إلى التملص منه والخروج على أحكامه بشتى الأساليب وأنواع المغريات .

وهكذا إذاعاتنا ؛ يجب على القائمين عليها أن يتحروا الخير فيما يذيعونه

---

(١) صحيفة الندوة في ١/٤/١٣٨٣هـ.

تنبيه : هذا المقال موجود في « مجموع فتاوى الشيخ » (٤/١٦٠) بأشمل وأعم مما في الصحيفة ، ويلاحظ أن الصحيفة قد تصرفت في المقال فحذفت منه ما رأته بنظرها غير مناسب للنشر ، وهو حديث الشيخ ونقده لما يبث في الإذاعة آنذاك من الأغاني الماجنة .

للناس ، وأن يزودوها بالمقالات النافعة البناءة والأحاديث الهادفة والتوجيهات السديدة التي تنفع المجتمع في دينه ودنياه وتأخذ بيده إلى الطريق القويم ، وتنبهه على أخطائه ومواضع الزلل من سيره حتى يرجع عن الخطأ ويستقيم على سواء السبيل .

وبذلك تؤدي واجبها ، وتساهم في الإصلاح الديني والدنيوي ، ويتحقق بها نفع الأمة وتوجيهها إلى الصالح العام في المشارق والمغارب ، وتكون بذلك قد استغلت الوقت فيما يفيد ، وأحسنت سمعة بلدها ، وأخذت بأيدي مستمعيها إلى أسباب الرقي الصالح ، والتقدم السليم والحضارة الكريمة التي تصان بها الكرامة ، وتحفظ بها الحقوق ، وتزكى بها النفوس ، وترشد بها العقول إلى طرق السلامة ووسائل البناء والإصلاح ، والابتعاد عن أسباب الغي والضلال والتخريب والإفساد .

ولا ريب أن بلادنا هي أحسن البلاد الإسلامية وأقومها بشعائر اللّٰه ، على ما فيها من نقص وضعف ، فالواجب علينا جميعًا من مسؤولين ومذيعين وكتاب وكاتبات أن نتقي اللّٰه جميعًا في أنفسنا ومجتمعنا ، وأن نتكاتف ونتعاون على نصر دينه وحماية شريعته ، وترك ما خالف ذلك حتى نكون أسوة صالحة ومثالًا أعلى لجميع البلدان الإسلامية ، ولا سيما ونحن في مهبط الوحي ومطلع شمس الرسالة وقبلة المسلمين في المشارق والمغارب .

ولا ريب أن هذا كله يقتضي مضاعفة الواجب وعظم المسؤولية وجزيل المثوبة إذا قمنا بواجبنا ، ويقتضي كبر الجريمة وشدة الخطر إذا تخلينا عنه وتساهلنا بالمسؤولية الملقاة على عواتقنا .

فالجِد الجِد والوحى الوحى قبل أن يحل بنا من أمر اللّٰه ما لا طاقة لنا به ، وقبل أن تنزل بنا فتنة لا تصيب الذين ظلموا منا خاصة ، بل تعم الصالح والطالح ويهلك بها الحرث والنسل ، ولا حول ولا قوة إلا باللّٰه .

ولقد استنكر أهل العلم والإيمان ما تنشره الكثير من الصحف حاليًا مما أشرنا إليه آنفا ، وكتبوا في ذلك ما شاء اللَّه أن يكتبوا مما نشر بعضه في الصحف ، وأكثره لم ينشر ؛ حفزهم إلى ذلك الغيرة للَّه والنصيحة له ولعباده وما أوجب عليهم مولاهم سبحانه من إنكار المنكر والأمر بالمعروف ؛ أنكروا فيها ما كتبه بعض من قلَّ علمه وضعفت بصيرته من الدعوة إلى السفور وبروز المرأة واختلاطها مع الرجل في المصنع والمتجر والمكتب ونحو ذلك ، وأوضح ما يترتب على ذلك من الفساد[١] ، ودعا المسؤولين إلى الضرب على أيدي السفهاء في إنكارها .

ولا شك أن من دعا الناس إلى ما يفسد مجتمعهم ويضرهم في دينهم ويوجب غضب اللَّه عليهم ويسبب حلول النقم حقيق بأن يسمى سفيهًا ، وأن يُطلبَ المسؤولون من ولاة الأمر وغيرهم من أعيان الناس وأرباب الغيرة والدين أن يضربوا على يديه ، وأن يمنعوه من أسباب الخطر ، وأن يوقفوه عند حده ويبصروه بعيبه وخطئه ، وهذا هو الواجب عليهم كما قال النبي ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »[٢] .. الحديث .

فعلى السلطان واجبه مع الرعية بتقويم أخلاقهم وإلزامهم بالحق ومنعهم مما حرم اللَّه حسب الطاقة ، وعلى كل إنسان من والد وزوج وأمير وكبير عشيرة ونحوهم واجبهم من إنكار المنكر والأخذ على يد السفيه حسب الطاقة .

---

(١) في مجموع فتاوى الشيخ : « وممن كتب في ذلك أخونا العلامة الناصح للَّه ولعباده الشيخ محمد أحمد باشميل ، فقد نشرت له صحيفة الندوة في عددها الصادر في ١٣٨٣/٢/٢٠هـ كلمة قيمة بعنوان : (اضربوا على أيدي السفهاء) ، أنكر فيها ما كتبه بعض من قل علمه وضعفت بصيرته من الدعوة إلى السفور والغناء والعزف والطرب وبروز المرأة واختلاطها مع الرجل في المصنع والمتجر والمكتب ونحو ذلك ، وأوضح ما يترتب على ذلك من الفساد ...» .

(٢) أخرجه البخاري (٨٩٣، ٢٤٠٩) ، ومسلم (١٨٢٩) من حديث ابن مسعود رضي اللَّه عنهما .

وإذا كان اللّٰه سبحانه قد سمى من لا يحسن التصرف في ماله سفيهًا ، ولو كان شيخًا كبيرًا في قوله سبحانه : ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ [النّساء: الآية ٥] .. الآية ، فالذي لا يحسن التصرف في دينه ولا يقف عند الحد الذي حده اللّٰه له أولى بهذه التسمية وأحق بهذا اللقب .

ولا ريب أن سفور النساء بحضرة الرجال الأجانب وإبدائهن مفاتنهن من أعظم السفه ، سواء كان ذلك في الطريق أو الطائرة أو السيارة أو المتجر أو المكتب أو المصنع أو القطار أو غير ذلك .

فيجب على ولاة الأمر القضاء على ذلك والمنع منه والضرب على أيدي من يدعو إليه أو يفعله ، وبذلك تصلح الأحوال ويؤدى الواجب ويزول المنكر ويؤخذ على يد السفيه ، وقد جاء في الحديث الشريف عن النبي ﷺ أنه تلا الآية الكريمة من قول اللّٰه عز وجل : ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩] ، ثم قال : « والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد السفيه ، ولتأطرنه على الحق أطرًا ، أو ليضربن اللّٰه بقلوب بعضكم على بعض ثم يلعنكم كما لعنهم »[١] .

وصح عنه ﷺ أنه قال : « إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم اللّٰه بعقابه »[٢] .

---

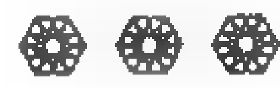
(١) أخرجه أبو داود (٤٣٣٦) ، والترمذي (٣٠٤٧) من حديث ابن مسعود رضي اللّٰه عنه ، وضعفه الألباني ، ولكن ورد من حديث حذيفة ، أخرجه أحمد ٣٣٢/٣٨ (٢٣٠٣٠١) بنحوه ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٣٠٢٦) .

(٢) أخرجه أحمد ١٧٨/١ (١) ، وأبو داود (٤٣٣٨) ، وابن ماجه (٤٠٠٥) من حديث أبي بكر الصديق رضي اللّٰه عنه . وصححه الألباني في الصحيحة (١٥٦٤) .

وقد جاء في « مجموع فتاوى الشيخ » بعد ذكره للحديث قوله : « وإني لأعجب كثيرًا من =

فاتقوا اللَّه يا إخواني وأنصفوا من أنفسكم، وحققوا الأخوة الإيمانية التي أمر اللَّه بها، وقولوا للمحق: أحسنت وأجملت، واشكروه وأعينوه. وقولوا للمسيء: أسأت وأخطأت. برفق وحكمة، ووجهوه وأرشدوه، وبذلك تستحقون الثواب الجزيل من اللَّه سبحانه، والثناء الحسن من الناس، والسمعة الطيبة في الداخل والخارج، واحذروا طاعة الهوى والتعصب المقيت والتقليد الأعمى، تربحوا وتسلموا وتفوزوا بالعاقبة الحميدة.

واللَّه أسأل أن يهدينا جميعًا سواء السبيل، وأن يوفق حكومتنا وولاة أمرنا لما فيه صلاح المجتمع وسعادته في الدنيا والآخرة، وأن يجعلنا جميعًا ممن يقول الحق ويعمل به لا يخاف في اللَّه لومة لائم، إنه على كل شيء قدير، والحمد للَّه رب العالمين، وصلى اللَّه وسلم على عبده ورسوله وآله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.



= استنكار بعض كتابنا كلمة أخينا الشيخ محمد أحمد باشميل التي أشرنا إليها وغضبهم منها ومناقشتهم إياها، وهم يعلمون نصح الرجل وغيرته العظيمة وكتاباته المفيدة، فما كان ينبغي لهم أن يغضبوا من كلمة الحق، بل كان الواجب عليهم أن يؤيدوه ويؤازروه في الصدع بالحق والدعوة إليه، وإنكار المنكر والتحذير منه، والواجب أيضًا أن يحملوا كلامه على أحسن المحامل، وأن يظنوا به الظن الحسن، وأن لا يرموه بما لا يليق به، فالمؤمنون أخوة وجسد واحد وبناء واحد سواء كانوا عربًا أو عجمًا، وسواء نبتوا في هذه البلاد وعاشوا فوق أرضها وتحت سمائها أو هاجروا إليها من بعيد، فكل مسلم يعبد اللَّه وحده وينقاد لشريعته أخونا وحبيبنا، سواء كان في المشرق أو المغرب، وسواء كان عربيًّا أو عجميًّا، وسواء تجنس بالجنسية الرسمية أم لم يتجنس بها، هكذا علمنا ربنا وأدبنا أحسن تأديب، وهكذا أرشدنا رسوله ﷺ ووجهنا أكمل توجيه، قال اللَّه عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: الآية ١٠]، وقال النبي ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه». فاتقوا اللَّه يا إخواني، وأنصفوا من أنفسكم... إلخ.

الإذاعة والأغاني[1]

لقد اطلعت على ما كتبته بعض الصحف المحلية عن بعض الكُتَّاب من الدعوة إلى تزويد الإذاعة السعودية بالأغاني والمطربين المشهورين والمطربات المشهورات ؛ تأسيًا باليهود وأشباههم في ذلك ، ورغبة في جذب أسماع المشغوفين بالغناء والراغبين في سماعه من الإذاعات الأخرى إلى سماعه من الإذاعة السعودية !!

وقرأت أيضًا ما كتبه فضيلة الشيخ عبد الملك بن إبراهيم ، والشيخ حسن بن عبد اللَّه ، وكاتب آخر لم يفصح باسمه ؛ من الرد على هذه الدعوة الحمقى والفكرة النكرى ، والرغبة المنحرفة إلى أسباب الردى ، فجزى اللَّه أنصار الحق كل خير ، وهدى اللَّه من حاد عنه إلى رشده وكفى المسلمين شره وفتنته .

أيها القارئ الكريم ؛ إن الإذاعة في حد ذاتها أداة ذات حدين ؛ إن أحسنت استعمالها فهي لك ، وإن أسأت استعمالها فهي عليك .

ولا شك أن الواجب في نفس الأمر- شرعًا وعقلًا- إما أن تكون هذه الأداة أداة تعمير وتوجيه وإرشاد إلى ما ينفع الأمة في الدين الدنيا ، ولا يجوز بوجه من الوجوه أن تكون أداة تخريب وإفساد وإشغال للأمة بما يضرهم ولا ينفعهم .

ولا ريب أيضًا عند ذوي العقول الصميمة والفطر السليمة أن تزويد الإذاعة بالأغاني والمطربين والمطربات في سبل الفساد والتخريب لا من سبل الإصلاح والتعمير .

ويا ليت هؤلاء الذين دعوا إلى التأسي باليهود وأشباههم في الأغاني ارتفعت همتهم فدعوا إلى التأسي بهم في إيجاد المصانع النافعة والأعمال المثمرة ، ولكن ويالأسف انحطت أخلاق هؤلاء ونزلت همتهم حتى دعوا إلى التأسي بأعداء اللَّه

(١) مجلة راية الإسلام العدد (٢ ، ٣) في محرم ، صفر ١٣٨١هـ.

وأعداء رسوله وأعداء المسلمين عمومًا والعرب خصوصًا في خصلة دنيئة من سفاسف الأخلاق وسيء الأعمال ، بل من الأمراض المخدرة للشعوب والسالبة لحريتها وأفكارها ، والصارفة لها عن معالي الأمور ومكارم الأخلاق عن النشاط في ميادين الإصلاح إلى ضد ذلك .

ومن أراد أن يعرف مثالًا لسقوط الهمم وضعف التفكير وانحطاط الأخلاق ، فهذا مثاله : دعوة من بلاد إسلامية إلى خلق من أحط الأخلاق يتأسى فيه بأمة من أحط الأمم وأشدها عداوة للإسلام والعرب ، وقد غضب اللَّه عليها ولعنها ، فالمتأسي بها له نصيب من ذلك . ولا شك أن هذا من آيات اللَّه التي ميز بها بين عباده وجعلهم أصنافًا متباينين ؛ هذا همته فوق الثريا ينشد الإصلاح أينما كان ويدعو إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ويدعو إلى الأعمال المثمرة كالمصانع النافعة للأمة في دينها ودنياها في عصر العلم المادي والجموح الفكري والتيارات الجارفة المتنوعة ، وشخص آخر قد انحطت همته إلى الثرى يدعو إلى سفاسف الأمور وخبيث الأخلاق ، يدعو إلى ما يضعف الأمة ويشغلها عن طرق الإصلاح وكسب القوة وعمارة البلاد بكل عمل جدي مثمر ، يدعو إلى التأسي بالأمة العاملة في الخسيس لا في الحسن ، وفي الفساد لا في الإصلاح ، وفي الشر لا في الخير ، وفي ما يضر لا ما ينفع .

هذه واللَّه العبر التي لا يزال اللَّه سبحانه يوجدها في عباده ؛ ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة ، سبحان اللَّه ما أعظم شأنه ، سبحان اللَّه ما أحكمه وأعلمه ! .

أيها القارئ الكريم : إن تزويد الإذاعة بالأغاني والطرب وآلات الملاهي فساد وحرام بإجماع من يعتد به من[1] أهل العلم وإن لم يصحب ذلك آلة اللهو ، فهو حرام عند أكثر العلماء .

(١) سقطت : « من » من الأصل .

وعلم بالأدلة المتكاثرة أن سماع الأغاني والعكوف عليها- ولا سيما بآلات اللهو كالعود والموسيقى ونحوهما- من أعظم مكائد الشيطان ومصائده التي صاد بها قلوب الجاهلين، وأبعدهم بها عن سماع القرآن، وحبب إليهم العكوف على الفسوق[1] والعصيان.

والغناء هو قرآن الشيطان ومزماره، ورقية الزنى واللواط، والجالب لأنواع الشر والفساد.

قد حكى أبو بكر الطرطوشي وغير واحد من أهل العلم عن أئمة الإسلام ذم الغناء وآلات الملاهي، والتحذير من ذلك.

وحكى الحافظ العلامة أبو عمرو بن الصلاح عن جميع العلماء تحريم الغناء المشتمل على شيء من آلات الملاهي كالعود ونحوه.

وما ذاك إلا لما في الغناء وآلات الطرب من أمراض القلوب وإفساد الأخلاق والصد عن ذكر الله وعن الصلاة.

ولا شك أن الغناء من اللهو الذي ذمه الله وعابه، وهو مما ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل، ولا سيما إذا كان من مطربين ومطربات قد اشتهروا بذلك، فإن ضرره يكون أعظم وتأثيره في إفساد القلوب أشد، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان: ٦، ٧].

قال الواحدي[2] وغيره: أكثر المفسرين على أن المراد بلهو الحديث الغناء. انتهى.

وكان ابن مسعود رضي الله عنه، وهو أحد كبار الصحابة وعلمائهم، يحلف

---

(١) في الأصل: «القلوف على الفسوف».

(٢) تفسير الوسيط ٣/ ٤٤١.

باللَّه الذي لا إله إلا هو أن لهو الحديث هو الغناء ، وقال رضي اللَّه عنه : الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع[١] .

وقد ورد عن السلف من الصحابة والتابعين أثار كثيرة بذم الغناء وآلات الملاهي والتحذير من ذلك ، وصح عن النبي ﷺ أنه قال : « ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف » . رواه البخاري[٢] . والحر : هو الفرج الحرام ، والمراد بذلك الزنى ، وأما المعازف فهي آلات الملاهي كلها كالموسيقى والطبل والعود والربابي والأوتار وغير ذلك .

قال العلامة ابن القيم رحمه اللَّه في كتاب « الإغاثة »[٣] : لا خلاف بين أهل اللغة في تفسير المعازف بآلات اللهو كلها ، وخرَّج الترمذي[٤] عن عمران بن حصين رضي اللَّه عنه ، قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « يكون في أمتي قذف وخسف ومسخ » . فقال رجل من المسلمين متى ذلك يا رسول اللَّه ؟ قال : « إذا ظهرت القيان والمعازف وشربت الخمور » .

وخرَّج أحمد في « مسنده »[٥] ، بإسناد جيد ، عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما ، أن النبي ﷺ قال : « إن اللَّه حرم الخمر والميسر والكوبة وكل مسكر » . والكوبة هي الطبل . قاله سفيان[٦] أحد رواة الحديث .

وقد روي في ذم الغناء والملاهي أحاديث وآثار كثيرة ، لا تحتمل هذه الكلمة

---

(١) أخرجه ابن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٦٨٠) ، وابن بطة في الإبانة (٩٤٥) ، والخلال في السنة (١٦٤٦) ، والبيهقي ١٠/٢٢٣ وغيرهم . وصححه الألباني موقوفًا في الضعيفة تحت حديث (٢٤٣٠) .

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٩٠) من حديث أبي عامر أو أبي مالك الأشعري رضي اللَّه عنه . وانظر « تغليق التعليق » ٥/ ١٧ .

(٣) « إغاثة اللهفان » ١/ ٢٦٠- ٢٦١ .

(٤) أخرجه الترمذي (٢٢١٢) .

(٥) أخرجه أحمد ٤/ ٢٧٩ (٢٤٧٦) . وصححه الألباني في الصحيحة (١٨٠٦، ٢٤٢٥) .

(٦) هو الثوري .

ذكرها، وفيما ذكر كفاية ومقنع لطالب الحق.

ولا شك أن الداعين إلى تزويد الإذاعة بالأغاني وآلات الملاهي قد أصيبوا في تفكيرهم حتى استحسنوا القبيح واستقبحوا الحسن، ودعوا إلى ما يضرهم ويضر غيرهم، ولم ينتبهوا للإضرار والمفاسد والشرور الناتجة عن ذلك، وما أحسن قول اللَّه تعالى حيث يقول: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فَاطِر: الآية ٨].

وصدق الشاعر حيث يقول:

يُقضى على المرء في أيام محنته حتى يرى حسنًا ما ليس بالحسن

وقد دلت الأحاديث الصحيحة على أن من دعا إلى ضلالة فعليه إثمها ومثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا، ومن ذلك ما ثبت في «صحيح مسلم»[(١)]، عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا». فيا له من خطر عظيم ووعيد شديد لمن حبذ الباطل ودعا إليه.

وإن نصيحتي لهؤلاء الداعين إلى الغناء والملاهي: أن يتوبوا إلى اللَّه من معصيتهم، وأن يراجعوا الحق ويدعوا[(٢)] اللَّه فهو خير لهم من التمادي في الباطل، واللَّه سبحانه يتوب على من تاب، ويحلم على من عصى، ويملي ولا يغفل. نسأل اللَّه لنا ولهم ولسائر المسلمين الهداية والعافية من نزغات الشيطان.

ومما تقدم من الأدلة والآثار وكلام أهل العلم يعلم كل من له أدنى بصيرة أن تطهير الإذاعات مما يضر الأمم واجب متحتم لا يسوغ الإخلال به، سواء كانت

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٤).
(٢) كذا بالأصل ولعل بعدها: «إلى».

الإذاعة شرقية أو غربية ، إذا كانت تحت ولاية المسلمين، فكيف إذا كانت الإذاعة في مهبط الوحي ومنبع النور ومحل القبلة التي يوجه المسلمون إليها وجوههم أينما كانوا في اليوم والليلة خمس مرات ؟! لا شك أنها أولى وأحق بالتطهير والصيانة من كل ما يضر المسلمين في دينهم أو دنياهم.

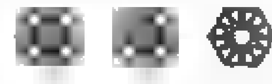
ولا ريب أن تزويدها بالأغاني وآلات الملاهي مما يضر المسلمين ضررًا ظاهرًا في دينهم ودنياهم ، فوجب أن تصان إذاعتنا من ذلك ، وأن تكون إذاعة إسلامية محضة ، تنشر الحق وتدعو إليه ، وتحذر من الباطل وتنفر منه ، تزود الناس ما ينفعهم ويرضي اللّٰه عنهم في الدنيا والآخرة ، وتكون نبراسًا يهتدي به المسلمون أينما كانوا ، فتارة تزودهم من العلوم النافعة والتوجيهات السديدة ، وتلاوة القرآن الكريم وتفسيره بما جاء عن الرسول ﷺ والسلف الصالح ، ونشر محاسن الإسلام وبيانه لهم سليمًا من شوائب الشرك والبدع ، وطورًا تسمعهم أحاديث طبية وأحاديث زراعية ، وتوجيهات تجارية وتعليمات تربوية ، وإرشادات منزلية ، إلى غير ذلك من أوجه النفع وطرق الإصلاح الديني والدنيوي.

هكذا يجب أن تكون إذاعتنا ، وهكذا يجب على المسئولين أن يوجهوها ويطهروها مما لا يليق بها ، وإنهم واللهِ مسئولون عن ذلك يوم القيامة أمام العزيز الجبار ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

وإني أتوجه بهذه الكلمة بالأصالة عن نفسي وبالنيابة عن جميع العلماء وعن جميع المسلمين الذين يغارون للّٰه ويغضبون إذا انتهكت محارمه ؛ أتوجه بذلك إلى إمامنا وولي أمرنا جلالة الملك سعود بن عبد العزيز- وفقه اللّٰه- أول مسؤول ، وأعظم مسؤول عن هذه الإذاعة وما فيها من البرامج الهدامة : أن يصونها ويطهرها من كل ما يضر المسلمين ، وأن لا يولي على شؤونها إلا من يخاف اللّٰه ويتقيه ، وذلك مما أوجب اللّٰه عليه ، وهو الراعي الأول لهذه البلاد ، وكل راع مسئول عن

رعيته، وقد بذل الكثير من الإصلاح والتسهيلات للمسلمين فنرجو أن يوفق لإصلاح هذه الإذاعة كما وفق لإصلاحات كثيرة.

والله المسؤول بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يوفق جلالته لكل خير، وأن ينصر به الحق، وأن يصون به الشريعة ويحمي به حماها من جميع البدع والمنكرات، وأن يصلح له البطانة ويمنحه التوفيق في كل ما يأتي ويذر، وأن يوفق جميع المسؤولين في حكومته للتمسك بالشرع والتعظيم لحرماته والحذر مما خالفه، إنه على كل شيء قدير، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



الأدلة من الكتاب والسنة
تحرِّم الأغاني والملاهي وتحذر منها(١)

لقد اطلعت على ما نشرته مجلة «الرائد» في عدديها السابع والستين، والثامن والستين، بقلم أبي تراب الظاهري؛ تحت عنوان: الكتاب والسنة لم يحرما الغناء ولا استعمال المعازف والمزامير والاستماع إليها!!

وتأملت ما ذكره في هذا المقال من الأحاديث والآثار، وما اعتمده في القول بحل الغناء وآلات الملاهي؛ تبعًا لإمامه أبي محمد بن حزم الظاهري، فتعجبت كثيرًا من جرأته الشديدة- تبعًا لإمامه أبي محمد- على القول بتضعيف جميع ما ورد من الأحاديث في تحريم الغناء وآلات الملاهي، بل على ما هو أشنع من ذلك وهو القول: بأن الأحاديث الواردة في ذلك موضوعة!

وعجبت أيضًا من جرأتهما الشديدة الغريبة على القول بحل الغناء وجميع آلات الملاهي مع كثرة ما ورد في النهي عن ذلك من الآيات والأحاديث والآثار عن السلف الصالح رضي الله عنهم!!

فنسأل الله العافية والسلامة من القول عليه بغير علم، والجرأة على تحليل ما حرمه الله من غير برهان.

ولقد أنكر أهل العلم قديمًا على أبي محمد هذه الجرأة الشديدة، وعابوه بها، وجرى عليه بسببها محن كثيرة، فنسأل الله أن يعفو عنا وعنه وعن سائر المسلمين.

ولقد حذر الله عباده من القول عليه بغير علم، ونهاهم سبحانه أن يحرموا أو يحللوا بغير برهان، وأخبر عز وجل أن ذلك من أمر الشيطان وتزيينه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٣٣]، وقال

(١) صحيفة راية الإسلام - العدد الثاني والثالث - محرم وصفر ١٣٨١هـ.

تعالى : ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ١١٦، ١١٧] ، وقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٨، ١٦٩] .

فحذر اللَّه سبحانه عباده في هذه الآيات الكريمات من التحليل والتحريم بغير علم ، وبين سبحانه أن القول عليه بغير علم في رتبة رهيبة فوق الشرك ، ونبه عباده على أن الشيطان يحب منهم القول على اللَّه بغير علم ، ويأمرهم به ؛ ليفسد عليهم بذلك دينهم وأخلاقهم ومجتمعهم .

فالواجب على كل مسلم أن يحذر القول على اللَّه بغير علم ، وأن يخاف اللَّه سبحانه ويراقبه فيما يحلل ويحرم ، وأن يتجرد من الهوى والتقليد الأعمى ، وأن يقصد إيضاح حكم اللَّه لعباد اللَّه على الوجه الذي بينه اللَّه في كتابه ، أو أرشد إليه رسوله ﷺ في سنته ؛ نصحًا للَّه ولعباده ، وحذرًا من كتمان العلم ، ورغبة في ثواب اللَّه على ذلك .

فنسأل اللَّه لنا ولسائر إخواننا التوفيق لهذا المسلك الذي سلكه أهل العلم والإيمان ، وأن يعيذنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، إنه على كل شيء قدير .

وأنا ذاكر لك- أيها القارئ- إن شاء اللَّه ما وقع في كلام أبي تراب وإمامه أبي محمد من الأخطاء ، وموضح لك ما ورد من الآيات والأحاديث الصحيحة والآثار في تحريم الغناء وآلات الملاهي ، وذاكر من كلام أهل العلم في هذا الباب ما يشفي ويكفي ؛ حتى تكون من ذلك على صراط مستقيم ، وحتى يزول عن قلبك- إن شاء اللَّه- ما قد علق به من الشبه والشكوك التي قد يبتلى بها من سمع مقال أبي تراب وأضرابه من الكُتَّاب ، وباللَّه نستعين وعليه نتوكل ، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم .

قال أبو تراب : « وتحقيق المسألة : أن الغناء وآلاته والاستماع إليها مباح لم يرد في الشريعة التي جاء بها ﷺ نص ثابت في تحريمه البتة ، والأدلة تؤخذ من الأصلين : هما الكتاب والسنة . وما سواهما فهو شغب وباطل مردود ، ولا يحل لمؤمن أن يعدو حدود اللّٰه قطعًا ..»

إلى أن قال في أثناء مقاله : « قال الحافظ أبو محمد بن حزم : بيع الشطرنج والمزامير والعيدان والمعازف والطنابير حلال كله ، من كسر شيئًا من ذلك ضمنه ، إلا أن يكون صورة مصورة ، فلا ضمان على كاسرها ؛ لما ذكرنا من قبل لأنها مال من مال مالكها » !! .

أقول : لقد أخطأ أبو محمد ، وأخطأ بعده أبو تراب في تحليل ما حرم اللّٰه من الأغاني وآلات الملاهي ، وفتحا على الناس أبواب شر عظيم ، وخالفا بذلك سبيل أهل الإيمان وحملة السنة والقرآن من الصحابة وأتباعهم بإحسان ، وإن ذلك لعظيم وخطره جسيم ، فنسأل اللّٰه لنا وللمسلمين العافية من زيغ القلوب ورين الذنوب وهمزات الشيطان ، إنه جواد كريم .

ولقد ذهب أكثر علماء الإسلام وجمهور أئمة الهدى إلى تحريم الأغاني وجميع المعازف وهي آلات اللهو كلها ، وأوجبوا كسر آلات المعازف ، وقالوا : لا ضمان على متلفها ، وقالوا : إن الغناء إذا انظم إليه آلات المعازف كالطبل والمزمار والعود وأشباه ذلك حرم بالإجماع ، إلا ما يستثني من ذلك من دف النساء في العرس ونحوه على ما يأتي بيانه إن شاء اللّٰه .

وقد حكى أبو عمرو بن الصلاح إجماع علماء المسلمين على ما ذكرنا من تحريم الأغاني والمعازف إذا اجتمعا ، كما سيأتي نص كلامه فيما نقله عنه العلامة ابن القيم رحمه اللّٰه ، وما ذلك إلا لما يترتب على الغناء وآلات اللهو من قسوة القلوب ومرضها ، وصدها عن القرآن الكريم واستماع العلوم النافعة ، ولا شك أن ذلك من مكائد الشيطان التي كاد بها الناس ، وصاد بها من نقص علمه

ودينه ، حتى استحسن سماع قرآن الشيطان ومزموره بدلًا من سماع كتاب اللّٰه وأحاديث رسوله اللّٰه ﷺ .

ولقد اشتد نكير السلف على من اشتغل بالأغاني والملاهي ، ووصفوه بالسفه والفسق ، وقالوا : لا تقبل شهادته ، كما سيأتي بعض كلامهم في ذلك إن شاء اللّٰه ، وما ذاك إلا لما ينشأ عن الاشتغال بالغناء والمعازف من ضعف الإيمان ، وقلة الحياء والورع ، والاستخفاف بأوامر اللّٰه ونواهيه ، ولما يبلى به أرباب الغناء والمعازف من شدة الغفلة والارتياح إلى الباطل ، والتثاقل عن الصلاة وأفعال الخير ، والنشاط فيما يدعو إليه الغناء والمعازف من الزنى واللواط وشرب الخمور ومعاشرة النسوان والمردان ، إلا من عصم اللّٰه من ذلك . ومعلوم عند ذوي الألباب ما يترتب على هذه الصفات من أنواع الشر والفساد ، وما في ضمنها من وسائل الضلال والإضلال .

وإليك أيها القارئ الكريم بعض ما ورد في تحريم الأغاني والمعازف من آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ .

قال اللّٰه تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ۝٦ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان: ٦، ٧] .

قال الحافظ ابن كثير رحمه اللّٰه في « تفسيره »[(١)] عند هاتين الآيتين ما نصه : لما ذكر حال السعداء ، وهم الذين يهتدون بكتاب اللّٰه وينتفعون بسماعه كما قال تعالى : ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزُّمَر: الآية ٢٣] الآية . عطف بذكر حال الأشقياء الذين أعرضوا عن الانتفاع بسماع كلام اللّٰه وأقبلوا

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/٤٤١- ٤٢٢.

على استماع المزامير والغناء والألحان وآلات الطرب ، كما قال ابن مسعود في قوله تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: الآية ٦] . قال : هو - والله- الغناء .

روى ابن جرير(١) : حدثني يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني يزيد بن يونس ، عن أبي صخر ، عن أبي معاوية البجلي ، عن سعيد بن جبير ، عن أبي الصَّهباء البكري أنه سمع عبد الله بن مسعود وهو يسئل عن هذه الآية : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: الآية ٦] فقال عبد الله بن مسعود : الغناء والله الذي لا إله إلا هو ، يرددها ثلاث مرات . حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا صفوان بن عيسى ، أخبرنا حميد الخراط ، عن عمار ، عن سعيد بن جبير ، عن أبي الصَّهباء ، أنه سأل ابن مسعود عن قول الله : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [لقمان: الآية ٦] قال : الغناء . وكذا قال ابن عباس ، وجابر ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، ومكحول ، وعمرو بن شعيب ، وعلي بن بذيمة . وقال الحسن البصري : نزلت هذه الآية : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [لقمان: الآية ٦] . في الغناء والمزامير . وقال قتادة : قوله : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [لقمان: الآية ٦] ، والله ، لعله لا ينفق فيه مالًا ولكن شراؤه استحبابه ؛ بحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق ، وما يضر على ما ينفع . انتهى كلامه .

فتأمل أيها القارئ الكريم هاتين الآيتين الكريمتين وكلام هذا الإمام في تفسيرهما ، وما كان عن أئمة السلف في ذلك يتضح لك ما وقع فيه أرباب الأغاني والملاهي من الخطر العظيم ، وتعلم بذلك صراحة الآية الكريمة في ذمهم وعيبهم ، وأن شراءهم للهو الحديث واختيارهم له من وسائل الضلال والإضلال ،

(١) تفسير ابن جرير ١٨/٥٣٤- ٥٣٥.

وإن لم يقصدوا ذلك أو يعلموه ؛ وذلك لأن اللّه سبحانه مدح أهل القرآن في أول السورة وأثنى عليهم بالصفات الحميدة وأخبر أنهم أهل الهدى والفلاح حيث قال عز وجل بسم اللّه الرحمن الرحيم : ﴿الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [لقمان: ١ - ٥] ، ثم قال سبحانه بعد هذا : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [لقمان: الآية ٦] الآية . وذلك يدل على ذم هؤلاء المشترين وتعرضهم للضلال بعد الهدى ، وما كان وسيلة للضلال والإضلال فهو مذموم يجب أن يحذر ويبتعد عنه .

وهذا الذي قاله الحافظ ابن كثير في تفسير الآية ، قاله غيره من أهل التفسير ، كابن جرير ، والبغوي ، والقرطبي ، وغير واحد ، حتى قال الواحدي في « تفسيره »[1] : أكثر المفسرين على أن لهو الحديث هو : الغناء . وفسره آخرون بالشرك . وفسره جماعة بأخبار الأعاجم وبالأحاديث الباطلة التي تصد عن الحق . وكلها تفاسير صحيحة لا منافاة بينها .

والآية الكريمة تذم من اعتاض ما يصد عن سبيل اللّه ويلهيه عن كتابه ، ولا شك أن الأغاني وآلات الملاهي من أقبح لهو الحديث الصاد عن كتاب اللّه وعن سبيله .

قال أبو جعفر بن جرير رحمه اللّه في « تفسيره » لما ذكر أقوال المفسرين في لهو الحديث ما نصه : والصواب من القول في ذلك أن يقال : عنى به كلّ ما كان من الحديث ملهيًا عن سبيل اللّه مما نهى اللّه عن استماعه أو رسوله ؛ لأن اللّه تعالى عمَّ بقوله : ﴿لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ ، ولم يخصص بعضًا دون بعض ، فذلك على عمومه حتى يأتي ما يدل على خصوصه ، والغناء والشرك من ذلك . انتهى كلامه .

وقال القرطبي[2] في تفسير قوله تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ

---
(١) تفسير الوسيط للواحدي ٣/ ٤٤١.

ٱلْحَدِيثِ﴾ [لقمان: الآية ٦] : « من » في موضع رفع بالابتداء . و« لهو الحديث » : الغناء في قول ابن مسعود وابن عباس وغيرهما ..

ثم بسط الكلام في تفسير هذه الآية . ثم قال : المسألة الثانية : وهو الغناء المعتاد عند المشتهرين به الذي يحرك النفوس ويبعثها على الهوى والغزل والمجون الذي يحرك الساكن ويبعث الكامن ، فهذا النوع إذا كان في شعر يشبب فيه بذكر النساء ووصف محاسنهن ، وذكر الخمور والمحرمات ، لا يختلف في تحريمه ؛ لأنه اللهو والغناء المذموم بالإنفاق ، فأما ما سلم من ذلك فيجوز القليل منه في أوقات الفرح كالعرس والعيد ، وعند التنشيط على الأعمال الشاقة ، كما كان في حفر الخندق ، وحدو أنجشة وسلمة بن الأكوع . فأما ما ابتدعته الصوفية اليوم من الإدمان على سماع الأغاني بالآلات المطربة من الشبابات[١] والطار والمعازف والأوتار فحرام . انتهى كلامه .

وهذا الذي قاله القرطبي كلام حسن ، وبه تجتمع الآثار الواردة في هذا الباب ، ومن ذلك ما ثبت في « الصحيحين »[٢] عن عائشة رضي اللّٰه عنها قالت : دخل عليَّ النبي ﷺ وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث ، فاضطجع على الفراش وحوَّل وجهه ، ودخل أبو بكر رضي اللّٰه عنه فانتهرني ، وقال : مزمار الشيطان عند النبي ﷺ . فأقبل عليه رسول ﷺ فقال : « دعهما » . فلما غفل غمزتهما فخرجتا . وفي رواية لمسلم فقال رسول اللّٰه : « يا أبا بكر إن لكل قوم عيدًا وهذا عيدنا » . وفي رواية له أخرى : فقال ﷺ : « دعهما يا أبا بكر ، فإنها أيام عيد » . وفي بعض رواياته أيضًا : « جاريتان تلعبان بدف » .

فهذا الحديث الجليل يستفاد منه أن كراهة الغناء وإنكاره وتسميته مزمار

---

(١) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٥١.

(٢) الشبابة بالتشديد : قصبة الزمر ، وهو مولدة . وانظر المعجم الوسيط « ش(» .

(٣) أخرجه البخاري (٩٤٩، ٩٥٢، ٩٨٧) ، ومسلم (٨٩٢) .

الشيطان أمر معروف مستقر عند الصحابة رضي اللّه عنهم ، ولهذا أنكر الصديق على عائشة غناء الجاريتين عندها ، وسماه مزمار الشيطان ، ولم ينكر عليه النبي ﷺ تلك التسمية ، ولم يقل له : إن الغناء والدف لا حرج فيهما ، وإنما أمره أن يترك الجاريتين ، وعلل ذلك بأنها أيام عيد ، فدل ذلك على أنه ينبغي التسامح في مثل هذا للجواري الصغار في أيام العيد ؛ لأنها أيام فرح وسرور ، ولأن الجاريتين إنما أنشدتا غناء الأنصار الذي تقاولوا به يوم بعاث فيما يتعلق بالشجاعة والحرب ، بخلاف أكثر غناء المغنيين والمغنيات اليوم فإنه يثير الغرائز الجنسية ، ويدعو إلى عشق الصور وإلى كثير من الفتن الصادة للقلوب عن تعظيم اللّه ومراعاة حقه ، فكيف يجوز لعاقل أن يقيس هذا على هذا .

ومن تأمل هذا الحديث علم أن ما زاد على ما فعلته الجاريتان منكر يجب التحذير منه حسمًا لمادة الفساد وحفظًا للقلوب عما يصدها عن الحق ويشغلها عن كتاب اللّه وأداء حقه .

وأما دعوى أبي تراب : أن هذا الحديث حجة على جواز الغناء مطلقًا ! فدعوى باطلة ؛ لما تقدم بيانه . والآيات والأحاديث والآثار الواردة في هذا الباب كلها تدل على بطلان دعواه ، وهكذا الحديث الذي رواه سفيان الثوري عن أبي إسحاق السبيعي عن عامر بن سعد البجلي أنه رأى أبا مسعود البدري وقرظة بن كعب وثابت بن يزيد وهم في عرس ، وعندهم غناء ، فقلت لهم : هذا وأنتم أصحاب رسول اللّه ﷺ ! . فقالوا : إنه رخص لنا في الغناء في العرس ، والبكاء على الميت من غير نوح(١) .

فهذا الحديث ليس فيه حجة على جواز الغناء مطلقًا ، وإنما يدل على جوازه

(١) أخرجه النسائي (٣٣٨٣) ، والطبراني ٢٤٧/١٧ (٦٩٠) من طريق أبي إسحاق السبيعي به ، وعند النسائي بدون ذكر ثابت بن يزيد ، وحسنه الألباني في «آداب الزفاف» ص ١١٠ ، ومشكاة المصابيح (٣١٥٩) .

في العرس لإعلان النكاح .

ومن تأمل هذا الحديث عرف أنه دليل على منع الغناء لا على جوازه ؛ فإنه ﷺ لما رخص لهم فيه في العرس لحكمة معلومة ، دل على منعه فيما سواه إلا بدليل خاص ، كما أن الرخصة للمسافر في قصر الرباعية يدل على منع غيره من ذلك . وهكذا الرخصة للحائض والنفساء في ترك طواف الوداع يدل على منع غيرها من ذلك . والأمثلة لهذا كثيرة .

وأيضًا فإنكار عامر بن سعد على هؤلاء الصحابة الغناء ، وإقرارهم له على ذلك ، دليل على أن كراهة الغناء والمنع منه أمر قد استقر عند الصحابة والتابعين ، وعرفوه عن النبي ﷺ ، والله المستعان .

قال العلامة ابن القيم ، رحمة الله عليه في كتابه « إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان »[1] ما نصه :

ومن مكائد عدو الله ومصائده التي كاد بها من قل نصيبه من العلم والعقل والدين ، وصاد بها قلوب الجاهلين والمبطلين : سماع المكاء والتصدية والغناء بالآلات المحرمة ؛ ليصد القلوب عن القرآن ويجعلها عاكفة على الفسوق والعصيان ، فهو قرآن الشيطان والحجاب الكثيف عن القرآن ، وهو رقية اللواط والزنى ، وبه ينال الفاسق من معشوقة غاية المنى ، كاد به الشيطان النفوس المبطلة وحسنه لها مكرًا وغرورًا ، وأوحى إليها الشبه الباطلة على حسنه ، فقبلت وحيه واتخذت لأجله القرآن مجهورًا ..

إلى أن قال : ولقد أحسن القائل :

تلي الكتاب فأطرقوا لا خيفة ... لكنه إطراق ساه لاهي
وأتى الغناء فكالحمير تناهقوا ... والله ما رقصوا لأجل الله

(١) « إغاثة اللهفان » ١/٢٢٤- ٢٢٦.

دف ومزمار ونغمة شادن فمتى رأيت عبادة بملاهي
ثقل الكتاب عليهم لما رأوا تقييده بأوامر ونواهي
سموا له رعدًا وبرقًا إذ حوى زجرًا وتخويفًا بفعل مناهي
ورأوه أعظم قاطع للنفس عن شهواتها يا ذبحها المتناهي
وأتى السماع موافقًا أغراضها فلأجل ذاك غدا عظيم الجاه
أين المساعد للهوى من قاطع أسبابه عند الجهول الساهي
إن لم يكن خمر الجسوم فإنه خمر العقول مماثل ومضاهي
فانظر إلى النشوان عند شرابه وانظر إلى النسوان عند ملاهي
وانظر إلى تمزيق ذا أثوابه من بعد تمزيق الفؤاد اللاهي
واحكم فأي الخمرتين أحق بالت حريم والتأثيم عند اللَّه

وقال آخر:

برئنا إلى اللَّه حق معشر بهم مرض من سماع الغنا
وكم قلت: يا قوم أنتم على شفا جرف ما به من بنا
شفا جرف تحته هوة إلى درك كم به من عنا
وتكرار ذا النصح منا لهم لنعذر فيهم إلى ربنا
فلما استهانوا بتنبيهنا رجعنا إلى اللَّه في أمرنا
فعشنا على سنة المصطفى وماتوا على تنتنا تنتنا

ولم يزل أنصار الإسلام وأئمة الهدى تصيح بهؤلاء من أقطار الأرض، وتحذر من سلوك سبلهم واقتفاء آثارهم من جميع طوائف الملة.

الأدلة من الكتاب والسنة
تحرم الأغاني وتحذر منها[1]
[٢]

شبهة يجب أن تكشف :

زعم أبو تراب- تبعًا لابن حزم- أن قوله سبحانه :﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ﴾ [لقمان: الآية ٦]

الآية ، دليل على أن مشتري لهو الحديث من الأغاني والملاهي لا يستحق الذم إلا إذا اشتراها لقصد الضلال أو الإضلال ، أما من اشتراها للترفيه والترويح عن نفسه فلا بأس في ذلك !

والجواب أن يقال : هذه شبهة باطلة من وجوهٍ ثلاثة :

الأول : أن ذلك خلاف ما فهمه السلف الصالح من الصحابة والتابعين من الآية الكريمة ، فإنهم احتجوا بها على ذم الأغاني والملاهي والتحذير منها ، ولم يقيدوا ذلك بهذا الشرط الذي قاله أبو تراب ، وهم أعلم الناس بمعاني كلام اللَّه وكلام الرسول ﷺ ، وهم أعرف بمراد اللَّه من كلامه ممن بعدهم .

الوجه الثاني : أن ذلك خلاف ظاهر الآية لمن تأملها ؛ لأن اللَّه سبحانه قال :﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ [لقمان: الآية ٦]فدل ذلك على أن هذا الصنف المذموم من الناس قد اشترى لهو الحديث ليضل به عن سبيل اللَّه بغير علم ، ولا شعور بالغاية ، ولا قصد للإضلال أو الضلال ، ولو كان اشترى لهو الحديث وهو يعلم أنه يضل به أو يقصد ذلك لم يقل اللَّه عز وجل :﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ [لقمان: الآية ٦] ؛لأن من علم أنه اشترى لهو الحديث ليضل به عن سبيل اللَّه لا يقال له : إنه لا يعلم ، وهكذا من قصد ذلك لا يقال : إنه

(١) مجلة راية الإسلام - العددان ٤، ٥ في ربيع الأول والثاني عام١٣٨١هـ.

اشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ؛ لأن من علم أن غايته الضلال أو قصد ذلك قد اشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بعلم وقصد ، لا ليضل بغير علم ، فتأمل وتنبه- أيها القارئ الكريم- يتضح لك الحق ، وعليه تكون « اللام » في قوله : ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الحج: الآية ٩] لام العاقبة ، أو لام التعليل ، أي : تعليل الأمر القدري . ذكر ذلك الحافظ ابن كثير وغيره .

وعلى كونها للعاقبة يكون المعنى : أن من اشترى لهو الحديث من الغناء والمعازف ، تكون عاقبته الضلال عن سبيل الله والإضلال واتخاذ سبيل الله هزوًا ، والإعراض عن آيات الله ؛ استكبارًا واحتقارًا ، وإن لم يشعر بذلك ولم يقصده .

وعلى المعنى الثاني ، وهو كونها لتعليل الأمر القدري ، يكون المعنى : أن الله سبحانه قضى وقدر على بعض الناس أن يشتري لهو الحديث ليضل به عن سبيل الله .

وعلى كلا التقديرين فالآية الكريمة تفيد ذم من اشترى لهو الحديث ، ووعيده بأن مصيره إلى الضلال والاستهزاء بسبيل الله ، والتولي عن كتاب الله .

وهذا هو الواقع الكثير والمشاهد ممن اشتغل بلهو الحديث من الأغاني والمعازف ، واستحسنها وشغف بها ، يكون مآله إلى قسوة القلب والضلال عن الحق إلا من عصم الله .

وقد دلت الشريعة الإسلامية الكاملة في مصادرها ومواردها على وجوب الحذر من وسائل الضلال والفساد والتحذير منها ؛ حذرًا من الوقوع في غاياتها ، كما نهى النبي ﷺ عن شرب القليل الذي لا يسكر ؛ حذرًا من الوقوع في المسكر ، حيث قال عليه الصلاة والسلام : « ما أسكر كثيره فقليله حرام » ،ونهى عن الصلاة بعد الصبح وبعد العصر ؛ لئلا يكون ذلك وسيلة إلى الوقوع فيما وقع فيه بعض المشركين من عبادة الشمس عند طلوعها وغروبها ، ونظائر ذلك كثيرة يعرفها من له أدنى علم بالشريعة المطهرة ، والله المستعان .

الوجه الثالث : أنه لو كان الذم مختصًا بمن اشترى لهو الحديث لقصد

الضلال أو الإضلال ، لم يكن في تنصيص الرب عز وجل على لهو الحديث فائدة ؛ لأن الذم حينئذ لا يختص به ، بل يعم كل من فعل شيئًا يقصد به الضلال أو الإضلال حتى ولو كان ذلك الشيء محبوبًا إلى اللَّه سبحانه وتعالى ، كمن اشترى مصحفًا يقصد به التلبيس على الناس وإضلالهم ، فإن المصحف محبوب إلى اللَّه لاشتماله على كلامه عز وجل ، ولكنه سبحانه لا يحب من عباده أن يشتروه للتلبيس والإضلال ، وإنما يشترى للاهتداء والتوجيه إلى الخير .

وقد اعترف ابن حزم وأبو تراب بهذا الوجه ، وزعما أن الآية تختص بهذا الصنف ، وهو خطأ بين ، وعدول بالآية عن معناها الصحيح ، وإضاعة لمعناها الأكمل .

فعرفت- أيها القارئ الكريم- من هذه الأوجه الثلاثة كشف شبهة أبي تراب وبطلانها ، واتضح لك أن الآية الكريمة حجة ظاهرة على ذم الأغاني والملاهي وتحريمها ، وأنها وسيلة للضلال والإضلال والسخرية بسبيل اللَّه ، والإعراض عن كتابه ، وإن لم يشعر مشتريها بذلك ، وهذا هو الذي فهمه السلف الصالح من الآية الكريمة ، وهم أولى بالاتباع رضي اللَّه عنهم .

وسبق لك كشف شبهة أبي تراب في تعلقه بحديث الجاريتين ، وكشف شبهته الأخرى في تعلقه بحديث أبي مسعود البدري وصاحبيه في الرخصة لهم في الغناء وقت العرس ، وأوضحنا فيما تقدم أن الحديثين المذكورين حجة ظاهرة على أبي تراب وإمامه ابن حزم في النهي عن الأغاني والمنع منها لا على جوازها . والحمد للَّه الذي بنعمته تتم الصالحات .

وقد تكلم العلامة ابن القيم رحمه اللَّه على الآية المتقدمة ، وهي قوله تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [لقمان: الآية ٦] الآية ، بكلام حسن يؤيد ما تقدم ، وهذا نصه :

قال رحمه اللَّه : قال الواحدي وغيره :أكثر المفسرين على أن المراد بلهو

الحديث الغناء، قاله ابن عباس في رواية سعيد بن جبير ومقسم عنه، وقاله عبد اللَّه بن مسعود في رواية أبي الصهباء عنه، وهو قول مجاهد وعكرمة، وروى ثوير بن أبي فاختة عن أبيه عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [لقمان: الآية ٦]، قال: هو الرجل يشتري الجارية تغنيه ليلًا ونهارًا. وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد: هو اشتراء المغني والمغنية بالمال الكثير، والاستماع إليه وإلى مثله من الباطل. وهذا قول مكحول، وهذا اختيار أبي إسحاق أيضًا، وقال: أكثر ما جاء في التفسير أن لهو الحديث هاهنا هو الغناء؛ لأنه يلهي عن ذكر اللَّه تعالى.

قال الواحدي: قال أهل المعاني: ويدخل في هذا كل من اختار اللهو والغناء والمزامير والمعازف على القرآن، وإن كان اللفظ قد ورد بالشراء، فلفظ الشراء يذكر في الاستبدال والاختيار، وهو كثير في القرآن. قال: ويدل على هذا ما قاله قتادة في هذه الآية: لعله أن لا يكون أنفق مالًا.. قال: وبحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق. قال الواحدي: وهذه الآية على هذا التفسير تدل على تحريم الغناء.. قال: وأما غناء القينات فذلك أشد ما في الباب، وذلك لكثرة الوعيد الوارد فيه، وهو ما روي أن النبي ﷺ قال: «من استمع إلى قينة صب في أذنه الآنك يوم القيامة». والآنك: الرصاص المذاب.

وقد جاء تفسير لهو الحديث بالغناء مرفوعًا إلى النبي ﷺ، ففي مسند الإمام أحمد، ومسند عبد اللَّه بن الزبير الحميدي، وجامع الترمذي من حديث أبي أمامة، والسياق للترمذي: أن النبي ﷺ قال: «لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن ولا تعلموهن، ولا خير في تجارة فيهن وثمنهن حرام، وفي مثل هذا نزلت هذه الآية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: الآية ٦]»

وهذا الحديث وإن كان مداره على عبيد اللَّه بن زحر عن علي بن يزيد

الألهاني عن القاسم ، فعبيد اللَّه بن زحر ثقة ، والقاسم ثقة ، وعلي ضعيف ، إلا أن للحديث شواهد ومتابعات سنذكرها إن شاء اللَّه تعالى .

ويكفي تفسير الصحابة والتابعين للهو الحديث : بأنه الغناء ، فقد صح ذلك عن ابن عباس وابن مسعود .

قال أبو الصهباء : سألت ابن مسعود عن قوله تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [لقمان: الآية ٦] فقال : واللَّه الذي لا إله إلا هو ، هو الغناء . يرددها ثلاث مرات .

وصح عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما أيضًا أنه الغناء .

قال الحاكم أبو عبد اللَّه في التفسير من كتاب « المستدرك » : ليعلم طالب هذا العلم أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل عند الشيخين مسند . وقال في موضع آخر من كتابه :هو عندنا في حكم المرفوع .

وهذا وإن كان فيه نظر فلا ريب أنه أولى بالقبول من تفسير من بعدهم ، فهم أعلم الأمة بمراد اللَّه عز وجل في كتابه فعليهم نزل ، وهم أول من خوطب به من الأمة ، وقد شاهدوا تفسيره من الرسول علمًا وعملًا ، وهم العرب الفصحاء على الحقيقة ، فلا يعدل عن تفسيرهم ما وجد إليه سبيل .

ولا تعارض بين تفسير لهو الحديث بالغناء وتفسيره بأخبار الأعاجم وملوكها وملوك الروم ونحو ذلك ، مما كان النضر بن الحارث يحدث به أهل مكة ؛ يشغلهم به عن القرآن ، فكلاهما لهو الحديث .

ولهذا قال ابن عباس :لهو الحديث الباطل والغناء . فمن الصحابة من ذكر هذا ، ومنهم من ذكر الآخر ، ومنهم من جمعهما .

والغناء أشد لهوًا وأعظم ضررًا من أحاديث الملوك وأخبارهم ، فإنه رقية الزنى ، ومنبت النفاق ، وشرك الشيطان ، وخمرة العقل . وصده عن القرآن أعظم من صد غيره من الكلام الباطل ؛ لشدة ميل النفوس إليه ورغبتها فيه .

إذا عرف هذا، فأهل الغناء ومستمعوه لهم نصيب من هذا الذم بحسب اشتغالهم بالغناء عن القرآن، وإن لم ينالوا جميعه؛ فإن الآيات تضمنت ذم من استبدل لهو الحديث بالقرآن: ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ [لقمان: الآية ٦]، ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ [لقمان: الآية ٧]، وهو الثقل والصمم. وإذا علم منه شيئًا استهزأ به، فمجموع هذا لا يقع إلا من أعظم الناس كفرًا، وإن وقع بعضه للمغنين ومستمعيهم فلهم حصة ونصيب من هذا الذم؛ يوضحه أنك لا تجد أحدًا عني بالغناء وسماع آلاته إلا وفيه ضلال عن طريق الهدى علمًا وعملًا، وفيه رغبة عن استماع القرآن إلى استماع الغناء؛ بحيث إذا عرض له سماع الغناء وسماع القرآن، عدل عن هذا إلى ذاك، وثقل عليه سماع القرآن، وربما حمله الحال على أن يسكت القارئ ويستطيل قراءته، ويستزيد المغني ويستقصر نوبته، وأقل ما في هذا أن يناله نصيب وافر من هذا الذم إن لم يحظ به جميعه.

والكلام في هذا مع من في قلبه بعض حياة يحس بها، فأما من مات قلبه وعظمت فتنته فقد سد على نفسه طريق النصيحة: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: الآية ٤١]، انتهى كلامه رحمه الله.

ومن الآيات الدالة على ذم الأغاني والمعازف وهي آلات الملاهي: قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء: الآية ٦٤]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾ [الفرقان: الآية ٧٢]، وقد فسر الصوت والزور: بالغناء وآلات الملاهي. وفسر الصوت أيضًا: بكل صوت يدعو إلى باطل. وفسر الزور: بكل

منكر. ولا منافاة بين التفاسير، ومدلول الآيتين يعم ذلك كله، ولا ريب أن الأغاني والملاهي من أقبح الزور، ومن أخبث أصوات الشيطان؛ لما يترتب عليها من قسوة القلوب وصدها عن ذكر اللَّه وعن القرآن، بل وعن جميع الطاعات إلا من عصم اللَّه، كما قد سلف بيان ذلك.

وأما الأحاديث الواردة في ذم الأغاني والملاهي فكثيرة، وأصحها ما رواه البخاري في صحيحه، حيث قال: وقال هشام بن عمار: حدثنا صدقة بن خالد، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، حدثنا عطية بن قيس الكلابي، حدثني عبد الرحمن بن غنم الأشعري، قال: حدثني أبو عامر أو أبو مالك الأشعري- واللَّه ما كذبني- سمع النبي ﷺ يقول: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف»،وهو صريح في ذم مستحلي المعازف حيث قرنهم مع مستحلي الزنى والخمر والحرير، وحجة ظاهرة في تحريم استعمال المعازف وهي آلات الملاهي، كالطنبور والعود والطبل وغير ذلك من آلات الملاهي.

وقد أجمع أهل اللغة على تفسير المعازف بآلات الملاهي؛ وما ذاك إلا لما يترتب عليها من قسوة القلوب ومرضها، واشتغالها عن الصلاة والقرآن. وإذا انضم إليه الغناء صار الإثم أكبر والفساد أعظم، كما سيأتي كلام أهل العلم في ذلك، وقد تقدم لك بعضه.

وأما الحر: فيروى بالحاء المهملة والراء، وهو الفرج، والمراد به الزنى. ويروى بالخاء المعجمة والزاي، وهو نوع من الحرير.

وقد أخذ علماء الإسلام بهذا الحديث وتلقوه بالقبول، واحتجوا به على تحريم المعازف كلها.

وقد أعله ابن حزم وأبو تراب بعده تقليدًا له بأنه منقطع بين البخاري رحمه اللَّه وبين شيخه هشام بن عمار؛ لكونه لم يصرح بسماعه منه، وإنما علقه عنه تعليقًا!

وقد أخطأ ابن حزم في ذلك، وأنكر عليه أهل العلم هذا القول وخطؤه فيه؛

لأن هشامًا من شيوخ البخاري ، وقد علقه عنه جازمًا به ، وما كان كذلك فهو صحيح عنده . وقد قبل منه أهل العلم ذلك وصححوا ما علقه جازمًا به إلى من علقه عنه ، وهذا الحديث من جملة الأحاديث المعلقة الصحيحة . ولعل البخاري لم يصرح بسماعه منه لكونه رواه عنه بالإجازة ، أو في معرض المذاكرة ، أو لكونه رواه عنه بواسطة بعض شيوخه الثقات فحذفه اختصارًا ، أو لغير ذلك من الأسباب المقتضية للحذف .

وعلى فرض انقطاعه بين البخاري وهشام فقد رواه عنه غيره متصلًا عن هشام بن عمار .. الخ بأسانيد صحيحة .

وبذلك بطلت شبهة ابن حزم ومقلده أبي تراب ، واتضح الحق لطالب الحق ، والله المستعان .

وإليك أيها القارئ الكريم كلام أهل العلم في هذا الحديث ، وتصريحهم بخطأ ابن حزم في تضعيفه :

قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » رحمه الله لما ذكر هذا الحديث ، وذكر كلام الزركشي ، وتخطئته ابن حزم في تضعيفه ، قال ما نصه : وأما دعوى ابن حزم التي أشار إليها- يعني الزركشي- فقد سبقه إليها ابن الصلاح في علوم الحديث فقال : التعليق في أحاديث من صحيح البخاري قطع إسنادها : وصورته صورة الانقطاع وليس حكمه حكمه ولا خارجًا ما وجد ذلك فيه من قبيل الصحيح إلى قبيل الضعيف ، ولا التفات إلى أبي محمد ابن حزم الظاهري الحافظ في رد ما أخرجه البخاري من حديث أبي عامر وأبي مالك الأشعري عن رسول الله ﷺ : « ليكونن في أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف » .. الحديث ، من جهة أن البخاري أورده قائلا : قال هشام بن عمار .. وساقه بإسناده . فزعم ابن حزم أنه منقطع فيما بين البخاري وهشام ، وجعله جوابًا عن الاحتجاج به على تحريم المعازف ، وأخطأ في ذلك من وجوه ، والحديث

صحيح معروف الاتصال ، بشرط الصحيح ، والبخاري قد يفعل مثل ذلك لكونه قد ذكر ذلك الحديث في موضع آخر من كتابه مسندًا متصلًا ، وقد يفعل ذلك لغير ذلك من الأسباب التي لا يصحبها خلل الانقطاع .انتهى .

ثم قال الحافظ بعدما نقل كلام ابن الصلاح المذكور بأسطر ما نصه : وقد تقرر عند الحفاظ أن الذي يأتي به البخاري من التعاليق كلها بصيغة الجزم يكون صحيحًا إلى من علق عنه ولو لم يكن من شيوخه ، لكن إذا وجد الحديث المعلق من رواية بعض الحفاظ موصولًا إلى من علق عنه بشرط الصحة أزال الإشكال ، ولهذا عنيت في ابتداء الأمر بهذا النوع وصنفت كتاب « تغليق التعليق » . وقد ذكر شيخنا في شرح الترمذي وفي كلامه على علوم الحديث : أن حديث هشام بن عمار جاء عنه موصولًا في « مستخرج الإسماعيلي » ، قال : حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا هشام بن عمار . وأخرجه الطبراني في « مسند الشاميين » فقال : حدثنا محمد بن يزيد بن عبد الصمد ، حدثنا هشام بن عمار . قال : وأخرجه أبو داود في سننه فقال : حدثنا عبد الوهاب بن نجدة ، حدثنا بشر بن بكر ، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، بسنده .انتهى .

وقال العلامة ابن القيم رحمة اللّٰه عليه في « الإغاثة » لما ذكر هذا الحديث ما نصه : هذا الحديث أخرجه البخاري في صحيحه محتجًا به ، وعلقه تعليقًا مجزومًا به ، فقال : باب فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه ، وقال هشام بن عمار حدثنا صدقة بن خالد ، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، حدثنا عطية بن قيس الكلابي ، حدثني عبد الرحمن بن غنم الأشعري ، قال : حدثني أبو عامر ، أو أبو مالك الأشعري- واللّٰه ما كذبني- أنه سمع النبي ﷺ يقول :« ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف ، ولينزلن أقوام إلى جنب علم ، يروح عليهم بسارحة لهم يأتيهم لحاجة فيقولوا : ارجع إلينا غدًا ، فيبيتهم اللّٰه تعالى ويضع العلم ، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى

يوم القيامة » ، ولم يصنع من قدح في صحة هذا الحديث شيئًا كابن حزم نصرةً لمذهبه الباطل في إباحة الملاهي ، وزعم أنه منقطع ؛ لأن البخاري لم يصل سنده به .

وجواب هذا الوهم من وجوه :

أحدها : أن البخاري قد لقي هشام بن عمار وسمع منه ، فإذا قال : قال هشام ، فهو بمنزلة قوله عن هشام .

الثاني : أنه لو لم يسمع منه فهو لم يستجز الجزم به عنه إلا وقد صح عنده أنه حدث به ، وهذا كثيرًا ما يكون لكثرة ما رواه عنه ، عن ذلك الشيخ وشهرته ، فالبخاري أبعد خلق اللَّه من التدليس .

الثالث : أنه أدخله في كتابه المسمى بالصحيح محتجًا به ، فلولا صحته عنده لما فعل ذلك .

الرابع : أنه علقه بصيغة الجزم دون صيغة التمريض ، فإنه إذا توقف في الحديث أو لم يكن على شرطه يقول : ويروى عن رسول اللَّه ﷺ .. ويذكر عنه ، ونحو ذلك ، فإذا قال : قال رسول اللَّه ﷺ فقد جزم وقطع بإضافته إليه .

الخامس : أنا لو أضربنا عن هذا كله صفحًا ، فالحديث صحيح متصل عند غيره . قال أبو داود في كتاب اللباس : حدثنا عبد الوهاب بن نجدة ، حدثنا بشر بن بكر ، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، حدثنا عطية بن قيس ، قال : سمعت عبد الرحمن بن غنم الأشعري ، قال : حدثني أبو عامر أو أبو مالك .. فذكره مختصرًا . ورواه أبو بكر الإسماعيلي في كتابه : الصحيح مسندًا فقال : أبو عامر ، ولم يشك .

ووجه الدلالة منه : أن المعازف هي آلات اللهو كلها ، لا خلاف بين أهل اللغة في ذلك ، ولو كانت حلالًا لما ذمهم على استحلالها ، ولما قرن استحلالها باستحلال الخمر والخز ، فإن كان بالحاء والراء المهملتين فهو استحلال الفروج

الحرام ، وإن كان بالخاء والزاي المعجمتين فهو نوع من الحرير غير الذي صح عن الصحابة رضي الله عنهم لبسه ؛ إذ الخز نوعان : أحدهما من حرير ، والثاني من صوف » وقد روي هذا الحديث من وجهين .

وقال ابن ماجه في « سننه » : حدثنا عبد الله بن سعيد عن معاوية بن صالح عن حاتم بن حريث عن ابن أبي مريم عن عبد الرحمن بن غنم الأشعري عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ :« ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها يعزف على رؤوسهم بالمعازف والمغنيات ، يخسف الله بهم الأرض ، ويجعل منهم قردة وخنازير » وهذا إسناد صحيح . وقد توعد مستحلي المعازف فيه ، بأن يخسف الله بهم الأرض ويمسخهم قردة وخنازير ، وإن كان الوعيد على جميع هذه الأفعال ، فلكل واحد قسط في الذم والوعيد ، وفي الباب عن سهل بن سعد الساعدي وعمران بن حصين ، وعبد الله بن عمرو ، وعبد الله بن عباس ، وأبي هريرة وأبي أمامة الباهلي ، وعائشة أم المؤمنين وعلي بن أبي طالب وأنس بن مالك ، وعبد الرحمن بن سابط والغازي بن ربيعة . ونحن نسوقها لتقر بها عيون أهل القرآن ، وتشجى بها حلوق أهل سماع الشيطان . ثم ساقها كلها .

ولولا طلب الاختصار لنقلتها لك- أيها القارئ الكريم- ولكني أحيل الراغب في الاطلاع عليها على كتاب « الإغاثة » حتى يرى ويسمع ما تقر به عينه ويشفى به قلبه » وهي على كثرتها وتعدد مخارجها حجة ظاهرة وبرهان قاطع على تحريم الأغاني والملاهي ، والتنفير منها ، تضاف إلى ما تقدم من الآيات والأحاديث الدالة على تحريم الأغاني والمعازف ، ويدل الجميع على أن استعمالها والاشتغال بها من وسائل غضب الله ، وحلول عقوبته والضلال والإضلال عن سبيله ، نسأل الله لنا وللمسلمين العافية من ذلك » والسلامة من مضلات الفتن ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وأما كلام العلماء في الأغاني والمعازف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان فهو كثير جدًّا وقد سبق لك بعضه ، وإليك جملة من كلامهم على سبيل التكملة والتأييد لما تقدم ، والله ولي التوفيق :

روى علي بن الجعد وغيره عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع .وقد روي ذلك عن النبي ﷺ مرفوعًا ، والمحفوظ أنه من كلام ابن مسعود رضي الله عنه .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله ، في كتاب « الإغاثة » لما ذكر هذا الأثر ، ما نصه : فإن قيل : فما وجه إنباته للنفاق في القلب من بين سائر المعاصي ؟ قيل : هذا من أدل شيء على فقه الصحابة في أحوال القلوب وأعمالها ، ومعرفتهم بأدويتها وأدوائها ، وأنهم هم أطباء القلوب دون المنحرفين عن طريقتهم الذين داووا أمراض القلوب بأعظم أدوائها فكانوا كالمداوي من السقم بالسم القاتل ، وهكذا والله فعلوا بكثير من الأدوية التي ركبوها أو بأكثرها ، فاتفق قلة الأطباء وكثرة المرضى وحدوث أمراض مزمنة لم تكن في السلف ، والعدول عن الدواء النافع الذي ركبه الشارع وميل المريض إلى ما يقوي مادة المرض فاشتد البلاء وتفاقم الأمر ، وامتلأت الدور والطرقات والأسواق من المرضى ، وقام كل جهول يطبب الناس .

فاعلم أن للغناء خواص لها تأثير في صبغ القلب بالنفاق ونباته فيه كنبات الزرع بالماء ، فمن خواصه : أنه يلهي القلب ويصده عن فهم القرآن وتدبره والعمل بما فيه ، فإن القرآن والغناء لا يجتمعان في القلب أبدًا ، لما بينهما من التضاد ، فإن القرآن ينهى عن اتباع الهوى ويأمر بالعفة ومجانبة شهوات النفوس وأسباب الغي وينهى عن اتباع خطوات الشيطان ، والغناء يأمر بضد ذلك كله ويحسنه ويهيج النفوس إلى شهوات الغي فيثير كامنها ، ويزعج قاطنها ويحركها إلى كل قبيح ويسوقها إلى وصل كل مليحة ومليح ، فهو والخمر رضيعا لبان ،

وفي تهييجهما على القبائح فرسا رهان ، فإنه صنو الخمر ورضيعه ونائبه وحليفه وخدينه وصديقه ، عقد الشيطان بينهما شريعة الوفاء التي لا تفسخ ، وهو جاسوس القلب وسارق المروءة وسوس العقل ، يتغلغل في مكامن القلب ، ويطلع على سرائر الأفئدة ، ويدب على محل التخيل ، فيثير ما فيه من الهوى والشهوة والسخافة والرقاعة والرعونة والحماقة ؛ فبينما ترى الرجل وعليه سمة الوقار وبهاء العقل وبهجة الإيمان ووقار الإسلام وحلاوة القرآن ، فإذا استمع الغناء ومال إليه نقص عقله وقل حياؤه وذهبت مروءته ، وفارقه بهاؤه وتخلى عنه وقاره ، وفرح به شيطانه ، وشكا إلى اللَّه تعالى إيمانه ، وثقل عليه قرآنه ، وقال : يا رب لا تجمع بيني وبين قرآن عدوك في صدر واحد .

فاستحسن ما كان قبل السماع يستقبحه ، وأبدى من سره ما كان يكتمه ، وانتقل من الوقار والسكينة إلى كثرة الكلام والكذب والزهزهة والفرقعة بالأصابع ، فيميل برأسه ويهز منكبيه ، ويضرب الأرض برجليه ويدق على أم رأسه بيديه ، ويثب وثبة الذباب ويدور دوران الحمار حول الدولاب ، ويصفق بيديه تصفيق النسوان ، ويخور من الوجد ولا كخوار الثيران ، وتارة يتأوه تأوه الحزين ، وتارة يزعق زعقات المجانين ، ولقد صدق الخبير به من أهله حيث يقول :

أتذكر ليلة وقد اجتمعنا على طيب السماع إلى الصباح ؟
ودارت بيننا كأس الأغاني فأسكرت النفوس بغير راح
فلم تر فيهم إلا النشاوى سرورا والسرور هناك صاحي
إذا نادى أخو اللذات فيه أجاب اللهو : حي على السماح
ولم نملك سوى المهجات شيئًا أرقناها لألحاظ الملاح

وقال بعض العارفين : السماع يورث النفاق في قوم ، والعناد في قوم ، والكذب في قوم ، والفجور في قوم ، والرعونة في قوم .

وأكثر ما يورث عشق الصور واستحسان الفواحش . وإدمانه يثقل القرآن على

القلب ، ويكرهه إلى سماعه بالخاصية ، وإن لم يكن هذا نفاقًا فما للنفاق حقيقة ! .

وسر المسألة : أنه قرآن الشيطان- كما سيأتي- فلا يجتمع هو وقرآن الرحمن في قلب أبدًا .

وأيضًا فإن أساس النفاق : أن يخالف الظاهر الباطن ، وصاحب الغناء بين أمرين : إما أن يتهتك فيكون فاجرًا ، أو يظهر النسك فيكون منافقًا ، فإنه يظهر الرغبة في اللَّه والدار الآخرة وقلبه يغلي بالشهوات ومحبة ما يكرهه اللَّه ورسوله من أصوات المعازف وآلات اللهو ، وما يدعو إليه الغناء ويهيجه ، فقلبه بذلك معمور وهو من محبة ما يحبه اللَّه ورسوله وكراهة ما يكرهه قفر ، وهذا محض النفاق .

وأيضًا فإن الإيمان قول وعمل ؛ قول بالحق ، وعمل بالطاعة ، وهذا ينبت على الذكر وتلاوة القرآن . والنفاق قول الباطل وعمل البغي ، وهذا ينبت على الغناء .

وأيضًا فمن علامات النفاق : قلة ذكر اللَّه والكسل عند القيام إلى الصلاة ونقر الصلاة ، وقل أن تجد مفتونا بالغناء إلا وهذا وصفه .

وأيضًا : فإن النفاق مؤسس على الكذب ، والغناء من أكذب الشعر فإنه يحسن القبيح ويزينه ويأمر به ، ويقبح الحسن ويزهد فيه ، وذلك عين النفاق .

وأيضًا : فإن النفاق غش ومكر وخداع ، والغناء مؤسس على ذلك .

وأيضًا : فإن المنافق يفسد من حيث يظن أنه يصلح كما أخبر اللَّه سبحانه بذلك عن المنافقين ، وصاحب السماع يفسد قلبه وحاله من حيث يظن أنه يصلحه ، والمغني يدعو القلوب إلى فتنة الشهوات ، والمنافق يدعوها إلى فتنة الشبهات .

قال الضحاك : الغناء مفسدة للقلب مسخطة للرب .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى مؤدب ولده :ليكن أول ما يعتقدون من أدبك

بغض الملاهي التي بدؤها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمن ، فإنه بلغني عن الثقات من أهل العلم أن صوت المعازف واستماع الأغاني واللهج بها ينبت النفاق في القلب كما ينبت العشب على الماء ، فالغناء يفسد القلب وإذا فسد القلب هاج فيه النفاق .

وبالجملة فإذا تأمل البصير حال أهل الغناء وحال أهل القرآن تبين له حذق الصحابة ومعرفتهم بأدواء القلوب وأدويتها ، وبالله التوفيق .

وقال ابن القيم في موضع آخر من « الإغاثة » : قال الإمام أبو بكر الطرطوشي- وهو من أئمة المالكية- في خطبة كتابه في تحريم السماع :الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين ، ونسأله أن يرينا الحق حقًا فنتبعه ، والباطل باطلًا فنتجنبه ، وقد كان الناس فيما مضى يستتر أحدهم بالمعصية إذا واقعها ثم يستغفر الله ويتوب إليه منها ، ثم كثر الجهل وقل العلم وتناقص الأمر حتى صار أحدهم يأتي المعصية جهارًا ، ثم ازداد الأمر إدبارًا حتى بلغنا أن طائفة من إخواننا المسلمين وفقنا الله وإياهم استزلهم الشيطان واستغوى عقولهم في حب الأغاني واللهو ، وسماع الطقطقة والنقير ، واعتقدته من الدين الذي يقربهم إلى الله ، وجاهرت به جماعة المسلمين وشاقت سبيل المؤمنين ، وخالفت الفقهاء وحملة الدين :﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النِّساء: الآية ١١٥] ، فرأيت أن أوضح الحق وأكشف عن شبه أهل الباطل بالحجج التي تضمنها كتاب الله وسنة رسوله ، وأبدأ بذكر أقاويل العلماء الذين تدور الفتيا عليهم في أقاصي الأرض ودانيها ؛ حتى تعلم هذه الطائفة أنها قد خالفت علماء المسلمين في بدعتها ، والله ولي التوفيق .

ثم قال : أما مالك ؛ فإنه ينهى عن الغناء وعن استماعه وقال : إذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له أن يردها بالعيب . وسئل مالك رحمه الله عما رخص

فيه أهل المدينة من الغناء؟ فقال : إنما يفعله عندنا الفساق ..

قال : وأما أبو حنيفة ؛ فإنه يكره الغناء ويجعله من الذنوب . وكذلك مذهب أهل الكوفة ؛ سفيان وحماد وإبراهيم والشعبي وغيرهم ، لا اختلاف بينهم في ذلك ، ولا نعلم خلافًا أيضًا بين أهل البصرة في المنع منه .انتهى كلام الطرطوشي .

قلت : مراده بالطائفة التي أحبت الغناء واعتقدته من الدين الذي يقربهم إلى اللَّه : جماعة من الصوفية أحدثوا بدعة سماع الغناء وزعموا أنه ينشطهم على العبادة والتقرب إلى اللَّه بأنواع القربات ! فأنكر علماء زمانهم عليهم ذلك وصاحوا بهم من كل جانب ، وأجمع علماء الحق على أن ما أحدثته هذه الطائفة بدعة منكرة ، وألف الطرطوشي كتابه المشار إليه في الرد عليهم وبيان بطلان مذهبهم .

ومن هنا يعلم القارئ أن المفتونين بسماع الغناء والملاهي طائفتان :

الطائفة الأولى : اتخذته دينًا وعبادة ، وهم شر الطائفتين وأشدهما إثمًا وخطرًا ؛ لكونهم ابتدعوا في الدين ما لم يأذن به اللَّه ، وجعلوا الغناء والملاهي اللذين هما أداة الفسق والعصيان دينًا يتقربون به إلى الملك الديان .

الطائفة الثانية : اتخذوا الغناء والملاهي لهوًا ولعبًا وترويحًا عن النفوس وتسليًا بذلك عن مشاغل الدنيا وأتعابها ، وهم مخطئون في ذلك وعلى خطر عظيم من الضلال والإضلال ، ولكنهم أخف من الطائفة الأولى ؛ لكونهم لم يتخذوا ذلك دينًا وعبادة ، وإنما اتخذوه لهوًا ولعبًا وتجميمًا للنفوس ، وقد صرح أهل العلم بتحريم هذا وهذا وإنكار هذا وهذا .

ثم قال العلامة ابن القيم رحمة اللَّه عليه بعدما نقل كلام الطرطوشي المتقدم ما نصه : قلت : مذهب أبي حنيفة في ذلك من أشد المذاهب ، وقوله فيه أغلظ الأقوال ، وقد صرح أصحابه بتحريم سماع الملاهي كلها ، كالمزمار والدف حتى الضرب بالقضيب ، وصرحوا بأنه معصية توجب الفسق وترد به الشهادة .

وأبلغ من ذلك أنهم قالوا : إن السماع فسق والتلذذ به كفر . هذا لفظهم ، ورووا في ذلك حديثًا لا يصح رفعه ، قالوا : ويجب عليه أن يجتهد في أن لا يسمعه إذا مر به أو كان في جواره . وقال أبو يوسف في دار يسمع منها صوت المعازف والملاهي : ادخل عليهم بغير إذنهم ؛ لأن النهي عن المنكر فرض . فلو لم يجز الدخول بغير إذن لامتنع الناس من إقامة الفرض . قالوا : ويتقدم إليه الإمام إذا سمع ذلك من داره ، فإن أصر حبسه أو ضربه سياطًا ، ومن شاء أزعجه عن داره .

وأما الشافعي ؛ فقال في كتاب أدب القضاء : إن الغناء لهو مكروه يشبه الباطل والمحال ، ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته . وصرح أصحابه العارفون بمذهبه بتحريمه ، وأنكروا على من نسب إليه حله كالقاضي أبي الطيب الطبري ، والشيخ أبي إسحاق ، وابن الصباغ .

قال الشيخ أبو إسحاق في « التنبيه » : ولا تصح- يعني الإجارة- على منفعة محرمة كالغناء والزمر وحمل الخمر . ولم يذكر فيه خلافًا . وقال في « المهذب » : ولا يجوز على المنافع المحرمة كالغناء ؛ لأنه محرم فلا يجوز أخذ العوض عنه كالميتة والدم .

فقد تضمن كلام الشيخ أمورًا :

أحدها : أن منفعة الغناء بمجرده منفعة محرمة .

الثاني : أن الاستئجار عليها باطل .

الثالث : أن أكل المال به أكل مال بالباطل بمنزلة أكله عوضًا عن الميتة والدم .

الرابع : أنه لا يجوز لرجل بذل ماله للمغني ، ويحرم عليه ذلك ، فإنه بذل ماله في مقابلة محرم وأن بذله في ذلك كبذله في مقابلة الدم والميتة .

الخامس : أن الزمر حرام . وإذا كان الزمر الذي هو أخف آلات اللهو حرامًا فكيف بما هو أشد منه كالعود والطنبور واليراع ؟! .

ولا ينبغي لمن شم رائحة العلم أن يتوقف في تحريم ذلك . فأقل ما فيه أنه من شعار العشاق وشاربي الخمور . وكذلك قالأبو زكريا النووي في « روضته » .

القسم الثاني : أن يغني ببعض آلات الغناء بما هو من شعار شاربي الخمر وهو مطرب . كالطنبور والعود والصنج وسائر المعازف والأوتار ، يحرم استعماله واستماعه .. قال : وفي اليراع وجهان ، صحح البغوي التحريم .. ثم ذكر عن الغزالي الجواز .. قال : والصحيح تحريم اليراع وهو الشبابة . وقد صنفأبو القاسم الدولعيكتابًا في تحريم اليراع .

وقد حكى أبو عمرو بن الصلاح الإجماع على تحريم السماع الذي جمع الدف والشبابة والغناء فقال في « فتاويه » : وأما إباحة هذا السماع وتحليله ؛ فليعلم أن الدف والشبابة والغناء إذا اجتمعت فاستماع ذلك حرام عند أئمة المذاهب وغيرهم من علماء المسلمين ، ولم يثبت عن أحد ممن يعتبر بقوله في الإجماع والاختلاف أنه أباح هذا السماع ، والخلاف المنقول عن بعض أصحاب الشافعي إنما نقل في الشبابة منفردة والدف منفردًا ، فمن لا يحصل أو لا يتأمل ربما اعتقد اختلافًا بين الشافعيين في هذا السماع الجامع هذه الملاهي ، وذلك وهم بين من الصائر إليه تنادي عليه أدلة الشرع والعقل ، مع أنه ليس كل خلاف يستروح إليه ويعتمد عليه ، ومن تتبع ما اختلف فيه العلماء وأخذ بالرخص من أقاويلهم تزندق أو كاد .. قال : وقولهم في السماع المذكور أنه من القربات والطاعات ! قول مخالف لإجماع المسلمين ، ومن خالف إجماعهم فعليه ما في قوله تعالى : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: الآية ١١٥]

وأطال الكلام في الرد على هاتين الطائفتين اللتين بلاء المسلمين منهما : المحللون لما حرم الله ، والمتقربون إلى الله بما يباعدهم عنه .

والشافعي وقدماء أصحابه والعارفون بمذهبه من أغلظ الناس قولًا في ذلك .

وقد تواتر عن الشافعي أنه قال: خلفت ببغداد شيئًا أحدثته الزنادقة يسمونه «التغبير» يصدون به الناس عن القرآن.

فإذا كان هذا قوله في التغبير وتعليله أنه يصد عن القرآن، وهو شعر يزهد في الدنيا يغني به مغن فيضرب بعض الحاضرين بقضيب على نطع أو مخدة على توقيع غنائه، فليت شعري ما يقول في مَنْ سماعُ التغبير عنده كتفلة في بحر قد اشتمل على كل مفسدة وجمع كل محرم! فالله بين دينه وبين كل متعلم مفتون وعابد جاهل.

قال سفيان بن عيينة: كان يقال احذروا فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل؛ فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون. ومن تأمل الفساد الداخل على الأمة وجده من هذين المفتونين.

وأما مذهب الإمام أحمد: فقال عبد الله ابنه: سألت أبي عن الغناء؟ قال: الغناء ينبت النفاق في القلب، لا يعجبني.. ثم ذكر قول مالك: إنما يفعله عندنا الفساق.

قال عبد الله: وسمعت أبي يقول: سمعت يحيى القطاني قول: لو أن رجلًا عمل بكل رخصة: بقول أهل الكوفة في النبيذ، وأهل المدينة في السماع، وأهلمكة في المتعة؛ لكان فاسقًا.

قال أحمد: وقال سليمان التيمي: لو أخذت برخصة كل عالم أو زلة كل عالم اجتمع فيك الشر كله. ونص على كسر آلات اللهو، كالطنبور وغيره، إذا رآها مكشوفة وأمكنه كسرها. وعنه في كسرها إذا كانت مغطاة تحت ثيابه وعلم بها روايتان منصوصتان. ونص في أيتام ورثوا جارية مغنية وأرادوا بيعها؟ فقال: لا تباع إلا على أنها ساذجة. فقالوا: إذا بيعت مغنية ساوت عشرين ألفًا أو نحوها وإذا بيعت ساذجة لا تساوي ألفين؟ فقال: لا تباع إلا على أنها ساذجة. ولو كانت منفعة الغناء مباحة لما فوت هذا المال على الأيتام.

وأما سماعه من المرأة الأجنبية أو الأمرد فمن أعظم المحرمات وأشدها فسادًا للدين .

قال الشافعي رحمه الله : وصاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته . وأغلظ القول فيه ، وقال : هو دياثة ، فمن فعل ذلك كان ديوثًا .

قال القاضي أبو الطيب : وإنما جعل صاحبها سفيهًا ؛ لأنه دعا الناس إلى الباطل ومن دعا الناس إلى الباطل كان سفيهًا فاسقًا . قال : وكان الشافعي يكره التغبير وهو الطقطقة بالقضيب ويقول : وضعته الزنادقة ليشغلوا به عن القرآن .

قال : وأما العود والطنبور وسائر الملاهي فحرام ومستمعه فاسق ، واتباع الجماعة أولى من اتباع رجلين مطعون عليهما . قلت : يريد بهما إبراهيم بن سعد وعبيد الله بن الحسن ؛ فإنه قال وما خالف في الغناء إلا رجلان : إبراهيم بن سعد ، فإن الساجي حكى عنه أنه كان لا يرى به بأسًا . والثاني : عبيد الله بن الحسن العنبري ؛قاضي البصرة ، وهو مطعون فيه . انتهى كلام ابن القيم رحمه الله .

ونقل القرطبي في تفسيره عن الطبري ما نصه : فقد أجمع علماء الأمصار على كراهة الغناء والمنع منه ، وإنما فارق الجماعة إبراهيم بن سعد وعبيد الله العنبري . انتهى .

قلت :وإبراهيم بن سعدوعبيد الله بن الحسن العنبريمن ثقات أتباع التابعين ، ولعل ما نقل عنهما من سماع الغناء إنما هو في الشيء القليل الذي يزهد في الدنيا ويرغب في الآخرة ، وحملهما على أحسن المحامل أولى من حملهما على سماع الغناء المحرم . وهكذا ما يروى عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه من سماع الغناء ، وشراء الجواري المغنيات ، يجب أن يحمل على الشيء اليسير الذي لا يصد عن الحق ولا يوقع في الباطل ، مع أنابن عمروالحسن البصري قد أنكرا عليه ذلك . ومعلوم عند أهل العلم والإيمان أن الحق أولى بالاتباع ، وأنه لا يجوز مخالفة الجماعة والأخذ بالأقوال الشاذة من غير برهان ، بل يجب حمل

أهلها على أحسن المحامل مهما وجد إلى ذلك من سبيل، إذا كانوا أهلًا لإحسان الظن بهم لما عرف من تقواهم وإيمانهم.

وسبق لك- أيها القارئ- قول سليمان التيمي: لو أخذت برخصة كل عالم أو زلة كل عالم اجتمع فيك الشر كله.

وذكرالقرطبي في تفسيره ما نصه: قال أبو الفرج: وقال القفال من أصحابنا: لا تقبل شهادة المغني والرقاص. قلت: وإذ قد ثبت أن هذا الأمر لا يجوز، فأخذ الأجرة لا يجوز، وقد ادعى ابن عبد البر الإجماع على تحريم الأجرة على ذلك. انتهى ما نقله القرطبي.

وهذا آخر ما تيسر إملاؤه في هذه المسألة؛ أعني مسألة الأغاني والمعازف. ولو ذهبنا نتتبع ما جاء في ذلك من الأحاديث والآثار وكلام أهل العلم لطال بنا الكلام، وفيما تقدم كفاية ومقنع لطالب الحق. وأما صاحب الهوى فلا حيلة فيه.

ونسأل اللَّه لنا ولسائر المسلمين التوفيق لما يرضيه، والسلامة من أسباب غضبه وموجبات نقمه، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.

ونصيحتي لأبي تراب وغيره من المشغوفين بالغناء والمعازف: أن يراقبوا اللَّه ويتوبوا إليه، وأن ينيبوا إلى الحق؛ لأن الرجوع إلى الحق فضيلة والتمادي في الباطل رذيلة.

ولولا طلب الاختصار لنبهنا على جميع ما وقع في مقال أبي تراب من الأخطاء، وصاحب البصيرة يعرف ذلك مما تقدم واللَّه المستعان وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه، وحسبنا اللَّه ونعم الوكيل، وصلى اللَّه على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه وسلم.

احذروا الصحف الخليعة[1]

لقد أصيب العالم الإسلامي عامة وسكان الجزيرة العربية خاصة بسيل من الصحف التي تحمل بين طياتها أشكالًا كثيرة من الصور الخليعة ، المثيرة للشهوات ، الجالبة للفساد ، الداعية للدعارة ، الفاتنة للشباب والشابات !!

وكم حصل في ضمن ذلك من أنواع الفساد لكل من يطالع تلك الصور العارية وأشباهها ؟! وكم شغف بها من الشباب من لا يحصى كثرة ؟! وكم هلك بسمومها من شباب وفتيات استحسنوها ومالوا إليها وقلدوا أهلها ؟!

وكم في طيات تلك الصحف من مقالات إلحادية تنشر الأفكار المسمومة ، والقصائد الباطلة ، وتدعو إلى إنكار الأديان ومحاربة الإسلام ؟!

وإن من أقبح تلك الصحف وأكثرها ضررًا : « المصور » ، و« آخر ساعة » ، و« الجيل » ، و« روز اليوسف » ، و« صباح الخير » ، ومجلة « العربي »

فالواجب على حكومتنا- وفقها اللَّه- منع هذه الصحف منعا باتًا ؛ لما فيها من الضرر الكبير على المسلمين في عقائدهم وأخلاقهم ودينهم ودنياهم .

ولا ريب أن ولاة الأمر أول مسؤول عن حفظ دين الرعية وأخلاقهم ، ولا شك أن هذه الصحف مما يفسد الدين والأخلاق ، ويضر المسلمين ضررًا ظاهرًا في الدين والدنيا ، ويزلزل عقائدهم ويحدث الشكوك والمشاكل الكثيرة بينهم ، واللَّه سبحانه وتعالى يقول : ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: الآية ٤٠] ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الحج: الآية ٤١]

ويقول تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: الآية ٧]

---

(١) مجلة راية الإسلام - العدد (٧) في جمادى ثاني ١٣٨٠هـ.

ولا ريب أن القضاء على هذه الصحف ، ومنع دخولها البلاد من أعظم نصر الله وحماية دينه ، وفي الحديث الصحيح يقول النبي ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالإمام راع ومسؤول عن رعيته ، والرجل راع في أهل بيته ومسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها ، والعبد راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته » وقال ﷺ : « ما من أمير يلي أمر المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة » . رواه مسلم .

فيا ولاة أمر المسلمين اتقوا الله في المسلمين وحاربوا هذه الصحف الهدامة ، وخذوا على أيدي السفهاء ، وأغلقوا أبواب الفساد تفوزوا بالنجاة والسعادة ، وتنتشلوا بذلك جمًا غفيرًا من الفتيان والفتيات من وهدة هذا التيار الجارف ، وحمأة هذه الصحف الخبيثة المدمرة .

ويا معشر المسلمين حاربوا هذه الصحف الخبيثة المدمرة ، ولا تشتروها بقليل ولا كثير ، فإن بيعها وثمنها حرام ، وإنما الواجب إتلافها أينما وجدت ؛ دفعا لضررها وحماية للمسلمين من شرها .

أراح الله منها العباد والبلاد ، ووفق ولاة أمر المسلمين لما فيه صلاح دينهم ودنياهم وسلامة عقائدهم ، وأخلاقهم ، إنه على كل شيء قدير .



التبرج والسفور[1]

من عبد العزيز بن عبد اللَّه بن باز إلى من يراه من المسلمين، سلك اللَّه بي وبهم سبل الاستقامة، وأعاذني وإياهم من أسباب الخزي والندامة، آمين.

سلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته، أما بعد: فلا يخفاكم أيها المسلمون ما عمت به البلوى في كثير من البلدان من تبرج الكثير من النساء وسفورهن وعدم تحجبهن من الرجال، وإبداء الكثير من زينتهن التي حرم اللَّه عليهن إبداءها!

ولا شك أن ذلك من المنكرات العظيمة والمعاصي الظاهرة، ومن أعظم أسباب حلول العقوبات ونزول النقمات؛ لما يترتب على التبرج والسفور من ظهور الفواحش وارتكاب الجرائم وقلة الحياء وعموم الفساد.

فاتقوا اللَّه أيها المسلمون، وخذوا على أيدي سفهائكم، وامنعوا نساءكم مما حرم اللَّه عليهن، وألزموهن التحجب والتستر، واحذروا غضب اللَّه سبحانه وعظيم عقوبته، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم اللَّه بعقابه»[2]. وقد قال اللَّه سبحانه في كتابه الكريم: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

وفي المسند وغيره عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ تلا هذه الآية ثم قال: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن

(١) صحيفة اليمامة العدد (٣٢٣) - الأحد ٢٥ ذو القعدة سنة ١٣٨١هـ. والعدد (٣٢٤) الأحد ٢ ذو الحجة سنة ١٣٨١هـ.

(٢) أخرجه أحمد ١/ ٢، ٥، وابن ماجه (٤٠٠٥)، والنسائي في الكبرى (١١١٥٧) من حديث أبي بكر الصديق رضي اللَّه عنه.

على يد السفيه ولتأطرنه على الحق أطرًا ، أو ليضربن اللَّه بقلوب بعضكم على بعض ثم يلعنكم كما لعنهم »[١] . وصح عن النبي ﷺ أنه قال : « من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان »[٢] .

وقد أمر اللَّه سبحانه في كتابه الكريم بتحجب النساء ولزومهن البيوت ، وحذر من التبرج والخضوع بالقول للرجال ؛ صيانة لهن عن الفساد ، وتحذيرًا لهن من أسباب الفتنة ، فقال تعالى : ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ﴾ [الأحزاب: ٣٢، ٣٣] الآية .

نهى سبحانه في هذه الآيات نساء النبي الكريم ؛ أمهات المؤمنين ، وهن من خير النساء وأطهرهن عن الخضوع بالقول للرجال وهو تليين القول وترقيقه ؛ لئلا يطمع فيهن من في قلبه مرض شهوة الزنى ، ويظن أنهن يوافقنه على ذلك ، وأمر بلزومهن البيوت ونهاهن عن تبرج الجاهلية ؛ وهو إظهار الزينة والمحاسن كالرأس والوجه والعنق والصدر والذراع والساق ونحو ذلك من الزينة ؛ لما في ذلك من الفساد العظيم والفتنة الكبيرة وتحريك قلوب الرجال إلى تعاطي أسباب الزنى .

وإذا كان اللَّه سبحانه يحذر أمهات المؤمنين من هذه الأشياء المنكرة مع صلاحهن وإيمانهن وطهارتهن فغيرهن أولى وأولى بالتحذير والإنكار والخوف عليهن من أسباب الفتنة ، عصمنا اللَّه وإياكم من مضلات الفتن .

ويدل على عموم الحكم لهن ولغيرهن قوله سبحانه في هذه الآية : ﴿وَأَقِمۡنَ

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٣٩١، وأبو داود (٤٣٣٦، ٤٣٣٧)، والترمذي (٣٠٤٧). وضعفه الألباني .

(٢) أخرجه مسلم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه .

﴿ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ [الأحزاب: الآية ٣٣] . فإن هذه الأوامر أحكام عامة لنساء النبي ﷺ وغيرهن.

وقال عز وجل: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: الآية ٥٣] . فهذه الآية الكريمة نص واضح في وجوب تحجب النساء عن الرجال وتسترهن منهم، وقد أوضح اللّٰه سبحانه في هذه الآية أن التحجب أطهر لقلوب الرجال والنساء، وأبعد عن الفاحشة وأسبابها. وأشار سبحانه إلى أن السفور وعدم التحجب خبث ونجاسة، وأن التحجب طهارة وسلامة.

فيا معشر المسلمين، تأدبوا بتأديب اللّٰه، وامتثلوا أمر اللّٰه، وألزموا نساءكم بالتحجب الذي هو سبب الطهارة ووسيلة النجاة والسلامة.

وقال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: الآية ٥٩] . والجلاليب: جمع جلباب. والجلباب هو ما تضعه المرأة على رأسها للتحجب والتستر به.

أمر اللّٰه سبحانه جميع نساء المؤمنين بإدناء جلابيبهن على محاسنهن من الشعور والوجه وغير ذلك حتى يعرفن بالعفة فلا يفتتن، ولا يفتن غيرهن فيؤذيهن، قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: أمر اللّٰه نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب ويبدين عينًا واحدة. وقال محمد بن سيرين: سألت عبيدة السلماني عن قول اللّٰه عز وجل: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: الآية ٥٩] . فغطى وجهه ورأسه وأبرز عينه اليسرى(١).

---

(١) الأثران أخرجهما الطبري في تفسيره ٢٠/ ٣٢٤، ٣٢٥، وانظر تفسير ابن كثير.

ثم أخبر اللَّه سبحانه أنه غفور رحيم عن ما سلف من التقصير في ذلك قبل النهي والتحذير منه سبحانه.

وقال تعالى: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النُّور: الآية ٦٠]

يخبر سبحانه أن القواعد من النساء وهن العجائز اللاتي لا يرجون نكاحًا؛ لا جناح عليهن أن يضعن ثيابهن عن وجوههن وأيديهن إذا كن غير متبرجات بزينة، فعلم بذلك أن المتبرجة بالزينة ليس لها أن تضع ثوبها عن وجهها ويديها وغير ذلك من زينتها، وأن عليها جناحًا في ذلك، ولو كانت عجوزًا، ولأن كل ساقطة لها لاقطة، ولأن التبرج يفضي إلى الفتنة بالمتبرجة ولو كانت عجوزًا، فكيف يكون الحال بالشابة والجميلة إذا تبرجت؟! لا شك أن إثمها أعظم والجناح عليها أشد، والفتنة بها أكبر.

وشرط سبحانه في حق العجوز أن لا تكون ممن يرجو النكاح، وما ذاك - واللَّه أعلم - إلا أن رجاءها النكاح يدعوها إلى التجمل والتبرج بالزينة طمعًا في الأزواج، فنهيت عن وضع ثيابها عن محاسنها، صيانة لها ولغيرها من الفتنة.

ثم ختم الآية سبحانه بتحريض القواعد على الاستعفاف، وأوضح أنه خير لهن وإن لم يتبرجن. فظهر بذلك فضل التحجب والتستر بالثياب ولو من العجائز، وأنه خير لهن من وضع الثياب، فوجب أن يكون التحجب والاستعفاف عن إظهار الزينة خير للشابات من باب أولى، وأبعد لهن عن أسباب الفتنة.

وقال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ

أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣٠، ٣١].

أمر اللّه سبحانه وتعالى في هاتين الآيتين الكريمتين المؤمنين والمؤمنات بغض الأبصار وحفظ الفروج، وما ذاك إلا لعظم فاحشة الزنى، وما يترتب عليها من الفساد الكبير بين المسلمين، ولأن إطلاق البصر من وسائل مرض القلب ووقوع الفاحشة، وغض البصر من أسباب السلامة من ذلك؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النُّور: الآية ٣٠]. فغض البصر وحفظ الفرج أزكى للمؤمن في الدنيا والآخرة، نسأل اللّه العافية من ذلك.

وأخبر عز وجل أنه خبير بما يصنعه الناس، وأنه لا يخفى عليه خافية، وفي ذلك تحذير للمؤمنين من ركوب ما حرم اللّه عليه والإعراض عن ما شرع اللّه له، وتذكير له بأن اللّه سبحانه يراه ويعلم أفعاله الطيبة وغيرها، كما قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: الآية ١٩]. وقال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ﴾ [يُونس: الآية ٦١].

فالواجب على العبد أن يحذر ربه وأن يستحي منه أن يراه على معصية، أو يفقده من طاعته التي أوجب عليه.

ثم قال سبحانه: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النُّور: الآية ٣١]. فأمر المؤمنات بغض البصر وحفظ الفرج، كما أمر المؤمنين بذلك؛ صيانة لهن من أسباب الفتنة، وتحريضًا لهن على أسباب العفة والسلامة.

ثم قال سبحانه: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: الآية ٣١]. قال ابن مسعود رضي الله عنه: ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [الأنعام: الآية ١٥١]: يعني بذلك ما ظهر من اللباس، فإن ذلك معفو عنه.

ومراده بذلك رضي الله عنه: الملابس التي ليس فيها تبرج وفتنة.

وأما ما يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه فسر ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [الأنعام: الآية ١٥١] بالوجه والكفين. فهو محمول على حالة النساء قبل نزول آية الحجاب، وما بعد ذلك فقد أوجب الله عليهن ستر الجميع كما سبق في الآيات الكريمات من سورة الأحزاب وغيرها.

ويدل على أن ابن عباس أراد ذلك ما رواه علي بن أبي طلحة عنه أنه قال: أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب ويبدين عينًا واحدة، وقد نبه على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من أهل العلم والتحقيق، وهو الحق الذي لا ريب فيه.

ومعلوم ما يترتب على ظهور الوجه والكفين من الفساد والفتنة، وقد تقدم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: الآية ٥٣]، ولم يستثن شيئا، وهي آية محكمة، فوجب الأخذ بها والتعويل عليها، وحمل ما سواها عليها، والحكم فيها عام في نساء النبي ﷺ وغيرهن من نساء المؤمنين. وتقدم من سورة النور ما يرشد إلى ذلك، وهو ما ذكره الله سبحانه في حق القواعد وتحريم وضعهن الثياب إلا بشرطين؛ أحدهما: كونهن لا يرجون النكاح. والثاني: عدم التبرج بالزينة.

وسبق الكلام على ذلك، وأن الآية المذكورة حجة ظاهرة، وبرهان قاطع على تحريم سفور النساء وتبرجهن بالزينة.

ولا يخفى ما وقع فيه النساء اليوم من التوسع في التبرج وإبداء المحاسن، فوجب سد الذرائع، وحسم الوسائل المفضية إلى الفساد وظهور الفواحش.

ومن أعظم أسباب الفساد : خلوة الرجال بالنساء ، وسفرهم بهن من دون محرم ، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : « لا تسافر امرأة إلا مع ذي محرم ، ولا يخلون رجل بامرأة إلا معها ذو محرم »[١] . وقال ﷺ : « لا يخلون رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما »[٢] . وقال ﷺ : « لا يبيتن رجل عند امرأة إلا أن يكون زوجًا أو ذا محرم »[٣] .

فاتقوا اللَّه أيها المسلمون ، وخذوا على أيدي نسائكم ، وامنعوهن مما حرم اللَّه عليهن من السفور والتبرج ، وإظهار المحاسن ، والتشبه بأعداء اللَّه من النصارى ومن تشبه بهم ، واعلموا أن السكوت عنهن مشاركة لهن في الإثم ، وتعرض لغضب اللَّه وعموم عقابه ، عافانا اللَّه وإياكم من شر ذلك .

ومن أعظم الواجبات تحذير الرجال من الخلوة بالنساء والدخول عليهن ، والسفر بهن بدون محرم ؛ لأن ذلك من وسائل الفتنة والفساد ، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : « ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء »[٤] . وقال ﷺ : « إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن اللَّه مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء »[٥] . وقال عليه الصلاة والسلام : « رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة »[٦] . وقال ﷺ : « صنفان من أهل النار لم أرهما بعد : نساء كاسيات عاريات ، مائلات مميلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٦) ، ومسلم (١٣٤١) من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما .
(٢) أخرجه أحمد ١/ ١٨، ٢٦، والترمذي (٢١٦٥) من حديث عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه .
(٣) أخرجه مسلم (٢١٧١) من حديث جابر رضي اللَّه عنه .
(٤) أخرجه البخاري (٥٠٩٦) ، ومسلم (٢٧٤٠) من حديث أسامة بن زيد رضي اللَّه عنه .
(٥) أخرجه مسلم (٢٧٤٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه .
(٦) أخرجه البخاري (١١٥، ١١٢٦) من حديث أم سلمة رضي اللَّه عنها .

ورجال بأيديهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس »[١] .

وهذا تحذير شديد من التبرج والسفور ، ولبس الرقيق والقصير من الثياب ، والميل عن الحق والعفة ، وإمالة الناس إلى الباطل ، وتحذير شديد من ظلم الناس والتعدي عليهم ، ووعيد لمن فعل ذلك بحرمان دخول الجنة . نسأل اللّٰه العافية من ذلك .

ومن أعظم الفساد : تشبه الكثير من النساء بنساء الكفار من النصارى وأشباههم في لبس القصير من الثياب ، وإبداء الشعور والمحاسن ، ومشط الشعور على طريقة أهل الكفر والفسق ، وقد قال ﷺ : « من تشبه بقوم فهو منهم »[٢] .

ومعلوم ما يترتب على هذا التشبه وهذه الملابس القصيرة التي تجعل المرأة شبه عارية من الفساد والفتنة ورقة الدين وقلة الحياء .

فالواجب الحذر من ذلك غاية الحذر ومنع النساء منه والشدة في ذلك ؛ لأن عاقبته وخيمة وفساده عظيم .

ولا يجوز التساهل في ذلك مع البنات الصغار ؛ لأن تربيتهن عليه يفضي إلى اعتيادهن له وكراهيتهن لما سواه إذا كبرن ، فيقع بذلك الفساد والمحذور والفتنة المخوفة التي وقع فيها الكبيرات من النساء .

فاتقوا اللّٰه عباد اللّٰه ، واحذروا ما حرم اللّٰه عليكم ، وتعاونوا على البر والتقوى ، وتواصوا بالحق والصبر عليه ، واعلموا أن اللّٰه سبحانه سائلكم عن ذلك ومجازيكم على أعمالكم ، وهو سبحانه مع الصابرين ومع المتقين والمحسنين ، فاصبروا وصابروا واتقوا اللّٰه وأحسنوا ، إن اللّٰه يحب المحسنين .

ولا ريب أن الواجب على ولاة الأمور من الأمراء والقضاة ورؤساء الهيئات وأعضاء الهيئات أكبر من الواجب على غيرهم ، والخطر عليهم أشد ، والفتنة في

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٢٨) من حديث أبي هريرة رضي اللّٰه عنه .

(٢) أخرجه أحمد ٥٠/٢ من حديث ابن عمر رضي اللّٰه عنهما .

سكوت من سكت منهم عظيمة . ولكن ليس إنكار المنكر خاصًا بهم ، بل الواجب على جميع المسلمين ، ولا سيما أعيانهم وكبارهم وبالأخص أولياء النساء وأزواجهن ، إنكار هذا المنكر والغلظة فيه ، والشدة على من تساهل في ذلك ، لعل اللَّه سبحانه يرفع عنا ما نزل من البلاء ، ويهدينا ونساءنا إلى سواء السبيل .

وصح عن النبي ﷺ أنه قال : « ما بعث اللَّه من نبي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون سنته ويهتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل »(١) .

وأسأل اللَّه أن ينصر دينه ، ويعلي كلمته ، وأن يصلح ولاة أمرنا ويقمع بهم الفساد ، وينصر بهم الحق ، ويصلح لهم البطانة ، وأن يوفقنا وإياكم وإياهم وسائر المسلمين لما فيه صلاح العباد والبلاد في المعاش والمعاد ، إنه على كل شيء قدير ، وبالإجابة جدير ، وحسبنا اللَّه ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم ، وصلى اللَّه وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

والسلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته .



(١) أخرجه مسلم (٥٠) من حديث عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه .

التحذير من عضل النساء وإجبارهن على من يكرهن الزواج به[1]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

فلا ريب أن عضل النساء وإجبارهن على النكاح بمن يكرهن من المنكرات التي يجب الحذر منها، ومن الظلم الذي حرمه الله على عباده، ولما كان هذا المنكر قد وقع من كثير من الناس، رأيت أن الواجب التنبيه عليه، والتحذير منه، لعل الله ينفع بذلك من شاء من عباده، وفي الحديث الصحيح يقول النبي ﷺ: «الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة». قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[2].

ومن النصيحة لله ولعباده: الدعوة إلى طاعة الله، والتحذير مما نهى الله ورسوله عنه، والإرشاد إلى ما ينفع العباد في العاجل والآجل، ويكون سببًا لصلاح المجتمع وصلاح الأسر، وإلى أن تسود بينهم المحبة والوئام والتعاون على الخير والابتعاد عن ضده، ومما لا يشك فيه أن عضل النساء وحبسهن عن النكاح بسبب مشاكل كثيرة، ويكون سببًا لتعطل كثير من النساء، وكثير من الشباب. وبهذه المناسبة، فإني أنصح جميع الأولياء أن يحذروا عضل النساء وحبسهن عن النكاح إذا تيسر الكفء، وأنصحهم ألا يزجوا مولياتهم إلا برضاهن، وأن يختاروا لهن الأكفاء؛ دينًا وخلقًا، ويحرم على الأب وغيره أن يزوج موليته بشخص لا ترضاه لها زوجًا، لفسقه، أو كبر سنه، أو لغير ذلك؛ لقول النبي ﷺ: «لا تنكح الأيم حتى تستأمروا[3]، ولا تنكح البكر حتى

(١) صحيفة راية الإسلام عدد (٨) في رجب- سنة ١٣٨٠.

(٢) أخرجه مسلم (٥٥) من حديث تميم الداري رضي الله عنه.

(٣) كذا في الأصل، والحديث أخرجه البخاري (٥١٣٦، ٦٩٧٠)، ومسلم (١٤١٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

تستأذن » . قالوا : يا رسول الله ، فكيف إذنها ؟ قال : أن تسكت » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « الثيب أحق بنفسها من وليها ، والبكر يستأذنها أبوها ، وإذنها صماتها » . رواه مسلم في « صحيحه »[(١)] .

وأما ما ذهب إليه بعض أهل العلم من جواز إجبار الأب لابنته البكر على من يرضاه هو ، لا على من ترضاه هي ، فهو قول ضعيف مخالف لهذه الأحاديث الصحيحة ، وما جاء في معناها ، فلا يجوز لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يعتمد على ذلك ، وكم في إجبار النساء على النكاح بمن لا يرضينه من المفاسد الكثيرة التي من أقلها سوء العشرة بينهما ، وكثرة المشاكل والخصومة ، وربما أفضى ذلك إلى فتنة دامية بين أقارب الزوج والزوجة ، فليتق الله الأولياء ، وليحذروا كل الحذر من إجبار مولياتهم على الزواج بمن يكرهنه ، ومن أقبح المنكرات عضل الولي للمرأة وحبسها عن النكاح ، سواء كانت بنته أو غيرها لمقصد غير شريف كأن يحبسها حتى يخطبها موظف كبير أو ثري من الأثرياء ، أو بعض أقاربها ، أو شخص من أصدقائه ، ويرد لأجل ذلك من خطبها من الأكفاء ، وهذا حرام وظلم للنساء ، وخيانة للأمانة ؛ لأن النساء أمانات عند أوليائهن ، فالواجب عليهم أن ينصحوا لهن ، وأن يختاروا لهن الأكفاء ، وأن لا يعضلوهن لطمع من الأطماع ، أو لغرض غير شريف .

فقد قال الله سبحانه : ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: الآية ٢٣٢] .

وخرَّج الترمذي وغيره عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا خطب إليكم من ترضون

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٢١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

دينه وأمانته فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»[(١)]. وقال عليه الصلاة والسلام: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان»[(٢)].

وفي القرآن الكريم يقول اللّٰه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النِّساء: الآية ٥٨].

ويقول سبحانه في وصف المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾ [المؤمنون: الآية ٨]، ولا ريب في أن النساء عند أوليائهن من الأمانات، فحبسهن عن النكاح لأغراض غير شرعية، أو إجبارهن على من يكرهن القران به، كل ذلك من الخيانة للأمانة، والمخالفة لهذه النصوص العظيمة.

ومن أعظم الفساد، تعطيل النساء بغير أزواج، وتعطيل الشباب بغير زوجات للأطماع والأغراض الدنيئة.

واللّٰه المسئول أن يهدينا وإخواننا سواء السبيل، وأن يعيذنا جميعًا من طاعة النفس والهوى، إنه جواد كريم، وصلى واللّٰه وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه.



---

(١) أخرجه الترمذي (١٠٨٤)، وابن ماجه (١٩٦٧) من حديث أبي هريرة رضي اللّٰه عنه. وحسنه الألباني في الإرواء (١٨٦٨)، والصحيحة (١٠٢٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣، ٢٦٨٢)، ومسلم (٥٩) من حديث أبي هريرة رضي اللّٰه عنه.

ظاهرة منكرة يجب القضاء عليها[1]

اعتاد بعض الناس في الأفراح- كالأعراس- عادة سيئة تشتمل على أنواع من المنكر، وتتضمن إيذاء الجيران والمسلمين، ويخشى منها ومن أمثالها حلول العقوبات العامة، ألا وهي جعل مكبر في داخل البيت الذي فيه الفرح وسماعات في ظاهره يذاع من ذلك على الناس أصوات الغناء والمعازف من غير حياء من الله ولا من عباده، ولا احترام لحق الجار وحق المسلمين.

وهذا العمل لا يقره شرع ولا عقل ولا مروءة؛ وما ذاك إلا لما يشتمل عليه من المنكرات الكثيرة:

أولًا: أن استعمال الغناء والمعازف على هذا الوجه معصية لا يجوز إقرارها.

ثانيًا: أن هذا من المجاهرة بالمنكرات، وقد قال النبي ﷺ: «كل أمتي معافى إلا المجاهرين»[2].

ثالثًا: أن ذلك يتضمن إيذاء الجيران والمسلمين، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: الآية ٥٨].

وفي الحديث عنه ﷺ أنه قال: «من ضار مسلمًا ضاره الله، ومن شق على مسلم شق الله عليه»[3]. وقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره»[4].

وأيضًا: أن هذا العمل من المنكرات الظاهرة التي توجب حلول النقم

---

(١) مجلة القصيم - (العدد ١٨٨) في ٨ ربيع الثاني ١٣٨٣هـ.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٦٩)، ومسلم (٢٩٩٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الترمذي (١٩٤٠) من حديث أبي صرمة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٥١٨٥، ٦٠١٨)، ومسلم (٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والعقوبات العامة إذا لم تغير ؛ لقول اللّٰه عز وجل : ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ﴾ [الأنفال: الآية ٢٥] .

ذكر كثير من المفسرين لهذه الآية أن من الفتنة ظهور المعاصي . وصح عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم اللّٰه بعقابه »(١) . والأدلة على قبح هذه العادة وإنكارها لما تشتمل عليه من هذه المنكرات وغيرها كثيرة لا تخفى ، وإنما القصد التنبيه على بشاعتها ونكارتها ، وما فيها من الأضرار الكثيرة .

وإني أتوجه بكلمتي هذه إلى المسؤولين وعلى رأسهم رئيس الحكومة ورؤساء الهيئات أن يقضوا على هذه الظاهرة المنكرة ، وأن يمنعوها منعا باتًا ؛ حسمًا لفسادها ، وحماية للمسلمين من أضرارها .

واللّٰه سبحانه إنما شرع إعلان النكاح للتمييز بينه وبين السفاح ، وذلك حاصل بما أباح اللّٰه من الإعلان الشرعي . أما هذا الإعلان فهو من المنكرات الظاهرة ، سواء كان من الرجال أو من النساء ، وفي ذلك من الفساد والشرور سوى ما ذكرنا ما لا يمكن إحصاؤه في هذه الكلمة .

فالواجب على ولاة الأمور وأعيان المسلمين التعاون على منع المنكرات والقضاء عليها وحسم موادها ، والأخذ على أيدي متعاطيها ؛ طاعة للّٰه سبحانه وغيرة لدينه وحماية للمسلمين من أضرارها وعواقبها الوخيمة ، واللّٰه سبحانه سوف يسأل الجميع عن أعمالهم ويجازيهم عليها ؛ إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر .

ونسأل اللّٰه أن يصلح أحوالنا جميعًا ، وأن يوفق ولاة أمرنا لما فيه صلاح الأمة وسعادتها ونجاتها في الدنيا والآخرة ، إنه جواد كريم ، وصلى اللّٰه وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه .

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٢، ٥، وأبو داود (٤٣٣٨) ، والترمذي (٢١٦٨) ، وابن ماجه (٤٠٠٥) من حديث أبي بكر الصديق رضي اللّٰه عنه . وانظر الصحيحة (١٥٦٤) .

نكاح الشغار[١]

الحمد للّٰه والصلاة والسلام على رسول اللّٰه، وبعدُ:

فإن الداعي لنشر هذه الكلمة هو التنبيه على مسائل في النكاح مخالفة للشرع، قد وقع فيها كثير من الناس:

منها: نكاح الشغار؛ وهو أن يزوج الرجل ابنته أو أخته أو غيرهما ممن له الولاية عليه، على أن يزوجه الآخر، أو يزوج ولده، أو ابن أخيه ابنته أو أخته أو بنت أخيه أو نحو ذلك.

وهذا العقد على هذا الوجه فاسد، سواء ذكر فيه مهر أم لا؛ لأن الرسول ﷺ نهى عن ذلك، وحذر منه، وقد قال اللّٰه تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: الآية ٧].

وفي «الصحيحين»[٢] عن ابن عمر أن النبي ﷺ نهى عن الشغار. وفي «صحيح مسلم»[٣] عن أبي هريرة: أن الرسول ﷺ نهى عن الشغار. قال: «والشغار أن يقول الرجل: زوجني ابنتك وأزوجك ابنتي. أو زوجني أختك، وأزوجك أختي». وقال عليه الصلاة والسلام: «لا شغار في الإسلام»[٤].

فهذه الأحاديث الصحيحة تدل على تحريم نكاح الشغار وفساده، وأنه مخالف لشرع اللّٰه.

---

(١) مجلة راية الإسلام العدد (٥) في ربيع الأول عام١٣٨٠هـ.
وجاء في صدر المقال ما نصه: «أرسل إلينا فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز هذه الكلمة، وكانت قد نشرت على شكل رسالة صغيرة، إلا أن الشيخ طلب نشرها في المجلة لتعم الفائدة، فنحن ننشرها، ونسأل اللّٰه أن يعمم النفع بها».

(٢) أخرجه البخاري (٥١١٢، ٦٩٦٠)، ومسلم (١٤١٥/٥٧ - ٥٩).

(٣) أخرجه مسلم (١٤١٦).

(٤) أخرجه مسلم (١٤١٥/٦٠).

ولم يفرق النبي ﷺ بين ما سمي فيه مهر، وما لم يسم فيه شيء.

وأما ما ورد في حديث ابن عمر من تفسير الشغار: بأن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الآخر ابنته، وليس بينهما صداق، فهذا التفسير قد ذكر أهل العلم أنه من كلام نافع الراوي[١] عن ابن عمر، وليس هو من كلام النبي ﷺ، وقد فسره النبي ﷺ في حديث أبي هريرة بما تقدم، وهو أن يزوج الرجل ابنته أو أخته، على[٢] أن يزوجه الآخر ابنته أو أخته، ولم يقل: وليس بينهما صداق. فدل ذلك على أن تسمية الصداق أو عدمها لا أثر لها في ذلك، وإنما المقتضي للفساد هو أن[٣] اشتراط المبادلة، وفي ذلك فساد كبير؛ لأنه يفضي إلى إجبار النساء على نكاح من لا يرغبن فيه؛ إيثارًا لمصلحة الأولياء على مصلحة النساء، وذلك منكر وظلم للنساء؛ ولأن ذلك أيضًا يفضي إلى حرمان النساء من مهور أمثالهن، كما هو الواقع بين الناس المتعاطين لهذا العقد المنكر، إلا من شاء اللّٰه، كما أنه كثيرًا ما يفضي إلى النزاع والخصومات بعد الزواج، وهذا من العقوبات العاجلة لمن خالف الشرع، وروى أحمد، وأبو داود[٤]، بإسناد صحيح، عن عبد الرحمن بن هرمز، أن العباس بن عبد اللّٰه ابن عباس أنكح عبد الرحمن بن الحكم ابنته، وأنكحه عبد الرحمن ابنته، وقد كانا جعلا صداقًا، فكتب أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي اللّٰه عنه إلى أمير المدينة مروان بن الحكم يأمره بالتفريق بينهما، وقال في كتابه: هذا الشغار الذي نهى عنه رسول اللّٰه ﷺ.

فهذه الحادثة التي وقعت في عهد أمير المؤمنين معاوية، توضح لنا معنى

---

(١) جاء صريحًا في رواية البخاري (٦٩٦٠) أنه من كلام نافع.

(٢) في الأصل: «ولم».

(٣) كذا في الأصل، ولعلها مقحمة.

(٤) أخرجه أحمد ٧٠/٢٨ (١٦٨٥٦)، وأبو داود (٢٠٧٥). وحسنه الألباني في الإرواء (١٨٩٦)، وصحيح أبي داود (١٨١٠).

الشغار الذي نهى عنه الرسول ﷺ في الأحاديث المتقدمة ، وأن تسمية الصداق لا تصحح النكاح ، ولا تخرجه عن كونه شغارًا ، ومعاوية رضي اللَّه عنه أعلم باللغة العربية ، وبمعاني أحاديث الرسول ﷺ من نافع مولى ابن عمر ، رضي اللَّه عن الجميع .

ومن المسائل المنكرة في النكاح : ما يفعله بعض الناس من إجبار ابنته أو أخته أو بنت أخيه على نكاح من لا ترضى بنكاحه .

وذلك منكر ظاهر ، وظلم للنساء لا يجوز للأب ولا لغيره من الأولياء أن يتعاطاه ؛ لما في ذلك من ظلم النساء ومخالفة السنة الثابتة عن النبي ﷺ في النهي عن تزويج النساء إلا بإذنهن .

ففي « الصحيحين »[1] ، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « لا تنكح الأيم حتى تستأمر ، ولا تنكح البكر حتى تستأذن » . قالوا : يا رسول اللَّه ، وكيف إذنها ؟ قال : « إن تسكت » .

وفي « صحيح مسلم » عن ابن[2] عباس ، رضي اللَّه عنهما ، أن النبي ﷺ قال : « والبكر يستأذنها أبوها ، وإذنها صماتها » .

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة ، ويستثنى من هذا تزويج الرجل ابنته التي لم تبلغ تسع سنين بالكفء ، إذا رأى المصلحة لها في ذلك بغير إذنها ؛ لكونها لا تعرف مصالحها ، ويدل لذلك تزويج الصديق ابنته عائشة أم المؤمنين للنبي ﷺ ، وهي دون التسع ، بغير إذنها .

فالواجب على كل من يؤمن باللَّه واليوم الآخر أن يتقي اللَّه في كل أموره ، وأن يحذر ما نهى اللَّه عنه ورسوله في النكاح وغيره . وفي اتباع الشريعة ،

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٣٦، ٦٩٧٠)، ومسلم (١٤١٩).

(٢) في الأصل : « أبي » . والحديث أخرجه مسلم (١٤٢١) من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما .

والتمسك بهدى الرسول ﷺ خير الدنيا والآخرة والسعادة الأبدية، جعلني الله وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وكم جرى بسبب إجبار النساء على من لا يرضين به في النكاح من فتن ومشاكل وشحناء وخصومات، وذلك بعض ما يستحقه من خالف الشريعة المطهرة، وتابع هواه، نسأل الله العافية مما يخالف رضاه.

ومن المسائل المنكرة في هذا: ما يتعاطاه الكثير من البادية، وبعض الحاضرة، من حجر ابنة العم، ومنعها من التزوج بغيره.

وهذا منكر عظيم، وسنة جاهلية، وظلم للنساء، وقد وقع بسببه فتن كثيرة، وشرور عظيمة من شحناء وقطيعة رحم، وسفك دماء، وغير ذلك.

فالواجب على من يخاف الله أن يحذر ذلك، ويحذره أقاربه، وقد أرشد الرسول ﷺ إلى استئذان النساء، وأن لا يزوجن إلا برضاهن، فالواجب على الأولياء أن ينظروا في مصلحة النساء، وأن لا يزوجوهن إلا بالأكفاء دينًا وخلقًا بعد إذنهن، وبذلك تبرأ الذمة، ويسلم الأولياء من العهدة.

والله المسؤول أن يصلح أحوال المسلمين، وأن يمن عليهم بالفقه في دينه، والتواصي بطاعته، وطاعة رسوله ﷺ، وأن يصلح ولاتهم، ويمنحهم البطانة الصالحة، إنه على كل شيء قدير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه.

* * *

تعليق من رئاسة الجامعة الإسلامية
حول زراعة التبغ[1]

قرأنا في صحيفة «الندوة» العدد (٩٠٨) خبرًا جاءها من الرياض مفاده: أن شركتين تقدمتا تطلبان السماح بتصنيع التبغ وصنع السجائر بالطرق الفنية؛ لكي توجد في البلاد موارد زراعية وصناعية جديدة، وأن لجنة خاصة في وزارة المالية قد أوصت بزراعته في الأماكن التي تصلح لهذه الزراعة، وتسمح الأحوال المختلفة بزراعته فيها! كما أوصت بالسماح بإنشاء صناعة التبغ في الأماكن التي يباح فيها ذلك. وقد رفعت هذه التوصيات إلى المراجع المختصة لدراستها.. إلى هنا ينتهي الخبر.

وهو خبر غير سارٍّ بالنسبة إلى أهل العلم والدين، وذوي الغيرة من المسلمين؛ وذلك لأن الاعتبار في الأشياء قبل كل شيء بحقائقها وما تنتجه للمجتمع من مصالح ومفاسد دينية ودنيوية لا[2] لمجرد الفائدة المادية الدنيوية فقط.

والواجب على المسؤولين في هذه الدولة الإسلامية التي قد خصها الله من فضله وإحسانه بما حرمه الأكثرون أن يهتموا بالمصالح الدينية قبل كل شيء، وأن يحذروا كل ما يضر المجتمع دينيًا وأخلاقيًا وصحيًا، ولا شك أن زراعة التبغ وصناعته في البلاد من أعظم ما يضر المجتمع في دينه وأخلاقه وصحته، ومن أعظم الأسباب في إتلاف ماله واستنزاف ثروته فيما يضره ولا ينفعه.

وكان الواجب على المسؤولين أولًا ألا يقبلوا هذا الاقتراح ولا يرفعوا به رأسًا؛ لأن نتيجته الضارة ومفاسده الحتمية حيث قيل معلومة.

---

(١) صحيفة القصيم - العدد ١١٣ في ١٦/٩/١٣٨١. مجلة الحج - رمضان - ١٣٨١هـ.

(٢) سقطت: «لا» من الأصل.

وكان الواجب أيضًا على اللجنة المخصصة لدراسته أن توصي برفضه رفضًا قويًا للأسباب التي أشرنا إليها آنفًا، وأن توصي بالصناعات الأخرى النافعة في البلاد، والتي لا يوجد فيها- إلى جانب نفعها- شيء من الضرر.

إننا نرى كثيرًا من الصناعات التي يمكن أن تقوم في البلاد وليس فيها أي ضرر، ومع ذلك لا نرى أدنى اهتمام بصناعتها مع شدة حاجة البلاد إليها!

ثم إن التبغ- وهو الدخان- فيه من المضار ما يشهد به كل عاقل وطبيب، وليس فيه شيء من المنافع أصلًا، فمضاره الصحية كثيرة واضحة، كما صرح بذلك علماء الإسلام العارفون به، وألفوا في ذلك المؤلفات الكثيرة، واستشهدوا على ذلك بكلام الأطباء وغيرهم ممن قد عرف هذه الشجرة الخبيثة وأضرارها الظاهرة والباطنة. ولقد تقرر لدى الأطباء أنه من أقوى الأسباب للإصابة بمرض السرطان.

وقد أكد هذا المعنى الجراح العالمي الإنجليزي الذي استقدمته وزارة الصحة منذ أيام، ونُشرت آراؤه في الصحف المحلية وقرأها الكثير من الناس، وكذلك أكد هذا المعنى الطبيب الألماني صاحب كتاب «كيف تبطل التدخين»

ومضار التدخين الاقتصادية على عيش الفقير وعيش عائلته ظاهرة واضحة، فشارب الدخان كثيرًا ما يحرم نفسه وأولاده لذيذ العيش ليتمتع هو بالتدخين، بل وحتى الرجل الغني قد ينفق مبالغ كبيرة على التدخين بدون فائدة يجتنيها، بل في مقابل ضرر مؤكد، فيكون عمله هذا مع الأضرار المؤكدة من إضاعة المال المنهي عنها ومن الإسراف، والله لا يحب المسرفين. ولو صرف ثمنه لمن حوله من الفقراء والمحاويج لكان خيرًا له في الدنيا والآخرة، ولكان قد ساهم في التخفيف عنهم والتوسعة عليهم.

ومسألة شرب الدخان من الناحية الدينية معروفة، وتحريمه ظاهر من الأدلة الشرعية؛ كقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ﴾

[المائدة: الآية ٤] ، وقوله تعالى في وصف النبي ﷺ: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: الآية ١٥٧] .

ولا شك عند ذوي العقول والإنصاف العارفين بحقيقة الدخان أنه من الخبائث لا من الطيبات ؛ لأن ما غلبت مضرته على منفعته فهو من الخبائث ، ولا شك أن الدخان بهذه المثابة ، بل كله ضرر عند من أنصف وعقل حقيقته .

ومن ذلك يعلم أن زراعته وتصنيعه في البلاد من الأشياء المنكرة التي لا تجوز الموافقة عليها وخاصة في بلادنا التي تحرص- بحمد الله- على صيانة الدين وسلامة المجتمع .

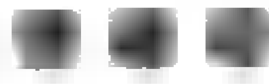
ولو ذهبنا نعرض مضار الدخان الدينية والصحية والمالية والاجتماعية وغيرها لطال الكلام ، ولذلك أماكن أخرى .

والواجب على الحكومة - وفقها الله لكل خير وأخذ بيدها إلى كل ما فيه صالح المجتمع وسعادته في الدنيا والآخرة - أن تمنع منعًا باتًا التبغ في البلاد ، واستعماله فيها ، كما تمنع زراعته وتصنيعه ؛ لما في ذلك من المضار والمفاسد الكثيرة التي أسلفنا الإشارة إليها . وفي إمكانها إيجاد مزارع ومصانع مباحة نافعة تدر على البلاد والمجتمع كل خير وتعينه على كل حق ، ومعلوم ما في المباح من الخير والبركة ، وما في الحرام من المفاسد والأضرار التي من جملتها محق بركة ما خالطه ونزع بركته ، وإن الواجب عليها عظيم والمسؤولية كبيرة أمام الله وأمام عباده . نسأل الله لها الإعانة والتوفيق لكل خير ، والسلامة من شر أهل النفاق وأدعياء الإصلاح ، إنه خير مسئول .

وإذا منَّ الله سبحانه على الدولة بمنع توريد الدخان واستعماله في داخل المملكة فسوف تجني من وراء ذلك الخير الكثير والعاقبة الحميدة في دينها وسمعتها وماليتها وسلامة رجالها واستقامة صحتهم ، وسوف يجد مستعملوه إذا قطعوه من الصحة في أبدانهم والبركة في أموالهم والقوة في أعصابهم والراحة في

منامهم والسلامة في تفكيرهم ما يحمدون معه العاقبة ويشكرون الحكومة على منعه .

والله المسؤول أن يهدينا جميعًا سواء السبيل ، وأن يعيذنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، وأن يوفق القائمين على أمر المسلمين لما فيه صلاح البلاد والعباد ، إنه على كل شيء قدير ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على عبده ورسوله محمد وآله .



نصيحة إلى المسلمين[١]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى من يراه من إخواننا المسلمين، سلك الله بي وبهم سبيل الاستقامة، وأعاذنا وإياهم من أسباب الخزي والندامة، آمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد: فالموجب لهذا هو النصيحة والتذكير، عملًا بقوله سبحانه: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: الآية ٥٥]، وقول النبي ﷺ: «الدين النصيحة» قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[٢].

إذا علم هذا، فالذي أوصيكم به ونفسي: تقوى الله سبحانه، فإنها جماع الخير وأساس السعادة، والزاد النافع في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: الآية ١]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٨، ١٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [القلم: الآية ٣٤]. وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]. وقال تعالى: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۗ﴾ [الأنفال: الآية ٢٩].

ففي هذه الآيات الكريمات الأمر بالتقوى، والتحريض على التخلق بها،

---

(١) صحيفة أم القرى – العدد (١٤٦٨) – شوال ١٣٧٢هـ. صحيفة البلاد السعودية في ١٠/١٠/١٣٧٢هـ، صحيفة المدينة المنورة العدد(٤٨٩) في ١٧/١٠/١٣٧٢هـ والعدد (٤٩٠) في ٢٤/١٠/١٣٧٢هـ.

(٢) أخرجه مسلم (٥٥) من حديث تميم الداري رضي الله عنه.

وبيان ما وعد اللّه به أهلها من تيسير الأمور وتفريج الكروب، وغفران السيئات والفوز بنعيم الجنات، فحقيق بالعبد الناصح لنفسه أن يلزم التقوى ويدعو إليها، ويحذر الناس من تركها.

وحقيقة التقوى: أداء ما أوجبه اللّه على العبد من الطاعة، واجتناب ما حرم عليه من المعصية.

وأصلها وأساسها: شهادة أن لا إله إلا اللّه وأن محمدًا رسول اللّه. وليس المراد مجرد لفظ الشهادة، وإنما المراد معناها علمًا وعملًا، فيخلص العبد عباداته للّه وحده مؤمنًا بأن اللّه ربه ومعبوده الحق، لا إله غيره ولا رب سواه، ويتبرأ من عبادة غير اللّه ويكفر بها ويعتقد بطلانها.

ويؤمن بأن محمد بن عبد اللّه بن عبد المطلب الهاشمي ﷺ هو عبد اللّه ورسوله حقًا، أرسله اللّه إلى جميع الثقلين، فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار. ويؤمن بأنه عبد لا يعبد، ورسول لا يُكذَّب، بل يطاع ويتبع.

ويقدم محبة اللّه ورسوله على ما سواهما، ويحب المرء المسلم لا يحبه إلا للّه، ويكره الشرك كما يكره أن يقذف في النار، وبذلك يجد حلاوة الإيمان كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون اللّه ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا للّه، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه اللّه منه كما يكره أن يقذف في النار»[١]. وقال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»[٢].

وهذا يوجب على المسلم أن يتمسك بشريعة الرسول ﷺ، ويقدم طاعته على هوى نفسه وعلى طاعة كل أحد. ومتى آثر هوى نفسه على طاعة اللّه

(١) أخرجه البخاري (١٦، ٢١)، ومسلم (٤٣) من حديث أنس رضي اللّه عنه.
(٢) أخرجه مسلم (٤٤) من حديث أنس رضي اللّه عنه.

ورسوله كان ذلك ضعفًا في إيمانه ، ونقصًا في شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله .

وفي قول الرب سبحانه : ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: الآية ١] تذكير بالآخرة وتحريض على الاستعداد ، وتحذير من أهوالها وشدائدها .

وفي قوله تعالى : ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: الآية ١٨] الأمر بلزوم التقوى ، والمحاسبة للنفس على ما قدمت لآخرتها ، فإن كان خيرًا فالواجب حمد الله عليه وسؤاله الثبات والاستقامة ، وإن كان شرًا فالواجب التوبة منه والندم على التفريط ، واستقبال باقي العمر بعمل صالح .

قال الله تعالى : ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: الآية ٨٢] .

وفي قوله تعالى : ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الحشر: الآية ١٩] التحذير من نسيان أمر الله ونهيه ، والإعراض عما جاء به الرسول من الهدى والدلالة على أن من أعرض عن أمر الله ونسي حقه أنساه الله مصالح نفسه ، وهي أسباب نجاتها وخلاصها من عذاب الله حتى تكون أمواله وجاهه وطول حياته من أعظم الأسباب في شدة عذابه وخسرانه ، فنسأل الله العافية والسلامة من كل ما يسخطه .

ومن أعظم التقوى التفقه في الدين ، وتدبر القرآن الكريم ، والامتثال لأوامره والانتهاء عن نواهيه ، والوقوف عند حدوده ، والسؤال عن كل ما أشكل من ذلك . قال الله تعالى : ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: الآية ٩] . وقال تعالى : ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: الآية ٤٤] . وقال تعالى : ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: الآية ٢٩] . وقال تعالى : ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: الآية ٤٣] .

وقال النبي ﷺ: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»[١].

فتدبروا رحمكم الله كتاب ربكم، وأكثروا من تلاوته وسماعه، واعمروا به المجالس، وعالجوا به أمراض القلوب؛ ليحصل لكم الشفاء من جميع أنواع البلاء.

ومن أهم التقوى إقامة الصلوات الخمس، بل ذلك هو عمود الدين وميزان الأعمال، والفارق بين المسلم والكافر، وقد جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة»[٢]. وقال ﷺ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر»[٣].

ومن أهم واجباتها في حق الرجال أداؤها في الجماعة في المساجد، بل ذلك من أعظم شعائر الإسلام الظاهرة الذي لا يجوز الإخلال بها، وقد صح عن النبي ﷺ: أنه قال: «لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام، ثم آمر رجلًا فيؤم الناس، ثم أنطلق برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار»[٤]. وصح عنه ﷺ أيضًا أن رجلًا أعمى قال له: يا رسول الله، إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد، فهل لي من رخصة أن أصلي في بيتي؟ فقال ﷺ: «هل تسمع النداء بالصلاة». قال: نعم. قال: «فأوجب»[٥]. وفي رواية: «لا أجد لك رخصة»[٦]. وقال ﷺ: «من سمع النداء فلم يأت فلا

---

(١) أخرجه البخاري (٧١، ٣١١٦)، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٨٢) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد ٥/٣٤٦، والترمذي (٢٦٢١)، وابن ماجه (١٠٧٩)، والنسائي (٤٦٣) من حديث بريدة رضي الله عنه. وصححه الألباني.

(٤) أخرجه البخاري (٦٤٤، ٢٤٢٠)، ومسلم (٦٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه مسلم (٦٥٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) أخرجه أبو داود (٥٥٢) من حديث ابن أم مكتوم رضي الله عنه. وصححه الألباني.

صلاة له إلا من عذر»[١] .

وقال ابن مسعود : لقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ، أو مريض[٢] .

فاتقوا اللَّه عباد اللَّه ، وحافظوا على الصلوات في المساجد ، واحذروا ما يصدكم عن ذلك ويلهيكم عن ذكر اللَّه من مجالس اللهو والقيل والقال وسماع الأغاني وأشباه ذلك مما يصد عن الحق .

وكثير من الناس يظن أن المقصود من الأمر بالصلاة في المساجد أداء الصلاة في جماعة فقط ، فإذا وجد عنده في بيته رجل أو أكثر قال : نحن جماعة فلا بأس أن نصلي في البيت !

وهذا خطأ وقول على اللَّه بلا علم . واللَّه أوجب الصلاة في المساجد لحكم كثيرة :

منها : اجتماع المسلمين في بيت اللَّه على هذه العبادة العظيمة ؛ خاضعين ذليلين بين يدي اللَّه سبحانه ، يرجون رحمته ويخافون عقابه .

ومنها : التعارف والتعاون على البر والتقوى ؛ فإذا رأى المسلم إخوانه يؤدون الصلاة في المسجد اقتدى بهم في ذلك الأمير والشريف والغني والفقير وغيرهم في هذا سواء ، فيحصل لهم بذلك الاجتماع على الحق والتعارف ، ومشاهدة الغني لحال الفقير ، والأمير لرعيته .

ومنها : أن ذلك مخالفة لأهل النفاق ، وإرغامًا للشيطان ؛ لأن الشيطان يكره ظهور شعائر الإسلام ، والمنافق يتثاقل عن الصلاة في المساجد ، ولا يأتيها إلا دبارًا .

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٧٩٣) من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنه . وصححه الألباني ، وصوّب بعض الحفاظ وقفه . انظر التلخيص الحبير ٢/ ٣٠، وتنقيح التحقيق ٢/ ٨٥٤.

(٢) أخرجه مسلم (٦٥٤) .

فالمحافظ على الصلوات في المساجد قد أطاع ربه وأطاع رسوله، وخالف هواه وأرغم شيطانه، وسلم من مشابهة أهل النفاق، والمتخلف عنها بضد ذلك. نسأل اللَّه السلامة من طاعة النفس والهوى ونوائب الشيطان.

ومن أهم التقوى أداء الزكاة التي أوجبها اللَّه على المسلمين في أموالهم؛ شكرًا له سبحانه على إنعامه، ومواساة لإخوانهم المحاويج.

وهو سبحانه أعطى الكثير ولم يطلب إلا القليل. ثم هذا المطلوب منفعته لصاحبه، فاللَّه يأجره عليه ويخلفه عليه، وهو سبحانه غني عن طاعة العباد: قال تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ﴾ [فُصِّلَت: الآية ٤٦]. وقد قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سَبَإ: الآية ٣٩]. وقال ﷺ: «ما نقص مال من صدقة»[1].

فأنت أيها المسلم الخائف من ربه المصدق بخبره إياك أن تظن أن الزكاة تنقص مالك، بل تزيده وتنميه وتكون سببًا للبركة وربح التجارة، ومع ذلك تؤجر عليها أجرًا جزيلًا، فبادر إلى أداء ما أوجب اللَّه عليك، وأحسن ظنك بربك، وأبشر بالخلف والأجر الجزيل.

ولا ريب أن منع الزكاة من أعظم الأسباب لحلول العقوبات، ومرض القلوب، ونزع البركات، وحبس الغيث من السماء.

وقد توعد اللَّه من بخل بالزكاة بالعذاب الأليم، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥]. وكل مال لا تؤدى زكاته فهو كنز يعذب به صاحبه يوم القيامة.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٨) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه، بلفظ: «ما نقصت صدقة من مال».

وقد جاءت الأحاديث الكثيرة الصحيحة عن النبي ﷺ تدل على أن أهل الأموال الذين لا يؤدون زكاتها يعذبون بها يوم القيامة في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة .

فاحذروا رحمكم اللَّه البخل بما أوجب اللَّه عليكم ، وسارعوا إلى إخراج الزكاة من أموالكم كلما حال حولها ، سواء كانت ذهبًا أو فضة ، أو عروض تجارة ؛ وهي السلع المعدة للبيع سواء كانت أراضي ، أو بيوتًا ، أو دكاكين ، أو نخيلًا ، أو أقمشة ، أو سيارات ، أو أخشابًا ، أو حبوبًا أو غير ذلك ، فقد جاء الحديث عن سمرة بن جندب قال : أمرنا رسول اللَّه ﷺ أن نخرج الصدقة من الذي نعده للبيع[1] .

وصفة إخراج زكاة العروض : أن تقوم عند تمام الحول ثم يخرج ربع عشر قيمتها قلّت أو كثرت .

ومن أموال الزكاة : الإبل ، والبقر ، والغنم . ومن أموال الزكاة أيضًا : التمر ، والعنب ، والحنطة ، والشعير .

فالواجب على المسلم أن يهتم بأمر الزكاة ويسأل عن كل ما أشكل عليه حتى يؤدي ما أوجب اللَّه عليه على بصيرة ، ويسلم من عاقبة التفريط والبخل الذميم الوخيم .

ومما قد يخفى ويحصل فيه التفريط أن بعض الناس قد يكون عنده عنب كثير يبلغ النصاب فلا يزكيه ؛ جهلًا منه وتفريطًا .

وبعض الناس يكون عنده زرع مبكر فلا يزكيه ، والزكاة فيه واجبة إذا بلغ نصابًا بنفسه أو بضمه إلى الزرع الذي قد زرع معه في سنته .

والمقصود نصيحتكم وتنبيهكم على ما يجب ؛ محبة لكم وخوفًا عليكم ، وبراءة للذمة وحذرًا من إثم السكوت .

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥٦٢) . وضعفه الألباني .

والله المسؤول أن يوفقنا وإياكم لما يرضيه ، وأن يمن علينا جميعًا بصلاح القلوب والفقه في الدين ، وأن ينصر دينه ويعلي كلمته ، وأن يوفق حكومتنا لما فيه الخير والصلاح للعباد في المعاش والمعاد ، إنه على كل شيء قدير . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وصلى الله على نبينا محمد وآله .



نصيحة موجهة إلى كافة المسلمين(١)

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى من يراه من المسلمين، سلك الله بي وبهم سبيل عباده المؤمنين، وأعاذني وإياهم من طريق المغضوب عليهم والضالين آمين..

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أما بعد، فالموجب لهذا هو النصيحة والتذكير؛ عملًا بقول الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: الآية ٥٥]، وقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: الآية ٢]، وقوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣]، وقول النبي ﷺ: «الدين النصيحة» قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» رواه مسلم(٢).

ففي هذه الآيات المحكمات، والحديث الشريف، صريح الدلالة على مشروعية التذكير والتناصح والتواصي بالحق والدعوة إليه، وذلك لما يترتب عليه من نفع المؤمنين، وتعليم الجاهل وإرشاد الضال، وتنبيه الغافل وتذكير الناسي، وتحريض العالم على العمل بما علم، وغير ذلك من المصالح الكثيرة.

والله سبحانه وتعالى إنما خلق الخلق ليعبدوه ويطيعوه، وأرسل الرسل مذكرين بذلك ومبشرين ومنذرين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: الآية ٥٦]، وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ

---

(١) مجلة المنهل - ذو القعدة وذو الحجة - ١٣٧١هـ- العدد (١٢/١٠)، صحيفة المدينة المنورة العدد (٤٣٩)، (٤٤٠)، صحيفة البلاد السعودية في ١٣٧١/٩/٢هـ.

(٢) تقدم تخريجه قريبًا.

﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [التغابن: الآية ١٢] ، وقال تعالى : ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء: الآية ١٦٥] ، وقال تعالى : ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ﴾ [الغاشية: الآية ٢١] .

فالواجب على كل من لديه علم أن يذكر بذلك ، وأن يناصح في اللّه ويدعو إليه حسب الطاقة ؛ أداء لواجب التبليغ والدعوة ، وتأسيًا بالرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام ، وحذرًا من إثم الكتمان الذي قد أوعد اللّه عليه في محكم القرآن ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة: الآية ١٥٩]

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : « من دل على خير فله مثل أجر فاعله »(١) . وقال عليه الصلاة والسلام : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه ، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا »(٢) .

إذا عرف ما تقدم ، فالذي أوصيكم به ونفسي : تقوى اللّه سبحانه في السر والعلانية ، والشدة والرخاء ، فإنها وصية اللّه ووصية رسوله ﷺ ، كما قال تعالى : ﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ [النساء: الآية ١٣١] ، وقال النبي ﷺ في خطبته : « أوصيكم بتقوى اللّه والسمع والطاعة »(٣) .

والتقوى : كلمة جامعة تجمع الخير كله . وحقيقتها : أداء ما أوجب اللّه ،

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٩٣) من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي اللّه عنه .

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٧٤) من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه .

(٣) أخرجه أحمد ٤/ ١٢٦، وأبو داود (٤٦٠٧) ، والترمذي (٢٦٧٦) من حديث العرباض بن سارية رضي اللّه عنه . وصححه الألباني .

واجتناب ما حرمه اللَّه على وجه الإخلاص له والمحبة ، والرغبة في ثوابه والحذر من عقابه .

وقد أمر اللَّه عباده بالتقوى ، ووعدهم عليها بتيسير الأمور وتفريج الكروب وتسهيل الرزق ، وغفران السيئات والفوز بالجنات ، قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ﴾ [الحجّ: الآية ١] ، وقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحشر: الآية ١٨] ، وقال تعالى : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا * وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢، ٣] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [القلم: الآية ٣٤] ، وقال تعالى : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا﴾ [الطّلاق: الآية ٥] ، والآيات في هذا المعنى كثيرة .

فيا معشر المسلمين ، راقبوا اللَّه سبحانه ، وبادروا إلى التقوى في جميع الحالات ، وحاسبوا أنفسكم عند جميع أقوالكم وأعمالكم ومعاملاتكم ، فما كان من ذلك سائغًا في الشرع فلا بأس بتعاطيه ، وما كان منها محذورًا في الشرع فاحذروه وإن ترتب عليه طمع كثير فإن ما عند اللَّه خير وأبقى ، ومن ترك شيئًا اتقاء اللَّه عوضه اللَّه خيرًا منه ، ومتى راقب العباد ربهم واتقوه سبحانه بفعل ما أمر وترك ما نهى ، أعطاهم اللَّه سبحانه ما رتب على التقوى من العزة والفلاح والرزق الواسع ، والخروج من المضايق ، والسعادة والنجاة في الدنيا والآخرة .

ولا يخفى على كل ذي لب وأدنى بصيرة ما قد أصاب أكثر المسلمين من قسوة القلوب والزهد في الآخرة ، والإعراض عن أسباب النجاة ، والإقبال على الدنيا وأسباب تحصيلها بكل حرص وجشع من دون تمييز بين ما يحل ويحرم ، وانهماك الأكثرين في الشهوات وأنواع اللهو والغفلة !!

وما ذاك إلا بسبب إعراض القلوب عن الآخرة ، وغفلتها عن ذكر اللَّه ومحبته ، وعن التفكر في آلائه ونعمه وآياته الظاهرة ، وعدم الاستعداد للقاء اللَّه

وتذكر الوقوف بين يديه والانصراف من ذلك الموقف العظيم إما إلى الجنة وإما إلى النار.

فيا معشر المسلمين، تداركوا أنفسكم، وتوبوا إلى ربكم، وتفقهوا في دينكم، وبادروا إلى أداء ما أوجب الله عليكم، واجتنبوا ما حرم عليكم؛ لتفوزوا بالعز والأمن والهداية في الدنيا والآخرة، وإياكم والانكباب على الدنيا وإيثارها على الآخرة، فإن ذلك من صفة أعداء الله وأعدائكم من الكفرة والمنافقين، ومن أعظم أسباب العذاب في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى في صفة أعدائه: ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسان: الآية ٢٧]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: الآية ٥٥].

وأنتم لم تخلقوا للدنيا وإنما خلقتم للآخرة وأمرتم بالتزود لها، وخلقت لكم الدنيا لتستعينوا بها على عبادة الذي خلقكم سبحانه والاستعداد للقائه، فتستحقوا بذلك فضله وكرامته وجواره في دار النعيم.

فقبيح بالعاقل أن يعرض عن عبادة خالقه ومربيه، وعما أعده له من الكرامة، ويشتغل عن ذلك بإيثار شهواته البهيمية، والجشع على تحصيل عرض الدنيا الزائل الذي قد ضمن الله له ما هو خير منه وأحسن عاقبة في الدنيا والآخرة.

وليحذر كل مسلم أن يغتر بالأكثرين ويقول: إن الناس قد ساروا إلى كذا واعتادوا كذا فإنا معهم! فإن هذه مصيبة عظمى قد هلك بها أكثر الماضين.

ولكن أيها العاقل، عليك بالنظر لنفسك ومحاسبتها، والتمسك بالحق وإن تركه الناس، والحذر مما نهى الله عنه وإن فعله الناس، فالحق أحق بالاتباع كما قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ﴾ [الأنعام: الآية ١١٦]. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: الآية ١٠٣]، وقال بعض السلف رحمهم الله: لا تزهد في الحق لقلة

السالكين ، ولا تغتر بالباطل لكثرة الهالكين .

هذا ، وإن أهم ما أوصيكم به أمور خمسة :

الأول : الإخلاص للّٰه وحده في جميع القربات القولية والعملية ، والحذر من الشرك كله دقيقه وجليله . وهذا هو أوجب الواجبات وأهم الأمور ، وهو معنى شهادة أن لا إله إلا اللّٰه ، ولا صحة لأعمال العباد وأقوالهم إلا بعد صحة هذا الأصل وسلامته ، كما قال تعالى : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البيّنة: الآية ٥] ، وقال تعالى : ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الزُّمَر: الآية ٦٥] .

الأمر الثاني : التفقه في القرآن وسنة الرسول ﷺ والتمسك بهما ، وسؤال أهل العلم عن كل ما أشكل عليكم في أمر دينكم . وهذا واجب على كل مسلم ليس له تركه والإعراض عنه والسير وراء رأيه وهواه بدون علم وبصيرة .

وهذا هو معنى شهادة أن محمدًا رسول اللّٰه ؛ فإن هذه الشهادة توجب على العبد الإيمان بأن محمدًا ﷺ رسول اللّٰه والتمسك بما جاء به وتصديقه فيما أخبر به ، والسير في طريقه والسؤال عن كل ما أشكل من ذلك . قال اللّٰه تعالى : ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النّحل: الآية ٤٣] . وروي عن النبي ﷺ أنه قال : « ألا سألوا إذ لم يعلموا ، إنما شفاء العي السؤال » . أخرجه أبو داود[١] .

وكل من أعرض عن القرآن والسنة فهو متابع لهواه ، عاص لمولاه ، مستحق للمقت والعقوبة ، كما قال تعالى : ﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾ [القَصَص: الآية ٥٠] ، وقال تعالى في وصف الكفار : ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٣٦) من حديث جابر رضي اللّٰه عنه . وحسنه الألباني . وانظر الإرواء (١٠٥) .

جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النّجم: الآية ٢٣] ، واتباع الهوى ، والعياذ بالله ، يطمس نور القلب ويصد عن الحق ، كما قال تعالى : ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: الآية ٢٦]

فاحذروا رحمكم الله من اتباع الهوى والإعراض عن الهدى ، وعليكم بالتمسك بالحق والدعوة إليه ، والحذر ممن خالف ؛ لتفوزوا بخيري الدنيا والآخرة .

الأمر الثالث : إقام الصلوات الخمس والمحافظة عليها في الجماعة ، فإنها أهم الواجبات وأعظمها بعد الشهادتين ، وهي عمود الدين وميزان الأعمال ، فمن حفظها فقد حفظ دينه ، ومن تركها فارق الإسلام ، فما أعظم حسرته وأسوأ عاقبته يوم الوقوف بين يدي الله .

فعليكم رحمكم الله بالمحافظة عليها ، والتواصي بذلك ، والإنكار على من تخلف عنها وهجره ؛ لأن ذلك من التعاون على البر والتقوى . وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر »[1] . وقال ﷺ : « من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان »[2] .

الأمر الرابع : يجب على كل ذكر وأنثى من المسلمين إحصاء ما لديه من المال وضبطه ، وإخراج زكاته كلما حال عليه الحول ، إذا بلغ نصاب الزكاة . ويكون طيب النفس بذلك منشرح الصدر ؛ أداء لما أوجبه الله وشكرًا لنعمته ، وإحسانًا إلى عباد الله .

ومتى فعل المسلم ذلك ضاعف الله له الأجر ، وأخلف عليه ما أنفق ، وبارك

---

(١) أخرجه أحمد ٥/ ٣٤٦، والترمذي (٢٦٢١) ، وابن ماجه (١٠٧٩) ، والنسائي (٤٦٣) من حديث بريدة رضي الله عنه . وصححه الألباني .

(٢) أخرجه مسلم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

له في الباقي وزكاه وطهره .

ومتى بخل بالزكاة وتهاون بأمرها غضب اللَّه عليه ، ونزع بركة ماله ، وسلط عليه أسباب التلف والإنفاق في غير الحق ، وعذبه به يوم القيامة كما قال تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [التوبة: الآية ٣٤]

وكل مال لا تؤدى زكاته فهو كنز يعذب به صاحبه يوم القيامة ، أعاذنا اللَّه وإياكم من ذلك .

الأمر الخامس : يجب على كل مسلم أن يهتم بأمر اللَّه ويعظم حرماته ، ويتفكر فيما خلق لأجله وأمر به ، ويحاسب نفسه في ذلك دائمًا ، فإن كان قد قام بما أوجب اللَّه عليه فرح بذلك ، وحمد اللَّه عليه ، وسأله الثبات ، وأخذ حذره من الكبر والعجب وتزكية النفس . وإن كان قد قصر فيما أوجب اللَّه عليه ، أو ارتكب بعض ما حرم اللَّه عليه بادر إلى التوبة الصادقة والندم والاستقامة على أمر اللَّه والإكثار من الذكر والاستغفار والضراعة إلى اللَّه سبحانه ، وسؤاله التوبة من سالف الذنوب والتوفيق لصالح القول والعمل .

ومتى وفق العبد لهذا الأمر العظيم فذلك عنوان سعادته ونجاته في الدنيا والآخرة . ومتى غفل عن نفسه وسار وراء هواه وشهوته وأعرض عن الاستعداد لآخرته فذلك عنوان هلاكه ودليل خسرانه .

فلينظر كل منكم لنفسه وليحاسبها ويفتش عن عيوبها فسوف يجد ما يحزن باله ويشغله بنفسه عن غيره ، ويوجب له الذل للَّه والانكسار بين يديه وسؤاله العفو والمغفرة .

وهذه المحاسبة وهذا الذل والانكسار بين يدي اللَّه هو سبب السعادة والفلاح والعز في الدنيا والآخرة .

وليعلم كل مسلم أن كل ما حصل له من صحة ونعمة وجاه رفيع وخصب

ورخاء فهو من فضل اللَّه وإحسانه . وكل ما أصابه من مرض أو مصيبة أو فقر أو جدب أو تسليط عدو أو غير ذلك من المصائب فهو بسبب الذنوب والمعاصي .

فجميع ما في الدنيا والآخرة من العذاب والآلام وأسبابها فسببه معصية اللَّه ومخالفة أمره والتهاون بحقه ، كما قال تعالى : ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: الآية ٣٠] ، وقال تعالى : ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: الآية ٤١] .

فاتقوا اللَّه عباد اللَّه ، وعظموا أمره ونهيه ، وبادروا بالتوبة إليه من جميع ذنوبكم ، واعتمدوا عليه وحده وتوكلوا عليه ، فإنه خالق الخلق ورازقهم ، ونواصيهم بيده سبحانه ، لا يملك أحد منهم لنفسه ضرًا ولا نفعًا ، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا .

وقدموا رحمكم اللَّه حق ربكم وحق رسوله على حق غيره وطاعة غيره كائنًا من كان ، وتآمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ، وأحسنوا الظن باللَّه وأكثروا من ذكره واستغفاره ، وتعاونوا على البر والتقوى وخذوا على أيدي السفهاء وألزموهم بما أمر اللَّه ، وأحبوا في اللَّه وأبغضوا في اللَّه ، ووالوا أولياء اللَّه وعادوا أعداء اللَّه ، واصبروا وصابروا حتى تلقوا ربكم فتفوزوا بغاية السعادة والكرامة والعزة والمنازل العالية في جنات النعيم .

واللَّه المسؤول أن يوفقنا وإياكم لما يرضيه ، وأن يصلح قلوب الجميع ويعمرها بخشيته ومحبته والنصح له ولعباده ، وأن يعيذنا وإياكم من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، وأن يوفق إمامنا وولي عهده وجميع أسرته وسائر ولاة المسلمين لما يرضيه ، وأن ينصر بهم الحق ويخذل بهم الباطل ، وأن يعيذ الجميع من مضلات الفتن ، إنه ولي ذلك والقادر عليه . والسلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته ، وصلى اللَّه على محمد وآله وصحبه وسلم .

سبيل الدعوة إلى الحق(١)

بعث اللَّه الرسل الكرام هداة للخلق ودعاة إلى الحق، فقاموا بمهمتهم خير قيام، وصبروا على ما أوذوا حتى أدوا رسالتهم، فهدوا الخلق إلى مولاهم وأوضحوا لهم جميع ما يستحقه عليهم من أنواع العبادات وصنوف الطاعات، وبشروا من أطاعهم وتمسك بهداهم بالعز في الدنيا والسعادة الأبدية في الأخرى، وأنذروا من خرج عن سبيلهم أو حاد عن طريقهم بالذل والعار والمصير في الآخرة إلى دار البوار.

ولقد أقام اللَّه بهم الحجة وقطع المعذرة وهدى من سبقت له الحسنى، فاجتمعوا على الحق وتسابقوا إلى الخيرات، وكرسوا جهودهم في الدعوة إلى اللَّه، والترغيب في التمسك بهداه، والتحذير من الأعراض ومتابعة الهوى.

وقد جعل اللَّه من هؤلاء الذين سبقت لهم الحسنى فبادروا إلى تلقي ما أتى به المرسلون من هدى وخير أعلامًا يهتدي بها الحيران، وأنوارًا يستضاء بها في حالك الظلام.

حسن قصدهم في عملهم فأثمر أطيب الثمار وأعقب أجمل الآثار في الذين أتوا من بعدهم. وتدرعوا برداء الصبر- في سبيل الدعوة إلى اللَّه- حتى بلغوا الغاية؛ وحمدوا العاقبة «وعند الصباح يحمد القوم السرى».

ولقد سار السلف الصالح - رضوان اللَّه عليهم أجمعين - في سبيل الدعوة إلى اللَّه في نهج مشرق واضح المعالم، بيِّن الصُّوى، يوصل من سلكه إلى ما وصلوا إليه، ويبلغه خير ما يأمله ويرجوه. نهجُ سَنَّهُ المصطفى صلوات اللَّه وسلامه عليه بسنته الوضاءة وبسيرته الصالحة، وأجدر بكل داع إلى خير، أو سالك سبيل إرشاد أن يتخذ من سيرته- عليه الصلاة والسلام- قدوة وأعظم مثال

(١) مجلة اليمامة - العدد الأول - ١٣٧٢/١٢هـ.

يحتذيه ويسير عليه .

لقد بعثه اللَّه على حين فترة من الرسل ، كانت الأرض في جاهلية جهلاء ، وضلالة عمياء ، وفرقة واختلاف ، وبعد عن الخير ، إلا بقايا من أهل الكتاب . فقام ﷺ مشمرًا عن ساعد الجد ؛ صادًا بأمر ربه ، داعيًا إلى الهدى ليلًا ونهارًا ، متحملًا أعظم المشاق ، جاعلًا نصب عينيه قول ربه الكريم ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٣، ٣٤] . فضرب ﷺ بصبره ومصابرته ومثابرته وعزيمته وجلده للدعاة إلى الحق أكبر المثل ، حتى بلغه اللَّه وحقق له وعده ونصره نصرًا عزيزًا ، فهدى به من الضلالة ، وبصر به من العمي ، وأغنى به بعد العيلة ، وجمع به القلوب بعد شتاتها ، وألف بين الشعوب بعد فرقتها واختلافها ، ومكن له ولأتباعه في البلاد فنشروا العدل والهدى ، ورفعوا راية الإسلام عالية في أغلب بقاع المعمورة .

وخليق بكل داع- يريد أداء عمله على أتم الوجوه وأكملها- أن يتخذ من سيرته عليه الصلاة والسلام نبراسًا يضيء له السبيل ، ويوضح له القصد ، ويسدد له السبيل ، وأن يتخذ من نهج أصحابه رضوان اللَّه عليهم - ونهجهم هو نهجه - وأن يجعل غايتهم هي غايته ، وأن يبذل وسعه في ذلك بعزم وصبر وإخلاص ، جاعلًا نصب عينيه قوله سبحانه : ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: الآية ١٠٨] ، وقوله : ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل: الآية ١٢٥] ، وقوله عز وجل لكليمه موسى وأخيه هارون عليهما السلام : ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٣، ٤٤] . مقتبسًا من هذه الآيات الكريمات وأمثالها هديًا واضحًا ، ونهجًا صالحًا ، ونبراسًا

ساطعًا في الدعوة إلى المولى- جل شأنه- وتبيين حقه على عباده، بالحكمة والموعظة الحسنة، متحليًا بالرفق فيما يأتي وما يذر، مجتهدًا كل الاجتهاد في تحسين سيرته، والإخلاص في علانيته[1] وسريرته، مصدقًا قوله بعمله، حتى يكون قدوة حسنة لغيره.

فمن صدق أقواله بأعماله صار من الفائزين، وكان في دعوته وإرشاده من أكبر الناجحين، ومن رزقه اللَّه الصبر واليقين أوضح اللَّه به الحق، وهدى به الخلق، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السَّجدَة: الآية ٢٤]. بخلاف من خالفت سريرته علانيته، وكذبت أعماله أقواله، فإنه حقيق بالحرمان والخذلان والمقت من اللَّه سبحانه.

وقد ذم اللَّه هذا الضرب من الناس بقوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٤٤]، وحذر من ذلك، حيث يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣].

وفي الصحيحين، عن أسامة بن زيد قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحا، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان ما لك؟ ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ فيقول: بلى! كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه»[2].

وكفى بهذا الحديث في التحذير والتنفير من مخالفة الداعي إلى اللَّه لمقتضى دعوته، وإبطانه خلاف ما يظهر، وبيان أن عاقبة ذلك هو البوار والخزي الدائم.

واللَّه المسئول أن يهدينا صراطه المستقيم، وأن يجنبنا طرق الضلال.

---

(١) في الأصل: «علانيه».
(٢) أخرجه البخاري (٣٢٦٧)، ومسلم (٢٩٨٩).

نصح وإرشاد[(١)]

مما لا شك فيه لذي عقل أن الأمم لابد لها من موجه يوجهها ويدلها على طريق السداد ، وأمة الإسلام هي أخص الأمم بالقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والواجب يحتم على كل مسلم بقدر استطاعته وعلى حسب مقدرته أن يشمر عن ساعد الجد في النصح والتوجيه حتى تبرأ ذمته ويهتدي به غيره ، قال تعالى : ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: الآية ٥٥]

ولا ريب أن كل مؤمن ، بل كل إنسان في حاجة شديدة إلى التذكير بحق اللَّه وحق عباده ، والترغيب في أداء ذلك ، وفي حاجة شديدة إلى التواصي بالحق والصبر عليه .

وقد أخبر اللَّه سبحانه في كتابه المبين عن صفة الرابحين وأعمالهم الحميدة ، وعن صفة الخاسرين وأخلاقهم الذميمة ، وذلك في آيات كثيرات من القرآن الكريم ، وأجمعها ما ذكره اللَّه سبحانه في سورة العصر حيث قال : ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١- ٣] فأرشد عباده عز وجل في هذه السورة القصيرة العظيمة إلى أن أسباب الربح تنحصر في أربع صفات :

الأولى : الإيمان . والثانية : العمل الصالح . والثالثة : التواصي بالحق . والرابعة : التواصي بالصبر .

فمن كمل هذه المقامات الأربعة فاز بأعظم الربح واستحق من ربه الكرامة والفوز بالنعيم المقيم يوم القيامة ، ومن حاد عن هذه الصفات ولم يتخلق بها باء بأعظم الخسران وصار إلى الجحيم دار الهوان .

وقد شرح اللَّه سبحانه في كتابه الكريم صفات الرابحين ونوعها وكررها في

---

(١) مجلة راية الإسلام ، العدد ١، السنة الثانية ، ذو الحجة عام ١٣٨٠هـ .

مواضع كثيرة من كتابه ؛ ليعرفها طالب النجاة فيتخلق بها ويدعو إليها ، وشرح صفات الخاسرين في آيات كثيرة ؛ ليعرفها المؤمن ويبتعد عنها . ومن تدبر كتاب اللّٰه وأكثر من تلاوته عرف صفات الرابحين وصفات الخاسرين على التفصيل ، كما قال سبحانه ذلك في آيات كثيرة ؛ منها ما تقدم ، ومنها قوله جل وعلا : ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: الآية ٩] ، وقال تعالى : ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: الآية ٢٩] ، وقال تعالى : ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: الآية ١٥٥]

وصح عن النبي ﷺ أنه قال : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » وقال ﷺ في خطبته في حجة الوداع على رؤوس الأشهاد يوم عرفة : « إني تارك فيكم ما لن تضلوا إن اعتصمتم به ، كتاب اللّٰه »

فبين اللّٰه سبحانه في هذه الآيات أنه أنزل القرآن ليتدبره العباد ، ويتذكروا به ، ويتبعوه ، ويهتدوا به إلى أسباب السعادة والعزة والنجاة في الدنيا والآخرة ، وأرشد الرسول ﷺ الأمة إلى تعلمه وتعليمه ، وبين أن خير الناس هم أهل القرآن الذين يتعلمون القرآن ويعلمونه غيرهم بالعمل به واتباعه والوقوف عند حدوده والحكم به والتحاكم إليه ، وأوضح عليه الصلاة والسلام للناس في المجمع العظيم يوم عرفة أنهم لن يضلوا ما داموا معتصمين بكتاب اللّٰه سائرين على تعاليمه .

ولما سار السلف الصالح والصدر الأول من هذه الأمة على تعاليم القرآن وسيرة الرسول ﷺ أعزهم اللّٰه ورفع شأنهم ومكن لهم في الأرض ، تحقيقا لما وعدهم اللّٰه به في قوله سبحانه : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى

شَيْـًٔا﴾ [النور: الآية ٥٥] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: الآية ٧] وقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ * ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١].

فيا معشر المسلمين: تدبروا كتاب ربكم وأكثروا من تلاوته، وامتثلوا ما فيه من الأوامر واجتنبوا ما فيه من النواهي، واعرفوا الأخلاق والأعمال التي مدحها القرآن، فسارعوا إليها وتخلقوا بها، واعرفوا الأخلاق والأعمال التي ذمها القرآن وتوعد أهلها فاحذروها وابتعدوا عنها، وتواصوا فيما بينكم بذلك، واصبروا عليه حتى تلقوا ربكم، وبذلك تستحقون الكرامة وتفوزون بالنجاة والسعادة والعزة في الدنيا والآخرة.

ومن أهم الواجبات على المسلمين العناية بسنة الرسول ﷺ والتفقه فيها والسير على ضوئها؛ لأنها الوحي الثاني، وهي المفسرة لكتاب الله، والمرشدة إلى ما قد يخفى من معانيه، كما قال الله سبحانه في كتابه الكريم: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: الآية ٤٤] وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: الآية ٨٩]، وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: الآية ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: الآية ٧] وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: الآية ٦٣]

والآيات الدالة على وجوب اتباع الرسول ﷺ وتعظيم سنته والتمسك بها والتحذير من مخالفتها أو التهاون بها كثيرة جدا يعلمها من تدبر القرآن الكريم وتفقه فيما جاء عن الرسول ﷺ من الأحاديث الصحيحة، ولا صلاح للعباد

ولا سعادة ولا عزة ولا كرامة ولا نجاة في الدنيا والآخرة إلا باتباع القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ ، وتعظيمهما والتواصي بهما ، في جميع الأحوال ، والصبر على ذلك ؛ كما قال الله عز وجل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: الآية ٢٤] وقال تعالى : ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النّحل: الآية ٩٧] ، وقال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: الآية ٨]

فأرشد الله سبحانه العباد في هذه الآيات الكريمات إلى أن الحياة الطيبة والراحة والطمأنينة والعزة الكاملة إنما تحصل لمن استجاب لله ولرسوله واستقام على ذلك قولا وعملا .

وأما من أعرض عن كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام واشتغل عنهما بغيرهما فإنه لا يزال في العذاب والشقاء والهموم والغموم والمعيشة الضنك ، وإن ملك الدنيا بأسرها ، ثم ينقل إلى ما هو أشد وأفظع وهو عذاب النار عياذا بالله من ذلك ، كما قال تعالى : ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ۝٥٤ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٤، ٥٥] ، وقال تعالى : ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا * وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤] ، وقال عز من قائل : ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السّجدَة: الآية ٢١] ، وقال سبحانه : ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤] .

قال بعض المفسرين : إن هذه الآية تعم أحوال الأبرار والفجار في الدنيا والآخرة ، فالمؤمن في نعيم في دنياه وقبره وآخرته ، وإن أصابه في الدنيا ما أصابه من أنواع المصائب كالفقر والمرض ونحوهما ، والفاجر في جحيم في دنياه وقبره وآخرته ، وإن أدرك ما أدرك من نعيم الدنيا ؛ وما ذاك إلا لأن النعيم في الحقيقة هو نعيم القلب وراحته وطمأنينته ، فالمؤمن بإيمانه بالله واعتماده عليه واستغنائه به وقيامه بحقه وتصديقه بوعده ، مطمئن القلب ، منشرح الصدر ، مرتاح الضمير .

والفاجر لمرض قلبه وجهله وشكه وإعراضه عن الله وتشعب قلبه في مطالب الدنيا وشهواتها ، في عذاب وقلق وتعب دائم ، ولكن سكرة الهوى والشهوات تعمي القلوب عن التفكير في ذلك والإحساس به .

فيا معشر المسلمين : انتبهوا لما خلقتم له من عبادة الله وطاعته وتفقهوا في ذلك واستقيموا عليه حتى تلقوا ربكم عز وجل ، فتفوزوا بالنعيم المقيم ، وتسلموا من عذاب الجحيم .

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣١، ٣٢] ، وقال عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣، ١٤] .

والله المسؤول أن يجعلنا وإياكم منهم ، وأن يعيذنا جميعا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا إنه على كل شيء قدير ، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه .

❁❁❁

من الجامعة الإسلامية بطيبة(١)

نداء إلى رؤساء العالم الإسلامي وإلى المسلمين عامة

أيها المسلمون في كل مكان؛ يا أتباع محمد بن عبد الله؛ نبي الهدى، ورسول الرحمة:

من مشرق أنوار الرسالة المحمدية؛ من دار الهجرة وعاصمة الإسلام الأولى، من البلد الذي خرجت منه جيوش الإسلام المظفرة تحمل مشاعل الهداية ومصابيح الحق لتبديد الظلام الذي كان يخيم على الدنيا، ولتحرير الإنسانية المعذبة من طغيان واستعباد الحكام والملوك، من طيبة الطيبة، من مأرز الإيمان من المدينة المنورة.

أيها المسلمون في المشارق والمغارب:

لقد جعل الله أمة محمد ﷺ خير الأمم، وجعل الرسالة التي بعث بها محمدًا أكمل الرسالات، وجعل الدين الإسلامي دينًا عامًا كاملًا سمحًا، صالحًا لكل زمان ومكان، فيه خير الدنيا وخير الآخرة، وفيه سعادة الدنيا والآخرة، وعز الدنيا والآخرة، فيه صلاح الفرد وصلاح المجتمع وصلاح الإنسانية جمعاء، كما قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: الآية ٣٨]، وقال عز وجل يخاطب نبيه ﷺ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: الآية ٨٩].

فيه تحرير للعقول من الأوهام، وتطهير للنفوس من الدنايا، وسمو بالإنسان عن مشابهة الأنعام.

وبفضل ما في الإسلام من سماحة ويسر، وبفضل ما في الإسلام من مثل عليا ومبادئ كريمة قويمة، امتد في فترة وجيزة لا تقاس ولا تذكر في عمر الأمم إلى

---

(١) مجلة الحج ٦/١٦ - ذو الحجة - ١٣٨١هـ.

الشرق والغرب، وخفقت راياته في غالب المعمورة، ودانت بالإسلام أمم وشعوب، وتحولت إلى شعوب عربية بلاد ما كانت تعرف ولا تدري ما العرب والعربية.

ولولا الإسلام، ولولا سماحة الإسلام، ولولا صلاحية المبادئ والنظم الإسلامية لما أصبحت مصر وليبيا وتونس والجزائر ومراكش والسودان والشام والعراق بلادًا عربية خالصة تدين بالإسلام وتتكلم بلغة القرآن.

وقبل الإسلام كان العرب قبائل متفرقة يحارب بعضهم بعضًا، ويسبي بعضهم بعضًا، فلما جاء الإسلام جمع كلمتهم، وألف بين قلوبهم، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۞ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

وبهذا النصر وهذا التأليف صاروا أمة واحدة قوية متماسكة؛ تدين بالإسلام، وتحكم بالإسلام، وتلزم الشعوب بالتحاكم إليه والعمل به، حتى استطاع البداة الحفاة أن يقهروا الأكاسرة الجبابرة، ويذلوا القياصرة العتاة، ويحملوا إلى الدنيا مبادئ الإسلام الطيبة من الإخلاص والعدالة والرحمة والإخاء والفضيلة. وما كان ذلك ليكون لو لم يكن هذا الدين من عند الله، وما كان ذلك ليتم لو لم يصقل الإسلام تلك النفوس التي حملته ويهذبها حتى جعلها تنتصر للإسلام، وتقدم الروح والمال فداء له مستحضرة قوله عز وجل: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ [محمد: الآية ٧]، وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾ [التوبة: الآية ١١١]

واستمر أمر المسلمين قويًا، وكلمتهم عالية، وسلطانهم غالبًا أمدًا طويلًا كانوا فيه بحق هم خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله.

فلما تغيرت مقاصدهم وشغلتهم الدنيا عن الدين، واستطابوا اللذات، وانغمسوا في الشهوات، غيَّر اللَّه حالهم وذلت دولتهم، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الأنفال: الآية ٥٣]، فتفرقت كلمتهم، وطمع فيهم عدو اللَّه وعدوهم، وأخذ الكثير مما بأيديهم، وسادهم من كان قبلُ مسودًا لهم، واشتد الأمر وعظم الخطب حتى لم يبق بلد مسلم لا يحتله أجنبي، وتتحكم فيه دولة كافرة دخيلة عليه، ما عدا أقطارًا قليلة قد صانها اللَّه من كيد الأعداء، ولكن اللَّه سبحانه- وله الحمد والمنة- ضمن لهذا الدين بقاءه، وأخبر الرسول ﷺ أنه: «لا تزال طائفة من أمته على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر اللَّه». فقيض اللَّه لدينه أنصارًا ودعاة لم تنطف شعلة الإيمان من قلوبهم، ولم يرضوا بالاستعباد، بل ظلوا وجاهدوا وقاوموا ما استطاعوا حتى أجلى الكثير منهم الأجنبي الغاصب عن بلادهم، وخلص للكثير من البلاد الإسلامية أمرها، وأصبحت يحكمها أبناؤها، إلا أن الواقع- مع كل أسف- لم يزل محزنًا؛ لأنه وإن كان العدو الدخيل والأجنبي المتسلط قد رحل عن البلاد الإسلامية التي كان يحتلها بجيوشه وأسلحته فقد ترك فيها ثقافته وأفكاره وأخلاقه وقوانينه، فأصبحت البلاد الإسلامية المستقلة تحكم بالقوانين الوضعية المستوردة من الشرق والغرب، وفشى في هذه البلاد الكثير من التعاليم والأخلاق والمبادئ التي تتنافى مع الإسلام ولا يقبلها الدين الحق، ولا تحقق لهذه البلاد خيرًا ولا عزة ولا تقدمًا، وتخلوا عن شريعة السماء ودستور الإسلام المستمد من القرآن الكريم وسنة النبي الأمين، ولن يستقيم للمسلمين أمرهم ويستردوا عزتهم ومجدهم وينالوا سعادة الدنيا ونعيم الآخرة حتى يعودوا إلى المنابع الأصيلة في الإسلام، كتاب اللَّه المحكم، وسنة نبيه المطهرة، يستقون منهما قوانينهم، ويستلهمون منهما نظمهم، ويستهدون بهما فيما يفعلون وفيما يذرون، وفي الحديث الشريف عن

النبي ﷺ : « لقد تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما ؛ كتاب الله ، وسنتي »(١) . وصح عنه ﷺ أنه قال في خطبته في حجة الوداع يوم عرفة : « إني تارك فيكم ما لن تضلوا إن اعتصمتم به : كتاب الله »(٢) .

فالإسلام عني أول ما عني بإصلاح النفوس وتطهير القلوب وتقويم الأفكار ، فلا يعبد المسلم إلا الله ، ولا يستعين ولا يستعيذ ولا يستغيث إلا به ، ولا يرجو ولا يخشى إلا إياه ، ولا يتقرب بالذبائح والنذور وغيرها إلا إليه سبحانه : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣] الآية ، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: الآية ٥] .

فهو بالله ، وأمره كله بيد الله ، ولا يقربه من الله وينجيه من عذابه إلا عمله وحسناته ، لا نسبه وسلطانه ولا ماله وأولاده ، كما قال تعالى : ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سبإ: الآية ٣٧] ، وقال تعالى : ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: الآية ٣٢] ، وقال عز وجل : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: الآية ١٣] . وفي الحديث الشريف عن النبي ﷺ : « من بطأ به عمله ، لم يسرع به نسبه »(٣) .

والمعول بعد ذلك كله على رحمة الله وعفوه ، لا على مجرد العمل ، وإنما الأعمال أسباب للنجاة وضدها ، كما قال النبي ﷺ : « لن يدخل الجنة أحدًا منكم عمله » . قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل »(٤) .

---

(١) أخرجه البزار (٨٩٩٣) ، والدارقطني ٢٤٥/٤ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه مسلم (١٤٨/٢١٨) من حديث جابر رضي الله عنه .

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) أخرجه البخاري (٥٦٧٣، ٦٤٦٣) ، ومسلم (٢٨١٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

والله سبحانه هو المطلع على سريرة العبد لا يخفى عليه من أمره شيء، ولذلك كان المسلم الصادق قويًا كأقوى ما يكون الإنسان؛ لأنه يستمد قوته من الله، ونحن أيها المسلمون نتساءل: ماذا في الإسلام مما يعسر تطبيقه ولا يطاق تنفيذه حتى لا يعمل به المسلمون وتسير على منهاجه الحكومات الإسلامية ؟!

نجد الجواب واضحًا بينًا لكل من عرف الإسلام: لا صعوبة، لا مشقة، كله مستطاع، كله ميسر، أحكامه عادلة، تعاليمه سمحة، وشرائعه حكيمة، لم يكلف الله العباد ما لا طاقة لهم به، بل يسر سبحانه وسهل، كما قال عز وجل: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: الآية ١٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ﴾ [الحج: الآية ٧٨]. وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه»[(١)]. وقال ﷺ: «بُعثت بالحنيفية السمحة»[(٢)]. وقال عليه الصلاة والسلام: «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا»[(٣)].

فالإسلام هو دين الفطرة، لا يتنافى أبدًا مع فطرة الإنسانية السليمة وتطورات البشر؛ لأنه فطرة الله التي فطر الناس عليها، فيه تحديد للعلاقة بين العبد وربه، وبيان حق الله عليه وحقه على الله، فحق الله على العبد أن يعبده وحده ولا يعبد سواه، وحق العبد على الله إذا أدى حقه أن يدخله الجنة ويجيره من النار، كما قال عز وجل: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: الآية ١٧]. وفي الحديث الصحيح يقول النبي ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٥/٢٦٦ من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٩٢٤).

(٣) أخرجه البخاري (٦٩، ٦١٢٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

لمعاذ : « أتدري ما حق اللَّه على العباد ، وما حق العباد على اللَّه ؟ » قلت : اللَّه ورسوله أعلم . قال : « حق اللَّه على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا ، وحق العباد على اللَّه أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا »(١) .

ومعلوم أن بين الحقين فرقًا عظيمًا ؛ فحق اللَّه على عباده حق عظيم مفترض يجب عليهم التزامه والمحافظة عليه ، ولا سعادة لهم إلا به ، وأما حقهم على اللَّه فهو حق تفضل وإحسان ؛ لأنه سبحانه هو الذي هداهم وأعانهم على الخير ، ثم تكرم عليهم بالنجاة من النار ودخول الجنة ، فله الفضل سبحانه أولًا وآخرًا .

وفي الإسلام أيضًا تحديد العلاقة بين الرعية والراعي ، فعلى الراعي أن ينصف الرعية ، وأن يجهد لهم في الخير ، وأن يحكم فيهم شرع اللَّه ويلزمهم به ، وأن يسعى جاهدًا في جلب الخير إليهم ، ودفع الشر عنهم ، وأن يبذل وسعه في تعليم جاهلهم ، وإرشاد ضالهم ، وسد حاجتهم ، وتقويم معوجهم ، وتوجيههم إلى كل ما ينفعهم في الدنيا والآخرة ، ومنعهم من كل ما يضرهم في الدنيا والآخرة ، وأن يحفظ مال الدولة ويصونه عن أسباب الضياع ، ويصرفه في مصالح الرعية الدينية والدنيوية ، وأن يحذر كل الحذر من التبذير والإسراف وإضاعة المال في غير حقه .

وعلى الرعية أن يسمعوا له ويطيعوه في معروف ، وأن يساعدوه على الخير ، وينصحوا له ظاهرًا وباطنًا ، ويدعوا له بظهر الغيب بالهداية والتوفيق وصلاح السريرة والعلانية ، ويتواصوا بذلك فيما بينهم ؛ لأن بذلك سعادة الجميع وصلاحهم وأمن بلادهم ورضى اللَّه سبحانه عنهم .

وأدلة هذا كثيرة منها قوله سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: الآية ٥٩] الآية . وقول النبي ﷺ : « الدين

(١) أخرجه البخاري (٥٩٦٧، ٦٢٦٧، ٦٥٠٠) ، ومسلم (٣٠) من حديث معاذ بن جبل رضي اللَّه عنه .

النصيحة » . قالها ثلاثا . قيل : لمن يا رسول اللَّه ؟ قال : « للَّه ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم »[١] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ما من عبد يسترعيه اللَّه رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم اللَّه عليه الجنة » . متفق على صحته[٢] . وفي لفظ آخر : « ما من عبد يسترعيه اللَّه رعية ثم لا يجهد لهم وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة » . أخرجه مسلم في صحيحه[٣] .

وفي صحيحه أيضًا عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت : قال رسول اللَّه ﷺ : « اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به ، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فشق عليه »[٤] .

وفي صحيح البخاري عن خولة الأنصارية رضي اللَّه عنها أن النبي ﷺ قال : « إن رجالًا يتخوضون في مال اللَّه بغير حق فلهم النار يوم القيامة »[٥] .

وقال ﷺ : « على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية اللَّه ، فإن أمر بمعصية اللَّه فلا سمع ولا طاعة »[٦] . وقال ﷺ : « إنما الطاعة في المعروف ، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق »[٧] .

وروي عن أبي بكر الصديق رضي اللَّه عنه أنه قال في بعض خطبه : « أطيعوني ما أطعت اللَّه فيكم ، فإذا عصيت اللَّه فلا طاعة لي عليكم »[٨] .

---

(١) أخرجه البخاري (٣١١٨) .
(٢) أخرجه البخاري (٧١٥٠) ، ومسلم (٢١/١٤٢) من حديث معقل بن يسار رضي اللَّه عنه .
(٣) أخرجه مسلم (٢٢/١٤٢) .
(٤) أخرجه مسلم (١٩/١٨٢٨) .
(٥) أخرجه البخاري (٣١١٨) .
(٦) أخرجه البخاري (٧١٤٤) ، ومسلم (١٨٣٩) من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما .
(٧) أخرجه البخاري (٤٣٤٠، ٧١٤٥، ٧٢٥٧) ، ومسلم (١٨٤٠) من حديث علي رضي اللَّه عنه .
(٨) أخرجه عبد الرزاق (٢٠٧٠٢) .

وكثير من الناس قد يفهم هذا الأثر على غير معناه، ومعناه الذي لا ريب فيه ولا يجوز حمله على غيره: أن على الرعية السمع والطاعة للراعي بالمعروف، فإذا عصى الله فلا طاعة له عليهم في ذلك الأمر الذي عصى الله فيه.

وليس معناه أنه بالمعصية تزول ولايته ولا يطاع في بقية أوامره، كما يعتقده الخوارج، وهو اعتقاد باطل، وخلاف ما عليه أهل السنة والجماعة، والأدلة السالفة تدل على بطلانه. ويدل على بطلانه أيضًا ما صح عنه ﷺ من حديث عبادة، قال: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم[١].

وفي رواية أخرى عنه: قال: دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه، فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، قال: «إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان»[٢].

وفي الإسلام أيضًا تحديد لحق المسلم على المسلم كما قال عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحُجرَات: الآية ١٠]، وقال النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[٣].

وروي عنه ﷺ: «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»[٤].

وقال ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا». وشبك بين

(١) أخرجه البخاري (٧١٩٩)، ومسلم (٤١/١٧٠٩).

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٥٦)، ومسلم (٤٢/١٧٠٩).

(٣) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (٧٤٧٣) من حديث حذيفة رضي الله عنه. وقال الألباني في الضعيفة (٣١٠): ضعيف جدًا.

أصابعه[١] . وقال ﷺ : « مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر »[٢] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يكذبه ولا يخذله ولا يحقره ، ومن كان في حاجة أخيه المسلم كان اللَّه في حاجته ، واللَّه في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه »[٣] . والآيات والأحاديث في هذا كثيرة .

وفي الإسلام أيضًا تنظيم المعاملات بين الناس للبيع والشراء ، والأخذ والإعطاء ، والمداينات والمعاهدات ، والسياسة الداخلية والخارجية ، وتنظيم العلاقات بين الدول ، والجنيات ، والخصومات ، وأخذ حق المظلوم من الظالم ، وتنظيم الحدود الرادعة عن الجرائم ، وغير ذلك من شؤون المجتمع وأحوال العباد .

كل ذلك قد نظمه اللَّه سبحانه في شرعه الحكيم أحسن تنظيم ، ورتبه أكمل ترتيب ، على وجه يضمن المصالح العامة والخاصة ويدرأ المفاسد والأضرار العامة والخاصة ؛ لأنه تنظيم من حكيم عليم يعلم أحوال العباد ونزعاتهم وطبائعهم ، وما يصلحهم وما يفسدهم ، ويعلم ما وقع منهم في الماضي وما سيقع في المستقبل ، ويعلم تطوراتهم كلها الماضي منها واللاحق .

ولو اجتمعت عقول البشر كلهم من أولهم إلى آخرهم على أن يأتوا بأحسن مما شرعه اللَّه ، أو بمثل ما شرعه ، أو قريب منه ، لم يستطيعوا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا ؛ لأن عقولهم محدودة وقواهم محدودة وعلمهم محدود ، وليس

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨١، ٢٤٤٦) ، ومسلم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسى الأشعري رضي اللَّه عنه .

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١١) ، ومسلم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي اللَّه عنه .

(٣) أخرجه البخاري (٢٤٤٢، ٦٩٥١) ، ومسلم (٢٥٨٠) .

لهم من علم الغيب شيء: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: الآية ٦٥]. وقال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: الآية ٨٨]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: الآية ٣٣]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: الآية ٩٠].

والله سبحانه هو الرقيب على القلوب والضمائر، وهو العليم بأحوال السرائر، وليس في القوانين البشرية والأوضاع الأرضية شيء من ذلك، كما قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: الآية ١٩]، وقال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النحل: ١٧- ١٩].

وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبهم وأعمالكم»(١).

وفيما شرع الله من العبادات كالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتفكر في آيات الله ومصنوعاته طهرةٌ للعباد، وزكاة لنفوسهم، وصلاح لقلوبهم وأعمالهم، وتحرير لعقولهم وأفكارهم، وبذلك يصلحون لمناجاة الله والوقوف بين يديه، والفوز بكرامته ونصره في الدنيا والآخرة، كما قال عز وجل: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: الآية ٤٥]. وقال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: الآية ١٠٣]، وقال

(١) أخرجه مسلم (٣٤/٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: الآية ١٨٣] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا ، غفر اللَّه له ما تقدم من ذنبه »(١) . وقال عليه الصلاة والسلام : « مَن حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه »(٢) . وفي لفظ آخر ، يقول عليه الصلاة والسلام : « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة »(٣) .

وصح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « مثل المجاهد في سبيل اللَّه ، واللَّه أعلم بمن يجاهد في سبيله ، كمثل الصائم القائم »(٤) . وقال عليه الصلاة والسلام : « مثل القائم في حدود اللَّه والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ، ولم نؤذ من فوقنا . فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا » . رواه البخاري(٥) .

والقائم في حدود اللَّه هو القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والواقع فيها هو العاصي . فبين عليه الصلاة والسلام أن قيام المسلمين- ولا سيما ولاتهم- بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نجاة للجميع ، وأن ترك ذلك والإعراض عنه هلاك للجميع ، واللَّه المستعان .

فإلى ملوك المسلمين وزعمائهم وقادة العالم الإسلامي نتوجه بهذا النداء :

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨، ١٩٠١) ، ومسلم (٧٦٠) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه .
(٢) أخرجه البخاري (١٥٢١، ١٨١٩) ، ومسلم (١٣٥٠) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه .
(٣) أخرجه البخاري (١٧٧٣) ، ومسلم (١٣٤٩) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه .
(٤) أخرجه البخاري (٢٧٨٧) ، ومسلم (١٨٧٨) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه .
(٥) أخرجه البخاري (٢٤٩٣) من حديث النعمان بن بشير رضي اللَّه عنه .

فأمر المسلمين أمانة في أعناقهم وبيدهم إعزازهم وإنقاذهم بإذن اللَّه ومعونته ، وهم المسؤولون عنهم أمام اللَّه وأمام التاريخ وأمام الأجيال المقبلة . إننا ندعوهم إلى الرجوع إلى نهج محمد وخلفاء محمد ؛ ندعوهم إلى تطبيق أحكام الإسلام واتباع تعاليم الشريعة ، وأن ينبذوا الدساتير والقوانين الوضعية وراء ظهورهم . فإن الإسلام بأحكامه وتعاليمه وأخلاقه هو دين اللَّه الذي بعث به الرسل ، وأنزل به الكتب ، وجعله صراطًا موصلًا إليه ، ولا يقبل من أحد دينًا سواه ، وليس لمن لقيه بغيره يوم القيامة نجاة ولا سعادة ، كما قال عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عِمران: الآية ١٩] ، وقال تعالى : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عِمران: الآية ٨٥] . وقال عز وجل : ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المَائدة: الآية ٥٠] ، وقال عز وجل : ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المَائدة: الآية ٤٤] .

وقال وهو أصدق القائلين يخاطب رسوله الأمين : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النِّساء: الآية ٦٥] . والآيات في هذا المعنى كثيرة .

وإننا لنرجو أن يجد هذا النداء القلوب الواعية والآذان الصاغية والنفوس المؤمنة التي ننشد للمسلمين عز الدارين ونيل السعادتين دنيا وأخرى .

واللَّه المسئول أن يهدينا جميعًا صراطه المستقيم ، وأن يرينا الحق حقًّا ويوفقنا لاتباعه ، وأن يرينا الباطل باطلًا ويوفقنا لاجتنابه ، وأن يمن على الجميع بالرجوع إلى كتابه وسنة نبيه ﷺ ، وتحكيمهما والتحاكم إليهما ، والسلامة مما خالفهما ، إنه على كل شيء قدير ، والحمد للَّه رب العالمين . وصلى اللَّه وسلم على عبده ورسوله سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

نداء

من رئاسة الجامعة الإسلامية إلى المسلمين لمعاونة إخوانهم الجزائريين[(١)]

إن رئاسة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تهيب بإخواننا المسلمين في كل مكان ، وخاصة في هذه المملكة التي أفاء اللّٰه عليها من نعمة اليسر والرخاء والاطمئنان ما لم يكن متوفرًا لغيرها في كثير من أنحاء العالم .

إنها تهيب بالجميع أن يسرعوا بمد يد المعونة إلى إخوانهم في الدين من أبناء الجزائر الذين أذاقهم الحكم الفرنسي الكافر شتى صنوف العذاب ، وحاول طيلة مدة حكمه لبلادهم أن يخرجهم من دينهم وعقيدتهم بما غمر به بلادهم من مبادئ الإلحاد والزيغ .

أيها المسلمون : إن الجزائريين إخوان لكم في الدين ، وإنهم يجاهدون للتخلص من حكم كافر ملحد ؛ ولذلك فإن مساعدتهم ومعاونتهم واجبة على كل مستطيع ، وخاصة بالمال ، فإن الجهاد بالمال قد ورد في أكثر الآيات القرآنية مقدمًا على الجهاد بالنفس ، كما في قوله تعالى : ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: الآية ٤١] ، وقوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٠- ٢٢] .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ

---

(١) مجلة المدينة المنورة عدد (١٠٢٧) ، ١٣٨١/٧/٢٨هـ. صحيفة القصيم العدد ١٠٨ في ١٣٨١/٩/١٠هـ.

وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: الآية ١٥].

وقدم النفس في آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَۚ﴾ [التوبة: الآية ١١١].

فيا أيها المؤمن الكريم، قد اشترى الله منك نفسك ومالك، ووعدك على ذلك بالجنة، فقدم من هذا المال الذي هو مال الله ما ترضي به الله، وتنفع إخوانك المحاويج المضطرين إلى عونك ومساعدتك تفز بالخلف الكثير والأجر الجزيل، وتساهم بإحسانك في إنقاذ أمة عظيمة من المسلمين مما أصيبوا به من البؤس والعوز.

أيها المسلمون: إن إخوانكم في الجزائر بحاجة إلى أية معونة تقدمونها، وإن كل واحد منا يستطيع ذلك بقدر إمكانه وطاقته، قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: الآية ١٦]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: الآية ٧]. وقال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

وأبشروا بالخلف والأجر كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًاۚ﴾ [المزمل: الآية ٢٠]. وقوله عز وجل: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: الآية ٣٩].

إننا جميعا نستنكر تلك الأعمال الوحشية المنافية للمبادئ الإسلامية والأخلاق الإنسانية الكريمة التي تقوم بها فرنسا ضد أهل الجزائر المجاهدين، ولكن هذا لا يكفي، بل لا بد من العمل الذي يحقق ما نقول، وذلك بالمساعدة الفعالة لإخواننا. وكل منا يستطيع أن يساهم في هذا العمل من قليل أو كثير، فإذا اجتمعت مساهمتك مع مساهمة غيرك صارت كبيرة مجدية.

إن إخوانكم من اللاجئين الجزائريين ما بين أيتام صغار وشيوخ وعجزة وأرامل مات عائلوهم، وهم يبلغون مئات الألوف نسمة حسب النشرات المعروفة للجميع، وهم محتاجون للصدقة بالنقود والملابس وغير ذلك من أنواع المال، فارحموهم واعطفوا عليهم ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: الآية ١٩٥].

أيها المسلمون: تذكروا أن هؤلاء المحتاجين ليس لهم في الحقيقة من يرعاهم من المخلوقين غيركم، أنتم إخوانهم وأهل الشفقة عليهم.

فهل تنتظرون من الفرنسيين وإخوانهم في الكفر والإلحاد ومعاداة الإسلام أن يساعدوهم، أو أن يمسحوا جراحهم أو يواسوهم في مصابهم.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة»(١). وقال ﷺ: «من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته»(٢). وقال عليه الصلاة والسلام: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا، وشبك بين أصابعه»(٣). وقال ﷺ: «مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»(٤). وقال أيضًا: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر عن شماله فلا يرى إلا ما قدم، وينظر تلقاء وجهه فلا يرى إلا النار، فاتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة»(٥).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، مطولًا.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٨٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

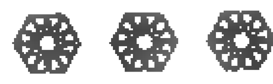
(٣) أخرجه البخاري (٤٨١، ٢٤٤٦) ، ومسلم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري (٧٤٤٣، ٧٥١٢) ، ومسلم (١٠١٦) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

أيها المسلمون : هذه آيات القرآن تتلى عليكم ، وهذه أحاديث الرسول ﷺ تزف إلى مسامعكم ، فاتقوا اللَّه في إخوانكم ، وأحسنوا إليهم ، وواسوهم بما تستطيعون ، وحققوا ما أمر اللَّه به ورسوله من الجهاد والإحسان بالعمل المثمر ، والمواساة الفعالة ، والتشجيع على ذلك ، والترغيب فيه ، تنالوا من اللَّه الأجر الجزيل والخلف الكثير ، والعاقبة الحميدة .

واللَّه المسؤول أن يوفق الجميع لكل خير ، وأن يعيذنا وإياكم من الشح والبخل ، وأن يحقق لإخواننا الجزائريين النصر والعاقبة الحميدة ، وأن ينزل بأسه بأعدائه الكافرين ، إنه على كل شيء قدير ، وصلى اللَّه وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .



فضيلة رئيس الجامعة الإسلامية بالنيابة
يعلق على كلمة الأستاذ أحمد عبد اللّٰه الفاسي[(١)]

قرأنا في صحيفة « المدينة » الغراء بعددها (١٠١٦) في ٢٠- ٦- ١٣٨١هـ كلمة للأستاذ أحمد عبد اللّٰه الفاسي حول الجامعة الإسلامية ، ملخصها هو ما يلي :

١- رغبة الأستاذ أحمد أن يكون للجامعة الإسلامية معاهد تابعة لها في مختلف أقطار الإسلام النائية .

٢- إنشاء كليات للتخصص ودراسات كتب المستشرقين حول الإسلام ؛ ما له وما عليه عندهم ؛ لتفنيد ما افتروه على الإسلام .

٣- إنشاء كليات للغات إلى جانب اللغتين الإنجليزية والفرنسية المقرر تدريسهما في الجامعة .

كما حملت إلينا نفس هذه الصحيفة في عدد (١٠٢٠) في ٤- ٧- ٨١ كلمة للأستاذ أحمد المذكور تدور حول الجامعة الإسلامية أيضا تتلخص في الآتي :

١- يرى الأستاذ تدريس المذاهب الأربعة في الجامعة ، وزيادة عدد المدرسين لهذا الغرض .

ورئاسة الجامعة تعلق على ما ذكر بما يأتي ؛ شاكرة الأستاذ الكاتب على همته وعظيم عنايته ، ونسأل اللّٰه لنا وله الجزيل من التوفيق والإخلاص :

لا يخفى على الكاتب والقراء بأن الجامعة في بداية الطريق إلى الهدف الأسمى ، وأن أمرًا كهذا يتطلب التريث والتروي حتى يتم الوصول إلى الأهداف الكريمة بسير ثابت متزن .

---

(١) صحيفة المدينة المنورة - العدد (١٠٣٠) في ١٠ شعبان ١٣٨١هـ.

ولا شك أن إعداد معاهد دينية في الأقطار الإسلامية لتمتد الجامعة أمر حقيق بالاعتناء والإيجاد، ولكن كما قلنا: إن ذلك يحتاج إلى صبر وأناة، وعسى اللَّه أن يحقق المطالب العالية على خير وجه وأكمله.

وأما عن إنشاء قسم للتخصص وما إلى ذلك، فهو اقتراح في محله وسيتحقق إن شاء اللَّه في وقته.

أما عن إنشاء كلية للغات- كما أشار إليه الكاتب- فهو محل نظر، وسيعرض إن شاء اللَّه في مجلس الجامعة الإداري والاستشاري للنظر في صالح الجامعة وطلابها.

أما رأي الكاتب في كلمته الثانية: تدريس المذاهب الأربعة ... إلخ.

فتعليقنا: أنه لا شك أن الكاتب وغيره من القراء قد قرءوا ما علقناه حيال هذه المسألة، وهذا لا يعفينا من التعليق عليه هنا:

كلنا يدرك ما لتدريس الفقه على المذاهب الأربعة من نفع بالغ وفائدة عظيمة إذا درس على نهج قويم، وكان المدرس ذا نظر ثاقب ...[1] في الشريعة، وذا قدرة على الغوص في أعماقها الغزيرة.

والتدريس لمادة الفقه في الجامعة- كما أسلفت في تعليقاتنا الماضية- لا يقتصر على شرح قضية المذهب المقرر تدريسه، بل يتوسع المدرس وكأنه يدرس مذاهب لا مذهبًا واحدًا، ويوقف الطالب على القول الأسعد بالدليل من الكتاب والسنة أو من أحدهما، على أننا لا نألوا جهدًا في رفع مستوى طالب الجامعة العلمي في جميع الفنون.

وقد سبق في الكلمة الماضية أن تدريس المذاهب الأربعة سيُنظر في مجلس الجامعة، ويقرر ما تقضي به المصلحة العامة في المستقبل.

(١) كلمة غير واضحة في الأصل.

حقق اللَّه الآمال الصالحة للمسلمين في هذه الجامعة الفتية، وفي كل أمورهم.

ولنا ملاحظة هامة على كلمة الكاتب هنا لابد منها، وهي تتعلق بقوله عن المذاهب الأربعة: وليس واحد منها مخالفًا للكتاب والسنة، بل كلها تسير على هديهما.. إلى قوله: مضافًا إلى ذلك أن تغلغل هذه المذاهب في الأصقاع الإسلامية يجعل من العسير على خريجي الجامعة إرشاد العامة هناك.. إلى قوله أيضا: ما دامت هذه المذاهب الأربعة هي المعتمدة، والتي لا نستطيع أن ننكر عليها شيئًا خارجًا عن الدين.

أقول: إن في هذا الكلام إجمالًا وإبهامًا يحتاج إلى إيضاح وتفصيل، فإن أراد الكاتب بهذا الكلام أن أئمة المذاهب الأربعة رحمة اللَّه عليهم وأتباعهم المعروفين بالعلم والإنصاف متمسكون بالكتاب والسنة، وسائرون على هديهما حسب اجتهادهم وتحريهم للحق، فهذا صحيح، وهذا شأن كل عالم منصف؛ إنما يسعى ويهدف إلى موافقة الكتاب والسنة، والسير على ضوئهما، ثم قد يخطئ وقد يصيب، فإن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر كما دلت على ذلك السنة الصحيحة.

وإن أراد الكاتب- وما أظنه أراد ذلك، إلا أن كلامه يوهم- أن جميع المذاهب ليس فيها شيء مخالف للشرع، فليس ذلك بصحيح، بل هو خطأ ظاهر؛ لأن الحق في مسائل الخلاف واحد وهو ما وافق الكتاب والسنة وما خالف ذلك فهو خطأ، ولكن لا يلزم من الحكم على القول بأنه خطأ أن يكون قائله آثما؛ لأنه قد يقوله عن اجتهاد وطلب للحق، فيؤجر على اجتهاده وإن فاته أجر الصواب.

أما من عرف الحق من الأتباع وحاد عنه وأخذ بالخطأ ودافع عنه؛ تقليدًا لقائله وتعصبًا له، أو متابعة للهوى، فهذا آثم ومخالف لهدي السلف الصالح

الذين منهم الأئمة الأربعة ؛ لأن الواجب بإجماع المسلمين هو اتباع الحق والتمسك به والدعوة إليه وإن خالف مذهبك وهواك ، كما قال اللَّه سبحانه في كتابه الكريم : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النِّساء: الآية ٦٥] . وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النِّساء: الآية ٥٩]

فأوجب سبحانه وتعالى على المسلمين إذا تنازعوا في شيء أن يردوه إلى اللَّه والرسول ، فالرد إلى اللَّه هو الرد إلى كتابه ، والرد إلى الرسول هو الرد إليه ﷺ في حياته ، والرد إلى سنته بعد وفاته .

وقد أجمع المسلمون على هذا المعنى ، قال الإمام الشافعي رحمه اللَّه : أجمع الناس على أنه من استبانت له سنة رسول اللَّه ﷺ ، لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس كائنًا من كان . وقد قال الرسول ﷺ : « كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى » . قيل : يا رسول اللَّه ، ومن يأبى ؟ قال : « من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى »(١) .

وبهذه النصوص يعلم الكاتب والقراء أن النجاة والعصمة والسلامة والفوز بالجنة في اتباع الكتاب والسنة ، لا فيما خالف ذلك .

ومعلوم عند العلماء أن في كل واحد من المذاهب الأربعة مسائل مخالفة للكتاب والسنة ، فلا يجوز لمن عرفها أن يأخذ بها تقليدًا لمن قالها وتعصبًا له ، بل يجب عليه أن يأخذ بما قام عليه الدليل من القرآن والسنة ، وإن خالف مذهبه وهواه .

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٠) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه .

وقد أوصى الأئمة الأربعة بذلك ، وحذروا من تقليدهم ، وكلامهم في هذا معروف ، وقد سبق كلام الشافعي في ذلك .

ولولا خشية الإطالة على الكاتب والقراء لقلنا كلامهم في ذلك ، ونقلنا من المسائل التي خالفت الدليل شيئًا كثيرًا ، ولكن لا بأس أن نذكر من ذلك مسائل قليلة ، يعرف منها الكاتب والقراء صحة ما ذكرناه ؛ فمن ذلك أنه ذهب أبو حنيفة رحمه اللَّه وجماعة من العلماء إلى أنه لا يشرع للمصلي رفع يديه إلا عند تكبيرة الإحرام خاصة ، وذهب جمهور العلماء إلى شرعية رفعهما عند الركوع ، والرفع منه ، وذهب جماعة من العلماء أيضًا إلى شرعية رفعهما عند القيام من التشهد الأول إلى الثالثة ، وهذا هو الحق لصحة الأحاديث عن النبي ﷺ أنه رفع في هذه المواضع الأربعة .

فهل يجوز لمسلم عرف صحة الأحاديث عن النبي ﷺ في الرفع في هذه المواضع[1] يقول : إن عدم الرفع عند الركوع والرفع منه والقيام من التشهد الأول غير مخالف للسنة .

ولكن لا يلزم من هذا أن نقول : إن القائلين بعدم الرفع في المواضع الثلاثة آثمون ؛ لأنه لا يلزم من الخطأ أن يكون المخطئ آثمًا ، كما تقدم إيضاح ذلك قريبًا ، لأنهم قد قالوه عن اجتهاد وطلب للحق ، فيكون لهم أجر الاجتهاد ، ويفوتهم أجر الصواب .

وللعلماء أعذار كثيرة فيما يخطئون فيه ؛ منها : عدم بلوغ الدليل لهم ، أو عدم صحته عندهم ، أو وجود دليل يعارضه ، إلى غير ذلك من الأعذار التي ذكرها العلماء في محلها ، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالته : « رفع الملام عن الأئمة الأعلام » .

ومن المسائل المخالفة للشرع ما قاله مالك رحمه اللَّه ، في رواية عنه ،

---

(١) في الأصل : « المواضيع » .

وجماعة من العلماء : أن المشروع إرسال اليدين حين القيام للصلاة ، ولا شك أن هذا خطأ مخالف للسنة الصحيحة ؛ إذ قد صح عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة ، أنه كان يأخذ شماله بيمينه حين قيامه في الصلاة . وصح عنه ﷺ من حديث سهل بن سعد أنه أمر بذلك[١] . وثبت من حديث وائل بن حجر وغيره أنه كان ﷺ يضعها على صدره[٢] .

فهل يجوز لمسلم عرف السنة أن يقول : إن إرسال اليدين حين القيام في الصلاة غير مخالف للسنة .

ومن ذلك قول مالك وأبي حنيفة رحمهما اللّٰه : إن البيع يلزم بمجرد العقد ، وليس للبيعين خيار المجلس ، وقد صح عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة في « الصحيحين »[٣] وغيرهما أنه قال : « البيعان بالخيار حتى يتفرقا » . الحديث .

وهناك مسائل ثلاث ننبه الكاتب والقراء على ما وراءها من المسائل الكثيرة ، والمطلوب من الداعي إلى اللّٰه من خريجي الجامعة وغيرهم ، أن يرشدوا الناس إلى ما دل عليه الكتاب والسنة من العقيدة الصحيحة والأحكام ، وليس المطلوب منهم أن يشرحوا للناس مذاهب الأئمة الأربعة ، ثم ينقلوهم عنها .

ومعلوم أن العامي مذهبه مذهب مفتيه ، والمفتي يجب أن يرشد الناس إلى الحق ؛ وهو ما وافق الكتاب والسنة ، لا إلى مذهب فلان وفلان .

واللّٰه المسئول أن يوفقنا وسائر المسلمين لما يرضيه ، وأن ينفع المسلمين بهذه الجامعة ، وأن يخرج منها دعاة مصلحين ، وهداة مهتدين ، وأن يجعلها منبر خير وهدى وسبيل نجاة وسعادة لجميع المسلمين ، إنه على كل شيء قدير . وصلى اللّٰه وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه .

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠) .

(٢) أخرجه ابن خزيمة (٤٧٩) ، والبيهقي ٢/ ٣٠. وانظر لأصل صفة صلاة النبي ﷺ .

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٧٩) ، ومسلم (١٥٣٢) من حديث حكيم بن حزام رضي اللّٰه عنه .

الشيخ عبد العزيز بن باز
يعلق على خطاب الرئيس القوتلي[(١)]

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد اطلعت على التصريح الخطير الذي صرح به فخامة الرئيس «شكري القوتلي» ردًّا على الخطاب الذي وجه لفخامته في الاحتفال الذي نظمته «كراتشي» للترحيب به حيث قال: إن العالم الإسلامي يجب ألا يقتدي بالشرق أو الغرب، ولكن يجب أن يسير وفقًا لتعاليم القرآن الكريم.

نعم اطلعت على هذا التصريح فبعث في نفسي السرور والتفاؤل؛ لأنه صدر من زعيم كبير ورئيس محترم، وبصلاح القادة تصلح الشعوب، وأن ما صرح به الرئيس هو ما يعتقده علماء الإسلام ويدعون إليه، كما دعى الله إليه في كتابه الكريم بقوله سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام: الآية ١٥٣]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ﴾ [المائدة: الآية ٤٩]. وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: الآية ٩]. وقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: الآية ٨٩].

إلى أمثال هذه الآيات الدالة على وجوب التمسك بما أنزل الله والتحاكم إليه؛ لأن فيه حل كل مشكل، والهداية إلى أقوم السبل.

وهذا هو الذي لم يزل جلالة الملك سعود يلهج به ويدعو إليه عند كل مناسبة؛ حرصًا على هداية البشر وجمع كلمتهم على هذا الدستور والنازل من عند الله على خير أنبيائه وخاتمهم، وهو ذلك الكتاب العظيم الذي لا يأتيه الباطل

(١) صحيفة اليمامة العدد (٦٦) في ١٣٧٦/٧/٣هـ.

من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

وإنا لنرجو أن نسمع مثل هذا التصريح من بقية رؤساء الدول المنتسبة للإسلام تصريحًا متبعًا بالعمل ؛ لكي ينال المسلمون النصر من ربهم والعزة والسعادة في دنياهم وأخراهم ، كما وعدهم اللَّه بذلك في قوله : ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: الآية ٧] . وقوله : ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ * ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١] . وقوله : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: الآية ٨] .

أما أن تنشر التصريحات وتتخلف الأعمال ، وتؤمن الألسنة وتأبى القلوب ، فذاك ما تعبنا من سماعه ، وعابنا به أعداؤنا ، كما ذمه اللَّه من قبل في قوله تعالى : ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: الآية ٣] .

واللَّه أسأل أن يحقق للمسلمين آمالهم الصالحة وأن يصلح ولاتهم ويجمع كلمتهم على الهدى ، إنه سميع قريب .



الدعوة إلى اللَّه سبحانه وأثرها في المجتمع[1]

لقد رفع اللَّه شأن الدعاة إليه وأبلغ في الثناء عليهم حيث يقول سبحانه : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فُصِّلَت: الآية ٣٣] . ولا ريب أن هذا الثناء يحفز الهمم ويلهب الشعور ، ويخفف عبء الدعوة ، ويدعو إلى الانطلاق في سبيلها بكل نشاط وقوة .

وقد روى عبد الرزاق[2] ، عن معمر ، عن الحسن البصري ، رحمه اللَّه ، أنه تلى هذه الآية الكريمة : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فُصِّلَت: الآية ٣٣] الآية . فقال : هذا حبيب اللَّه ، هذا ولي اللَّه ، هذا صفوة اللَّه ، هذا خيرة اللَّه ، هذا أحب أهل الأرض إلى اللَّه ؛ أجاب اللَّه في دعوته ، ودعا الناس إلى ما أجاب اللَّه فيه من دعوته ، وعمل صالحًا في إجابته ، وقال : إنني من المسلمين . هذا خليفة اللَّه . انتهى .

ولا ريب أن الرسل عليهم الصلاة والسلام هم سادة الناس في الدعوة ، وهم أولى الناس بهذه الصفات الجليلة التي ذكرها الحسن رحمه اللَّه ، وأولاهم بذلك وأحقهم به على التمام والكمال إمامهم وسيدهم وأفضلهم وخاتمهم محمد بن عبد اللَّه بن عبد المطلب ، الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة ، وصبر على الدعوة إلى ربه أتم صبر وأكمله ، حتى أظهر اللَّه به الدين وأتم به النعمة ودخل الناس- بسبب دعوته- في دين اللَّه أفواجًا . ثم سار أصحابه الكرام بعده على هذا السبيل العظيم والصراط المستقيم ، فصدقوا في الدعوة ونشروا لواء الإسلام في غالب المعمورة ؛ لكمال صدقهم وعظيم جهادهم ، وصبرهم على الدعوة صبرًا لا يعتريه ضعف أو فتور ، وتحقيقهم الدعوة والجهاد بالعمل في جميع الأحوال ، فضربوا

---

(١) صحيفة راية الإسلام - العدد (٣) في ١/٢/١٣٨٠هـ .

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ١٨٧ .

بذلك للناس- بعد الرسل- أروع الأمثال وأصدقها في الدعوة والجهاد والعلم النافع والعمل[١] الصالح ، وبذلك انتصروا على أعدائهم ، وبلغوا مرادهم ، وحازوا قَصَبَ السَّبْقِ في كل ميدان ، وهم أولى الناس بعد الرسل بالثناء والصفات السالفة التي ذكرها الحسن ، وكل من سار على سبيلهم وصبر على الدعوة إلى اللَّه وبذل فيها وسعه ، فله نصيبه من هذا الثناء الجزيل الذي دلت عليه الآية الكريمة والصفات الحميدة التي وصف بها الحسن الدعاة إلى الحق ، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : « من دل على خير فله مثل أجر فاعله »[٢] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا »[٣] .

وقال لعلي رضي اللَّه عنه لما بعثه إلى خيبر : « فواللَّه لأن يهدي اللَّه بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم »[٤] .

وفي هذه الأحاديث وما جاء في معناها تنبيه للدعاة إلى اللَّه والمجاهدين في سبيله على أن المقصود من الجهاد والدعوة إلى اللَّه سبحانه هو هداية البشر وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، وانتشالهم من وهدة الشرك وعبادة الخلق إلى عز الإيمان ورفعة الإسلام وعبادة الإله الحق الواحد الأحد الذي لا تصلح العبادة لغيره ولا يستحقها سواه سبحانه وتعالى ، وليس المقصود من الدعوة والجهاد هو سفك الدماء وأخذ المال واسترقاق النساء والذرية ، وإنما يجيء ذلك بالعرض لا بالقصد الأول ، وذلك عند امتناع الكفار من قبول الحق وإصرارهم على الكفر

---

(١) سقطت : « والعمل » من الأصل .

(٢) أخرجه مسلم (١٨٩٣) من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي اللَّه عنه .

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٧٤) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه .

(٤) أخرجه البخاري (٣٠٠٩، ٣٧٠١، ٤٢١٠)، ومسلم (٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد رضي اللَّه عنه .

وعدم إذعانهم للصغار وبذل الجزية حيث قبلت منهم، فعند ذلك شرع اللّه للمسلمين قتالهم واغتنام أموالهم واسترقاق نسائهم وذرياتهم؛ ليستعينوا بهم على طاعة اللّه، ويعلموهم شرع اللّه، وينقذوهم من موجبات العذاب والشقاء، ويريحوا أهل الإسلام من كيد المقاتلة وعدوانهم ووقوفهم حجر عثرة في طريق انتشار الإسلام ووصوله إلى القلوب.

ولا ريب أن هذا من أعظم محاسن الإسلام التي يشهد له بها أهل الإنصاف والبصيرة من أبنائه وأعدائه، وذلك من رحمة اللّه الحكيم العليم الذي جعل هذا الدين الإسلامي دين رحمة وإحسان وعدل ومساواة يصلح لكل زمان ومكان، ويفوق كل قانون ونظام، ولو جمعت عقول البشر كلهم وتعاضدوا على أن يأتوا بمثله أو أحسن منه لم يستطيعوا إلى ذلك من سبيل، فسبحان الذي شرعه ما أحكمه وأعدله، وما أعلمه بمصالح عباده، وما أبعد تعاليمه من السفه والعبث، وما أقربها من العقول الصحيحة والفطر السليمة.

فيا أيها القارئ، الراغب في الحق، تدبر كتاب ربك وسنة نبيك ﷺ، وادرس ما دل عليه من التعاليم القويمة والأحكام الرشيدة والأخلاق الفاضلة تجد ما يشفي قلبك ويروي غلتك ويشرح صدرك، ويهديك إلى سواء السبيل.

وإلى اللقاء في كلمة أخرى، إن شاء اللّه، وصلى اللّه وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه.



حديث مع فضيلة الشيخ[(١)] عبد العزيز بن باز

اتصل مندوب «البلاد» بفضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز، ودار بينهما الحديث الآتي:

وكان السؤال الأول الذي وجهناه إلى فضيلته هو:

ما رأي فضيلتكم في الدعوة التي تقوم في بعض الأوساط الخارجية إلى أن تكون القومية العربية وحدها هي الرابطة الأولى بين العرب؟

فأجاب فضيلته:

لا ريب أن الدعوة إلى أن تكون القومية العربية هي الرابطة الأولى بين العرب دعوة باطلة لا أساس لها يؤيدها، لا من العقل ولا من النقل، بل هي دعوة جاهلية إلحادية، يهدف دعاتها إلى محاربة الإسلام والتملص من أحكامه وتعاليمه.

وقد يدعو إليها من لا يقصد هذا المعنى، وإنما دعا إليها تقليدًا لغيره وإحسانًا للظن به، ولو عرف حقيقة المقصود منها لحاربها وابتعد عنها، وكل من له أدنى معرفة بتاريخ العرب قبل الإسلام وبعده يعلم أنه لم يكن للعرب قيمة تذكر ولا راية ترهب إلا بالإسلام، فبه فتحوا البلاد وسادوا العباد، وبه كانوا أمة عظيمة مرهوبة الجانب، محترمة الحقوق، مرفوعة الرأس، حتى غيروا فغير عليهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: الآية ١١].

ولا أحب أن أطيل في هذا الميدان؛ لأن الصحيفة لا تتحمل ذلك، والحق في ذلك أوضح من الشمس لا يماري فيه من له أدنى علم بحال العرب والإسلام، وما أحسن قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٣، ٤٤]، وقوله

(١) صحيفة البلاد- ١٤/٣/١٣٨٠ هـ.

تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: الآية ١٠].

وإذا كان الهدف من الدعوة إلى القومية العربية أن يجتمع العرب وأن يشتركوا في مصالحهم وأن ينتصفوا من عدوهم، فليس هذا هو السبيل للوصول إلى هذا الغرض النبيل، وإنما السبيل الوحيد هو الرجوع إلى دينهم الحق الذي به شرفوا وعرفوا وبرزوا في الميدان وسادوا الأمم، والتمسك بتعاليمه السمحة، وأحكامه الرشيدة، وتحكيمه في كل شيء، والموالاة في ذلك، والمعاداة فيه، بذلك يحصل الاجتماع وتدرك المصالح، وينتصف من الأعداء، ويكون النصر عليهم مضمونًا والعاقبة حميدة في الدنيا والآخرة، كما قال الله عز وجل في محكم التنزيل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: الآية ٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١]، وقال تعالى ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ﴾ [النور: الآية ٥٥]، والآيات في هذا المعنى كثيرة ومعلومة.

وما أحسن ما قال مالك بن أنس رحمه الله في هذا المعنى: لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها. لقد صدق هذا الإمام في هذه الكلمة القصيرة العظيمة، اللهم أصلحنا وولاة أمرنا جميعًا وسائر المسلمين، إنه سميع مجيب.

السؤال الثاني:

ما رأي فضيلتكم في الاتجاه الذي يبدو واضحًا في هذه الأيام للمقارنة بين القومية والإسلام في معرض الحديث عن خير الطرق لمستقبل العرب؟

فأجاب فضيلته:

إن من أعظم الظلم وأسفه السفه أن يقارن بين الإسلام وبين القومية العربية،

وهل للقومية العربية المتجردة عن الإسلام من المزايا ما تستحق به أن تجعل في صف الإسلام، وأن يقارن بينها وبين الإسلام؟ لا شك أن هذا من أعظم الهضم للإسلام، والتنكر لمبادئه السمحة وتعاليمه الرشيدة، وكيف يليق في عقل عاقل أن يقارن بين قومية، لو كان أبو جهل وعتبة وشيبة أبناء ربيعة، وأضرابهم من أعداء الإسلام، أحياء لكانوا من صناديدها وأعظم دعاتها، وبين دين كريم صالح لكل زمان ومكان، دعاته وأنصاره هم: محمد رسول اللَّه، وأبو بكر، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وغيرهم من الصحابة صناديد الإسلام وحماته الأبطال، ومن سلك سبيلهم من الأخيار، ولا يستسيغ المقاربة[1] بين قومية هذا شأنها وهؤلاء رجالها، ودين هذا شأنه وهؤلاء أنصاره ودعاته إلا مصاب في عقله، أو مقلد، أو أعمى، أو عدو لدود للإسلام ومن جاء به، وما مثل هؤلاء في هذه المقارنة إلا مثل من قارن بين البحر والدر، أو بين الرسل والشياطين، ومن تأمل هذا من ذوي البصائر وسبر الحقائق والنتائج ظهر له أن المقارنة بين القومية والإسلام أخطر على الإسلام من المقارنة بين ما ذكر آنفًا.

ثم كيف تصح المقارنة بين قومية غاية من مات عليها النار، وبين دين غاية من مات عليه الفوز بجوار الرب الكريم في دار الكرامة والمقام الأمين في عقل من يؤمن باللَّه واليوم الآخر؟! اللهم اهدنا وقومنا سواء السبيل، إنك على كل شيء قدير.

السؤال الثالث:

بعض المخلصين من الوعاظ يعالجون في وعظهم بعض الأمور البسيطة الفرعية في الدين كطريقة حلاقة الرأس أو شكل الملابس أو نحو ذلك من الأمور، في حين أن هناك أمورًا هامة تتصل بالعقيدة تحتاج من هؤلاء المخلصين من الدعاة إلى عناية خاصة؛ لأنها أمور أساسية، فما رأي فضيلتكم في ذلك؟

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها: «المقارنة».

الجواب : لا ريب أن المرشدين هم أطباء المجتمع ، ومن شأن الطبيب أن يهتم بمعرفة الأدواء ، ثم يعمل على علاجها بادئًا بالأهم فالأهم ، وهذه طريقةُ أنصحِ الأطباء وأعلمهم بحق اللَّه وحق عباده سيد ولد آدم ، عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم ؛ فإنه ﷺ لما بعثه اللَّه بدأ بالنهي عن أعظم أدواء المجتمع ؛ وهو الشرك باللَّه سبحانه . فلم يزل ﷺ من حين بعثه اللَّه يحذر الأمة من الشرك ويدعوهم إلى التوحيد إلى أن مضى عليه عشر سنين ، ثم أمر بالصلاة . ثم ببقية الشرائع .

وهكذا الدعاة بعده عليهم أن يسلكوا سبيله . وأن يقتفوا أثره بادئين بالأهم . ولكن إذا كان المجتمع مسلمًا ساغ للداعي إلى الأهم وغيره ، بل يجب عليه ذلك حسب طاقته ؛ لأن المطلوب إصلاح المجتمع المسلم وبذل الوسع في تطهير عقيدته من شوائب الشرك ووسائله وتطهير أخلاقه مما يضر المجتمع ويضعف إيمانه ، ولا مانع من أن يبدأ بعض الأوقات بغير الأهم إذا لم يتيسر الكلام في الأهم ، ولا مانع أيضًا من اشتغاله بالأهم وإعراضه عن غير الأهم إذا رأى المصلحة في ذلك ، وخاف إن هو اشتغل بهما جميعًا أن يخفق فيهما ، وهكذا شأن المصلحين والأطباء المبرزين يهتمون بطريق الإصلاح ويسلكون أنجعها وأقربها إلى النتيجة المرضية ، وإذا لم يستطيعوا تحصيل المصلحتين أو المصالح ، أو تعطيل المفسدتين أو المفاسد ، اهتموا بالأهم من ذلك واشتغلوا به دون غيرهم ، ومن تأمل قواعد الشرع وسيرة الرسول ﷺ ، وسيرة خلفائه الراشدين والأئمة المصلحين علم ما ذكرته ، وعرف كيف يقوم بإرشاد الناس ، وكيف ينتشلهم من أدوائهم إلى شاطئ السلامة .

ومن صلحت نيته وبذل وسعه في معرفة الحق ، وطلب من مولاه الهداية إلى خير الطرق وأنجعها في الدعوة ، واستشار أهل العلم والتجارب فيما أشكل عليه . فاز بالنجاح وهدي إلى الصواب ، كما قال سبحانه : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: الآية ٦٩] .

السؤال الرابع :

تود جريدة « البلاد » أن تحمل من فضيلتكم نصيحة إلى قرائها فبماذا تنصحون ؟

الجواب : نصيحتي لجميع القراء هي أن يأخذوا بوصية اللّٰه سبحانه التي أوصى بها في كتابه الكريم حيث يقول : ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ﴾ [النّساء: الآية ١٣١]

والتقوى كما يعلم القارئ الكريم كلمة جامعة ، حقيقتها : أن يتقي العبد غضب الرب وعذابه ؛ بفعل ما أمر اللّٰه به ورسوله ، وترك ما نهى اللّٰه عنه ورسوله ، عن علم وإيمان وإخلاص ومحبة ، ورغبة ورهبة ، وبذلك يفوز بالسعادة وحسن العاقبة في الدنيا والآخرة .

ومما أنصح به القراء ، وهو من جملة التقوى ، التثبت في الأمور والتريث في الحكم عليها إلا بعد دراستها من جميع نواحيها ، وبعد التحقق من معناها ومعرفته معرفة تامة بعرض ذلك المعنى على الميزان الشرعي وهو كتاب اللّٰه ، وما صح من السنة ، فما وافق ذلك الميزان قُبل ، وما خالفه تُرك ، ويجب أن يكون القارئ في دراسته للأشياء وعرضه لها على الميزان المذكور بعيدًا كل البعد عن الإفراط والتفريط متجردًا من ثوبي الهوى والتعصب .

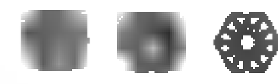
ومتى سلم من هذه الأدواء ، ودرس الأمور حق دراستها بإخلاص ، وقصدٍ حسن ، وفق للحقيقة وفاز بالصواب ، وحمد العاقبة .

وكم جرت العجلة على أصحابها وغيرهم من ويلات ومشاكل ، تذهب الأيام والليالي وآثارها وتبعتها باقية ! وكم حصل بسبب التعصب والهوى من فساد ودمار وعواقب لا تحمد ، نسأل اللّٰه السلامة من ذلك .

ومما أنصح به القراء أيضًا ، وهو من أهم التقوى ، دعوة العباد إلى اللّٰه سبحانه ، والتواصي بالحق ، والصبر عليه ، والتعاون على البر والتقوى ، والأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة والحسنة، والتغيير حسب الطاقة، كما في الحديث الصحيح: « من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان »[(١)].

أسأل اللّٰه للجميع الثبات على الحق والعافية من مضلات الفتن، إنه خير مسؤول وأكرم مجيب، واللّٰه أعلم، وصلى اللّٰه على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه.



(١) أخرجه مسلم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللّٰه عنه.

خطاب مفتوح(١)

من الشيخ عبد العزيز بن عبد اللّٰه بن باز

إلى حضرة سمو الأمير المكرم فهد بن عبد العزيز، رئيس مجلس التعليم الأعلى، وأعضائه المحترمين، وفقهم اللّٰه لكل خير .. آمين.

سلام عليكم ورحمة اللّٰه وبركاته، وبعد:

فإن تكوين مجلس التعليم الأعلى واختيار سموكم لرئاسته، واجتماعاتكم هذه الأيام، بادرة طيبة تبشر بالخير الكثير، إن شاء اللّٰه، لهذه البلاد التي يتطلع إليها المسلمون عربًا وعجمًا في مشارق الأرض ومغاربها. وإن إصلاح السياسة التعليمية في هذه البلاد سيتبعه صلاح السياسة التعليمية في سائر البلاد الإسلامية، إن شاء اللّٰه.

فأسأل اللّٰه العظيم أن يوفقكم لما فيه خير ديننا ودنيانا، وأن يلهمكم الصواب ويهديكم سبيل الرشاد.

إخواني: لا بد وأنكم أدركتم ما انتشر اليوم في البلاد العربية والإسلامية من دعوات ضالة ملحدة، بدأت تزحف على هذه البلاد، وتخدع الكثير من شبابنا وتخطب ألبابهم وتستهوي نفوسهم؛ ومنها الاشتراكية، والشيوعية، والقومية. وشبابنا قد يعذر حين يستجيب لهذه الدعوات ويتأثر بها، فيتنكر لدينه، ويبتعد عن ربه، ويسخط على حكومته المسلمة، ويتطلع إلى الحكم البشري بدلًا من الحكم الرباني. وشبابنا أيضًا قد يعذر بأنه لم يسلح السلاح الكافي لمقاومة هذه الدعوات الساحرة، فهو لذلك سريع التأثر بما يسمع ويقرأ ويقال له.

وقد أدركت الإذاعات الخبيثة التي تحارب هذه البلاد، وتعمل على هدم

(١) صحيفة اليمامة – العدد ٤٤٨ – في شعبان ١٣٨٣هـ، وصحيفة القصيم عدد ٢٠٧ – ٢٢/٨/١٣٨٣هـ.

الإسلام، أدركت حال الكثير من شبابنا وحقيقة جهلهم بدينهم وضعف إيمانهم وعدم مناعتهم ضد سمومها، فراحت تتفنن في استهوائهم والتأثير عليهم وإثارة عواطفهم وتهييجهم على حكامهم الإسلاميين بشتى البرامج ومختلف الأساليب.

ومما يسبب انخداع الكثير من شبابنا بما يقرأ ويسمع، وتطلعه إلى الشعارات التي يستعبدونه بها؛ كالحرية، والديمقراطية، والاشتراكية، والعدالة الاجتماعية، ما سبب انخداعه بهذه المسميات، التي يضحكون بها عليه، إلا ضعف التعليم واتجاهه اتجاهًا غير إسلامي، مع فقدان التوجيه الإسلامي الكافي في الصحافة والبرامج الإذاعية.

فالمناهج المدرسية موضوعة لتكوين المواطن الصالح حسب عرف أهل العصر، وليست موضوعة لتربية الفرد المسلم!! والمعلم أعد ليربي المواطن الصالح لا لتنشئة وتربية الفرد المسلم!! وما أبعد الفرق بين المدلولين!! المواطن الصالح في العرف العصري هو الذي يتطلع إلى الحرية والدستور والحكم النيابي والمساواة بين الجنسين، وأن تكون بلاده في نظام حياتها وأسلوب معيشتها كالبلاد التي جاءت منها هذه الأفكار، وهي أوربا، وأمريكا، والبلاد التي على شاكلتها.

أما المسلم الصالح فهو الذي يراقب خالقه في سره وعلانيته، ويؤدي حقوق غيره عليه، ويعمل لدنياه كما يعمل لأخراه، ويعيش في حدود تعاليم الإسلام؛ فلا يخدعه بهرج المدنية المادية، ولا تلعب بعقله وعواطفه الدعايات والشعارات المضللة. ويعمل لتطبيق حدود الله في أرضه. فلا قوانين وضعية، ولا دساتير بشرية تخالف حكم الله.

ولا أدل على ضعف التعليم الإسلامي واتجاه المناهج اتجاهًا مدنيًا، ولا سيما منذ تولي الأمر في وزارة المعارف مستشارون أجانب تثقفوا وتعلموا في

أوروبا وأمريكا ، فطبقوا في هذه البلاد مخططات تلك البلاد ومناهجها فأنقصوا حصص القرآن الكريم ، والتاريخ الإسلامي ، والفقه ، والتوحيد ، واللغة العربية ، وزادوا حصص العلوم ، والصحة ، والتربية الفنية ، والأناشيد ، والرياضة البدنية ! حتى إن التاريخ الإسلامي يدرس حصة ونصف في السنة الخامسة ، وحصة ونصف في السادسة في المدارس الابتدائية ، وقد كان قبل ذلك يدرس بمعدل حصتين في كل من السنوات الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة !

وفي إنقاص حصص التاريخ الإسلامي من ثمان حصص إلى ثلاث حصص دلالة واضحة على أن واضع هذا المخطط حرص على أن يخرج الطلاب من المرحلة الابتدائية وهم يجهلون تاريخ نبيهم ﷺ وسيرة خلفائه الراشدين وأمجاد الإسلام وفتوحاته وانتشاره ؛ لأن دراستهم لذلك ستملأ قلوبهم وعقولهم إعجابًا وإكبارًا للإسلام ودعوة الإسلام .

أترون دراسة التاريخ الإسلامي أقل أهمية من دراسة الذئب والأرنب والثعلب والثعبان والضفدعة وغيرها مما يدرس في منهج العلوم والصحة ؟! هذه المادة التي تدرس بمعدل حصتين ابتداء من السنة الأولى حتى نهاية المرحلة الابتدائية ؟!

فكروا معي أيها الإخوان ، أنار اللَّه قلوبنا جميعًا بالإيمان ، في مدلول تخفيض حصص التاريخ والإكثار من حصص العلوم . فهل دراسة العلوم أنفع للطالب في دينه ودنياه من دراسة أمجاد الإسلام وبطولات المسلمين ؟!

إن هذا دليل واحد أردت أن تتفكروا فيه وتتأملوه ؛ لتعلموا لماذا ينخدع الكثير من شبابنا وتستهويه البطولات الزائفة والزعامات القومية والاشتراكية .

وبعدُ ، فإني لا أدعو إلى حذف المواد المدنية التي لا غنى للطالب عنها في الحياة ، ولكن لا أرى أن من مصلحة الطالب أن ينشأ وهو يجهل أمور دينه وأمجاد أسلافه ، فلا يدرس سيرة رسول اللَّه ﷺ ، وفتوحات خلفائه ، وتاريخ الدولة الإسلامية دراسة كافية ؛ ليكون ذلك باعثًا وحافزًا له على التفكير في وحدة

المسلمين ، ثم لا يدرس من العلوم الدينية إلا ما لا يكفي .

وأنا أضع بين أيديكم أيها الإخوان اقتراحات ، وأرجو أن تكون نافعة مقبولة ، وأن يجعل اللَّه فيها الخير لدين أبنائنا ودنياهم :

أولًا : العمل على إيجاد جو إسلامي في المدارس والمعاهد في مختلف مراحل التعليم بإقامة الصلاة جماعة ، وتخلق الطلاب والمدرسين بالأخلاق الإسلامية .

ثانيًا : تقوية وزيادة حصص القرآن الكريم ، والمواد الدينية ، والتاريخ الإسلامي ، واللغة العربية .

ثالثًا : وضع كتب مناسبة للطلاب في المواد الدينية تناسب عقولهم ومداركهم في أسلوبها ومضمونها ، ويراعى فيها ترغيب وتشويق الطلاب إلى الطاعات والقربات . فلا يكفي تدريس أحكام الوضوء وأحكام الصلاة مثلًا ، بل يُعنى بجانب ذلك بإبراز فضائل الوضوء ، وما ورد فيه من أحاديث ، وفضل الصلاة ، وأنها مناجاة بين العبد وخالقه ، وسبب لزكاة نفسه وطهارتها ، وما ورد في حق تاركها ، والمحافظ عليها من آيات وأحاديث لزرع حب العبادة والإقبال على الطاعة في نفس الطفل . وهكذا في سائر العبادات .

ويتبع نفس الأسلوب في دراسة المعاملات ، ففي تدريس الربا مثلًا تذكر الآيات والأحاديث الواردة فيه ومضاره على المجتمع ؛ حتى تتشبع نفس الطالب بتقوى اللَّه ومراقبته .

وهكذا يعنى المدرس في سائر مراحل التعليم ببيان محاسن الإسلام وحكم التشريع حتى يعرف الطالب أمجاد دينه وحكمه ومحاسنه فينتفع به ويفضله على ما سواه عن علم وبصيرة ودراسة مقنعة .

رابعًا : يراعى في كتب المحفوظات والمطالعة ومقطوعات الإملاء أن تتضمن الكثير من التوجيهات والمبادئ الإسلامية .

خامسًا : يراعى في المكتبات المدرسية أن تكون الكتب التي فيها من الكتب الدينية والإسلامية والتاريخية ، وأن تخلو من القصص الغرامية والجنسية ، والكتب التي تنادي بأفكار هدامة للأخلاق .

سادسًا : وفي النشاط المدرسي يراعى أن يعمل على زيادة ثقافة الطالب الدينية وتحبيب الفضائل الإسلامية إليه ، فتكون الصحافة المدرسية والإذاعة المدرسية وغيرها من ألوان النشاط وسائل لتنمية الوعي الديني والإسلامي في الطالب .

سابعًا : المباريات والألعاب الرياضية ينبغي أن لا تكون سببًا في ترك الطلاب للصلاة ، كما يحدث الآن . فيجب ألا تبدأ إلا بعد الصلاة ، ولا يخرج الطلاب ولا يتجمعوا في مدارسهم إلا بعد خروج صلاة العصر ، وتقصير وقت الألعاب التي تتطلب زمنًا أطول ما بين الصلاتين .

كما يجب عدم السماح للطلاب مطلقًا بارتداء لباس غير إسلامي والذي ينحسر عن الركبة .

وهذا الذي ندعو إليه لا يتحقق إلا بوجود المعلم الصالح الذي يراعي حق أمانة تربية الطلاب التي في عنقه ، ويشعر بالمسئولية الكبرى التي وضعتها الدولة فيه ؛ فيعمل لإرضاء خالقه أولًا ، ولإسعاد أمته ثانيًا .

وإعداد المعلم الصالح يكون بوضع مناهج إسلامية في معاهد المعلمين الابتدائية ، وتمديد الدراسة فيها من ثلاث سنوات إلى خمس سنوات أو أكثر ؛ يتخرج المعلم منها وقد تقدمت سنه ، ونضج عقله ، وهدأت مشاعره . ويدقق في اختيار الطلاب الصالحين لهذه المعاهد ، فلا يكفي مجرد حصول الطالب على مجموع معين في درجاته ، بل لابد من التأكد من سلامة عقيدته وقوة إيمانه وتخلقه بأخلاق الإسلام ؛ ليكون قدوة حسنة لطلابه .

أما بالنسبة للمدرسين الناشئين فتقدم لهم حلقات وندوات يبصرون فيها

بضرورة العناية بتربية الطلاب تربية إسلامية وغرس العقيدة الصحيحة في قلوبهم وتحصينهم ضد البدع والدعايات والشعارات الضالة والأخلاق السيئة .

أما في مدارس البنات فينبغي تعليم البنت أمور دينها ، وكيف تربي أطفالها إذا أصبحت أمًّا تربية إسلامية ، كما تدرس ما ورد في العفاف والصون والتبرج ، وما لزوجها عليها من حق الطاعة وحسن المعاشرة ، وما لها عليه من حقوق ، فبذلك تكون زوجًا وأمًّا صالحة .

أما بالنسبة للإذاعة فيجب أولًا إلغاء البرامج الغير إسلامية منها ، فما يليق أبدًا بإذاعة الحرمين الشريفين التي تنطق باسم الحكومة الإسلامية ومهبط الوحي أن تنطلق منها الأغاني والأصوات الخليعة التي تغري بالفجور ، وكيف نصلح شبابنا ونقوي دينهم ونساعدهم على مقاومة أهوائهم وشهواتهم وهم يسمعون إذاعة الدولة تنطلق منها الآهات والتأوهات ونداءات الفسق والهيام والمجون ؛ ولذلك فإنه يجب أن يوضع للإذاعة سياسة إسلامية قويمة ، وتصميم برامجها ؛ مستهدفة نشر تعاليم الإسلام ونشر الوعي الديني والفضائل الإسلامية بين طبقات الشعب ، ومحاربة البدع والرذائل والدعوات المضللة ، فبذلك تكون الإذاعة أداة لتربية الشباب والشعب تربية إسلامية صحيحة ، ويكون ذلك باختيار ذوي الديانة والصلاح والعلم للإشراف عليها وعلى برامجها .

وكذلك الصحافة ، ينبغي أن تكون هي الأخرى وسيلة لنشر الوعي الإسلامي ، والمناداة بالمفاهيم الإسلامية بين طبقات الشعب ، وأن تستهدي بتعاليم الإسلام في كتاباتها ، فتدعو إلى التمسك بالإسلام وتطبيق مبادئه وأحكامه ، والتمكين لفضائله ومثله العليا في نفوس القراء ؛ محاربة الشعارات الضالة والدعوات المنحرفة وفضحها . وهذا يتطلب أن يكون القوامون عليها من الفاهمين لحقيقة الإسلام المتشبعين بالثقافة الإسلامية .

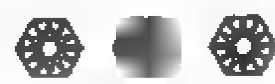
كما يجب منع المجلات والجرائد الأجنبية التي تنشر فيها الصور الخليعة

والمقالات الهدامة والأخبار الإجرامية ؛ حتى لا تنتقل العدوى بها إلى بلادنا .

كما يجب منع الكتب والقصص الغرامية والجنسية ، والكتب التي تحمل أفكارًا غير إسلامية ، أو تدعو إلى دعوات ضالة ؛ حتى لا تكون وسيلة وأداة لإضلال وإفساد أبنائنا .

وحبذا لو وضعت خطة مدروسة لإنشاء جماعات إسلامية في مدن المملكة ؛ تهدف إلى نشر تعاليم الإسلام والتعريف بمبادئه والمناداة والمحافظة على فضائله ؛ فبذلك يشيع الوعي الديني بين طبقات الشعب ، ويشرف على هذه الجماعات علماء ورجال تطمئن الدولة إلى دينهم وأمانتهم ونصحهم لها وللمسلمين جميعًا .

والله أسأل أن يجعل عملنا جميعًا خالصًا لوجهه الكريم ، وأن يجعل سريرتنا خيرًا من علانيتنا ، وأن يوفق حكومتنا لما فيه صلاح الأمة وسعادتها في أمر الدين والدنيا ، إنه سميع قريب ، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه ، والسلام .



أسئلة وجوابها[1]

١- : ما قولكم- أثابكم اللّه- بخبر الإذاعة ؛ هل يعتمد في الصيام والإفطار ؟ وما الذي بينهما وبين السير فيه ؟ وإن قلتم بالتصديق فهل يشترط معرفة المحطة المذيعة للخبر أم لا ؟ وهل تشترط ثقة المذيع أم يكتفى بصدورها من قبل الحكومة ؟

٢- : كثيرًا ما نسمع من عامي ومتعلم تصغير الأسماء المعبدة ، أو قلبها إلى أسماء تنافي الاسم الأول ؛ فهل فيه من بأس ؟ وذلك نحو عبد اللّه تجعل «عبيّد» و«عبود» و«العبدي» بكسر العين وسكون الباء. وفي عبد الرحمن «دحيم» بالتخفيف والتشديد ، وفي عبد العزيز «عزيز» و«عزوز» و«العزي» وما أشبه ذلك . أما في محمد : «محيميد ، وحمدا ، والحمدي » وما أشبهه ؟

[البكيرية : عبد العزيز بن عبد اللّه الشريدة]

٣- : ما قولكم- عفا اللّه عنكم- فيما شاع بين الناس خصوصًا في هذه المقاطعة ، وهو البيع إلى أجل ، وذلك أن الفقير إذا ضرب الزمان على يديه ، ذهب إلى الغني ليساعده بقرض ونحوه ، فيأبى إلا أن يرى أن قرضه هذا يجر له منفعة ، فيقول للفقير : أعطني شيئا من أرضك الزراعية بيعًا إلى أجل . وما ذلك إلا حيلة لأجل غلال الأرض يأخذها الغني بدون مقابل لصاحب الأرض ، ويمكث صاحب القرض يمتص خيرات الأرض سنين عديدة ، وقد تبلغ عشرين سنة أو أقل ، والفقير لا يجد ما يؤدي به فلوس المقرض ، علما بأن الغلال التي قد اقتصها صاحب القرض تزيد عن قرضه .

فأفتونا رحمكم اللّه هل البيع إلى أجل صحيح أم باطل ؟ وإذا كان باطلا فهل

(١) مجلة راية الإسلام- العدد (٨) في رجب ١٣٨٠ هـ.

الغلال تحسم من فلوس الغني ؟ أم كيف المسألة ؟ جزيتم خيرا .

[عبد اللّه بن ياسين - سامطة - المعهد العلمي][(١)]

الحمد للّه والصلاة والسلام على رسول اللّه ، وبعد :

فالجواب على السؤال الأول أن يقال :

لا مانع من اعتماد ما يذاع في الإذاعة من إثبات دخول شهر رمضان وشهر ذي الحجة وشوال ، إذا كان السامع لذلك ثقة فأكثر في دخول رمضان ، وثقتين فأكثر في إثبات شهر شوال وذي الحجة وسائر الشهور ؛ إلحاقا لسماع الخبر من الإذاعة برؤية الهلال ، وقد دلت الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ على وجوب العمل برؤية العدل الواحد لهلال رمضان ، والعدلين فأكثر فيما سواه ، ولا ريب أن العمل بخبر الإذاعة أولى من البرق ؛ لأن المخبر في الإذاعة يسمع كلامه ويفهم ، بخلاف البرقية فإنه لا يفهمها إلا خواص الناس الذين لهم معرفة بحروفها ، فإذا جاز الاعتماد عليها والحال ما ذكر فجوازه في خبر الإذاعة أولى ، لما تقدم .

ولا يشترط عدالة المذيع ؛ لأن الاعتماد على صدور ذلك من الحكومة المسلمة المحكمة للشرع ، إذا كان المعروف من الإذاعة والبرقية عدم الجرأة على الكذب ، ومعلوم أن الحكومة سوف تعتمد ما تذيعه إلى الناس وتبرقه إلى القضاة والأمراء في سائر أنحاء المملكة ، وتصوم وتفطر بذلك ، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : « الفطر يوم يفطر الناس ، والأضحى يوم يضحي الناس » . أخرجه الترمذي عن عائشة بإسناد حسن . وخرج الترمذي أيضا بإسناد جيد عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « الصوم يوم تصومون ، والفطر يوم تفطرون ، والأضحى يوم تضحون » .

---

(١) جاء في أصل الصحيفة بعده ما نصه : « وقد قدمنا هذه الأسئلة إلى فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز فتفضل بالإجابة عليها » .

وإذا جاز لأهل البلد أن يعتمدوا على أصوات المدافع ونحوها في الصوم والفطر ؛ لكون ذلك قد جعل علامة على دخول الشهر وخروجه ، فالاعتماد على خبر الإذاعة والبرق الصادر عن مصدر شرعي قد عرف بالصدق أولى ، وأولى من الاعتماد على صوت المدافع ونحوه . والله أعلم .

وأما السؤال الثاني فالجواب عنه :

أنه لا بأس بالتصغير في الأسماء المعبدة وغيرها ، ولا أعلم أن أحدا من أهل العلم منعه ، وهو كثير في الأحاديث والآثار ، كأنيس ، وحميد ، وعبيد ، وأشباه ذلك .

لكن إذا فعل ذلك مع من يكرهه ، فالأظهر تحريم ذلك ؛ لأنه حينئذ من جنس التنابز بالألقاب الذي نهى الله عنه في كتابه الكريم ، إلا إن يكون لا يعرف إلا بذلك ، فلا بأس كما صرح به أئمة الحديث في رجال ، كالأعمش ، والأعرج ، ونحوهما .

وأما السؤال الثالث فالجواب عنه أن يقال :

قد اختلف أهل العلم في جواز البيع بشرط الخيار إلى أجل معلوم إذا كانت المدة أكثر من ثلاثة أيام ، فأجازه قوم ، ومنعه آخرون ، والأصح جوازه ؛ لقول النبي ﷺ : « المسلمون على شروطهم إلا شرطا حرم حلالا أو أحل حراما » في أدلة أخرى ، لكن ذكر جمع من أهل العلم القائلين بالجواز أن ذلك يتقيد بما إذا كان القصد من البيع هو رغبة البائع في البيع والمشتري في الشراء ، ولكن جرى شرط الخيار لريبة في المبيع ، أو الثمن ، أو لمقصد آخر حسن . أما إذا كان المقصود من عقد البيع هو انتفاع المشتري بغلة المبيع ، وانتفاع البائع بالثمن ، وفي عزمهما فسخ البيع عند إيسار البائع بالثمن ، فليس ذلك بجائز ، بل هو من الربا ؛ لأنه في معنى القرض ، وكل قرض شرط فيه النفع فهو محرم بالإجماع .

ولا ريب أن مقصود المشتري في مثل هذا استغلال المبيع حتى يرد إليه الثمن

لئلا يفوت عليه نفع ماله الذي قبضه البائع ، وكل حيلة يستحل بها الربا فهي باطلة ؛ لقول النبي ﷺ : « لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل » ، أخرجه أبو عبد الله بن بطة بإسناد حسن . وفي معناه ما ثبت في الصحيحين عن جابر أن النبي ﷺ قال : « قاتل الله اليهود لما حرم الله عليهم الشحوم جملوها ثم باعوها فأكلوا ثمنها »

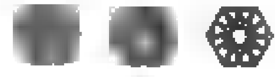
وقد صرح جماعة من أهل العلم بهذه المسألة وبينوا تحريمها ، ومنهم الشيخ العلامة عبد الرحمن بن أبي عمر الحنبلي صاحب « الشرح الكبير » ، وإليك نص كلامه :

قال في المجلد الرابع صفحة (٨٠) : فصل : إذا شرط الخيار حيلة على الانتفاع بالقرض ليأخذ غلة المبيع ونفعه في مدة انتفاع المقترض بالثمن ثم يرد المبيع بالخيار عند رد الثمن ، فلا خيار فيه ؛ لأنه من الحيل ، ولا يحل لآخذ الثمن الانتفاع به في مدة الخيار ، ولا التصرف فيه . قال الأثرم : سمعت أبا عبد الله يسأل عن الرجل يشتري من الرجل الشيء ويقول : لك الخيار إلى كذا وكذا ، مثل العقار . قال : هو جائز إذا لم يكن حيلة ، أراد أن يقرضه فيأخذ منه العقار فيستغله ويجعل له فيه الخيار ليربح فيما أقرضه بهذه الحيلة ، فإن لم يكن أراد هذا فلا بأس . قيل لأبي عبد الله : فإن أراد إرفاقه ؛ أراد أن يقرضه مالا يخاف أن يذهب فاشترى منه شيئا وجعل له الخيار لم يرد الحيلة ؟ فقال أبو عبد الله : هذا جائز ، إلا أنه إذا مات انقطع الخيار لم يكن لورثته .

وقول أحمد بالجواز في هذه المسألة محمول على المبيع الذي لا ينتفع به إلا بإتلافه أو على أن المشتري لا ينتفع بالمبيع في مدة الخيار ؛ لئلا يفضي إلى أن القرض جر منفعة . انتهى كلام صاحب الشرح الكبير .

ومنه يعلم أن البيع إذا خلا عن مقصد القرض ، لم يكن به بأس . ومراده بأبي عبد الله هو أحمد بن حنبل رحمه الله .

ومن علامات الحيلة أن يبيعه العقار ونحوه بأقل من قيمته التي يباع بها لو كان المقصود البيع حقيقة ، كأن يبيع ما يساوي مائة بخمسين ، وما ذاك إلا أنه واثق بأنه ليس ببيع[1] ، وإنما هو قرض في صورة البيع . واللّٰه أعلم ، وصلى اللّٰه وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه .



(١) في الأصل : « لا يبيع » .

الجامعة الإسلامية التي نريدها[١]

كتب المكرم الأستاذ أمين مدني بجريدة « المدينة المنورة » عدد (١٣١٩) ، بتاريخ ١٣٨٣/٣/٧هـ بعنوان « الجامعة الإسلامية التي دعونا لها » ، وقد كان موضوعه حيًّا صريحًا هادفًا بنّاءً ، صور شعور العالم الإسلامي نحو حاجته إلى مثل هذه الجامعة ، خصوصًا في هذه الآونة التي تسير فيها سفينة العالم وسط أمواج فكرية متناقضة ، وتيارات مختلفة ، ورياح عكسية ، تجعل العالم كله يتطلع إلى بر السلامة بلهفة ، وإلى ربان يقود السفينة بحكمة .

ولقد نوه الأخ الكاتب بعظم شأن الدور الذي يجب على الجامعة أن تقوم به ، ولا سيما وقد أرسيت قواعدهم في مركز الإسلام الأولى ، ومدينة الإسلام الأولى ، وهي تحمل الرسالة السامية لنشر العدالة الإسلامية .

وأشار إلى العوامل التي تمكنها من القيام بهذا الواجب ، وأداء ذلك الدور ، وإنتاج الثمرة المرجوة بإذن اللَّه ؛ من تخريج رجال ثقفوا الإسلام وأدركوا حاجة الناس إليه ، وشعروا بما يحيط بهم من ثقافات متنوعة ، ومذاهب إلحادية ، وتيارات جارفة .

وحذر الكاتب من فجيعة العالم بإخفاق مشروع كهذا ، وحث على إيجاد عوامل النهوض الفعالة .

وتتلخص تلك العوامل في جهات ثلاث : إدارة ، ومنهج ، وأساتذة .

١- إدارة تستند إلى مجلس إداري يتفرغ لشئون الجامعة ، ويتعاون مع المسئول عنها في تركيز منهجها ، والسير بها على مخطط يحقق كل ما يراد لهذه الجامعة ويرجى منها ، على أن هذا المجلس ضرورة حتمية .

٢ - منهج يهيؤها لأداء الرسالة الجديرة بها .

(١) صحيفة المدينة المنورة في ١٣٨٣/٣/١٧هـ .

٣- أساتذة قادرون على أداء ما يناط بهم من واجبات التنشئة والتدريس.

والجامعة تنظر لهذا الاقتراح الصريح نظرة إكبار وتقدير، وتوليه عناية تتفق وأهميته، وتشكر الأستاذ الكاتب على شعوره الفياض وإحساسه النبيل نحو الجامعة، وتعتبر كل كتابة حول النهوض بالجامعة هي إسهام من كاتبها في مساندة الجامعة والنهوض بها حتى تصبح الجامعة في المكانة التي يريدها لها كل مسلم غيور، ويعمل لتحقيقها كل ناصح مخلص.

ومن الحق الذي لا مراء فيه أن كل مشروع في أوله- مهما كانت عظمته- قابل للإصلاح والتطور من حسن إلى أحسن، حتى يصبح المثال لنوعه يؤخذ عنه ويقتفى[(١)] أثره.

والجامعة الإسلامية بالخصوص أولى بتوجيه العناية والنصح، وهي جديرة بتلقي ذلك بالقبول؛ لعظيم ما تعلق بها من آمال، وكبر ما تحملته من أعباء.

وقد خطت بالفعل خطوات عملية في ذلك الشأن، فاستقدمت عددًا من رجال التعليم وأهل الخبرة من أنحاء العالم الإسلامي في أول سنة من إنشائها؛ لتكوين مجلس استشاري أعلى، للاستفادة من خبراتهم، واجتناء ثمرات تجاربهم، لتحقيق الغرض من إنشائها.

والجدير بالذكر أن هذا المجلس الاستشاري الأعلى المكون أعضاؤه من عمداء ومديري جامعات كان الأول من نوعه لتبادل الرأي بين أعضائه للنهوض بهذه الجامعة. ولا نعلم وجود مجلس استشاري أعلى يشبه هذا المجلس لأية جامعة أخرى، بل هو من خصائص هذه الجامعة، وذلك نظرًا لإنشائها وإعدادها لكافة أبناء العالم الإسلامي.

وقد قام أعضاء المجلس الاستشاري أثناء جلساته عند انعقاده في الدورة

(١) في الأصل: «ويقفى».

الأولى بإبداء آرائهم وتقديم مقترحاتهم وتوصياتهم مشكورين .

وقد استجابت رئاسة الجامعة لتلك الاقتراحات الوجيهة ، فشكلت لجانًا لتنفيذ توصياتهم الشاملة للنظام والمنهج والمقررات ، وقد أنفذنا بالفعل بعض تلك المقترحات في العام الماضي ، وسينفذ الباقي في هذا العام إن شاء اللَّه تعالى .

ومن المقرر في نظام الجامعة الأساسي أن هذا المجلس سيعقد كل عام في مقر الجامعة الإسلامية ؛ للنظر في شأنها والتشاور فيما(١) يرفع مستواها ويحقق ما أنيط بها من آمال .

وإني أطمئن الكاتب وغيره من أبناء العالم الإسلامي أن هذه الجامعة ستحقق في القريب العاجل- إن شاء اللَّه- كل ما أنيط بها من آمال في خدمة الإسلام ، وبيان صلاحيته لكل زمان ومكان ، والذب عنه ، وكشف كل شبهة أُثيرت حوله . ورئاسة الجامعة والمسؤولون عنها يعملون جاهدين لتحقيق كل ذلك ، إن شاء اللَّه تعالى .

وفي هذه الآونة بالذات قد استقدمت الجامعة أستاذين جليلين من رجال التربية والتعليم ، قد مارسا التعليم ودراسة مناهجه طويلًا ويدرسان في كلية الشريعة بالرياض للاشتراك مع لجنة من هيئة التعليم بالجامعة ، ونائب رئيسها للنظر في منهج ومقررات الجامعة وفق توصيات المجلس الاستشاري المشار إليه آنفًا ، وقد انتهت اللجنة من عملها .

وسينشر للجميع منهاج الجامعة ونظامها بعد التعديلات الطارئة عليه ، والمستوحاة من توصيات المجلس الاستشاري الأعلى في وقت قريب إن شاء اللَّه .

---

(١) في الأصل : « فيها » .

أما المجلس الإداري للجامعة الذي أشار إليه الكاتب وأكد أهميته ، فقد نص عليه في نظام الجامعة الأساسي الذي سارت عليه من أول يوم أنشئت ، حيث جاء في المادة السابعة ما نصه : « للجامعة مجلس إداري تحدد اختصاصاته في لائحة داخلية ... إلخ » .

وقد جاء في تعريفه في اللائحة ما نصه : « المادة الأولى : مجلس إدارة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة : هو الهيئة العاملة للجامعة ، المشرفة على تنفيذ نظامها من النواحي التنظيمية والعلمية والإدارية » .

وقد نصت اللائحة على اختصاصه وصلاحيته في المادة الرابعة منه بما نصه : « مجلس الإدارة للجامعة الإسلامية منوط به السهر على تنفيذ نظم الجامعة وقواعدها من النواحي التنظيمية والعلمية والإدارية ، ويملك الصلاحيات التنفيذية اللازمة لتحقيق أهداف الجامعة ، وله أن يضع من الترتيبات ما يراه كفيلًا يحسّن سير الجامعة نحو رسالتها ..» إلخ .

وقد باشر هذا المجلس عمله بالفعل من حين فتحت الجامعة أبوابها ، وقد عني بشؤون الجامعة المناطة به ، وبذل وسعه فيما يراه صالحًا لها ، وقد ضم هذا المجلس من الأساتذة ورجال الفكر من هو جدير بالنظر في مصلحة الجامعة والنهوض بها إلى المستوى اللائق بمكانتها حق تحقيق أهدافها .

ورئاسة الجامعة حريصة على أن يضم المجلس مزيدًا من الأكفاء .

أما الأساتذة فمن حسن حظ الجامعة أن يدرك الأخ الكاتب- ونرجو أن يدرك معه الجميع- أن مهمتهم عظمى لعظم رسالتهم ، وأنه من الممكن أن تبنى جامعة بالمسلح ، ومن السهل أن تملأ الحجرات بالمكاتب والكتب ، ولكن ليس من السهل أن يسد الفراغ بأساتذة أكفاء ، ولا سيما في هذا العصر الذي قل فيه العلم والعلماء ، وغلب فيه الجهل والهوى .

والجامعة اليوم في وضعها الحالي قد ضمت نخبة صالحة من خيرة الأساتذة

ولله الحمد ، ولكنها لا تزال في حاجة إلى المزيد من الأساتذة الأكفاء حتى يتعاون الجميع على السير بها قدمًا إلى تحقيق ما أسست له وأنيط بها ، والجهود مبذولة في ذلك ، ورئاسة الجامعة حريصة كل الحرص على النهوض بالجامعة والسير بها نحو أهدافها العظمى ، كما تحرص أيضًا على انتهاز الفرصة مع الحكومة السَّنيَّةِ في تدعيم الجامعة التي اضطلعت بأعبائها في الوقت الذي اختلفت فيه جهات النظر حول الإسلام والمسلمين .

ونسأل الله تعالى أن يهيئ لهذه الجامعة كل ما فيه رفع شأنها ، والنهوض بها إلى المستوى اللائق بها ، حتى تحقق ما علق عليها المسلمون من آمال كبيرة ، إنه خير مسؤول .

وختامًا ؛ فالجامعة ترحب بزيارة الأخ الكاتب أمين وأمثاله من جميع المهتمين بشأنها في أي وقت كان ، وسنيسر لهم الاطلاع على كل ما يهمهم ؛ لتبادل الرأي في كل ما من شأنه الإصلاح والبناء وتذليل العقبات ، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل ، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه .



تعقيب على وجهة نظر[١]

نشرت « جريدة الندوة » الغراء في عددها (٨٧١) بتاريخ ١٣٨١/٦/١١هـ في باب : « وجهة نظر » كلمة لفضيلة الشيخ مصطفى السالم تصور آمال المسلمين نحو الجامعة الإسلامية ، والبرنامج الإذاعي « نداء الإسلام » ، ومجلة « راية الإسلام » ، ويشيد حفظه اللّٰه بالجهود الجبارة والمساعي المتكررة التي قام بها حضرة صاحب الجلالة الملك - أيده اللّٰه تعالى- لرفع مستوى البلاد ، والنهوض بأعباء الدعوة الإسلامية ؛ تجعلنا نصافح العالم الإسلامي ، بل نكون في الطليعة إلى ميادين العزة والكرامة . وقد جاءت وجهات نظر لفضيلة الكاتب إزاء كل مشروع كالآتي :

١- نحو مجلة « راية الإسلام » : يأمر فضيلته أن تعالج مشاكل العالم الإسلامي على ضوء من الإسلام وتعاليمه وتوجيهاته .

وهي وجهة نظر سليمة نشاركه فيها ، ويشاركنا معه القائمون بشؤون المجلة ، وقد خطت « الراية » خطوات إلى الأمام ، وطالما عالجت المشاكل الاجتماعية ، ورسمت خطط السير في محيط تعاليم الإسلام من مسائل عائلية ومناهج تعليمية ، وغير ذلك ، ومع ذلك فإنا نرجو لها أفقًا أوسع يحقق كل الآمال .

٢- نحو الجامعة فيما يتعلق بامتحان القبول :

قال فضيلته : إن امتحان القبول بالجامعة الإسلامية بالقسم الثانوي ...[٢] فصل تحضيري يدخله حملة الابتدائية لمدة سنة أو أكثر ، يدرسون فيه : « عمدة الأحكام » ، و« عمده الفقه » ... إلخ ، ثم يمتحنون بعدها للقبول . انتهى كلامه .

---

(١) صحيفة المدينة المنورة - العدد (١٠١٨).

(٢) مقدار أربع كلمات غير واضحة بالأصل.

وقد وضع فضيلته هذه الملاحظات بين يدي المكرم الأستاذ أحمد جمال ؛ رجاء تقديم الخبر ...[١] هذه النقاط زلفت الأنظار إليها باستمرار . والأستاذ أحمد بدوره وضع تلك الملاحظات بين يدي المسؤولين عن الجامعة ؛ مستيقنًا أنهم سيرحبون بها ويتلقونها بالتمحيص والتدقيق .

والمسؤولون عن الجامعة بدورهم يبدون وجهة نظرهم تعقيبًا على ذلك ؛ استجابة للمكرم صاحب الجريدة ، وإجابة لفضيلة الكاتب ، وإطلاعًا لحضرات لقراء على الواقع ؛ إذ الجامعة تهم كل مسلم .

أولًا : يسر الجامعة أن تتلقى كل اقتراح ، وأن تطلع على وجهات النظر ، ما دام الدافع هو الإصلاح والغاية هي خدمة الصالح العام ، ولا سيما في مثل هذا المشروع المبارك :

أما عن مجيء نتيجة الامتحان بنجاح بضع وعشرين فقط من مئات المتقدمين- على حد قول الكاتب - فهذا إن دل على شيء ابتداء فإنه يدل على الدقة والأمانة والنزاهة ، وبناء هذا الكيان على أسس من العلم والكفاية يتناسبان مع رسالة الجامعة وأهدافها ، وكنا نود أن يتحقق فضيلة الكاتب من صحة عدد المتقدمين للامتحان ، وقد نشر في الصحف واطلع عليه الجميع وأنه (١٦٦) فقط مائة ...[٢] فقط أي : دون المائة ، ولو تحقق فضيلته من ذلك ، أو صاحب الجريدة نبه على ذلك لكان أليق بالصحافة ، وأولى بجريدتنا الغراء .

أما ادعاء كون البدء هزيلًا ! فهو نتيجة عدم التثبت من بقية الخبر ، والقراء الكرام قد اطلعوا على الأمرين إلى يوم واحد معا ، فهم في غنى عن بيان الواقع ؛ لأنهم قرأوا ما نصه : « وقد التحق بالجامعة جمع غفير قبلوا بدون اختبار ؛ بناء على مؤهلاتهم الدراسية » وفيه أيضًا : « ولم تزل الجامعة تستقبل طلابها الوافدين

(١) كلمة غير واضحة بالأصل .

(٢) موطن قص في أصل الصحيفة تسبب في سقط أكثر من سطر .

إليها المتوفرة فيهم شروط القبول » .

ونحن نتساءل : هل يتفق بدء هزيل مع التحاق جمع غفير ؟

ونحب أن نطمئن حضرة الكاتب ، وحضرة صاحب الجريدة ، وحضرات القراء الكرام ؛ بأن جميع سفارات البلاد الإسلامية مهتمة بإرسال طلبات الراغبين . وبعضهم يكتب في الطلب المزيد من المنح الدراسية . فلن تكون بإذن اللَّه تعالى هزيلة بوجه عن الوجوه .

أما عن الاقتراح بفتح سنة تحضيرية ، فمبناه على أمرين :

أولًا : قلة عدد الناجحين ، وبالتالي قلة الطلاب .

ثانيًا : ضعف الطلاب ...[1] عن مستوى دروس الجامعة بالقسم الثانوي .

والجواب على هذا الاقتراح من ناحتين :

الأولى : عن الأمر الأول الذي بنى عليه الاقتراح ، وما رتب عليه من نتائج : قلة الناجحين .. قلة الطلاب . فالجواب يعلم عنه ما سلف .

والثانية : أن اقتراح الأستاذ بفتح فصول تحضيرية محل نظر ، وقد أشير إليه في منهج الجامعة الذي سبق نشره ؛ لأنه جاء فيه ما نصه : أنه عند الحاجة يمدد القسم الثانوي إلى ست سنوات ، أي : بإيجاد مرحلة إعدادية . ولكن- وللَّه الحمد- لم تدع الحاجة إليه حتى الآن ؛ لكثرة المتقدمين والملتحقين بالجامعة .

ومن جهة أخرى أيضًا فالجامعة تستقبل طلابًا من البلاد الإسلام جميعها ، وهذا معناه سفر الطلاب إلى الجامعة وتغربهم عن بلادهم ، والطالب في المرحلة الإعدادية لا تسمح له سنه بالسفر والاغتراب ، ومجرد الحصول على الابتدائية من الخارج لا تهيؤه لملائمة الجو العلمي بالجامعة ، خصوصًا إذا كان من غير البلاد العربية .

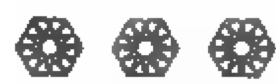
---

(١) كلمة غير واضحة .

وأما عن فتح المراكز الإسلامية من البلاد الأخرى، وإيجاد ملحقين ثقافيين بالسفارات السعودية في جميع البلاد، فهذا ما تدعو إليه الحاجة، ويستلزمه واجب الحكومة السعودية، وقد جاءت الإشارة في التعليق السابق من رئاسة الجامعة إلى أن مركز الحكومة السعودية الديني والدنيوي يتطلب منها وفاء بحق الإسلام والمسلمين، ورعاية لما حباها اللَّه به من خدمة الحرمين أن تبذل في سبيل ذلك ما وسعها، وقد منَّ اللَّه عليها من واسع فضله ...[1] دعاة عون إلى اللَّه تعالى.

وإنها لمناسبة سعيدة دعت إلى التحدث عن عوامل بناء أمة إسلامية متكاملة البناء موحدة الأهداف، فالجامعة مقر الدراسة ومنهل عذب لمن يرد عليه والبرنامج الجديد المسمى: «نداء الإسلام» لسان ناطق يبلغ من يصل إليها.

ومجلة «راية الإسلام» ...[1] لمن يرجع إليه، وكلها أياد كريمة يمدها جلالة الملك سعود- أسعده اللَّه- بها إلى العالم الإسلامي، ومفاخر عظيمة يودعها التاريخ يستغني بها من سلك السبيل لبناء المجد والعزة. وفق اللَّه جلالته وكلل مساعيه للنجاح، إنه على كل شيء قدير.



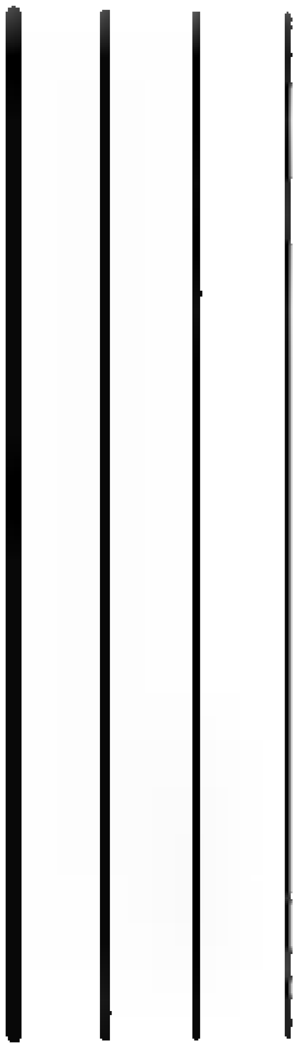
(١) كلمة غير واضحة.

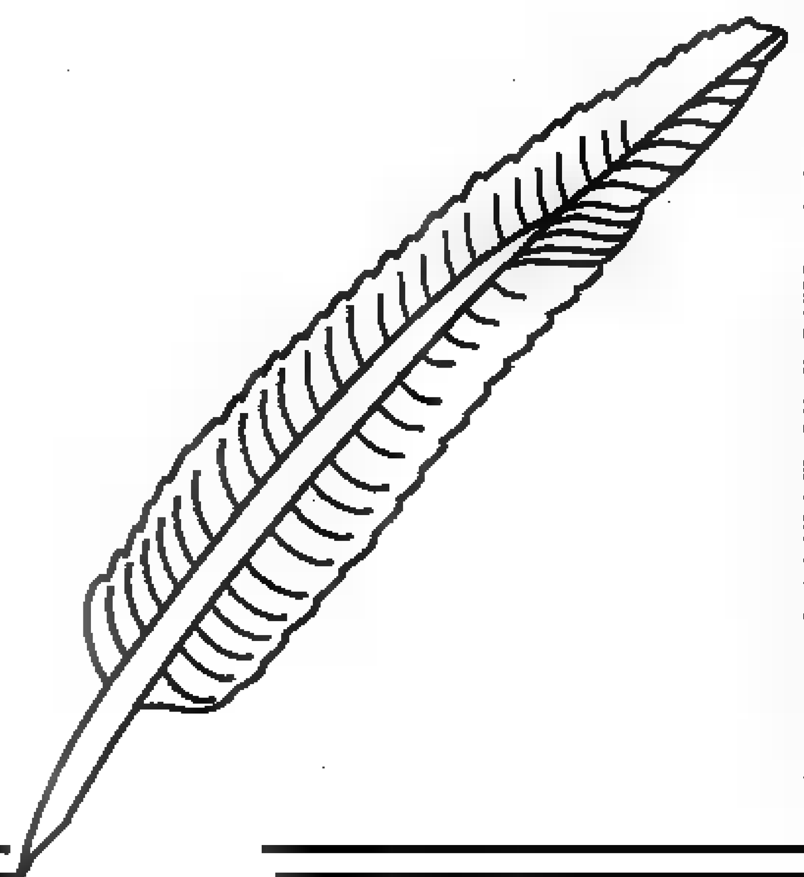


مقالات الشيخ

حمود بن عقلا الشعيبي رحمه الله

١٣٤٦هـ - ١٤٢٢هـ





مقالات الشيخ حمود بن عقلا[١]

رسالة النقد

« الثمار الشهية »[٢]

لا شك أن « العقيدة الواسطية » لها مكانة مرموقة بين العلماء المحققين ، ولها

(١) هو الشيخ العلامة حمود بن عبد الله بن عقلاء الشعيبي الخالدي .
ولد في بلدة الشقة من أعمال بريدة سنة ١٣٤٦هـ ونشأ فيها ، وعندما بلغ السادسة ألحقه والده بالكتّاب فتعلم القراءة والكتابة والحساب ، ثم قراءة القرآن ولما بلغ السابعة من عمره كف بصره بسبب مرض الجدري ، وعلى الرغم من ذلك واصل دراسته في الكتّاب ، وقد حفظ القرآن وعمره ثلاثة عشر عامًا .
ثم رحل إلى الرياض لطلب العلم فبدأ بتلقي العلوم على الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ ، وأكمل الآجرومية والأصول الثلاثة والرحبية في الفرائض والقواعد الأربعة حتى أكملها فهمًا وحفظًا .
ثم انتقل للقراءة على سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، فقرأ عليه زاد المستقنع ثم كتاب التوحيد وكشف الشبهات والواسطية لشيخ الإسلام والأربعين النووية وألفية ابن مالك وبلوغ المرام والطحاوية والدرة المضيئة للسفاريني والحموية واستمرت القراءة على الشيخ محمد بن إبراهيم حتى فتح المعهد العلمي عام ١٣٧١هـ فالتحق به ثم بعد تخرجه التحق بكلية الشريعة .
درس على الشيخ عبد العزيز بن باز ، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، والشيخ عبد الرحمن الأفريقي ، والشيخ عبد العزيز بن رشيد .
وبعد تخرجه من كلية الشريعة عين مدرسا في المعهد ، ثم نقل للتدريس في الكلية وذلك عام ١٣٧٧هـ وبقي فيها إلى عام ١٤٠٦- ١٤٠٧هـ طلب أن يحال للتقاعد .
وممن تتلمذ على يديه في تلك الفترة سواء في الكلية أو المعهد : الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ والشيخ عبد الله بن عبد المحسن التركي ، والشيخ عبد الله بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، والشيخ صالح بن فوزان الفوزان ، والشيخ غيهب الغيهب ، والشيخ علي بن خضير الخضير .
له من المؤلفات : بحث في الإمامة العظمى ، والبراهين المتظاهرة على حتمية الإيمان بالله واليوم الآخرة ، والقول المختار في حكم الاستعانة بالكفار .
توفي في ١٤٢٢/١١/٥هـ .

(٢) صحيفة القصيم- العدد (١٤) في ١٣٧٩/٩/٤هـ .

مميزاتها الخاصة من حيث اختصار اللفظ ودقة المعنى وسهولة التعبير .

فقد جمعت من أدلة أصول الدين العقلية والنقلية الكثير ، واشتملت على أصول وقواعد قطعية قلما توجد في غيرها من ذلك . فقد ظلت ردحًا من الزمن بدون شرح يجلو غوامضها ، ويكشف ما خفي من عباراتها ، إلى أن وفق لشرحها فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ زيد بن فياض ، فجاء شرحه وافيًا بالمقصود ، حافلًا بالمسائل والبحوث الممتعة ، متحليًا بحسن الترتيب للنقول ؛ إذ قد سلك في النقل طريقة لائقة ، فقد راعى الأمانة في التأليف فنسب كل نقل إلى مصدره مشيرًا إلى الكتاب والصفحة التي نقل منها ، وهي طريقة لا شك مستحسنة .

كما أن لفضيلة الشيخ العالم العلامة عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي حاشية على « الواسطية » لم تطبع حتى الآن .

ولفضيلة أستاذنا الشيخ الجليل عبد العزيز بن رشيد شرحًا جميلًا له قيمته ومكانته العلمية .

وأخيرًا شرحها الأستاذ محمد خليل هراس ، وهو ولا شك في فضله وعلمه ، فقد عني بقراءة كتب السلف ولا سيما مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية ، فقد تأثر بها ، وكتب عن حياته كتابًا أسماه : « ابن تيمية السلفي » . ثم كتب شرحه على « الواسطية » الذي نحن بصدده ، وهو موضوع بحثنا ، ويمتاز بالاختصار وعدم التكلف ، غير أن لي عند قراءته بعض الملاحظات ، عرضت لي عند قراءته فأحببت أن ألفت نظر قارئ هذا الكتاب ؛ ليتنبه لهذه الأخطاء :

فقال المؤلف في (ص ٣) عندما تكلم عن اشتقاق الاسم : « والمختار أنه مشتق من السمة ، بمعنى العلامة » .

فقوله : والمختار أنه مشتق من السمة ! غير صحيح ، فإن المختار : أنه مشتق من السمو ، أي : العلو . كما هو رأي البصريين ، ويدل عليه قول المبرد : الاسم : ما دل على مسمًّى تحته .

أما الرأي الذي ذكره الأستاذ: أنه المختار، فمردود من عدة أوجه:

١- أن النحاة أجمعوا على أن همزته همزة تعويض. والقاعدة المطردة: أن الهمزة لا تعوض في أول الكلمة. والقاعدة: أنه إذا حذفت الفاء أن يعوض عنها الهاء في الآخر.

٢- أنهم جمعوه على «أسماء». ولو كان مشتقًّا من الوسم لجمع على «أوسام».

٣- أنهم صغروه على «سمي». ولو كان اشتقاقه من الوسم لصغر على «وسيم».

٤- أنك تقول: أسميت الشيء. ولو كان من الوسم لقيل: وسمته.

ووجه ملاحظتي على كلام الأستاذ؛ لا لأنه ذكر أحد الرأيين، بل لأنه ذكر أنه المختار، والمختار خلافه كما علمت.

وأيضًا قال في نفس الصفحة في تعريف الاسم: «والاسم هو اللفظ الموضوع لمعنًى تعيينًا له، أو تمييزًا».

هذا ما عرف به الاسم! غير أنه تعريف ناقص؛ لأن الحد يجب فيه أن يكون منعكسًا مطردًا، أي: مانعًا جامعًا، وهذا التعريف الذي ذكره الشارح جامع غير مانع، فإنه وإن كان جامعًا لأفراد الاسم فهو غير مانع لغيره من الدخول، فإن الفعل والحرف داخلان في هذا التعريف؛ إذ كل منهما لفظ وضع لمعنًى، تعيينًا له أو تمييزًا.

والحد الصحيح: أن يقال: الاسم: لفظ وضع لمعنًى في نفسه غير مقترن بزمن.

اعلم أيها القارئ الكريم أنني أحببت أن أتكلم على الكتاب من أول صفحة منه؛ لذا بدأت بهاتين النظرتين، أما الرد الجوهري الذي يمس العقيدة فسنمر عليه في النشرات القادمة إن شاء اللَّه.. للحديث صلة.

رسالة النقد
حول « الثمار الشهية »[١]

قدمت لك أيها القارئ العزيز في العدد الماضي بعضًا من ملاحظاتي على كتاب « الثمار الشهية » . ووعدت بأني سأوافي القراء ببقية الملاحظات بالتسلسل :

قال الشارح في صفحة (٩) في كلامه حول شهادة لا إله إلا اللَّه : « ولا تعتبر الشهادة إلا إذا كانت مصحوبة بالإقرار والإذعان ، وواطأ عليها القلب اللسان » .

يتضح لك من كلامه أن الشهادة لا تعتبر بوجه من الوجوه إلا إذا تواطأ عليها القلب واللسان ! وهذا خطأ ؛ فإن الشهادة معتبرة قطعًا في بعض الأحوال ، كعصمة الدم والمال ، وصحة التزوج من المسلمين ، والتوارث معهم ، واستحقاق القسم من الغنيمة .

وبالجملة فالشهادة معتبرة في الأمور الظاهرة دون الباطنة وإن لم يواطئ عليها القلب اللسان ، ولهذا اعتبرت من المنافقين مع عدم مواطأة ما في قلوبهم لما تنطق به ألسنتهم .

ولعل من أوضح ما يستدل به في هذا المقام ، قوله ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللَّه وأني رسول اللَّه ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على اللَّه »[٢] . فمدلول الحديث أن الرسول ﷺ اعتبر الشهادة عاصمة للدم والمال بمجرد النطق بها ، ووكل إقرار القلب ومواطأته اللسان إلى اللَّه سبحانه ؛ إذ قال : « وحسابهم على اللَّه » . أي : اللَّه يحاسبهم على بواطنهم .

---

(١) صحيفة القصيم- العدد (١٥)- ١١/٩/١٣٧٩هـ .

(٢) أخرجه البخاري (٢٥، ١٣٩٩، ٢٩٤٦) ، ومسلم (٢٠ ٢٢) من حديث أبي هريرة وابن عمر رضي اللَّه عنهم .

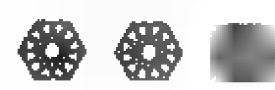
وقال في صفحة (١٠) في معرض حديثه عن قول ابن تيمية «إقرارًا به وتوحيدًا» : «أي : التوحيد الطلبي الإرادي» .

يفهم من حصر الشارح التوحيد في عبارة الشيخ ابن تيمية بالتوحيد الطلبي الإرادي : أن الشيخ رحمه اللّٰه لا يقر بتوحيد الأسماء والصفات والأفعال ! وليس الأمر كذلك ؛ فإن «توحيدًا» في عبارة الشيخ مصدر لفعل محذوف ، أي : وأوحد اللّٰه توحيدًا . فيشمل أنواع التوحيد كلها . وواقع ابن تيمية وسيرته يشهدان بذلك ، فلقد قضى أيام حياته في تقرير التوحيد بأنواعه الثلاثة ، ولعل في كتابه رسالة «الواسطية» التي شرحها الأستاذ الهراس ، أقوى دليل على ما ذكرنا .

ومما تقدم يتبين للقارئ : أن عبارة ابن تيمية لا تقتصر على هذا النوع من التوحيد . وأنا وإن كنت لا أشك أن الأستاذ معي في هذا الرأي ، ولما كان في العبارة قصور ، نبهت عليه .

هذا ، وقال في صفحة (١٣) في تعريفه للفرقة الناجية ؛ أهل السنة والجماعة : «والمراد بهم هنا سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين» .

كذا قال . وهو قاصر ؛ فإن أهل السنة والجماعة[1] لا يحصرون بمن ذكر ، بل هم من كان على مثل ما عليه الرسول ﷺ وأصحابه إلى يوم القيامة ، كما عرفهم الرسول عندما سئل : من هم الفرقة الناجية ؟ فقال : «هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»[2] .



(١) في الأصل : «السنة الجماعية» .

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٤٨٨٦، ٧٨٤٠) من حديث أنس ، وأخرجه الحاكم (١/١٢٩) ، والمروزي في السنة (٥٩) ، وابن بطة في الإبانة (٢٦٥) من حديث عبد اللّٰه بن عمرو رضي اللّٰه عنهم . وانظر السلسلة الصحيحة (٢٠٣، ١٤٩٢) ، والضعيفة (١٠٣٥) .

رسالة النقد
حول «الثمار الشهية»[(١)]

سبق أن قدمنا لك بعض الأخطاء التي وردت في كتاب «الثمار الشهية»، وبينا وجه الصواب فيها، ونحن نتابع الكتابة في هذا الموضوع، فنقول:

قال في صفحة (٥٣): «على أنه لا يلزم من هذا المجيء والإتيان شغل مكان وتفريغ مكان، ولا الهبوط أو الانتقال»

كذا قال! ولكن ما ذكره مخالف لرأي السلف الصالح وأئمة الهدى من طريقين:

أولًا: أنه من النفي المفصل الذي يفضي بصاحبه إلى التعطيل المحض.

ثانيًا: أنه من الخوض في كيفية الصفات التي يستحيل على البشر معرفتها، والطريقة الإجمالية[(٢)] للسلف في نصوص الصفات: أنهم يؤمنون بمعانيها ويقرونها بما يوافق اللغة، ويمسكون عن الخوض في كيفيتها وكنهها، وإليك بعض الأمثلة على ذلك:

سئل مالك، فقيل له: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: الآية ٥] كيف استوى؟ فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وغضب وأمر بإخراج السائل؛ لأنه عرف أن سؤاله عن الكيفية، فأراد غلق باب الخوض في كيفية الصفات، والاقتصار على ما ورد.

وقال في صفحة (٦٢): «وأما القدرة فهي الصفة التي تتعلق بالممكنات».

تخصيص قدرة اللّه بالممكنات من علم الكلام المذموم الذي هو أصل كل

---

(١) صحيفة القصيم- العدد (٢٣) في ١٣٧٩/١١/١٤هـ.

(٢) في الأصل: «الإجماعية».

بلاء وضلال في أصول الدين، وإلا فقدرة اللّٰه عامة شاملة لكل شيء، كما نص القرآن على ذلك، حيث يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: الآية ٢٠] أما ما يذكرونه من الفرضيات المستحيلة التي لا يتصور وقوعها، فليست بشيء حتى يقال: هل تتعلق بها القدرة أو لا تتعلق بها.

وقال في صفحة (٦٧) في معرض كلامه على أفعال اللّٰه الاختيارية: «فإنها تتجدد في ذاته».

كرر هذا القول في أكثر من موضع من كتابه، وهو خطأ؛ إذ لا يليق إطلاق هذا القول في حق اللّٰه؛ لأنه يوهم أن يكون اللّٰه محلًا للحوادث، فالواجب أن يقال: قامت الأفعال الاختيارية باللّٰه. ولا يجوز أن يقال: حدثت في ذات اللّٰه، أو حلّت أو تجددت في ذاته؛ لما في هذه الألفاظ من الإجمال والإيهام.

وقال في صفحة (٧٩) حول اختلاف الناس في كلام اللّٰه: «ومنهم من زعم أنه حروف وأصوات قديمة لازمة للذات، وقال: إنها مقترنة في الأزل، فهو سبحانه لا يتكلم بها شيئًا بعد شيء. وهم بعض الغلاة من الحنابلة».

تخصيص بعض الحنابلة غير صحيح؛ فإنه روي أيضًا عن طائفة من علماء الكلام، كما هو قول لبعض المحدثين، وعلى كلٍ فهو قول باطل، يجب تنزيه الباري عنه.

وقال في صفحة (٨٢): «وليس فقط عبارة أو حكاية عن كلام اللّٰه، كما يقوله الأشعرية».

نسبة هذا القول إلى الأشاعرة، هكذا على الإطلاق ليست صحيحة، فالأشاعرة، وإن قالوا: بأنه عبارة عن كلام اللّٰه لا يقولون: إنه حكاية عنه. وإنما الذي يقول: القرآن حكاية عن كلام اللّٰه هم الكُلَّابيَّة.

وقال في صفحة (٩٠): «حكم السنة حكم القرآن في ثبوت العلم واليقين».

ليس هذا القول على إطلاقه ، فإن السنة قسمان : آحاد وتواتر . ومعظم السنة من القسم الأول ، وكلامه إنما يصدق على القسم الثاني ، أما القسم الأول الذي هو قسم الآحاد ، وهو معظم السنة ، فلا يثبت له حكم القرآن ؛ إذ دلالته ظنية ، ودلالة القرآن قطعية .

وقال في صفحة (١٠٦) : « عدولًا خيارًا » .

جمع المؤلف عدل على عدول ، وهو وإن عبر به بعض الفقهاء ، فإنه لا يجوز لغة ؛ لأنه من النعت بالمصدر ، والنعت بالمصدر لا يجوز جمعه ، بل يجب إفراده وتذكيره ، قال ابن مالك في « الخلاصة » :

ونعتوا بمصدر كثيرًا فالتزموا الإفراد والتذكيرا

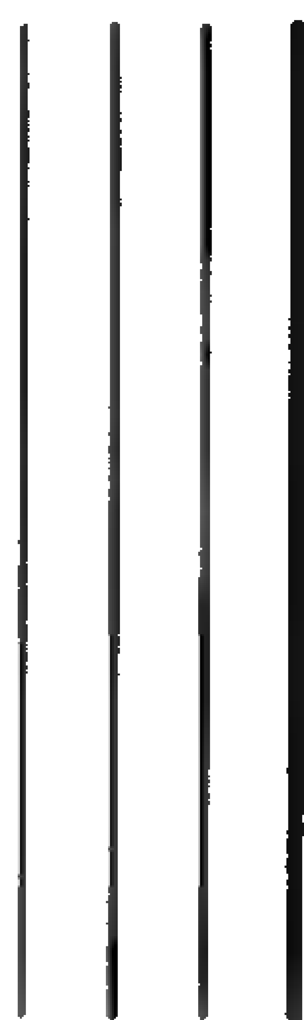
وقال في صفحة (١٣٣) حول الكلام على مراتب القدر : « وثانيهما : الإيمان بالأمر الشرعي » .

قوله : وثانيهما : الإيمان بالأمر الشرعي . غلط ، لا صلة له بدرجات القدر التي ذكرها ابن تيمية . والصواب أن ثانيهما : خلق اللَّه للأشياء ، وإيجاده لها ، وإيضاح ذلك أن القدر على درجتين ، كل درجة تتضمن شيئين ؛ فالدرجة الأولى تشتمل على أمرين ؛ أولًا : علم اللَّه القديم بجميع الأشياء . ثانيًا : كتابته لها في اللوح المحفوظ .

والدرجة الثانية : تشتمل على شيئين أيضًا ، أولًا : مشيئة اللَّه الشاملة لجميع الأشياء . ثانيًا : خلقه لتلك الأشياء ، وإيجاده لها . وهذا القسم الأخير من الدرجة الثانية ، وهو موضع المؤلف ، حيث جعل بدله وجوب الإيمان بالأمر الشرعي .

وبهذه الفقرة تنتهي جولتنا حول « الثمار الشهية » ، وقد جاءت ملاحظاتنا مقصورة على بيان الأخطاء التي وردت في الكتاب .

أما ما وقع فيه من نقول غير منسوبة ، ومن اختصار مخل في بعض المواضع ، وغير ذلك فلم نتعرض له بشيء .

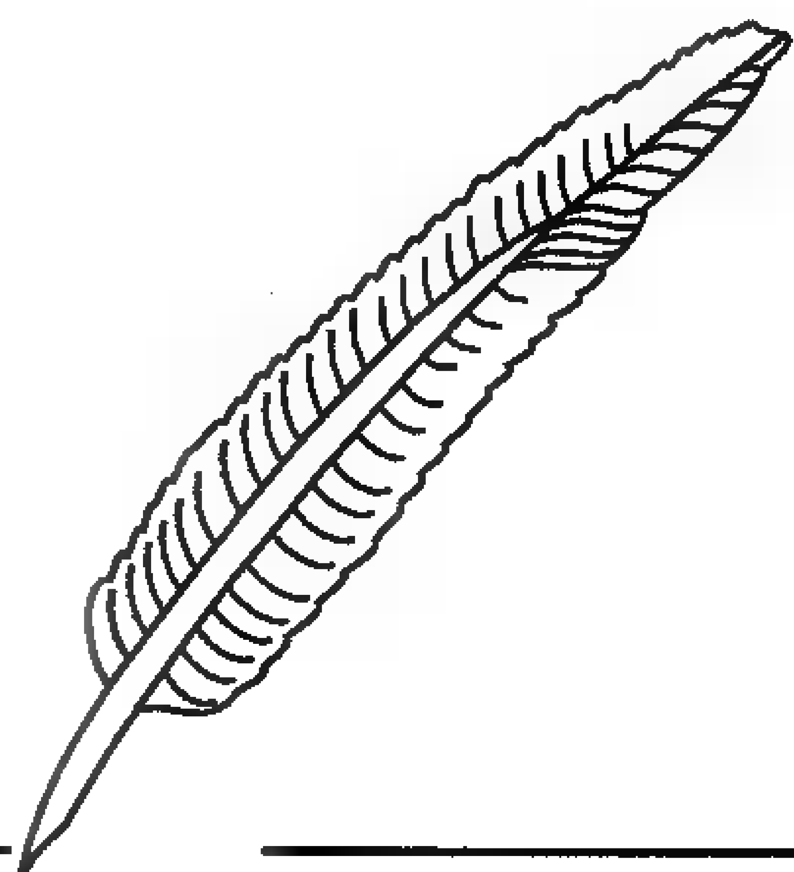


مقالات الشيخ

عبد اللَّه بن عبد الرحمن البسام رحمه الله

١٣٤٦هـ - ١٤٢٣هـ





مقالات الشيخ عبد اللّٰه بن عبد الرحمن البسام[(١)]

(١) هو الشيخ عبد اللّٰه بن عبد الرحمن بن صالح بن حمد بن محمد بن حمد البسام.
ولد في مدينة عنيزة عام ١٣٤٦هـ. ودخل في صباه المبكر كُتَّاب الشيخ: عبد اللّٰه بن محمد القرعاوي، ثم على والده الشيخ عبد الرحمن البسام، فشرع يتلقى عليه دراسة القرآن الكريم والتفسير والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، والفقه والنحو.
ثم التحق في سلك الطلاب الكبار عند الشيخ العلامة عبد الرحمن الناصر السعدي -رحمه اللّٰه- ، فصار يحضر دروسه ولا يفوته منها شيء. كما قرأ على كبار تلاميذه مثل: الشيخ سليمان بن إبراهيم البسام، والشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع. ومن مشايخه أيضا الشيخ عبد الرحمن بن عودان.
حفظ من أصول العلم بعد القرآن الكريم، وكتاب التوحيد، وبلوغ المرام، وزاد المستقنع، وقطر الندى، وألفية ابن مالك في النحو والصرف. وكثير من المتون.
ولما فتحت دار التوحيد بالطائف التحق بها، ووجد فيها كبار العلماء من الأزهر وغيرهم وبعد تخرجه فيها التحق بكلية الشريعة بمكة، فلما تخرج من الدراسة الجامعية عمل قاضيا في الطائف ثم انتقل إلى مكة. عين مدرسًا رسميًا في المسجد الحرام فكان يلقي دروسًا عامة وخاصة، وعضوًا في رابطة العالم الإسلامي، وعضوًا في موسم الحج.
كما عين رئيسًا لمحكمة التمييز بمكة المكرمة ١٤٠٠هـ، وقام بها حتى تمت مدة عمله النظامي، ثم مدد له سنة، ثم تقاعد عام ١٤١٧هـ.
وقد تتلمذ على الشيخ -رحمه اللّٰه- مجموعة من طلاب العلم، منهم: الشيخ ناصر العبد اللّٰه الميمان، والشيخ شائع بن محمد الدوسري، والشيخ عبد القادر عبد الوهاب بغدادي، والشيخ: يوسف بن ردة الحسني. وغيرهم كثير ممن انتفع بعلم الشيخ.
له من المؤلفات «شرح على كشف الشبهات»، «حاشية على عمدة الفقه»، «تيسير العلام شرح عمدة الأحكام»، «توضيح الأحكام شرح بلوغ المرام»، «علماء نجد خلال ثمانية قرون»، وغيرها كثير من المطولات والمختصرات.
توفي الشيخ في ضحى يوم الخميس الموافق ١٤٢٣/١١/٢٧هـ إثر سكتة قلبية، وصُلي على الشيخ في مسجد الحرم بمكة المكرمة بعد صلاة الجمعة. فرحم اللّٰه الشيخ وأسكنه فسيح جناته.
وقد ترجم لنفسه في لقاء معه في «إذاعة القرآن الكريم- برنامج: في موكب الدعوة»، وانظر «صحيفة الرياض العدد ١٣٥٣١ في ١٤٢٦/٦/٥هـ».

الإسلام رسالة البشرية[(١)]

منذ هبط آدم والإمدادات الإلهية تتوالى ببعث الأنبياء وإرسال الرسل كلما احتاجت البشرية إلى هداة ينيرون لها الطريق، وقادة يأخذون بزمامها؛ ليخرجوها من الظلمات إلى النور.

وهكذا عناية اللطيف بخلقه، فما اختفت معالم دين إلا وتألقت مصابيح ساطعة ترشد الحيارى وتهدي الضالين، إلا أن هذه الرسالات تناسب المكان الذي نبتت فيه، والزمان الذي عاشت له، حتى إذا ما مضى عصرها وغام أفقها ▪ جاء من يزيل عنها غشاءها، وينير حلكتها، ويدعم ما وهن من بنائها، ويزيد[(٢)] فيها بقدر ما تجدد من حاجاتها وظرف من ظروفها، ولا تزال كل رسالة مهذبة لسلفها ممهدة لخلفها، حتى إذا أذن الله لهذا الغيث المدرار أن يقلع ويبقى أثره؛ يتمتع الناس بما يجنون من ثماره وأزهاره، وينهلون من موارده وأنهاره، جاءت الرسالة المحمدية تحمل معها جميع الأدوية لتطب جميع الأمراض والعاهات، مجهزة بأنجع الوسائل لحل القضايا والمشكلات؛ وما ذاك إلا لأنها أعدت للبقاء والخلود، وهيئت للتنفيس عمن قبلها بفك الأغلال والقيود.

نزلت هذه الرسالة بما تحتاجه البشرية على اختلاف أذواقها، وتباين عاداتها، وتباعد أقطارها، وتطاول أزمانها؛ لأنها الرسالة الشاملة، والدستور المهيمن على جميع الشرائع، والحاكم على كل المنازع.

ولم تكتف بتنظيم علاقة العبد بربه، وإنما دخلت على الأسرة في بيتها،

---

(١) مجلة اليمامة - العدد (٢) - في ١٣٧٤/٢هـ.

(٢) في هامش الصحيفة ما نصه: ومن المعلوم أن هذا في مسائل فروع الدين، حيث إنها تتبدل بتبدل الحاجة إليها ▪ أما أصول الدين فدعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم إليه واحدة: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: الآية ٣٦]. ▪ صاحب المقال ▪.

فبينت حق الوالد على ولده والولد على والده ، ونظمت العلاقات الزوجية ، ومشت مع الناس في أسواقهم لتهديهم سبيل العيش النافع الحلال ، وتجنبهم طريقه الضار الحرام .

ثم شرعت الحقوق الإسلامية بين عموم المسلمين ؛ حيث جعلتهم عضوًا واحدًا ، يألم كله لألم بعضه ويسعد بسعادته ، كما أوضحت معاملة المسلمين لغيرهم ، وأقامت حدودها ، وبينت معالمها .

ثم عقدت الرابطة بين الحاكم والمحكوم ببيان ما يجب له من الطاعة والنصح ، وما يجب عليه من العدل والتوجيه إلى الطريق الأقوم لمصالح دينهم ودنياهم .

وبالجملة فلم تترك طائرًا يطير في السماء إلا أفادت عنه علمًا بوضوح لا لبس فيه ، وعدل لا جور معه ، وحكمة لا محيد(١) عنها .

درجت هذه الرسالة على العدالة التي لا تَميُّزَ فيها بين شريف ووضيع ، ولا بين رئيس ومرؤوس ، ولا بين قوي وضعيف ، وإنما الضعيف فيها قوي حتى يقاد له الحق ، والقوي ضعيف حتى يقتص منه .

ونادت بالمساواة حتى جعلت لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ، وإنما الناس سواسية كأسنان المشط ، أكرمهم عند اللَّه أتقاهم .

وعملت بالشورى إلى أن صار نبيها المعصوم لا يقوم بعمل مما لأصحابه فيه رأي ومجال إلا استشارهم فيه ، واستمع لآرائهم وأقوالهم ؛ تطييبًا لقلوبهم ، وشحذًا لأفكارهم ، وليكونوا به من المقتدين .

وقدست الحرية حتى أن يقف أعرابي أمام خليفة المسلمين ويقول : يا عمر ، واللَّه لو لم تستقم لقومناك بسيوفنا . [فأخرجت الناس من عبادة](٢) الأوثان إلى

(١) في الأصل : « لا معد » ولعل الصواب ما أثبت .
(٢) سقط من الأصل ، ولعل المثبت هو المناسب للسياق .

عبادة الرحمن ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام .

وعلمت الإنسان العزة والرفعة ، بحيث لا يخضع ولا يستكين إلا بين يدي ربه .

وسنت الديمقراطية الحقة ؛ حتى كان أبو بكر يحلب الأغنام لجيرانه ، مع اضطلاعه بأعباء الخلافة ، وكان عمر توقفه العجائز ليستمع شكواهن ويقضي حاجاتهن .

هذه الأعمال وأكثر منها حققها الإسلام منذ أربعة عشر قرنًا على يد نبيٍّ أميٍّ لا يحسن الكتابة ولا القراءة ، ولم يدخل المدارس ولا الجامعات ، وإنما هي العناية الإلهية والتربية السماوية ، خلقت منه رجلَ التاريخ .

نضحت هذه الدساتير العالية والقوانين العادلة في صحارى قاحلة وأراض مجدبة من الحضارة والعمران ومن العلم والعرفان ، وإنما هي مقرٌّ للسباع المتفارسة ، وميدان للرياح المتناوحة .

هذه المبادئ الكريمة التي نادى بها ذاك الرجل الأمي من أعالي تلك الجبال الجرد هي ما يتشدق بها الغربيون في العصر الذي يسمونه : عصر النور ، إذا لم نقل : إنها ألفاظٌ جوفاء ؛ جُعلت شباكًا لصيد المستضعفين !! فإن حاولوا تحقيق شيء منها فقد استمدوا من شريعة من أرسل رحمة للعالمين .

فمتى نرى المسلمين- حكومات وشعوبًا- قد نفضوا عنهم غبار الخمول والجمود ، وانتبهوا من سباتهم العميق ؟ ونبذوا ما تعلق بأوهامهم من محاكات الغربيين في أعمالهم السافلة وأخلاقهم الرذيلة ؟ وأقبلوا بجد وعزم على الأخذ بما ينفعهم في دنياهم وأخراهم ؛ جاعلين نبراسهم المضيء ومشعلهم الهادئ كتاب ربهم وسنة نبيهم ؛ نابذين وراء ظهورهم ما سنته أدمغة خاوية ، وعقول أعماها الطمع والجشع عن أن تنظر إلى الإنسانية إلا بعين خائنة ، وتمد إليها المعونة إلا بيد مفترسة ؟!

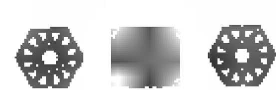
فمتى يرجعون إلى المناهل العذبة الصافية من معين دينهم النمير؟ ليجدوا فيه الري من الظمأ، والشفاء من الوباء، والإنقاذ من الشقاء، ويومئذ يعود للمسلمين مجدهم الغابر، ويرجع إليهم عهدهم الزاهر، ويستردون تراثهم المفقود، ويسودون كما ساد آباؤهم من قبل: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: الآية ٤٠].

إن الدين لمَّ أشتات العرب، وألَّف قلوبهم، وجمع كلمتهم، وهذب طباعهم، وصقل نفوسهم؛ حتى خرج منهم القادة المحنكون، والزعماء المدبرون، والعلماء المفكرون، والقضاة العادلون، ثم حملوا مشعل الحضارة، ورفعوا أعلام النصر؛ حتى خفقت على ممالك قديمة وحضارات عريقة، وفتحوا بالعلم والقرآن قبل السيف والسنان، وتملكت محبتهم القلوب قبل أن يتملكوا البلدان، لهو الدين الذي بين أيدينا وفي صدورنا، ولن يصلح آخر هذا الأمر إلا بما صلح به أوله. فيوم نقبل عليه بنية صالحة وعزيمة صادقة فنزكي به نفوسنا ونطهر به مجتمعنا، ثم نقدمه إلى العالم بعد أن نبرز فضائله، ونجلو محاسنه، ونزيل عنه ما علق به من الأوهام وألصق من الأكاذيب، فيومئذ نكون قد أدينا ما علينا من وجوب تبليغه والدعوة الحسنة إليه، كما نتصف بالنصح لله ولكتابه ولرسوله ولعامة الناس وخاصتهم، وحينئذ ننير للبشرية طريق السعادة؛ فنخرجهم من ظلمات الجور والعدوان إلى عدل السنة والقرآن، وننقذهم من ويلات الحروب وما تجره من مصائب وآلام إلى واحة الراحة في ظلال الأمن والسلام. وبذا تسكن القلوب الواجفة، وتقر الأبصار الشاخصة، ويأوي العالم إلى ظل ظليل ونسيم عليل، وتغرد بلابل السلام في أفنانها متناغية بأعذب الألحان وأشجى الأنغام، بعد أن أصمها أزيز النفاثات ودوي المدافع وصريخ القنابل.

والحمد والثناء لمن له الأمر من قبل ومن بعد، فإن ما نراه اليوم من زيارات يقوم بها زعماء الإسلام والعرب– وعلى رأسهم جلالة الملك المعظم سعود–

ومن توطد علاقات لمسناها في عامنا هذا، وما قيل من مجلس سيعقد في مكة المكرمة بين رؤساء المسلمين، حيث يتوافدون من أقطار الأرض لمؤتمرهم الكبير حين يؤدون مناسكهم ويحققون سعادة دينهم ودنياهم.

إن هذه البوادر الطيبة لتدعو إلى الفأل الحسن في المستقبل السعيد والعهد المجيد. حقق اللّٰه على أيديهم الآمال، ووفقهم لما فيه صلاح الإسلام والمسلمين.



حول تقنين الشريعة[1]

قرأت كلمة الأستاذ سمير شما في عدد « البلاد » (٢٧١) الصادر في ٢٠ /٦ /٧٩هـ حول : « تقنين الأحكام الشرعية » .

وأنا لا أشك في غيرة الأستاذ على دينه وتمسكه بأهداب شريعته . ولكنه تُحولُ إلينا أفكارٌ وآراءٌ من أعداء ألداء ، يحاربون الإسلام بكل وسيلة ، ولعلهم وجدوا أنجع سلاح للقضاء عليه هي هذه الأسلحة اللينة الملمس البراقة المنظر ، وهي طريق الأفكار الهادئة ، والبحوث المستطابة ، وبهذا يلجون إلى مقصدهم بلا تنفير ولا ضوضاء . فتجد هذه البحوث الجديدة عندنا قلوبًا تقبلها وتأخذها عن حسن نية وسلامة طوية ، وفيها ما فيها من السمِّ الزعاف .

هذه الفكرة :

هذه الفكرة التي عرضها الأستاذ ، ورغب في تنفيذها ، وهي : « أن يقوم رجال الدين في المملكة بتوحيد الأحكام بمجلة واحدة ، تأخذ بما يقررونه في صالح المسلمين من أقوى المذاهب حجة ودليلًا من الكتاب والسنة دون التقيد بمذهب » .

هذه الفكرة التي عرضها الأستاذ من تلك الدعايات المغرضة التي دخلت علينا من أعدائنا ؛ ليهدموا بها ديننا وليسلخونا من عقيدتنا .

ويسمح لي بهذا التسرع والشدة ، فالمقام يدعو إلى هذا ، وما أصيب إخواننا العرب والمسلمين بمشارق الأرض ومغاربها بهذه القوانين الأرضية بدل القوانين السماوية ، إلا لأنهم قد ابتلوا باستعمار أعداء الإسلام لبلادهم ، وهذه القوانين الوضعية من آثارهم السيئة وطعناتهم المؤلمة .

ولما طهر اللَّه هذه البلاد السعودية- وللَّه الحمد- من أقدامهم القذرة ، بقيت

(١) صحيفة الندوة العدد (٢٧٧) في ١٣٧٩/٦/٢٦هـ .

طيبة طاهرة ، تشم منها عطور النبوة وشمائل الرسالة بتحكيم السنة المطهرة الكاملة ، فقلَّت فيها الجرائمُ والجنايات ، بينما غيرها يضج من القتل والنهب والسلب والفجور والخمور ؛ لأن تلك القوانين- التي لم تتصف ببركة الشريعة وحكمتها- لم تكف لقمع الشر وردعه ، فاضطرب الأمن واختل النظام وتفاقم الشر .

وأنا لا أحمل كلام الأستاذ ما لا يحتمل ، ولا أقوّله ما لا يقول ، ولا ألزمه بما لم يلتزم ، ولكني أنبهه - ولا مؤاخذة - إلى أن هذا هو نتيجة دعوته وثمرة فكرته .

لماذا لم تنفذ :

والآن نحب أن ندخل مع الأستاذ في مقاله ، فنناقشه على ضوء ما أيد به فكرته :

فقد ذكر أن هذه الفكرة قديمة لدى حكومتنا ، وأن أول من فكر فيها المغفور له الملك الراحل منذ أكثر من ثلاثين عامًا ، ولكننا لم نر - والحمد للَّه - أثرًا لهذه الفكرة ! فما الذي صرف فكر الملك عبد العزيز عن تنفيذها ؟! وهو من علمناه في همته وعزمه ، وفي محبته لكل ما فيه صلاح للإسلام والمسلمين ؛ لابد أن تفكيره الصائب واستشارته لأهل الغيرة من العلماء العاملين هدياه إلى أن ليس من الخير والصالح إبرازها ، فماتت في جوف من أذاعها .

مقدمة ذات حدين :

ثم نقل الأستاذ لنا فصلًا من كلام شيخ الجامع الأزهر- سابقًا- حول سياسة الشريعة ، فيه شيء من روح الإسلام ولفحته ، إلا أنها مقدمة ذات حدين يستعملها المحق المنصف لبيان مرونة الإسلام وسماحته ، وأنه صالح لكل زمان ومكان ، ومتكفل بسعادة البشرية في دنياها وأخراها ، ويستغله المبطل بدعوى « المرونة » فيقوده إلى أن يخرج به عن حده . والإسلام شريعة اللَّه العامة ونظامه الخالد الذي أنزله على خلاصة البشر وبقيتهم ، بعد أن تجمعت فيهم العقول السابقة والأفكار

السالفة أنزله عليهم ليبقى معهم ؛ لما فيه من عوامل[(١)] البقاء وعناصر الخلود التي تصلحهم ما بقوا في هذه الحياة وما تطوروا فيها ، واللّٰه عليم حكيم .

على أنه جاء في كلام شيخ الأزهر جملتان يجب الوقوف عندهما :

الأولى : قوله : « والعادة محكمة في كل ما ليس فيه نص شرعي » . فأين هذا المعنى عن النبي ﷺ حين[(٢)] بعث معاذًا إلى اليمن قاضيًا[(٣)] ، وأقره على أن يجتهد إذا لم يجد في الكتاب والسنة ما يحكم به لمَ لمْ يرجعه إلى عاداتهم وتقاليدهم ؟ وأين عمر عن هذا المعنى حين كتب إلى أبي موسى : ثم الفهم الفهم فيما أدلى إليك مما ورد عليك ، وليس في كتاب ولا سنة ، ثم قايس الأمور عند ذلك . ولم يرجعه إلى العادات والتقاليد .

العرف ليس مصدر تشريع :

ليس العرف والعادة مصدر تشريع وتحكيم ، وإلا لاستغنى الناس بعاداتهم عن الشرائع ، ولصار مصدر الأحكام ما هم عليه من التقاليد .

لم أبعد في فهمي لكلام فضيلة شيخ الجامع ، فسيكون هذا حينما نعول في أحكامنا على العادات ، وسيقال : إن هذه النصوص كانت لزمن مضى وأحوال تقدمت ونحن في زمن وحال غيرها ، فلا تصلح تشريعًا لنا ، وإنما يجب أن نستمد قوانيننا وأنظمتنا من بيئتنا ومجتمعنا الذي نعيش فيه !! وسينسى المطالبون أن الذي أنزل هذه الشريعة عالم بما سيحدث وما يتجدد ، فأودع في شرعه ما يسد حاجة كل جديد وقديم .

نعم معرفة الحاكم لعادة البلاد وعرفها ينير أمامه الطريق ، ويبصره لمراد

---

(١) في الأصل : « عوائل » .

(٢) في الأصل : « وحين » .

(٣) أخرجه أحمد (٣٦/٣٣٣) (٢٢٠٠٧) ، وأبو داود (٣٥٩٢ ، ٣٥٩٣) ، والترمذي (١٣٢٨) من حديث معاذ رضي اللّٰه عنه ، وقال الألباني في الضعيفة (٨٨١) : منكر .

النص ، فإنَّ فهم كثير من النصوص لا يكفي الحاكم في حكمه ، ما لم يعرف ما عليه الناس من عادات واصطلاحات ؛ ليحسن التطبيق . فهناك أحكام بيَّن الشارع حكمها وأحالنا في تطبيقها على عرف كل بلاد ـ فالغبن في البيع ، والعيب في المبيع – أثبت الشارع فيهما الخيار للمشتري ، ومرجع تقديرهما وتفسيرهما أهل المعرفة بأحوال البيع والشراء . وما يدخل وما لا يدخل عند إطلاق مبيع الدار والأرض– يرجع فيه إلى ما جرى عليه الناس عند إطلاق البيع . أو ما أصل العقد وكيفيته ، فمرجعه الشارع . والله أمرنا بالنفقة على الزوجة والقريب ، والنفقة وما يتبعها من ملبس ومسكن يختلف باختلاف الزمان والمكان . واشترط الشرع لقطع يد السارق أن تكون سرقته من « حرز » ، والحرز يختلف باختلاف الأموال ، وباختلاف البلدان والحكام .. إلى غير ذلك مما للعرف فيه فضل البيان والتفسير للنصوص .

البحث العلمي يقتضي التقصي :

ثم نقل الأستاذ عن شيخ الجامع الأزهر جملة عن ابن عقيل ، أسفت للتصرف فيها ؛ فقد بترت عن المعنى الذي يخفف مرارتها ويهون بشاعتها . وأمانة البحث والعلم تقتضي التقصي والتحري ، وكلام ابن عقيل الذي نقله ابن القيم في الجزء الرابع من « أعلام الموقعين »[1] (ص ٣٠٩) « الطبعة المنيرية » في أثناء مناظرته مع فقيه هكذا :

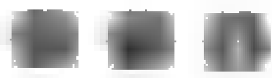
قال الآخر : لا سياسة إلا ما وافق الشرع . فقال ابن عقيل : السياسة ما كان من الأفعال ، بحيث يكون الناس معه أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد ، وإن لم يضعه الرسول ﷺ ولا نزل به وحي . فإن أردت بقولك : لا سياسة إلا ما وافق الشرع ، أي : لم يخالف ما نطق به الشرع فصحيح ، وإن أردت ما نطق به الشرع فغلط وتغليط للصحابة ..

---

(١) « أعلام الموقعين » (٣٧٢/٤) .

من هذا نفهم أن ابن عقيل أراد أننا إذا لم نجد في الوحيين نصًّا في الحكم رجعنا إلى الأصول الأخرى للشريعة، وهي التي توافق ما نطق به الشرع. على ما في كلام ابن عقيل من الجرأة والخشونة في التعبير لإرادة هذا المعنى، ولكنه في مقام مناظرة، وعلى ما عرف عنه أيضًا من ميل إلى كتب أهل الكلام الذين عطلوا النصوص استنادًا إلى القول. ولذا فإن المحقق أن ابن القيم لم ينقل عنه هذه من باب الرضاء والتقرير، وإنما عقب عليه بقوله: قلت: هذا موضع مزلة أقدام، ومضلة أفهام، وهو مقام ضنك في معترك صعب، فرط فيه طائفة فعطلوا الحدود، وضيعوا الحقوق، وجرؤا أهل الفجور والفساد.. وأفرط فيه طائفة أخرى، فسوغت ما يناقض حكم اللّٰه ورسوله، وكلا[1] الطائفتين أتيت من قبل تقصيرها في معرفة ما بعث اللّٰه به رسوله... إلخ.

وإذا كنت تقول يا أستاذ سمير - ونحن معك - أن أحوال الناس تختلف باختلاف زمانهم ومكانهم، وأن هذه الأحوال المختلفة يحتاج كثير منها إلى أن تفسر له النصوص الشرعية على ما تقتضيه.



(١) في الأصل: «وكلام».

الرق في الإسلام(١)

نعى بعض أعداء الدين الإسلامي على الدين إقرار الرق الشرعي ، الذي هو في نظرهم من الأعمال الهمجية جملة ؛ لذا نحب أن نبين حال الرق في الإسلام وغيره ، ونبين موقف الإسلام منه بشيء من اختصار :

فالإسلام لم يختص بالرق ، بل كان منتشرًا في جميع أقطار الأرض ، فهو عند الفرس والروم والبابليين ، وأقره أساطينهم أفلاطون وأرسطو ، وللرق عندهم أسباب متعددة من الحرب ، والسبي ، والخطف ، واللصوصية ، بل يبيع أحدهم من تحت يده من الأولاد ، وبعضهم يعدون الفلاحين أرقاء .

وكانوا ينظرون إلى الأرقاء بعين الاحتقار والازدراء ، فكانوا يمتهنونهم في الأعمال القذرة ، والأعمال الشاقة ، فأرسطو من الأقدمين يرى أنهم مخلدون ، لا في عذاب ولا في نعيم ، بل هم كالحيوانات .

والفراعنة استعبدوا بني إسرائيل أشنع استعباد ، حتى قتلوا أبناءهم ، واستحيوا نساءهم ، والأربيون بعد أن اكتشفوا أمريكا ، عاملوا الأمريكيين أسوأ معاملة .

هذا هو الرق بأسبابه وآثاره وكثرته في غير الإسلام ، ولم نأت إلا على القليل من شنائعه عندهم ، فلننظر الرق في الإسلام .

فالإسلام أولًا : ضيق الرق ، حيث جعل الناس جميعهم أحرارًا ، لا يطرؤ عليهم الرق إلا بسبب واحد- وهو الأسر من الكفار المقاتلين- مع أن الواجب على القائد أن يختار الأصلح من الرق أو الفداء ، أو الإطلاق بلا فداء ، حسب المصلحة العامة ، فهذا هو السبب وحده في الرق ، وهو سبب كما جاء في النقل الصحيح ، فإنه يوافق العقل الصريح أيضًا ، فإن من وقف في سبيل عقيدتك ودعوتك ، وأراد الحد من حريتك ، وألب عليك وحاربك ، فجزاؤه أن تمسكه

---

(١) مجلة راية الإسلام - العدد الثالث - ١ - صفر - ١٣٨٠هـ .

عندك ؛ ليفسح المجال أمامك ، وأمام دعوتك ، وهكذا يركب حد السيف من أن تضيمه إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل[١] ، هذا هو سبب الرق في الإسلام ؛ لا النهب والسلب وبيع الأحرار واستعبادهم ، كما هو عند الأمم الأخرى .

ثانيًا : إن الإسلام رفق بالرقيق ، وعطف عليه ، وتوعد على تكليفه وإرهاقه ، فقال ﷺ : « اتقوا الله في النساء ، وما ملكت أيمانكم »[٢] .

وقال ﷺ أيضًا : « للمملوك طعامه وكسوته ، ولا يكلف من العمل ما لا يطيق »[٣] . بل إن الإسلام رفع من قدر الرقيق حتى جعلهم إخوان أسيادهم ، فقد قال ﷺ : « هم إخوانكم وخولكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده ، فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم » . متفق عليه[٤] .

ورفع من مقامهم عند مخاطبتهم حتى لا يشعروا بالضعة والذلة ، ولذا قال ﷺ : « لا يقل أحدكم : عبدي وأمتي . وليقل : فتاي وفتاتي »[٥] .

كما أن المقياس في الإسلام لكرامة الإنسان في الدنيا والآخرة ، ليست ترجع للأنساب والأعراق ، وإنما ترجع إلى الكفاءات والقيم المعنوية ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحُجرات: الآية ١٣] ، وقد بلغ شخصيات من الموالي ، لفضل علمهم وقدرتهم ما لم تبلغه ساداتهم ، حيث قادوا الجيوش وساسوا الأمم ، وتولوا

---

(١) مزحل : مبعد . ويقال : زحل الشيء عن مقامه ، كمنع . وزحل عن مكانه ، زُحولًا ، ومَزْحلًا : تنحّى ، وبَعُد ، وتأخر . « تاج العروس » ، و« المعجم الوسيط » مادة : (زحل) .

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٩٧٥٤) عن قتادة ، مرسلًا بهذا اللفظ ، وأخرجه مسلم (١٤٧/١٢١٨) من حديث جابر الطويل في صفة الحج ، مقتصرًا على الشطر الأول ، وأخرجه أحمد ١٩/ ٢٠٩ ، ٤٤/٨٤ (١٢١٦٩ ، ٢٦٤٨٣) من حديث أنس وأم سلمة رضي الله عنها بلفظ : « الصلاة الصلاة ، وما ملكت أيمانكم » . وصححه الألباني في الإرواء (٢١٧٨) .

(٣) أخرجه مسلم (١٦٦٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) أخرجه البخاري (٣٠ ، ٢٥٤٥) ، ومسلم (١٦٦١) من حديث أبي ذر رضي الله عنه .

(٥) أخرجه البخاري (٢٥٥٢) ، ومسلم (٢٢٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

القضاء والأعمال الجليلة بكفاءتهم التي هي أصل مجدهم، ومع ما رفعه الشارع من مقام المملوك، فإن له تشوقًا وتطلعًا إلى تحرير رقابهم وفك أغلالهم، فقد حث على ذلك، ووعد عليه النجاة من النار والفوز بالجنة.

ثم إنه جعل لتحريرهم عدة أسباب؛ بعضها قهرية، وبعضها اختيارية، فمن القهرية: أن من جرح مملوكة عتق عليه، فقد جاء في الحديث: أن رجلًا جدع أنف غلامه، فقال ﷺ: «اذهب فأنت حر». فقال: يا رسول الله، فمولى من أنا؟ قال: «مولى الله ورسوله»(١). ومن أعتق نصيبه من مملوك مشترك، عتق نصيب شريكه قهرًا، كما في الحديث: «من أعتق شركًا له في مملوك وجب عليه أن يعتق كله»(٢). ومن ملك ذا رحم محرم عليه، عتق عليه قهرًا؛ لحديث: «من ملك ذا رحم محرم فهو حر»(٣).

فهذه أسباب قهرية تزيل ملك السيد عن رقيقه، خاصة في هذا الباب، لما له من السراية الشرعية، والنفوذ القوي الذي لم يضع في عتقه خيارًا ولا رجعة، ثم إن المشرع، مع حثه على الأعتاق، جعله أول الكفارات في التخلص من الآثام، والتحلل من الإيمان، فالعتق هو الكفارة الأولى في الوطء في نهار رمضان، وفي الظهار، وفي الأيمان، وفي القتل.

بهذا التضييق في أسباب الرق، والسعة في أسباب الحرية، جاء الإسلام دين العزة والكرامة والمساواة، فكيف بعد هذا يأتي الغربيون والمستغربون ينعون على الإسلام إقراره الرق، ويتشدقون بالحرية والمناداة بحقوق الإنسان، وهم الذين

---

(١) أخرجه أحمد ٣١٤/١١ (٦٧١٠) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما. وقال محققو المسند: حسن لغيره.

(٢) أخرجه البخاري (٢٥٠٣، ٢٥٢٣)، ومسلم (١٥٠١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه أحمد ٣٣٨/٣٣ (٢٠١٦٧)، وأبو داود (٣٩٤٩) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه. وصححه الألباني في الإرواء (١٧٤٦).

استعبدوا الشعوب ، وأذلوا الأمم ، وأرقوهم في عقر دارهم ، وأكلوا أموالهم ، واستحلوا ديارهم ، أفيرفعون رؤوسهم ، وهم الذين يعاملون بعض الطبقات في بلادهم أدنى من معاملة العبيد ، فأين مساواة الإسلام مما تفعله أمريكا في الزنوج الحمر ، الذين لا يباح لهم الدخول في المدارس ، ولا تحل لهم الوظائف ، ويجعلونهم والحيوانات سواسية ، وأين رفق الإسلام وإحسانه مما يفعله الغرب في أسارى الحرب الذين لا يزالون في المجاهل والمتاهات والسجون المظلمة ، وأين إمبراطورية الإسلام الرحيمة التي جعلت الناس على اختلاف طبقاتهم وأديانهم وأجناسهم أمة واحدة ، ما لها وما عليها ، مما تفعله فرنسا المجرمة بأحرار الجزائر في بلادهم ، وبين ذويهم ، إنها دعاوى باطلة بعد هذا ألم يأن للمصلحين ومحبي السلام أن يبعدوا عن أعينهم الغشاوة ، فيرجعوا إلى تعاليم الإسلام بتدبر وإنصاف ؛ ليجدوا ما فيه سعادة الإنسانية في حاضرها ومستقبلها ، اللهم انشر دينك ، ووفق له الدعاة المصلحين .



ما هو الوقف الشرعي ؟!(١)

للدين الإسلامي ميزات وخصائص ليس لغيره من الأديان الأخرى ! وهذه الخصائص ترجع إلى أنه الدين الكامل الذي اختاره الله لهذا النبي العظيم ولأمته الكريمة .

ومن تلك الميزات : الوقف الشرعي ، الذي جعله الله فضيلة نافلة لهذه الأمة ؛ ليكون صدقة جارية ، وزيادة في حسنات المسلم يوم يفارق دار العمل والتكاليف .

ولم تكن هذه الصدقة الخالدة لغير هذه الأمة المحمدية ، حيث لم تكن في شرائع الأنبياء السابقين ، ولله في شرعه حكم وأسرار .

وقد ورد في فضله والحث عليه والترغيب فيه وبيان محاسنه من النصوص الشرعية ما يوجب المسارعة فيه والمبادرة إليه ، فقد قال تعالى ؛ حاثًا عليه وعلى غيره من أنواع الصدقة : ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٩٢] ، وحين نزلت هذه الآية الكريمة جاء أبو طلحة الأنصاري فقال : يا رسول الله ، إن الله أنزل الآية ، وإنَّ أحبَّ أموالي إليَّ بيرُحاء - بئر طيبة الماء والنماء - وإنها صدقة أرجو برها وذخرها عند الله ، فضعها حيث أراك الله . فقال : « أرى أن تجعلها في الأقربين »(٢) .

وفي الصحيحين أن عمر قال : يا رسول الله ، لم أصب مالًا قط هو أنفس عندي من سهمي الذي هو بخيبر فما تأمرني ؟ قال : « احبس الأصل وسبِّل الثمرة » فجعلها عمر في الفقراء ، وذوي القربى ، والرقاب ، وابن السبيل ، والضعيف(٣) .

(١) صحيفة البلاد السعودية - العدد (٢٨٣٩) - في ١٣٧٨/٢/١٩هـ .
(٢) أخرجه البخاري (١٤٦١، ٢٣١٨) ، ومسلم (٩٩٨) من حديث أنس رضي الله عنه .
(٣) أخرجه البخاري (٢٧٣٧) ، ومسلم (١٦٣٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

وقال ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية ...»(١). إلخ. إلى غير ذلك من النصوص الصحيحة.

فهذه النصوص الكريمة تدلنا على مقام هذه العبادة في الإسلام؛ لما يترتب عليها من الفوائد الجليلة والمقاصد الإنسانية النبيلة؛ حيث إن فيها امتدادًا لعمل الإنسان، وزيادة في سجل حسناته يوم تنقطع أعماله وحسناته بانتهاء حياته.

وفيها إحسان وبر بالموقوف عليهم، ومنفعة عامة إذا كان مصرف الوقف على جهة خيرية من إعانة على جهاد الأعداء، أو مساعدة على تسهيل العلوم النافعة، أو المشاريع الخيرية من إنشاء المستشفيات، وبناء الملاجئ للضعفاء والعاجزين، وتعبيد الطرق وتمهيد السبل، وغير ذلك من أنواع البر العامة. فإنه كلما كانت المصلحة عامة ونافعة كان تحقيقه لمعنى الوقف الشرعي أتم وأكمل.

لذا ينبغي أن نفهم الوقف الشرعي على هذا الأساس الصحيح. ولا شك أن مراد الشارع من الوقف- في الحض عليه والترغيب فيه- كان لهذه المقاصد السامية والأهداف الحميدة.

ولا ريب أن الصدر الأول من هذه الأمة فهم مراد الشارع للوقف على هذا الأساس، ولذا فإن عمر رضي اللّٰه عنه جعلها في ابن السبيل، والرقاب، والضعيف، والفقراء، وذوي القربى. وأبو طلحة جعلها في ذوي القربى غير الوارثين؛ لأن الصدقة عليهم صدقة وصلة. ووقف خالد بن الوليد أفراسه واعتاده على الجهاد في سبيل اللّٰه.

وهذه هي الصدقة التي إذا مات ابن آدم وانقطع عمله وصلته واستمرت خيرًا يجري عليه.

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٣١) من حديث أبي هريرة رضي اللّٰه عنه.

فإذا كان الوقف مؤسسًا على هذا المنوال ، وحدث لتلك الأغراض النبيلة ، علمنا أنه الوقف الشرعي الذي رغب فيه الشارع ، ورتب عليه الثواب العظيم .

أما ما يتعاطاه كثير من الناس من التحجير على أولادهم في عقاراتهم باسم الوقف حينما يطلقون عليه هذا الاسم حتى لا يباع بعد وفاتهم ، أو تكون عليهم الديون ويعلمون أن الحكام يتحرجون من بيع الوقف ؛ ويتحيلون على إبطال الحقوق بهذه الوقفية الكاذبة . أو يريدون أن يحرموا أولاد البنات من عقاراتهم فيعمدون إلى حيلة الوقف ، ويجعلون نصيب البنات ينقطع بانقطاع حياتهن ؛ لأنه لو وصل إليهن بطريق الإرث لانتقل منهن إلى[1] أولادهن وورثتهن ، وحصلت الخلطة العقارية بينهم وبين أولاد الموقف مما يسبب التشاجر ، ونحو ذلك من مقاصد كثير من الموقفين .

فهل هذا هو الوقف الذي أراده الشارع وحض الأمة عليه ؟ الجواب معروف .

وهل يريد الشارع العدل من الوقف أن يكون طريق ظلم ؛ بأن يمنع الغرماء من حقوقهم بحجة الوقفية ؟

أوَ يريد الشارع الرحيم من الوقف أن يحرم من الميراث أصحابه بهذا التحجير الذي يقصد به منع ميراث أولاد البنات بدعوى الوقفية المموهة ؟

أوَ يريد الشارع الحكيم من الوقف مجرد ربط العقار عن التصرفات التي ربما صارت مصلحة للمالك حينما يرى المصلحة في بيعه وتقليب ثمنه بأنواع المعاملات ، أو ربما صارت المصلحة للعقار إذا تولاه من هو أحسن تعميرًا وتثميرًا ؟ .

وأكبر دليل على أن الموقف قصد شيئًا من هذه الأغراض الساقطة انحرافه في تصريف غلته . فحين يحجب أولاد البنات فمعناه أنه لم يقصد بالوقف البر

(١) في الأصل : «إلى» .

والإحسان ، وإلا لقسمه على مقتضى قسمة اللّٰه تعالى .

وإذا كان يورث بالتعصيب من أقارب بعداء حاول أن يولج عقاراته بهذه الوقفية ؛ حسدًا منه للعصبة[(١)] البعداء ، أو الورثة الأعداء ، وبهذا تحصل القطيعة والبغضاء .

أو يكون مدينًا ويخشى أن يباع عقاره لوفاء دينه ، فيحرم أصحاب الديون بهذه الحيلة المحرمة ، والتحايل على إبطال الواجبات ، وانتهاك المحرمات من أكبر المحرمات ، وهو الطريق للتوصل إلى المحرمات .

والشارع أعدل وأحكم وأرحم من أن يرضى بهذه العقود التي يقصد منها إبطال حقوق الغرماء ، أو منع مستحقي فريضة الميراث من نصيبهم . وإنما قصد من الوقف الإحسان إلى الموقف ؛ بأن تستمر أعماله الصالحة بهذه الصدقة الجارية . وقصد الخير للجهة النافعة التي يصرف فيها من المشاريع الخيرية العامة والمصالح النافعة ؛ من إطعام الفقراء والمساكين ، والإعانة على الجهاد في سبيل اللّٰه ، وبناء المؤسسات النافعة والمرافق العامة .

وأخيرًا انظر إلى المفاسد المترتبة على هذه الأوقاف المزعومة ؛ فبين الأقارب تحصل الشحناء والعداوة والبغضاء ، وتحصل القطيعة بين ذوي الأرحام بعد التواصل والتواد .

فالأبناء يتمنون فناء البنات ؛ ليحتجنوا[(٢)] نصيبهن إلى نصيبهم . والبنات وأولادهن يحسدون أبناء الموقف ؛ لأنهن يتصورنهم وقد وثبوا إلى نصيبهن فخطفوه عن أولادهن ، فيحصل الشر المستطير . ومراد النفوس أصغر من أن تتعادى فيه وأن تتفانى ، ولكنهم لا يفقهون !!

---

(١) في الأصل : « للعصبية » .

(٢) احتجن عليه : حجر ، والشيء حجنه وضمه إليه ، واختص نفسه به ، والمال جمعه ، ومال غيره اقتطعه وسرقه . « المعجم الوسيط » .

وإن كان موقوفًا خشية بيعه في الديون ، فإن الغرماء يأخذون يستغلون الوقف لوفاء دينهم . فإذا علم الورثة أن لا نصيب لهم من الغلة تركوا التعمير والإصلاح ، فيهمل الوقف ويضيع ، فلا الغريم أخذ حقه ، ولا الوارث انتفع من مال مورثه ، ولا العقار بقي للنفع والعمار !!

ومضار هذه الأوقاف الخادعة ومفاسدها كثيرة ، لذا فإنه يجب النظر فيها بعين المصلحة العامة ؛ إبراء لذمة الموقف ، وردًا للحق في نصابه في جانب المستحقين الحقيقيين ، وإصلاحًا للعقارات التي تعطلت نتيجة لهذا التصرف ، وأصبحت مبعثًا للشقاق والخلاف ، وذلك بتعديلها حسب المقاصد الشرعية الصحيحة ، وحسب المصلحة العامة ؛ بأن تعدل عيوبها ، ويقوم اعوجاجها ، وألا يثبت فيها على أنها وقعت على خلاف المقتضى الشرعي ، فتعاد إلى أصحابها حيث قسمها اللّه ، وجعلها حرة بأيديهم يتصرفون فيها حيث شاءوا ؛ نظرًا للمصالح العامة ، والمصلحة الخاصة .

أما أن يتحايل بهذه القيود باسم الأوقاف ! فهذا شيء لا يصح عقلًا ولا شرعًا . وما هي إلا أسماء سموها هم وآباؤهم ما أُنزل بها من سلطان ، ولا تغير من الحقائق شيئًا ، فالعبرة بالمعاني والمقاصد ، لا التمويه والتضليل ، واللّه من وراء القصد .



متى يكون القرض ربا ؟![1]

وجدت في مفكرتي سؤالًا نقلته من إحدى صحفنا المحلية، وأغلب ظني أني نقلته من «الندوة» وقد وجهه السيد رمضان بن عبد اللّه الزهراني. ونصه:

اعتاد بعض المزارعين في الحجاز أن يرهن أرضه الزراعية بدراهم معلومة لآخر يتصرف فيها وله نصف الغلة، ولمالك الأرض نصفها الآخر ما عدا العلف فيكون للمرتهن كله، فهل هذه معاملة صحيحة من ناحية موافقة الرهن للشرع ؟

والجواب: اعلم يا أخي أن القرض من أجل القرب وأفضل الحسنات، وقد ورد في فضله والحث عليه نصوص كثيرة؛ منها: ما رواه ابن ماجه[2]، عن أنس بن مالك رضي اللّه عنه، قال: قال النبي ﷺ: «رأيت ليلة أسري بي على باب الجنة مكتوبًا: الصدقة بعشر أمثالها، والقرض بثمانية عشر. فقلت: يا جبريل، ما بال القرض أفضل؟ قال: لأن السائل يسأل وعنده، والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة».

والحديث: «من كشف عن مسلم كربة من كرب الدنيا، كشف اللّه عنه كربة من يوم القيامة، واللّه في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه»[3].

والنصوص في هذا كثيرة معروفة؛ هذا إذا كان القرض على بابه ومقصودًا به وجه اللّه تعالى، ومساعدة المسلم، أما إذا دخله شيء من أطماع الدنيا ومنافعها خرج عن موضوعه، وصار معاوضة يقصد بها الربح والكسب المادي، وحينئذ يدخل في باب الربا المحرم، وقد نهى عنه النبي ﷺ بقوله: «إذا أقرض أحدكم

---

(١) صحيفة الندوة في ١٣٧٨/٩/٦هـ.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٤٣١)، وقال الألباني في الضعيفة (٣٦٣٧): ضعيف جدًا. وينظر الصحيحة (٣٤٠٧).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه، بنحوه.

قرضًا فأهدى إليه، أو حمله على الدابة فلا يقبله»[(١)].

وأجمع العلماء على تحريم كل قرض جرَّ نفعًا للمقرض، وذلك بأن يقرضه فيسكنه المقترض بيته، أو يركبه دابته، أو يشترط المقرض على المقترض أن يوفيه بأزيد من القرض، أو أحسن منه.

أما ما ذكرتَه يا أخ رمضان، من هذه المعاملة التي يتعاطونها لديكم في الحجاز، فمبناها على ما تقدم، فإن كان المقرض أعطى نقوده المقترض قرضًا حسنًا لوجه اللَّه، ولنفع أخيه المقترض، وقبضه الأرض الزراعية لتكون رهنًا في قرضه، ثم زارعه إياه بجزء مما يخرج منها مقدرًا بإيجار مثلها، وتمت شروط المزارعة وانتفت موانعها، فاستئجار المرتهن للرهن صحيح؛ لأنه عقد لا يخرج الرهن عن موضوعه، ولا تمنع المزارعة من بيعه إن احتيج إليه؛ لأنها نوع من الإجارة، ولما روى البخاري ومسلم[(٢)]: عامل النبي ﷺ أهل خيبر بشطر ما يخرج منها؛ من زرع وثمر.

وقبض المقترض الأرض بطريق الرهن هو الطريق المفضلة الكاملة، فقد قال تعالى: ﴿فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٣]. أما إن كان المقرض عندكم أو عند غيركم استولى على الأرض ليستغلها مقابل بقاء نقوده عند المقترض، فهذا ما قلناه سابقًا: إن النبي ﷺ حذر منه، وأجمعت الأمة على تحريمه؛ لأنه القرض الذي جر نفعًا، وهو أحد أبواب الربا الثلاثة الذي من ولجه فقد حارب اللَّه ورسوله. والذي يظهر لي من سؤالك: أن المعاملة عندكم من هذا القبيل، فإنه ليس من المعقول أن يكون لديكم معاملة قائمة بين أفراد بلادكم، يضع أحدهم نقوده لمدة طويلة، وهو لا يكسب من ورائها كسبًا ماديًّا، فلعلهم يأخذون

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٤٣٢) من حديث أنس رضي اللَّه عنه. وضعفه الألباني في الضعيفة (١١٦٢)، وفي الإرواء (١٤٠٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٢٩)، ومسلم (١٥٥١) من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنه.

الأرض مزارعة ، كما ذكرت بسؤالك بنصف غلتها ، مع أن صاحبها لو بذلها لمن ليس له عنده نقود لاستأجرها بنصيب أقل من نصيب المالك ، وبهذا تعلم أنه ما رضي ببقاء نقوده عند المقترض إلا ليستأجر الأرض بأقل مما تستحق ، وهذا هو القرض الذي جر نفعًا كما قلنا ، ولذا حرَّم الفقهاء « خيار الشرط » إذا قصد به الحيلة ؛ كأن يبيعه بيته بيعًا فيه « خيار الشرط » ، ويسلمه المشتري الثمن ، ويستلم البيت ، ويجعلون مدة الخيار سنوات طويلة ؛ حيلة منهما لينتفع المشتري بالبيت سكنًا أو تأجيرًا ، وينتفع البائع بالنقود وتقليبها والتكسب بها .

والدليل على أنها معاملة متحيل بها : أن المبيع يكون بثمن بخس بالنسبة لقيمته الحقيقية ، والدليل الآخر أن مدة الخيار المزيف إذا كانت تنتهي كلف البائع نفسه على تحصيل الثمن بأي طريق ليفكه من هذه الصفقة الخاسرة . والعبرة بالحقائق لا التمويهات ، وأكثر من يتعاطى هذه المعاملة الغرماء مع المدينين حين يكثر عليهم الدين ويعجزون عن وفائه ، فيقول أحدهم لمدينه : بعني بيتك أو شجرك « بيع خيار » لمدة عشر سنوات مثلًا ، وكل منهما يعرف نية صاحبه . فالغني يريد أن لا تبقى دراهمه معطلة عند الفقير بلا نماء ولا زيادة ، وليس يجاهر بقانون الجاهلية : إما أن تقضي ، وإما أن تربي . وأما الفقير فيخشى أن يمتنع من الدخول معه في هذه المعاملة فيجبره على بيع عقاره ، حينئذ يدخلان في هذه المعاملة الفاسدة التي هي أكل الربا أضعافًا مضاعفة ، إلا أنها لبست ثوب الخديعة والمكر ، والله خير الماكرين .

فإذا كان رهن الأرض مبنيًا على هذا الأساس فالمعاملة ليست صحيحة ، والأرض لم تقبض لأجل الرهن ، وإنما قبضت لأجل الاستغلال المحرم ، والله مطلع على النيات والسرائر ، فهو يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

سؤال ؟ وجواب[1]

تلقت الندوة استفتاءً من مواطنة عن زواجها من أجنبي دون ولي أمر ، أو إذن حاكم شرعي ، وحكم ذلك ؟

وقد تفضل بالإجابة التالية فضيلة الشيخ عبد اللّٰه العبد الرحمن البسام ، قاضي المستعجلة الثالثة :

الأستاذ الفاضل رئيس تحرير « الندوة » الشيخ صالح محمد جمال ، الموقر .

السلام عليكم ورحمة اللّٰه وبركاته .

وبعدُ ، فإليكم الجواب على سؤال المستفتية عن حكم زواجها :

فقد ذكرت أولًا : أنها تزوجت بدون ولي أمر ، أو إذن حاكم شرعي ؟ .

والجواب : أن هذا النكاح فاسد لم ينعقد ، فهو إذًا لاغي ؛ لحديث أبي موسى الأشعري رضي اللّٰه عنه ، أن النبي ﷺ قال : « لا نكاح إلا بولي » رواه الخمسة[2] . ولحديث عائشة رضي اللّٰه عنها ، قالت : قال رسول اللّٰه ﷺ : « أيما امرأة أنكحت نفسها بغير إذن وليها فنكاحها باطل ، باطل ، باطل » رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي وصححه[3] .

ثانيًا : ذكرت أنها لم تستلم من صداقها أي شيء ، وقد أنجبت من الزوج طفلًا ؟ .

---

(١) صحيفة الندوة في ١٣٨١/٥/٢١هـ .

(٢) أخرجه أحمد (٢٨٠/٣٢) (١٩٥١٨) ، وأبو داود (٢٠٨٥) ، والترمذي (١١٠١) ، وابن ماجه (١٨٨١) ولم أجده عند النسائي ، لا في الصغرى ولا الكبرى . وينظر « تحفة الأشراف » (٤٦٠/٥) ، و« التلخيص الحبير » (٣٤١/٣) . والحديث صححه الألباني في الإرواء (١٨٣٩) .

(٣) أخرجه أحمد (٤٣٥/٤٠) (٢٤٣٧٢) ، وأبو داود (٢٠٨٣) ، والترمذي (١١٠٢) وهو عند ابن ماجه أيضًا (١٨٧٩) ، وصححه الألباني في الإرواء (١٨٤٠) .

والجواب : أن لها على الزوج صداق المثل ، فيفرض لها من الصداق ما يعطاه مثلها من النساء في النسب والمنزلة والسن والبكارة أو غيرها ، ما دام أن الزوج قد دخل بها ، كما ذكرت ذلك في سؤالها ؛ لقوله ﷺ : « فإن أصابها فلها المهر بما استحل من فرجها »(١) . رواه البرقاني والخلال .

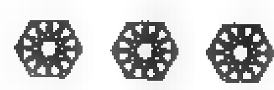
ثالثًا : ذكرت أنها بعد مرور سنة أنجبت طفلًا من الزوج ؟ .

والجواب : أن الطفل لاحق لأبيه نسبًا ولو كان النكاح فاسدًا ، وعلى أبي الطفل نفقته وأجرة رضاعه في الزمن المستقبل ، أما النفقة مدة الحمل والزمن الماضي ؛ فإن كانت أنفقت على نفسها للحمل بنية الرجوع على المولود ، فلها الرجوع عليه بتلك النفقة ، وإلا فهي تعتبر متبرعة بها . أما الزوجة نفسها فليس لها نفقة على الزوج ، حيث إن العقد فاسد فوجوده كعدمه .

رابعًا : حيث ذكرت أنها تزوجت بدون ولي أمر ، أو إذن حاكم شرعي ؟ .

فقد ذكرنا ، فيما تقدم ، أن هذا عقد فاسد لم ينعقد ؛ حيث فقد الولي الذي هو أحد شروط النكاح ، ولكن حيث يوجد من العلماء من يرى صحة هذا العقد ، فإن الذي يتولى فسخ هذا النكاح هو الحاكم ، حيث لا يوجد الزوج ليجبره الحاكم على مفارقتها ، فما عليها إلا أن تذهب إلى المحكمة المختصة بهذه القضايا ، وهي « المحكمة الشرعية الكبرى » وستجد من يخلصها من ورطتها .

وعقد النكاح بلا ولي - أو من يقوم مقامه - من المحرمات ، فإن كانت جاهلة فهي معذورة ، وإلا فلتتب إلى الله تعالى وتستغفره ، والله غفور رحيم .



(١) أخرجه الترمذي (١١٠٢) من حديث عائشة رضي الله عنها ، ضمن الحديث السابق تخريجه .

هل من «الحقن» ما يُفطر الصائم ؟[(١)]

قرأت في جريدة «عرفات» كلمة لفضيلة الشيخ عبدالله خياط، تتعلق ببعض أحكام الصيام، وأنا شغوف بقراءة ما يكتبه فضيلته؛ لأني أجد في كلماته حماس الخطيب، وتفكير العالم، واستنباط الفقيه، وهذا ناشئ عن الصدق في النصح، والإخلاص في الدعوة!

قرأت كلمة فضيلته عن بعض أحكام الصيام، فذكر أشياء يراها بعض العلماء من المفطِّرات، ويراها البعض الآخر ليست منها، وذلك كالكحل، والقطرة «والحقن»، ولكن فضيلته أطلق في الحقن، وهي - في الحقيقة - على قسمين:

قسم يقصد منها إيصال الدواء إلى الجسم، فهذه لا شك أنها لا تفطر؛ لأن القصد بفرض الصيام الحرمان من الأشياء المغذية للجسم.

والقسم الآخر من «الحقن»: يقصد بها التغذية وإيصال الطعام إلى الجسم، فهذه ينبغي أن تكون من المفطرات؛ لأنها تحمل إلى الجسم عناصر الغذاء ومواده، وتقوم مقام الطعام الذي يصل إلى المعدة.

وأنا أعتقد أن فضيلة الشيخ لم يغب عنه هذا التفريق، ولكنه قصر كلامه على النوع الأول. والذي جرأني على نشر هذا التعقيب على صفحات الجريدة؛ إشاعة العلم في الجميع، وعلمي أن فضيلته مستعد لقبول الحق من أي أحد، وبأي طريق يصل. والله من وراء القصد.



(١) صحيفة البلاد السعودية - العدد (٢٧٢٢) في ١٣٧٧/٩/١٨هـ.

تاريخ الأحساء[1]

ما كدت أظفر بتاريخ هذا الجزء من بلادنا الحبيبة « الأحساء » منسقًا ببراعة أحد أبنائه البررة المؤرخ الأستاذ محمد بن عبد اللّٰه آل عبد القادر الأنصاري الخزرجي ، حتى عكفت على قراءته ، وبثلاث جلسات أتيت عليه .

ولقد بذل الأستاذ مجهودًا كبيرًا لربط حلقات هذا التاريخ الذي لا أعلم أحدًا سبقه إلى سبك سلسلته لتلك البلاد ، ولا يعرف مدى جهده إلا من تعب مثل تعبه ونقب مثل تنقيبه . ولا أريد أن أطيل بتقديم الكتاب فقد سبقني إلى تقديره حق قدره البحاثة الكبير الأستاذ حمد الجاسر ، على أن خبره سيكون أبلغ من وصفه ، فمن قرأ الكتاب عرف أن مؤرخنا قد أسدى إلى التاريخ يدًا جليلة !! .

ولم يطغني الإعجاب به عن مآخذ يسيرة هي طبيعة في عمل الإنسان مهما بلغ من التحري والإتقان ، عثرت عليها أثناء قراءتي فأشرت إليها في نسختي ، وأريد أن أعرضها أمام قرّاء الكتاب ؛ ليستدركوها إن كنت مصيبًا ، أو يردوني إن كنت مخطئًا .

فقد ذكر المعلق الأستاذ حمد الجاسر في (ص ٣٤) : أن « الفضول » من طيء ! .

والذي يترجح لدي : أن « الفضول » من بني خالد . والذين هم من طيء آل فضل ، فهل يتكرم الأستاذ - وهو كريم - فيزيل عنا هذا التردد ، بدلالتنا على مستنده بأن الفضول من طيء .

وترجم الأستاذ لشيخنا الكبير محمد بن عبد العزيز المانع في (ص ٣٥) ، ومع أن المؤرخ من أخص أصحاب سماحة الشيخ وأعرفهم بأحواله ، إلا أنه لم يوف الموضوع حقه ؛ فإن الشيخ محمد بن مانع له فصل طويل في التاريخ ، ولا

(١) صحيفة الندوة في ١٣٨٠/٧/٩هـ .

ينبغي أن يبخس التاريخ حقه، فهو صاحب الرحلات الطويلة البعيدة، فقد جاب الآفاق في سبيل العلم يوم كانت الرحلة شاقة متعبة، وهو الذي لازم كبار العلماء من كل لون وجنس، وهو الذي انتصر للدعوة السلفية قبل أن تنشر دعاتها ويخالط الناس أبناءها، وهو الذي ألف الكتب ودبج المحاضرات والمقالات، وهو الذي جلس السنين الطويلة على كرسي العدالة للفصل بين الناس، وهو الذي نهض بالمعارف العربية السعودية فخطى بها طويلًا من طور المدارس القليلة الضئيلة إلى المعاهد والكليات، والذي بعث الكتب المطمورة في الظلام إلى النور والنشور؛ ليغترف الناس من مناهلها، ويرتووا من نميرها، ولمَّ مكتبة ضخمة جمعت الكثير من نفائس المخطوطات النادرة، وهو الذي له في كل مجال من مجالات الفضل قصب السبق.

وكل هذا يحتاج للبيان والتفصيل، فتاريخ هذا الرجل المجد العامل المثمر أمانة في عنق كل مؤرخ وكاتب يسجلها، لا من أجل ابن مانع فهو أزهد الناس بهذا، ولكن من أجل التاريخ الذي يطالبنا بكل حق وصدق.

أما أن يوفى مؤرخنا الشيخ محمد بن مانع مما ينسبه إلى ابنه عبد الرحمن، فيقول في صدد الكلام عن أبناء الشيخ: وأوسطهم عبد الرحمن؛ فقيه.

فالشيخ محمد، وهو المؤرخ المحقق، والأخ عبد الرحمن، وهو ـ كما قال مؤرخنا ـ المتورع. لا يرضيان بهذا الإطراء من الأستاذ.

وذكر المؤرخ في (ص ٣٨): أن «الحبلان» ـ بالحاء المهملة ـ من مطير.

وأؤكد للأستاذ أنه لا يوجد في مطير «الحبلان» بالمهملة، وإنما الذين هم من مطير «الجبلان» بالمعجمة التحتية، وهم فخذ من مطير، أصلهم من تميم، وقد انضموا إلى هذه القبيلة المجمعة من قبائل شتى.

وذكر الأستاذ في (ص ٥٣) نقلًا عن ابن خلدون: أن البحرين جزء من مملكة عاد، وقد ملكوا جميع جزيرة العرب، وهي الأرض التي أحاط بها بحر

الهند من جنوبها، وبحر الحجاز من غربها، والبحر الأخضر من شرقها، وامتد ملكهم إلى الشام ومصر!.

ويبعد عندي أن تكون كل هذه الرقعة الواسعة بلادًا لهم؛ إذ ظاهر القرآن أن بلادهم جنوب الجزيرة العربية فقط، وهو الربع الخالي، ممتدًا إلى بلاد حضرموت، وهي «الأحقاف» التي أشار إليها القرآن الكريم: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾ [الأحقاف: الآية ٢١] وآثار عاد لا تزال معروفة هناك، فقد ذكر الأستاذ عبد الوهاب النجار في كتابه «قصص الأنبياء» أن السيد عبد الله بن أحمد بن عمر بن يحيى العلوي الحضرمي، أخبره أنه قام في جماعة إلى إحدى المدن البائدة في شمال حضرموت ونقب فيها، وعثر على بعض الآنية والمرمر، عليها كتابة بالخط المسماري، ونحن لم نعلم أنه وجد في الجزيرة العربية ما يدل على سكناهم فيها ما عدا الجزء الجنوبي، وآثار ثمود لا تزال باقية معروفة في الحجر. أما عاد الأولى فالظاهر أن مساكنهم في جنوب الجزيرة، ما لم يثبت ذلك التنقيب الذي يكشف لنا عمن سكن هذه الجزيرة من الأمم، وما أحوجنا إلى ذلك، فطالما وقفنا على أطلالها ورسومها نستنطقها عن أسلافنا، فلا يكون رجع جوابها إلا الصمت المطبق، فكم - والله - أطلت الوقوف على تلك الرسوم البالية والآثار الخالية أستخبرها، فلا أجد عندها إلا ما وجده النابغة يوم وقف قبلي ثم انصرف دامع العين وهو يردد.

وقفتُ فيها أصيلًا لا أُسائِلُها عيّت جوابًا وما بالرَّبعِ[1] من أحدِ

وذكر في (ص١٢٨): أن من تلاميذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب: عبد الله ابن محمد عبد العزيز الناصري!.

ولا أعلم أحدًا من تلاميذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب بهذا الاسم، وإنما

---

(١) الرَّبع: الدار بعينها حيث كانت «الصحاح» للجوهري (١٢١١/٣)، و«تاج العروس» مادة (ربع).

تلميذه من النواصر هو : الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الحصين الناصري التميمي .

وذكر في (ص ١٣١) : أن الشيخ عبد الوهاب بن فيروز توفي في بلد المبرز عام ١٢٠٢هـ وله من العمر ثلاثون سنة !

والصحيح أنه توفي في بلد الزبارة عام ١٢٠٥هـ وله من العمر ثلاث وثلاثون سنة ، وله حاشية على كتاب «زاد المستنقع» - كما ذكر المؤرخ - ولكنه لم يكملها ، وإنما وصل فيها إلى (باب الشركة) .

وسبق قلم الأستاذ في (ص ١٧٨) : فنسب حسن بن مهنا بن صالح أبا الخيل إلى حسن بن محمد أبا الخيل ! والصحيح الأول .



تاريخ الأحساء[1]

[٢]

في (ص ١٧٨) أشار مؤرخنا إلى وقعة المليدى ، فقال : كان بين محمد بن عبد اللّٰه الرشيد وبين أمير بريدة حسن أبا الخيل مخالفة ، فلما قوي سلطان محمد الرشيد وامتد نفوذه طمع في ضم بريدة وجميع ناحية القصيم إليه ، فجعل يتحرش بهم ، وجهز الجيوش لغزوهم ... إلخ .

ومعنى هذا أن محمد بن رشيد هو الذي طمع في أهل القصيم وبدأهم العداء ! وأعتقد أن المؤرخ لم يستسق معلوماته في هذه الواقعة من مصادر موثوق بها .

وما دمنا نكتب التاريخ للتاريخ ، فإليك ملخص القصة بأسبابها وبواعثها :

في آخر القرن الثالث عشر الهجري ، وأول القرن الرابع عشر ، ضعفت الدولة السعودية بسبب الخلاف الناشب بين أبناء الإمام فيصل رحمه اللّٰه ، وكان سلطان محمد بن رشيد قد أخذ في الامتداد والقوة ، وكان هناك شقاق بين الإمام عبد اللّٰه الفيصل وأمير بريدة حسن أبا الخيل ، وكان حسن المذكور محتميًا بأمير حائل محمد بن رشيد ، ومتخذه حليفًا له ضد عبد اللّٰه الفيصل الذي حاصره في بلده بريدة عدة مرات ، في كلها يستنجد حسن المهنا بحليفه محمد بن رشيد ، فيأتي إليه ويفك عنه حصار عبد اللّٰه الفيصل ، وأول هذه المناوشات عام ١٢٩٣هـ حينما جاء الإمام عبد اللّٰه الفيصل لقتال حسن فحاصر بريدة ، فما علم محمد بن رشيد حتى جاء منقذًا لحليفه حسن المهنا ، فصمد له عبد اللّٰه الفيصل ، فكاد يقع بينهما معركة عنيفة ، لولا أن أمير عنيزة زامل العبد اللّٰه آل سليم طلب من عبد اللّٰه العبد الرحمن البسام أن يخرج إليهما فيصلح بينهما ،

(١) صحيفة الندوة- الثلاثاء- ١٣٨٠/٧/٢٣هـ .

فخرج فأصلح بينهما فخمدت الفتنة، ورجع كل منهما إلى بلده بلا قتال، والحمد للّٰه.

وكذلك لما شرع حسن في عمارة قصر إمارة بريدة أمده محمد بن رشيد بمبلغ كبير من الليرات، كما أنه أطلق يده في القصيم بلا منازع، فله غنمه وعلى ابن رشيد غرمه.

والمقصود أن محمد بن رشيد ما زال ذا يد بيضاء على حسن المهنا، وأن بقاءه مستقلًا في إمارة بلده منوط بحماية اللّٰه تعالى ثم بحماية محمد بن رشيد، حتى إذا كاد ينتهي حكم آل سعود، وأمن حسن المهنا من هجمات عبد اللّٰه الفيصل، وتنفس الصعداء من خناقه، حينئذ تنكر لحليفه وصاحب اليد الطولى عليه محمد بن رشيد، فأظهر له المخالفة والمشاقة، وكان بين حسن والمذكور وأمير عنيزة زامل العبد اللّٰه آل سليم عداوة وشحناء، فأراد حسن أن يضم زاملًا إلى صفه، ويجعل يده في يده؛ ليكونا يدًا واحدة ضد هذا الذي استفحل أمره، فصاهر حسن زاملًا ليمهد للمعاهدة بينهما، وعقدا بينهما مؤتمرًا في «الغميس» مكان بين بلديهما؛ لتقوية العلاقة بينهما.

أما محمد بن رشيد فحينما رأى نكران الجميل، وإظهار الشقاق من صنيعته حسن، وهو الذي لم يبدر منه ما يوجب الخوف والحذر غضب غضبًا شديدًا، فأخذ يستعد للسير إلى قتال حسن المهنا في بريدة، فجاءته الأخبار أن أمير عنيزة منضمًا مع حسن لقتاله، فكتب محمد بن رشيد إلى أمير عنيزة زامل العبد اللّٰه يتودده ويستعطفه بكل وسيلة أن يكف عن قتاله ويدعه وحسن المهنا الذي لم يرع حرمته ولم يشكر نعمته، ووالى الكتب إلى آل بسام في عنيزة ليشيروا على زامل بترك القتال والفتنة فهو في عافية منها، فبذل الجميع محاولات كثيرة لإقناع الأمير زامل بترك قتال محمد بن رشيد مع حسن المهنا، فلم يفلح معه الترغيب ولا التخويف من عاقبة هذه الفتنة؛ لينفذ إرادة اللّٰه التامة.

ولقد بذل آل بسام كل جهد لتغيير فكرة الأمير بالعدول عن الحرب، وذكروه بموقفهم وموقف بلاده منه يوم ضرب عليهم الحصار من جميع بلدان نجد، فصمدوا جميعًا ضد عدوه وعدوهم. حيث إن زاملًا يبرر وجهة نظره في قتال ابن رشيد بالخوف من هجومه على بلاده بعد انتهائه من قتال حسن المهنا. فأمنه ابن رشيد بتقديم العهود والمواثيق، وبذل الكفالات، فصمم على ما أراد.

وغريب جدًّا أن يقع هذا من الأمير زامل، فإنه الفطن الذي لا ينخدع، فكيف إذا خدعه عدوه السابق حسن المهنا فربطه إليه بهذه الأسباب الواهية، وكيف يخاطر بنفسه وببلده في هذه الحرب الضروس التي لا يعلم عاقبتها؛ خشية من حرب متوهمة.

ثم كيف يشتري عداوة محمد بن رشيد الذي تدعم سلطانه وامتد نفوذه، ومع هذا لم ير منه ما يريبه أو يخيفه بصداقة عدو قديم لم يظهر له المودة إلا عند الحاجة إليه، مع أنه قد بذلت له الوعود الصادقة والعهود المرغبة على البقاء في بلاده، مطمئنًا مستقلًا بالخير، آمنًا من الشر. وقد بذل له ابن رشيد الوعود والعهود فيما توهم الخوف منه، ووعد بالنصرة والمعونة المادية والمعنوية من كبار جماعته، وفي مقدمتهم آل بسام على فرض تجدد عدو يدهمه في بلده، ومع هذا ليس له مطامع في غير بلده.

كل هذا يعرفه الأمير زامل ويدركه في نفسه، فهو من ذوي الآراء الصائبة، والنظر البعيد، ويثق من كل ما عرض عليه، ولكنه ضرب بكل هذا عرض الحائط؛ ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا.

فلما كان في جمادي الأولى من عام ١٣٠٨هـ توجه محمد بن رشيد من حائل؛ قاصدًا بريدة بجيش جرار، تجنبه سفن البر من الخيل العربية الأصيلة. فخرج إليه حسن المهنا بأهل بريدة، وزامل السليم بأهل عنيزة، فالتقى الفريقان في «القرعاء»؛ إحدى قرى الجواء في اليوم الثالث من جمادى الآخرة، فالتحم

القتال، فكسب المعركة أهل القصيم، وقتل فيها حامل لواء ابن رشيد: مبارك الفريخ، ولكن الخسائر من الطرفين خفيفة؛ ولذا نزل محمد بن رشيد في مكان المعركة، واحتمى أهل القصيم بكثبان رمال خبوب بريدة، فهي منيعة حصينة، وليس للخيل مجال في القتال فيها.

فلما رأى محمد بن رشيد أنه ليس له قدرة عليهم في هذه الكثبان الوعرة الشاهقة، ارتحل من مكانه بعد معركة «القرعاء» بعشرة أيام؛ موهمًا لأهل القصيم أنه قد انصرف عن قتالهم، فتبعوه ليناجزوه قبل أن يفوتهم، فناوشهم القتال حتى إذا توسط في «المليدى» وهي قاع فسيح صالح لطراد الخيل أنزل عتاده وبنى خيامه، وصرف نحوهم أفواه المدافع ووجه إليهم نواصي الخيل، فنشب القتال وحمي الوطيس بعد ظهر الجمعة في اليوم الثالث عشر من جمادى الآخرة عام ١٣٠٨هـ وكاد أهل عنيزة يكسبون المعركة فقد تقهقر الذين يقابلونهم من جيش ابن رشيد، لولا أنه بلغ حسن المهنا مقتل أمير عنيزة زامل العبد الله آل سليم، فعندما علم بمقتل الذي لم يخرج بنفسه وبلده إلا لنصرته انسحب بجيشه من المعركة بلا علم من أهل عنيزة، حينئذ عطف الرشيدون المقابلون لأهل بريدة لما خلا وجههم منهم على أهل عنيزة المشتغلين بالقتال والمترقبين نهاية النصر، فطوقوهم واستحر القتل فيهم دون غيرهم ممن لاذ بالفرار، فقتل منهم في هذه المعركة المشؤومة نحو أربعمائة رجل، فيهم طائفة كبيرة من وجهاء البلاد وأعيانها.

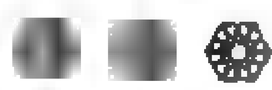
وبعد انتهاء معركة المليدى انتقل محمد بن رشيد إلى الرفيعة، وهي آبار معدة لزراعة الشتاء في شمال بريدة، وخرج إليه أهل القصيم للمبايعة على السمع والطاعة، فلم ينل أحدًا منهم بسوء إلا ما كان من مثير الفتنة حسن المهنا، فإنه لما انهزم من المعركة دخل بريدة، فلما نزل ابن رشيد الرفيعة علم أنه في طريقه إليه، وأن بريدة بعد هذه الضربة القاصمة لن تحميه، فالتجأ إلى عنيزة الذين فيها

البسام الساعون في إخماد هذه الفتنة قبل استعارها « لو كان يطاع لقصير أمر » .

فأشاروا على حسن المهنا أن يبارح البلاد ، ويغيب وجهه عن الغاضب المنتصر ، فعنده الإبل النجيبة والخيل المنجية ، وأرض اللّٰه واسعة الفضاء ، ولكنه طمع في حلم محمد العبد اللّٰه ، وتذكر سالف المودة والإخاء وسابق الحلف والوفاء ، ونسي نكثه العهد وغدره ، فرغب في مقابلته ولم يتق صولة الحليم الذي قد امتلأ غضبًا وغيظًا ؛ غلبا على ما يتمتع به من الحلم والصفح والعفو . لذا فإنه ما كاد أن يقع في يديه حتى زج به في السجن الذي مكث فيه زهرة حكم آل رشيد ، ولم يخرج منه حتى خرجت روحه في عام ١٣٢٠هـ .

وبعد هذه المعركة لم يبق أمام محمد بن رشيد منازع ، فبسط نفوذه على سائر البلاد النجدية .

هذه خلاصة وقعة المليدى بواقعها الصحيح .



كذا .. فليجل الخطب[1]

ليس الموت غريبًا علينا ، فإننا نراه آناء الليل والنهار ، وهو أمر واقع ما له من دافع ، ولكن الغريب حقًّا ـ هو موت الغريب في صفاته ، في دينه ، في علمه ، في خلقه ، في مبدئه ، في شئونه كلها ، وكذلك كان المرحوم سماحة الشيخ عبد الله بن حسن ، الذي ضرب مثلًا للسالفين الأوائل ممن درجوا على الهدى ، وسلكوا سبيل المصطفى ، فأصبحوا نجومًا في الصلاح والتقى !

مثل هذا يعد موته غريبًا عصيبًا على البلاد والعباد ؛ لأنهم يشاهدون نجمًا من نجوم الهداية وهو في طريقه إلى الأفول ، حتى إذا سقط في مغربه تلونت الوجوه وشخصت الأبصار وتصاعدت الأنفاس ، ثم يتبادلون النظرات بأوجه منتقعة وأعين مخضلة ، حيث فقدوا عزيزًا طالما ألفوه ، ومصلحًا طالما اتبعوه ، ونجمًا منيرًا طالما ساروا على نوره وهداه .

وأنا بهذه الكلمة لا أستطيع أن أبين فضائل الفقيد ، أو أعدد مناقبه الحميدة ، أو أحيط بأعماله السديدة . ولا أريد استيعاب ترجمته ، وما قام به من عمل في عمره المديد ؛ فإن القلم أعجز من أن يعدها فضلًا من أن يحيط بها . والفقيد لا يريد منا إلا الدعاء له والترحم عليه ، فهو أزهد أحد في الثناء والمدح في حياته فما بالك في مماته ، ولكن لابد للنفس المكلومة أن تخفف من أساها بالحديث ، ولابد للتاريخ أن يحتفظ برجاله الأعلام ، ولابد للقراء من الاطلاع على شيء من سيرة شخصية عظيمة عزيزة فقدوها من بينهم ، فهم بذكرها مغرمون ، وإلى الحديث عنها والهون ، لذا فلنعلم عن حياته إلمامة قصيرة :

فكما عرف نسبه هكذا : عبد الله بن حسن بن حسين بن علي بن حسين بن المجدد المصلح الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

---

(١) صحيفة الندوة في ١٣٧٨/٧/٣٠هـ .

وفقيدنا العزيز عالم كبير من سلالة ذهبية في العلم والصلاح ، لهم مواقفهم المعروفة في التاريخ الذي خلدهم في سجل المصلحين .

ولد الفقيد في عام ١٢٨٧هـ السنة التي تسمى : « سنة جودة » . فشهد في مطلع شبابه أحداثًا جسامًا واضطرابات عظامًا بين أبناء الإمام فيصل وأبنائهم ، ثم بين ضعف حكم آل فيصل وقوة حكم آل الرشيد . فأخذ من هذه الفتن والاضطرابات علمًا ودرسًا للمساعدة على بناء حكومة إسلامية لا شقاق فيها ولا خلاف .

فلما ظهر المغفور له الملك عبد العزيز لبناء الملك مرة أخرى على أسس متينة من الدين القويم ، والهدى المستقيم ، وجد من الفقيد كل عون وتأييد للمِّ شمل الجزيرة بعد تفرقها ، وجمعها بعد تشتتها ، وتأليفها بعد تقاطعها ، واستتباب الأمن في ربوعها ، ونشر العدل في أصقاعها ، وبث العلم والعقائد الصحيحة في أرجائها . فكان الفقيد في ركاب الملك الراحل في حله وترحاله قاضيًا ومفتيًا للجيش ، وإمامًا وواعظًا في البلاط الملكي ، وداعيًا إلى اللَّه تعالى في كل بلد ينزله ، وعند كل قبيلة يقيم فيها ، حتى إذا استتب الأمر واستقرت الأمور ، وجاء التنظيم الإداري للدولة ، وأخذت في ترتيب جهازها الداخلي ، صار الفقيد من أعلامها الهداة ومسوسيها المحنكين ، فتولى رئاسة القضاة ، والإدارات الشرعية والشؤون الدينية من تعيين القضاة والإشراف على أعمالهم ، ورتب الأئمة والواعظين في المساجد ، وترتيب المدرسين والمرشدين في المسجد الحرام ، والإشراف عليه وعليهم . ومع زحمة هذه الأعمال هو الخطيب الأول في الحرم الشريف ، وبيته حافل بالندوات العلمية آناء الليل والنهار .

أما مشايخه الذين تلقى العلم عنهم فهم من أعلام نجد العاملين ؛ تلقى عنهم العلم والعمل ، فمنهم : والده ، ومنهم الشيخ الفقيه إسحاق بن عبد الرحمن آل الشيخ ، وكذلك الشيخ الكبير عبد اللَّه بن عبد اللطيف آل الشيخ ، ولازم ملازمة

كلية الشيخ محمد بن محمود، وانتفع بعلمه كثيرًا.

أما تلاميذه فكثير جدًّا؛ لأنه جعل بيته مدرسة تعقد فيه الحلقات لتلقي العلوم الشرعية من التفسير والحديث والتوحيد والفقه وغيرها. وهم الآن علماء فضلاء شغلوا المناصب الهامة من القضاء، والتدريس، والوعظ، والأعمال الإدارية.

والفقيد من العباد الذين لم تشغلهم أعمالهم ومناصبهم عن التعبد والتهجد، فلقد شهدناه في شيخوخته وكبر سنه من رواد المسجد الحرام؛ للصلاة والطواف وأنواع العبادات.

وكان مع ما أعطاه من مكانة ومعرفة ومنزلة رفيعة على جانب كبير من مكارم الأخلاق ورفيع الشمائل من تواضع جمٍّ إلى بذل في سبل الخير، وكان لا يرى لنفسه ميزة، فكان يقدر الكبير ويحترمه، ويحتوي على الصغير ويرحمه، ويلاطف أهل الخير، مهما كانت منزلتهم في المجتمع. وكانت لا تغريه المناصب الكبيرة في طلب الجاه ورفع المنزلة، وإنما يراها وسيلة لإحقاق الحق ونصر المظلوم.

فإذا فقدنا مثل هذه الشخصية الكبيرة في دينها وعلمها وإخلاصها وأخلاقها، فهل على العيون عتب إذا جادت بالدموع، أو على القلوب لوم إذا تصدعت عنها الضلوع!.

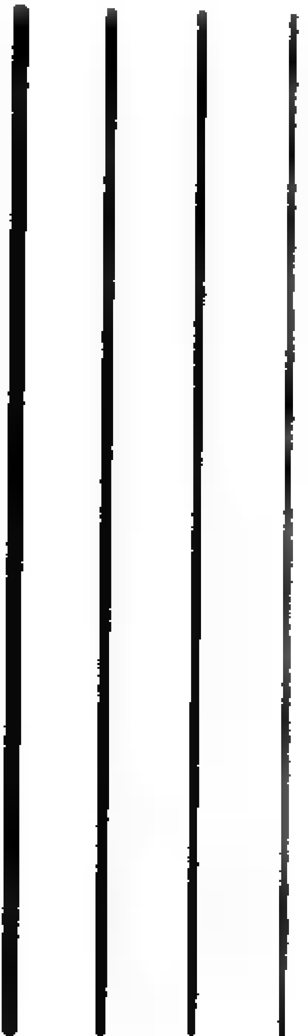
فواللّٰه إنها لخسارة كبيرة ورزء عظيم وخطب جلل أن ينزع بيننا مثل هؤلاء العلماء الصالحين الذين يذكروننا بسلفنا الصالح الذين يولون العلم بالعمل، فإنا للّٰه وإنا إليه راجعون، ورحم اللّٰه الفقيد، وعوض عنه الإسلام والمسلمين خيرًا.

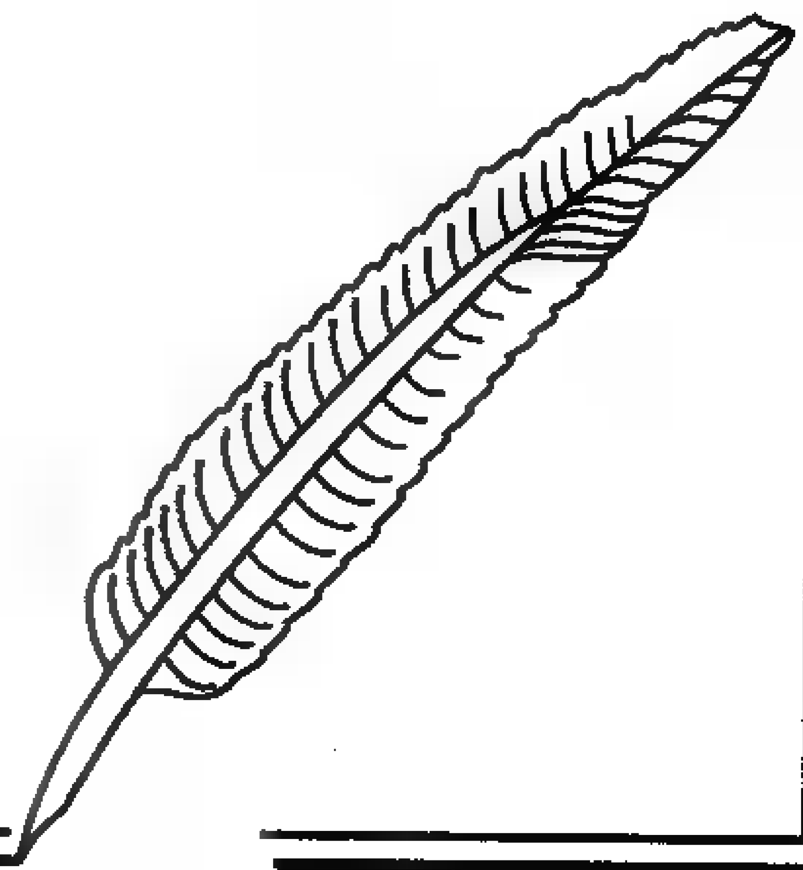




مقالات الشيخ
عبد الرحمن بن عبد اللَّه
ابن فريان رحمه الله

١٣٤٤هـ- ١٤٢٤هـ





مقالات الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن فريان(١)

(١) هو شيخنا الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن حمد بن عبد الله بن فريان الهاجري القحطاني.
ولد بمدينة الرياض سنة ١٣٤٤هـ ونشأ في كنف والده نشأة دينية علمية وهيأه لطلب العلم، أدخله والده الكتاتيب عند الشيخ: صالح بن محمد بن مرحوم (ابن مصيبيح)، كما قرأ القرآن أيضا على الشيخ علي اليماني، والشيخ محمد أحمد سنان وأتم الشيخ حفظ القرآن عليه، ثم بدأ الشيخ طلب العلم على الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وهو في سن السابعة عشرة فقرأ عليه الأصول الثلاثة، ثم كتاب التوحيد، ثم الأربعين النووية، ثم آداب المشي للصلاة، والآجرومية في النحو، ثم قطر الندى، ثم الألفية غيبا، ثم بدأ في جرد المطولات البخاري ومسلم، واقتضاء الصراط المستقيم. ويتخلل ذلك قراءة على الشيخ محمد بن عبد اللطيف، والشيخ عبد العزيز بن محمد الشثري (أبو حبيب)، وكذلك على الشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم. وبعد أن افتتحت كلية الشريعة أكمل طلب العلم بها. بعد ذلك قام بالتجول للدعوة بتوجيه من الملك سعود.
وقد تأسست الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بالرياض سنة ١٣٨٦هـ على يد الشيخ رحمه الله وتولى رئاستها منذ ذلك الوقت وحتى وفاته رحمه الله.
ودأب الشيخ على دعم هذه الجمعية ماديا بتبرعه الشخصي لها وبجمع التبرعات لإنشاء الأوقاف لها وبالدعم السخي من لدن ولاة أمور هذه البلاد، وفقهم الله.
ومما تميز به الشيخ - رحمه الله - عدم استكثار الجهد في سبيل الدين ونشر العلم الصحيح داعية يمارس الدعوة في بيته وشارعه ومسجده ومكتبه وسفره وإقامته اقتداءً بنبي الأمة ﷺ.
ولعله من القلائل الذين ذرعوا الجزيرة العربية من أدناها إلى أقصاها، يعظ ويذكر، ويدعو إلى التقوى والمحبة، لم يترك دائرة أو مكانا يعنى بالعلم والدعوة إلا وخطب فيه وأرشد وناصح وذكر، بقلب مخلص، فتقع كلماته في القلوب.
تولى إمامة جامع آل فريان بمعكال ١٣٧٥هـ والخطابة فيه، قبل تخرجه من كلية الشريعة، واستمر حتى وفاته - رحمه الله.
وبعد تخرجه رحمه الله من كلية الشريعة أمره الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله بتوجيه من الملك سعود بن عبد العزيز رحمه الله بالتجول للدعوة فتوجه إلى الحدود الشمالية.
وهو من المؤسسين لندوة الجامع الكبير في الرياض والتي تقام كل يوم خميس، وكانت ندوة مباركة، كما أسس مكتبة شيخ الإسلام ابن تيمية التابعة للجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن =

تعقيب على تعقيب
التعاون الخيري(١)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده..

أما بعدُ:

فإن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها. وقد قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المَائدة: الآية ٢].

واعلم أخي، أن من دلَّ شخصًا على الخير فقد أحبه ونصح له، ومن دلَّه على الشر فقد أبغضه وخانه وغشه، ومن سكت عنه فهو بالحياد، وهو إلى الغش

= الكريم في منطقة الرياض، عام ١٣٨٩هـ.

وكان للشيخ إسهام في الإعلام وبالذات الصحافة، كما كان له إسهام مبارك في إذاعة القرآن الكريم وتقديم عدد من البرامج النافعة: في العقيدة والآداب، والسيرة النبوية، كان رحمه الله حريصا على إنكار المنكر أيا كان فاعله لا تأخذه في الحق لومة لائم: فكان ينصح ويعظ أولا أبناءه وزوجاته، ثم الأقرب، ثم بقية الناس من ولاة أمر، ومسؤولين وأغنياء وفقراء، لا يرى منكرا إلا غيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه. وكان دائم العون لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: فكان يسعى لتعزيز جهودهم، وتوسيع نشاطهم، وكان رحمه الله يبذل جاهه فيما يقوي شوكتهم.

من أعمال الشيخ المشهودة سعيه الدءوب في بناء المساجد وتهيئتها للصلاة، وقد ذكر أحد مقاولي البناء- وقد طال تعامله مع الشيخ- أنه بنى بأمره أكثر من ستين مسجدًا في الرياض وحدها خلال ثلاثين عامًا تقريبًا.

قرأ عليه بعض طلبة العلم في التفسير وفي البخاري ومسلم والهدي النبوي لابن القيم والعقيدة الواسطية وكتاب التوحيد وغيرها من الدروس العلميّة.

أما مؤلفاته فمنها: «تحريم التصوير»، «مجموعة فوائد مهمة»، «تحف البيان».

توفي رحمه الله في مساء يوم الأربعاء ١٤٢٤/٧/٧هـ رحمه الله رحمة واسعة وأدخله فسيح جنانه.. انظر موقع: «مؤسسة الشيخ عبد الرحمن آل فريان الخيرية» على الشبكة.

(١) صحيفة الندوة في ١٣٧٨/٧/٢٢هـ.

أقرب ، ولا يكمل إيمان عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

وقد سرَّني ما كتبه الأديب الفاضل عبد اللّه الحصين منذ أيام في « صحيفة البلاد السعودية » حول شأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ تعقيبًا على ما ذكره الأستاذ غالب أبو الفرج ، حول الدور الذي يجب أن تقوم به الهيئات ، باعتبارها المركز الرسمي للوعظ والإرشاد ، فأجاد وأفاد ، وأتى بما فيه الصواب والسداد ، وقال : إذ الوقوف به عند حدوده القريبة ، أو عند لون من ألوان الدعوة قد يفقده فعالية التأثير .

وفكرته تتلخص كما ذكر في أمور ثلاثة :

أولًا : إنشاء مدرسة نموذجية للوعظ والإرشاد والتوجيه الديني .

ثانيًا : إصدار مجلة إسلامية ، تعنى عناية خاصة بشؤون التشريع الإسلامي ، يستكتب لها لجنة من العلماء العاملين والأدباء والمفكرين .

ثالثًا : إصدار نشرة دورية- يعني شهرية أو سنوية أو نحو ذلك- تتضمن النصائح والتوجيهات الدينية ، وبعض الأحكام الفقهية ، ومعالجة بعض المشاكل الاجتماعية .

فأنا اليوم أضم صوتي إلى صوته ، وأنادي المسلمين عمومًا ، وأهل العلم خصوصًا للقيام بهذا الأمر ، وحفظ لحياة إسلامهم ، فإن الداء الفتاك قد قصم نواحيه .

وأهيب أيضًا بالمسؤولين الذي ألقي على أكتافهم الحمل الثقيل أن ينظروا في طريق الإصلاح ، ويسعوا في تحصيله بكل الوسائل ، وأن يدرسوا هذه الفكرة ويتأملوها حق التأمل ، ويفكروا في نتائجها وثمراتها ؛ لأن المسؤولية الكبرى والأمانة العظمى على المؤهلين لهذا الشأن - أي : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - وهو بحق يعتبر لمن صلحت نيته جهادًا كبيرًا ، وإصلاحًا عظيمًا منقذًا من أسباب الدمار والهلكة ، لا سيما والجهاد في سبيل اللّه ؛ الذي هو بذل النفوس

والمهج[(١)] في سبيل الحق في قتال العدو، نوع من هذا، بل الأول مركزه الأساسي، وهو طريق الرسل وأتباعهم، كما قال عزَّ مِنْ قائل: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يُوسُف: الآية ١٠٨].

وقد جعل سبحانه وتعالى الخيرية لهذه الأمة بهذا الأمر بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١١٠].

بل استثنى اللَّه أهل هذا الشأن من المعذبين العذاب البئيس، فقال: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤، ١٦٥].

فهذا الشأن جدير بأن يهتم به، ويبذل في تحصيله الغالي والنفيس؛ لنفع الخلق، قال رسول اللَّه ﷺ، وهو الصادق المصدوق- البار وإن لم يحلف-: «فواللَّه، لأن يهدي اللَّه بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم»[(٢)].

وإلا فلو أهمل هذا الشأن لغشت الضلالة، وشاعت الجهالة، ونزل العذاب، ولما استجيب الدعاء، كما قال ﷺ: «إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم اللَّه بعقابه». أو قال: «بعذابه»[(٣)]. وقال في حديث عائشة

---

(١) المهج: جمع المهجة وهي: دم القلب. وقيل: الدم. ولا بقاء للنفس بعدما تراق مهجتها. وقيل: المهجة خالص النفس. ويقال: خرجت مهجته، أي: روحه. انظر «لسان العرب»: (مهج)، و«مختار الصحاح»، و«المعجم الوسيط»: (مهج).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٤٢، ٣٠٠٩، ٣٧٠١)، ومسلم (٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد رضي اللَّه عنه.

(٣) أخرجه أحمد (١/ ١٧٨، ١٩٧) (١، ١٦)، وأبو داود (٤٣٣٨)، والترمذي (٢١٦٨، ٣٠٥٧)، وابن ماجه (٤٠٠٥)، والنسائي في الكبرى (١١١٥٧) من حديث أبي بكر الصديق رضي اللَّه عنه، وصححه الألباني في الصحيحة (١٥٦٤).

رضي اللَّه عنها ، لما صعد المنبر : « إن ربكم عز وجل يقول لكم : مروا بالمعروف ، وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوني فلا أستجيب لكم »(١) ... إلخ .

وأيضًا فالخلق لم يخلقوا عبثًا ، ولم يغفلوا هملًا ، ولم يتركوا سُدًا ، بل خلقوا لعبادة اللَّه وطاعته ، كما قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذّاريَات: الآية ٥٦] . وخلق الجنة لمن أطاعه ، وخلق النار لمن عصاه ، ومع ذلك أرسل الرسل للأمر بعبادته ، فقال : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النّحل: الآية ٣٦] . وأنزل الكتب السماوية عليهم أيضًا لأمر الخلق بعبادته ، فقال : ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ * أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [هود: ١، ٢] .

وهو سبحانه لا تنفعه طاعة المطيع ، ولا تضره معصية العاصي ، بل هو النافع الضار ، لكن طاعة العباد راجعة لهم مصالحها ، كما أن معاصيهم عائد ضررها عليهم ، وإنما شرع اللَّه الشرائع لمصالح العباد ، ولرحمته بهم .

أخي ، نعود بالكلام حول المدرسة النموذجية ، فإن نتائجها ملموسة ، وثمراتها بتوفيق اللَّه محسوسة ، ويا حبذا هذه الفكرة ، وهذه النظرة التي قد تغلغلت من قلبٍ مخلصٍ ناصحٍ ، وهذا هو مقتضى النصيحة الدينية ، والأخوة الإيمانية ، كثر اللَّه في المسلمين أمثاله .

ولا يخفى أن الرسول ﷺ قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »(٢) . وقد اهتم عليه السلام بأمر النصيحة ، وجعل لها المكانة العظمى من الدين ، بل جعل الدين هو النصيحة ، بقوله في حديث تميم : « الدين النصيحة ، الدين النصيحة ، ثلاثًا » . قيل : لمن يا رسول اللَّه ؟ قال : « للَّه ولكتابه

---

(١) أخرجه أحمد ٤٢/١٤٩ (٢٥٢٥٥) ، وابن ماجه (٤٠٠٤) . وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » (١٠٨٠) .

(٢) أخرجه البخاري (١٣) ، ومسلم (٤٥) من حديث أنس رضي اللَّه عنه .

ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم »[١] .

وقال : « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم »[٢] .

والنصيحة تدل على صفاء السريرة ، وخلوها من الغش والغل والحسد ، وقد أخذ ﷺ على بعض أصحابه النصح لكل مسلم .

ولكن يا أخي ، إن المدرسة المذكورة تحتاج إلى زمن طويل ، ودراسة عامة ، ونحن الآن في أمس الحاجة إلى علاج سريع ، ودواء ناجع لأدوائنا المتفشية في المجتمع بشكل غريب عجيب ينذر بالخطر ، فعلى المسؤلين لفت النظر في الحال قبل المدرسة بعجالة نافعة وتلقيح سريع بقوة واختبار لمن أوهل لذلك من الرؤساء والأعضاء ، ثم يعقب ذلك الإبقاء لمن يصلح ، والفصل لمن لا يصلح ، بنية صالحة ؛ لأن بالأكفاء يحصل النفع العظيم ، قال تعالى : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّمَر: الآية ٩] . لأن الداعي إلى اللَّه يشترط فيه العلم والبصيرة ، حتى يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويستعمل الوعظ والإرشاد والمجادلة بالتي هي أحسن لمن أبى وعصى ، وينتقل معه إلى الجلاء إن أمكن ، ذكر معنى ذلك ابن القيم[٣] رحمه اللَّه .

ولابد أن يكون الآمر عالمًا بما يأمر به ، عالمًا بما ينهي عنه ، رفيقًا فيما يأمر به ، رفيقًا فيما ينهى عنه ؛ لأن القصد هِدية الخلق ، والجهل يفسد صاحبه أكثر مما يصلح .

ولا يجوز للإنسان أن يخالف[٤] قوله فعله ، فيكون ممن قال اللَّه فيهم :

---

(١) أخرجه مسلم (٥٥) .

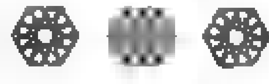
(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٧٤٧٣) من حديث حذيفة رضي اللَّه عنه ، وقال الألباني في الضعيفة (٣١٠) ضعيف جدًا .

(٣) انظر « مفتاح دار السعادة » (١٥٣/١) .

(٤) في الأصل : « يخالق » .

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصَّف: الآية ٣] . وقال : ﴿۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٤٤] .

فعلى الجميع التوبة إلى اللَّه ، والرجوع إلى ربهم ، والندم على ما فات من الخطأ والتقصير ، نرجو اللَّه أن يثبت قلوب الجميع على دينه ، وأن يوفق ولاة المسلمين لما فيه صلاح العباد والبلاد ، ويمنَّ على الجميع باليقظة وسرعة العلاج قبل حلول النقمة ، أو هجوم المنية ، آمين ، وصلى اللَّه على محمد وآله وصحبه وسلم .



التعليم(١)

أيها المسلمون، إن المملكة العربية السعودية، كانت بحمد الله آمنة مطمئنة، متمسكة بشرائع الإسلام، منفذة لتعاليم الدين، متبعة للقرآن، وعاملة بسنن خير المرسلين ﷺ. ولكن يا للأسف، دب إليها الشر من حيث لا يعلمون، واستحكم فيها البلاد من حيث لا يدرون، بسبب بعض التعليم الحديث، وبعض المعلمين الأجانب، ومخالطة الأشرار، ودخول المجلات الداعرة، والصحف الفاجرة، واستماع الإذاعات الملحدة المملوءة بالنيل من الدين ورجاله، والطعن في الإسلام ونظامه، والتصريح بأن التمسك بالدين جمود ورجعية، وأن الانحلال والإلحاد تقدم ومدنية، وبهذه الأمور اختلت أخلاق كثير منهم، وتغيرت فطرهم، حتى تركوا كثيرًا من أوامر الله، وارتكبوا كثيرًا من نواهيه، وبث بعض المعلمين الأجانب الذين لا صلة لهم بالدين في نفوس كثير من الطلبة، كراهة الدين وأهله، واستثقالهم، وتنقصهم، والاستخفاف بهم، وتحقق ضرر كثير من هؤلاء المعلمين الأجانب على كثير من أبناء هذه المملكة، وظهر سوء عاقبتهم على الدين والأخلاق، ونحن في أمل وطيد من حكومتنا -وفقها الله- للانتباه والإصلاح، حتى تسير مناهج الدراسة والتعليم على ما يقره الدين الحنيف، وتحصل به منفعة الوطن والمسلمين، والحذر من المعلمين الأجانب المنحرفين، ومنع المجلات والصحف الضارة والداعرة، وبالانتباه والعمل والأخذ على أيدي أهل الفساد، يحصل الخير والصلاح، ويطمئن العباد، فيجب علينا أن نأخذ العلم من منبعه، ونرسم الخطط والمناهج من مشكاتها؛ من شرعنا المطهر، وأن نكون نحن الأسوة في الخير، لا نقلد غيرنا على غير بصيرة، فنضل عن سواء السبيل، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ

(١) صحيفة اليمامة- العدد (٣٢٧) في ١/١/ ١٣٨٢.

ﵟٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَﵞ [آل عِمرَان: الآية ١٤٩]، فيا عباد الله، انظروا إلى أثر المعلمين الأشرار على أولادنا.

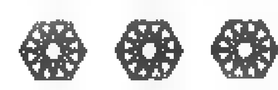
إن أعداءنا أتوا إلينا بعلوم لا خير فيها، بل هي سبب انحطاط الأمم قبلنا، وإن أفراخ الإفرنج الذين تغذوا بلبانهم، وأخذوا بتعاليمهم، يريدوا إفساد شبيبتكم، فنتيجة هذا التعليم الضار أنا خسرنا كثيرًا من أبناءنا، فهم لا يقدرون أبًا، ولا يحترمون أمًا، ولا يرحمون إخوة، ولا يؤدون واجبًا، إلا وهم كارهون، يحبون الشر، ويقلدون الكفرة. إن هذه الأمور الهدامة تعمل في مجتمعنا، فأين الغيرة يا أهل الإسلام؟! غزاكم أعداء الإسلام في قعر بيوتكم، وأفسدوا الكثير من أولادكم، فانتبهوا رحمكم الله، وتداركوا ما حصل، فإنه لا يناسب السكوت والركود والإخلاء، مع هذه الأمور العظام، أجهلتم هذا أم تساهلتم به؟ إن أعداءكم لم يقفوا عند حدهم أعان الله المسلمين على العلاج لأمراضهم، ورزقهم الله الشفاء، ووفق الله الجميع لما يرضيه.

وقال الشيخ عبد الله بن زيد بن محمود: إن مدارس التعليم هي إما تنتج النفع العام، أو الضرر العظيم؛ لأنها تسير على حسب ما وجهت له، وما طولبت به من صلاح عمل، أو فساد أدب، فصلاح التعليم ينجم عن صلاح الرأس والرئيس، ومن تسلم منصات التدريس يشقى رجال ويشفي آخرون بهم، ويسعد الله أقوامًا بأقوام. أو لا يجب أن نقطع عن مدارسنا الأسوة السيئة فلا ننظر إلى ما يفعل بمدارس البلدان المجاورة من التعاليم الضارة والبدع المنكرة ولو حاول بعض من تطرف في الدين من جهة المسلمين ذلك إلى أن قال:

٢- يجب أن يكون من يتولى التعليم ظاهره العدالة، بحيث لا يتظاهر بشيء من الرذائل الحسية التي تستدعى جسارة التلميذ على فعلها؛ لأن التعليم بالأفعال، أبلغ منه بالأقوال.

٣- ثالثًا: يجب توسيع علم الدين وإدخال ما يستطاع فيه من التحسين

والتقوية ؛ لأن قسمته قد صارت الآن ضيزى ، وفقده يعد من الآرزاء ، والتعليم بدونه خطر على الشيء المستجد ، كما نشاهد ذلك من سوء أخلاق الأولاد وفساد طرقهم ؛ يدخل أحدهم المدرسة سليم الفطرة محب للطاعة ، يألف الخير وأهله ، ثم يخرج منها مزيفًا مغشوشًا فارًا بطبعه الرديء عن اللَّه ، وعن خلقه ، وعن خاصة أبيه المربى له ، حتى كأنه إنما دخلها لمحاولة محو هذا الشيء من قلبه ، ففي الحقيقة ما كان الدين في شيء إلا زانه ، ولا نزع من شيء إلا شانه ، بل الواجب أن ينمى الخير وحب الصلاة في قلبه ، ولا يصلح أن يولى تعليمه من لا يشهد الصلاة مع الجماعة ؛ لأن الصحابة كانوا يعدون المتخلف عن صلاة الجماعة منافقًا ، ولأن الصلاة عمود الدين ، فالخائن لعمود دينه وأمانة ربه ، جدير بأن يخون أمته ، وأهل ملته ، فهو قمين بكل شر ، عديم لكل خير ، وعادم الخير لا يعطيه ، ويجب منع الرذائل عن المدارس وغيرها مثل شرب الدخان ، وحلق اللحى ، والسينما ، بل يجب أن تطرد عن مدارس المسلمين ، متبوعة باللعن على من يريد تأسيسها في البلاد ليفتن بها العباد ؛ لأنها مشهد زور ، ومدرسة فجور ، تبعث في نفس النساء والشباب محبة العشق والفجور ، والعكوف على الصور ، وأهل السفور ، فقاتل اللَّه أهل دعايات الضلال ، حصلوا مقصودهم ، ردهم اللَّه خاسئين ، وعكس قصدهم ، فنسأل اللَّه أن ينصر دينه ، ويعلي كلمته ، إنه على كل شيء قدير ، وصلى اللَّه على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



حقوق المرأة في الإسلام(١)

الحمد للَّه رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وسيد الأولين والآخرين، محمد وآله وصحبه أجمعين.

وبعدُ؛ فإن ديننا الحنيف حفظ لكل حقه، وفرض له مستحقه، وأعطى الفرد والجماعة حقوقهم، ولم يضيع لأحد شيئًا، وإن جاء نقص في إيصال الحقوق، فهو ممن انتسب إليه، فقد يضعف فهمه في استخراج الحقوق، أو يصرف الحق لرجل الهوى، ولا يجوز أن ينسب ذلك النقص إلى الدين نفسه، فمن نسبه إلى الدين الذي جاء من رب العالمين، فهو جاهل أحمق، أو عدو للدين ينفر عنه، فأقول: إن الدين الإسلامي الذي جاء به محمد بن عبد اللَّه ﷺ حيث كان خالدًا باقيًا إلى قيام الساعة، ولا نبي بعد هذا النبي الكريم، صار مهيمنًا على جميع الشرائع، ناسخًا لجميع الأديان والملل، كاملًا لا يعتريه نقص، ولا نسخ، ولا تبديل، صالحًا لكل زمان ومكان، فمن حكم هذا الدين ومصالحه وكماله أرشد القوى القادر على العمل إلى ملاحظة من تحت يده، من يعجز عن العمل، ولا يناسبه العمل مثل المرأة لضعفها، ولكونها محل الحرث والفراش، وطبعها اللين والنعومة ناسب أن يقوم عليها أهل العمل والرجولة والجلد والقوة وهم الرجال، فقال الرب عز وجل: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النِّساء: الآية ٣٤] فيجب أن تعطى حقوقها من حفظها في البيوت عن العابثين وتعطى الحقوق التي فرضت لها من النفقة الواجبة والكسوة والسكن ونحو ذلك من حقوق الزوجة على الزوج المفروض لها شرعًا، وبين سبحانه وتعالى المناسبة التي بين الرجل والمرأة فقال: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٢٣] فهي محتاجة لمن يقف

(١) صحيفة اليمامة العدد (٤٣٧) في ٩ رجب ١٣٨٣هـ.

بمصالحها ومحتاجة لمن يحفظها ، عن أن يلعب بها من يخدش كرامتها ؛ لأنها محل مطمع الرجل ومغرز شهواته ، ولأنها ناقصة عقل كما قال ﷺ : « ما رأيت من نقاصات عقل ودين أغلب الذي لب منكن » . ثم بين ذلك لما سُئل عنه فقال : « أما نقصان عقلها : فشهادة المرأتين بشهادة رجل ، وأما نقصان دينها : فإنها تمكث الأيام والليالي تصلي ولا تصوم » يعني لأجل الحيض والنفاس ، وهذا وإن كانت لا تعاقب عليه إلا أنه نقص ، فالأنسب لها عدم البروز أمام الرجال الأجانب ؛ رحمة بها ورأفة ، وخوفًا عليها من الفتنة ، والوقوع بها في ذلك الوقت الموجود فيه الدين القوي ، والشيمة الكاملة ، والعروبة العزيزة ، والقيم الإنسانية ، فما ظنك أيها المسلم بوقتنا الذي طغى فيه الفساد وانتشر فيه الشر بين العباد فإنه يجب العناية والمحافظة عليها عن المجرمين أكثر وأهل الفساد ، فلا يسمح لها الشرع الشريف أن تتولى الأعمال كالإمارة والقضاء ، ولا غير ذلك مما لا تطيق ، قال ﷺ : « لا يفلح قوم وولي أمرهم امرأة » . وذلك لأن الشرع أرحم بالعباد من العباد بأنفسهم ، كما قال : ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: الآية ٦] ، وكما قال : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: الآية ١٢٨] ، وقال النبي ﷺ : « اللَّه أرحم بعباده من الوالدة بولدها » . في رحمته سبحانه بالخلق أن أمر بحفظ النساء في البيوت فقال في توجيههن لهذا الحصن الحصين ولهذا السياج الأمين في حق نساء النبي الكريم : ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: الآية ٣٣] ، وقال : ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: الآية ٣٤] فالمناسب للمرأة بيتها ، ومن عناية الشرع لحق المرأة قال اللَّه سبحانه : ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: الآية ٣٢] ، وقال نبي اللَّه ﷺ : « لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم » . وفي رواية : « إلا كان الشيطان ثالثهما » . ولهذا يقول بعض السلف

الصالح : لو ائتمنت على بيت مملوء ذهبًا وفضة لوجدت نفسي عليه أمينًا ، ولو ائتمنت على امرأة سوداء أبيت معها ليلة واحدة ، لم أجد نفسي عليها أمينًا . فهذا كلام المنصفين أهل العلم الصحيح والصدق والأمان ، فهم يحذرون من الخطر ، ويخافون على أنفسهم من الضرر ، أولئك أهل الإيمان والعمل الصالح ، فالشرع المطهر حفظ للمرأة حقها وعزها ومجدها ، ولكن يأبى أصحاب الرذيلة والسفول إلا الدعوة إلى الفساد وخروج المرأة من كل ميدان من ميادين الحياة وبروزها أمام الرجال ، يتمتع بها كل فاسق فاجر ، وجاءوا بأساليب جذابة لدعوة المرأة ؛ منها قولهم : تبدأ تحرر من الكبت . وقولهم : تعطى حقوقها لتشارك الرجال . فمن سمع هذا الكلام وهذا التبرم حسب أنه صحيح ، وأنها مهانة ومهضومة حقوقها ، ولم يعلم أن هذا الذي قام ينادي بإعطائها حقوقها هو الذي في الحقيقة يريد أن يتمتع بها هو وأمثاله ويضيع حقوقها ويجعلها ألعوبة في يد العابثين حتى يقضوا وطرهم منها ، كما وقع بالفعل عند من لم تتمسك بدينها وأهملت تطبيق أوامره ونواهيه حتى هتك سترها وتلوعب بكرامتها وعزها ، وقضى على خلقها ودينها وشرفها وحيائها وشيمتها ومروءتها ، حتى صارت محل العبث والتلاعب ، وصار المغرضون يدعونها لقضاء حوائجهم باسم التعلم والتحرر والتثقف مرة ، وباسم التمدن والرقي مرة أخرى ، وباسم الخروج من الكبت وأخذ الحقوق مرة ، ومرة إلى غير ذلك من الأسماء المزيفة ، فتأتي المسكينة مهرولة إلى هذه الدعايات البراقة المزيفة التي ظاهرها حسن ، وتحتها سم وعقارب ، فيصطادون المرأة بهذه الأسماء ، لتنزل من حصنها ، ثم تسقط في هوة سحيقة ، وإلى أمواج متلاطمة لا يمكنها الخلاص منها ؛ إذ دخلت فيها ، وإذا ذهب خلق الإنسان الفاضل ذهب وجوده وهلكت روحه وتلاشت إنسانيته ، يقول الله سبحانه : ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [النّحل: الآية ٢١] ، وقال : ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [فَاطِر: الآية ٨] ، ويقول : ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصَّف: الآية ٥] ،

وإذا زاغ القلب عن الصراط المستقيم وذهب الخلق هلك الإنسان ، كما قال الشاعر :

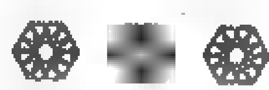
وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن ذهبت أخلاقهم ذهبوا

فصاحب العقل والدين يحفظ من تحت يده ومن ائتمن عليه ، لا يلعب بهم الشيطان ، كما قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: الآية ٦] فاللّٰه سبحانه يناديك أيها المؤمن بأشرف أسمائك ، وهو الإيمان ، ثم يأمرك بوقاية نفسك وأهليك هذه النار أعاذنا اللّٰه منها التي وقودها ، أي : حطبها ، لحوم الناس والحجارة ، ومعنى الوقاية هنا : اجعلوا وقاية لأنفسكم وأهليكم عن هذه النار بفعل طاعة اللّٰه وترك معصيته ، قال عبد اللّٰه بن مسعود رضي اللّٰه عنه : إذا سمعت اللّٰه أيها المؤمن يقول : يا أيها الذين آمنوا . فأصغ سمعك ، فإنه إما خير يأمرك به ، أو شر ينهاك عنه . فواجب على المسلم أن يعتني بمن تحت يده من أولاده ونسائه ، ويقوم برعايتهم وحمايتهم عن ما يضرهم وحفظ نسائه عن أن ينظر إليهن من ليس لهن بمحرم ، وفي الآية الكريمة يقول اللّٰه عز وجل : ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ [النور: الآية ٣٠]، ثم قال : ﴿وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [النور: الآية ٣١] الآية . وفي الحديث الشريف عن النبي ﷺ قال : « المرأة عورة » . وفيه أيضًا : « العين تزني ، وزناها النظر ، والأذن تزني وزنها الاستماع .

إلى أن قال : « والفرج يصدق ذلك أو يكذبه » . فالذي ينكر هذا ... على اللّٰه ورسوله ، فأهل الخير يدعون المرأة إلى التستر والحياء والكرامة ، وضدهم يدعونها إلى التبرج والتفرنج والعهارة ، وكل صاحب باطل يدعو إليه ، فلابد أن يمزجه بشيء من الحق حتى يقبل ؛ لأنه يعلم أن الناس إذا قيل لهم : هذا باطل اقبلوه . ما قبلوه ، بل هذا يعرفه حتى أكبر الطغاة فرعون اللعين ، يقول في حق

موسى بن عمران الحكيم عليه السلام: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر: الآية ٢٦]، وقال في شأن نفسه ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: الآية ٢٩] فليس العبرة بما قال الإنسان، بل العبرة بالشرع، فإنه هو الميزان، فانظر أيها المسلم إلى هذا الاتهام من فرعون لموسى عليه السلام، وما هذه الدعاية ضده، وما هذا التنفير من طريقته، فما أشبه الليلة بالبارحة، الآن هناك من ينفر من طريقة أهل الدين والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر الدعاة إلى الله، يقولون فيهم: هذا رجعي، هذا متزمت، هذا متعصب، هذا متأخر، عقله قديم، وأشباه ذلك.

فالواجب دعوة الناس إلى الخير، ونهيهم عن ضده، وإرشادهم إلى طلب العلم، لكن بشروط، وتحت قيود تطبيق أوامر الدين، فلا يطلب العلم بالمعصية، ويجب على الإنسان من ذكر وأنثى أن يتعلم من العلم ما يقوم به دينه مثل صلاته وطهارته وصومه، وما يتم الإسلام إلا به، ومثل أحكام الحيض والنفاس والطهارة للمرأة ونحو ذلك، أما العلم الذي يخرج بها عن طورها ودينها بسببه أو بسبب من تأخذ عنه ذلك العلم، فلا يجوز، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إن علوم الآلة إذا أضعفت العلم الشرعي حرمت، فمن طلب أن تكون المرأة متحررة بمعنى ترك أوامر دينها ونواهيه، فذلك لا يصلح. فنسأل الله سبحانه أن يثبتنا على دينه، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.



تنبه وتذكير لإخواني المسلمين أهل الأموال(١)

الحمد لله معز من أطاعه واتقاه ، ومذل من خالف أمره وعصاه ، وصلى الله وسلم على أفضل خلقه وأصفيائه محمد وعلى آله وأصحابه وأوليائه ، إلى من يراه أو يسمعه من إخواني المسلمين ، وفقنا الله وإياهم لقبول النصائح ، وجنبنا جميعًا طريق الخزي والفضائح ، آمين . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعدُ ؛ فتعملون- بارك الله فيكم- أن الدين النصيحة ، وأن واجبًا على المسلم النصح لأخيه المسلم ولفت نظره إلى ما ينفعه في أمر دينه ودنياه ، وأن يحب له ما يحب لنفسه ، ويكره له ما يكرهه لنفسه ، فإن الدين يفرض هذا على كل مسلم يخاف الله ، كما صرّح بذلك نبينا وسيدنا محمد ﷺ بقوله في الحديث الصحيح : "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" . وإنني أرى بمناسبة هذا الشهر العظيم المبارك شهر الصيام- تقبل الله منا ومنكم صيامه وقيامه- وأعاده علينا وعليكم سنين عديدة ، أرى في هذه الفرصة تنبيه ولفت نظر إخواني المسلمين من أهل الثروة والأموال إلى هذا الواجب العظيم الذي هو ركن من أركان الدين ، وشعيرة مالية من شعائر الإيمان ، ألا وهو أداء زكاة الأموال التي هي قرينة الصلاة في كتاب الله ، التي هي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين ، والصلاة ، إلى الفقراء والمساكين ، وإن كان إخراجها ليس متحتمًا في شهر رمضان ، وإنما عند حلول الحول في رمضان أو في غيره من الشهور والأيام ، ولكن الشيء له مناسبات ، وهي هنا فضيلة الصدقة في هذا الشهر ، وفي الحقيقة إن فريضة الزكاة في المال ، والأمر بإيصالها إلى الفقراء والأيتام ، هي من بعض حكم هذه الشريعة ، ومن بعض محاسن الإسلام ، حيث أمرت أهل الثروة والمال بأداء حقه وإيصاله إلى مستحقه ، وفيها من الحكم تعويد النفس على الجود

---

(١) صحيفة اليمامة العدد (٣٦٤) في ١٣٨٢/٩/٢٣هـ .

والكرم ، وفيها جبر قلوب الضعفاء والمساكين ، وفيها القضاء على الفقر والألم أو تخفيفه ؛ لأن اللَّه هو الذي جعل بني الإنسان غنيًا وفقيرًا بقوله : ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: الآية ٣٢] ، ولولا ذلك لتعطلت مصالح الناس ، ولكنه حكيم عليم ، وفيها من المصالح جلب الألفة والمحبة ، ومقتضى الإخوة بين المسلمين ، وفيها سد خلة المحتاج ، وتخفيف ضرورة حاجته حتى يسلم من أخذ أموال الناس بالباطل ، وعن السؤال للناس المذموم . وفيها زكاة للنفوس ، وطهارة للقلوب والأعمال ، وصفاء للعقائد ، وبعد عن البخل والشح المذمومين كما ، أشار إلى ذلك بقوله : ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: الآية ١٠٣] ، وهي من ناحية المال ذكاء له ونماء وخير وبركة ونفع في الحس والمعنى ، كما أشار إلى ذلك نبي اللَّه عليه الصلاة والسلام بقوله : « ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد اللَّه عبدًا بعفو إلا عزا » . رواه مسلم . وبقوله : يقول تعالى : يا ابن آدم ، أنفق ينفق عليك . متفق عليه . وقد ذكر في الحديث في عقوبة مانع الزكاة : « أنه ما تلف مال في بر ولا بحر إلا بسبب منع الزكاة » . وقد تكلم العلماء رحمهم اللَّه في حكم مانع الزكاة أنه يقاتل ، كما قاتلهم الصحابة ، وكما قاله النبي ﷺ في الحديث : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللَّه وأني رسول اللَّه ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على اللَّه عز وجل » . والتارك لها إما أن يكون تركه جحدًا لوجوبها وعنادًا للدين الإسلامي . فهذا كافر خارج عن الإسلام ، وإما أن يكون تركه لها بخلًا وشحًا وتغافلًا . فهذا حرام بإجماع المسلمين ، ويؤمر بها ويعزر عند منعها ، ويقاتله الإمام ، كما تقدم من فعل الصحابة رضي اللَّه عنهم ، وقد قال أبو بكر رضي اللَّه عنه خليفة رسول اللَّه ﷺ : لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة . ثم قال : واللَّه

لو منعوني عناقًا- أو عقالًا- كانوا يؤدونه إلى رسول الله، لقاتلهم على منعه. فاستفهم عمر من أبي بكر رضي الله عنهما، وناقشه الموضوع، فبين له أبو بكر الدليل، فاقتنع عمر، واجتمع على ذلك الصحابة رضي الله عنهم، وقد أثنى الله على المؤدين للزكاة في كتابه العزيز، يقول تعالى: ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [النحل: ٢، ٣]، وقال: ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [الذاريات: الآية ١٩]- أي المتقين- ﴿حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: ٢٤، ٢٥]، وقد توعد سبحانه من منعها أو كرهها، فقال في وصف المنافقين: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة: الآية ٥٤]، وقال: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ [الليل: ٨- ١١]، وقد جاء القرآن الكريم بالأسلوب الذي تخشع له الجبال وترعد منه فرائص الرجال؛ الأسلوب الحكيم الذي جاء من الكبير المتعال، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: كل مال لم تؤد زكاته فهو كنز، ثم تلا هذه الآية الكريمة. وقد فسرها النبي ﷺ بقوله: «أما أنه لا يوضع دينار على دينار، ولا درهم على درهم، ولكن يوسع جلده حتى يكوى به جبينه وجنبه وظهره». هذا صاحب المال الذي لم يؤد زكاته.

وقال في الإبل والبقر والغنم: «إنه يبطح لها بقاع قرقر تطؤه بإخفافها». إلى أن قال: «كلما مر عليها آخراها رد عليه أولاها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار». أو كما قال ﷺ. فيا عباد الله، أدوا زكاة أموالكم، طيبة بها نفوسكم، محتسبين الأجر والثواب، خائفين

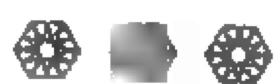
من منعها من الحساب والعذاب ، ولا تتبعوها إذا أخرجتموها منىً ولا أذى ، فإن ذلك يبطلها ، كما قال ربكم عز وجل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: الآية ٢٦٤] ، والشريعة المطهرة لا تأمر إلا بكل خير ولا تنهى إلا عن كل شر ، وأما المال الذي تجب فيه الزكاة فهو الذهب والفضة ، وما قام مقامها في المعاملة ، والنفوق كهذه الأوراق والفلوس ، وكذلك عروض التجارة والإبل والبقر والغنم ، فنصاب الذهب عشرون مثقالًا ، وقدره من الجنيه السعودي ، والإفرنجي أحد عشر جنيهًا ونصف جنيه ، ونصاب الفضة مائتا درهم من الدراهم القديمة النبوية ، وهي بالمثاقيل مائة وأربعون مثقالًا ، وقدره من الريالات السعودية- فضة كانت أو ورقًا- ستة وخمسون ريالًا ، ومن الريالات الفرنسية ثلاثة وعشرون ريالًا تقريبًا ، وفي الجميع ربع العشر إذا بلغت هذا النصاب المذكور ، وحال عليه الحول ، وكانت عند مسلم حر وصار المال ملكًا له ، فلا يجوز تأخيرها عن وقتها ، فإذا حال عليها الحول ، مثلًا في جمادي ، أو شعبان ، فلا يجوز تأخيرها إلى رمضان ، بل تخرج في وقتها ، وأما مسألة تقديمها قبل وقتها إذا كان حولها ، مثلًا في شوال ، فيجوز على أصح الأقوال ؛ اغتنامًا للزمان الفاضل والمكان ، وكذلك تجب الزكاة في عروض التجارة إذا ملكها بفعله بنية التجارة ، وبلغت قيمتها نصابًا من أحد النقدين ، فنقوم عند الحول بالأخص للفقراء بذهب أو فضة أو ورق ، ويجوز إخراج زكاتها من حينها ، كما اختار جوازه شيخ الإسلام بن تيمية- رحمه الله- خصوصًا إذا كان أنفع للفقراء ، قال : ويقوى على قول من يوجب الزكاة من عين المال ، فتجب الزكاة في عروض التجارة ، سواء كانت أقمشة ، أو زجاجًا ، أو مفروشات ، تعرض للبيع ، أو مكائن ، أو سيارات ، أو أراضي قد اشتريت للتجارة ، أو غير ذلك مما يشترى للبيع ، وبذلك سميت عروضًا ؛ لأنها تعرض وتزول ، ويشترط الحول في جميع أنصباء الزكاة إلا في الحبوب والثمار ، فإن

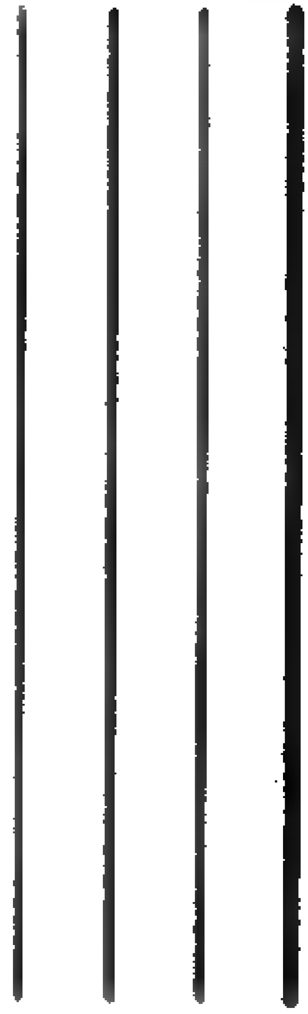
وجوب الزكاة فيهما عند بدو صلاحها وحصولهما ، والربح الذي حصل له من بيعه وشرائه يضم إلى أصله ويحسب معه عند إخراج الزكاة ، ويكون حوله تبع أصله كنتاج السائمة من بهيمة الأنعام ، ولو لم تولد السخلة إلا قبل إخراج الزكاة بيوم أو يومين ، ومصرف الزكاة هو ما ذكره اللّٰه سبحانه بقوله : ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [التوبة: الآية ٦٠] فلا يجوز صرفها إلى غير أحد هؤلاء الثمانية ؛ كإجراء العيون لسقي الناس ، ولا إلى بناية المساجد والقناطر والأربطة وكنس الأسواق وتسهيلها وغير ذلك من الطرق الخيرية ، ولا تجوز المحابات فيها بدفعها إلى غني من صديق أو قريب أو فقير تلزمه مؤنته ، تقية لماله ، أو إلى زوجه غني منفق ، وسواء كانت أمواله في يده ، أو في البنوك ، أو دين على مليء أو غيره ، فتجب فيها الزكاة ، ولا يجوز التحيل لإسقاطها ، فإن الحيل في إسقاط الواجب أو ارتكاب المحرم حرفة يهودية ، أعاذنا اللّٰه وإياكم منها ، ولهذا قال رسول اللّٰه ﷺ : « لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم اللّٰه بأدنى الحيل » . فيجب على الإنسان أن يحاسب نفسه ويخاف ربه عز وجل ويبرئ ذمته ، كما قال عمر بن الخطاب رضي اللّٰه عنه : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوها قبل أن توزنوا ، وتأهبوا للعرض الأكبر على اللّٰه « يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية » فيا عباد اللّٰه ، تنبهوا لهذا الواجب العظيم ، وادفعوا الواجب إلى أهله ؛ لتفوزوا بخيري الدنيا والآخرة .

فيجب على المسلم أن يتعلم من أمر دينه ؛ ما يقوم به دينه كصلاته وصيامه وزكاته وحجه وغير ذلك من فرائض الإسلام ، حتى يؤدي العبادة على وجهها الشرعي ، حتى يسلم من طريقة النصارى الذين يعبدون اللّٰه على جهل وضلال ، ولهذا ضلوا وتاهوا وحاروا ، أعاذنا اللّٰه من طريقهم ، وليحذر المسلم أن يغلبه

البخل والشح عن أداء زكاة ماله ، وهي أخت الصلاة وقرينتها في كتاب اللَّه وفي سنة رسول اللَّه في مقام الأمر ، قال تعالى : ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: الآية ٤٣] ، وكذلك في مقام الثناء على من فعلها ، وكذلك في مقام ذم من تركها ، كما تقدم ، قال ابن عباس رضي اللَّه عنهما : ثلاث لكل واحدة منهن قرينة لا تقبل بدونها ، إحداهن : قوله تعالى : ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: الآية ٥٩] فمن أطاع اللَّه ولم يطع الرسول لم يقبل منه ، والثانية قوله تعالى : ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: الآية ٤٣] فمن صلى ولم يزك لم يقبل منه ، والثالثة : قوله تعالى : ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان: الآية ١٤] فمن شكر للَّه ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه ، هذا ما رأينا الكلام حوله ؛ نصيحة لكم ، وبراءة للذمة ، ومعذرة بين يدي اللَّه عن أثم السكوت ، ونرجو اللَّه أن يصلح قلوب الجميع ، ويرزقنا الاستقامة ، ويثبتنا على دينه ، إنه على كل شيء قدير ، وصلى اللَّه على محمد وآله وصحبه وسلم .

«أملاه الفقير إلى عفو ربه المنان : عبد الرحمن بن عبد اللَّه بن فريان»



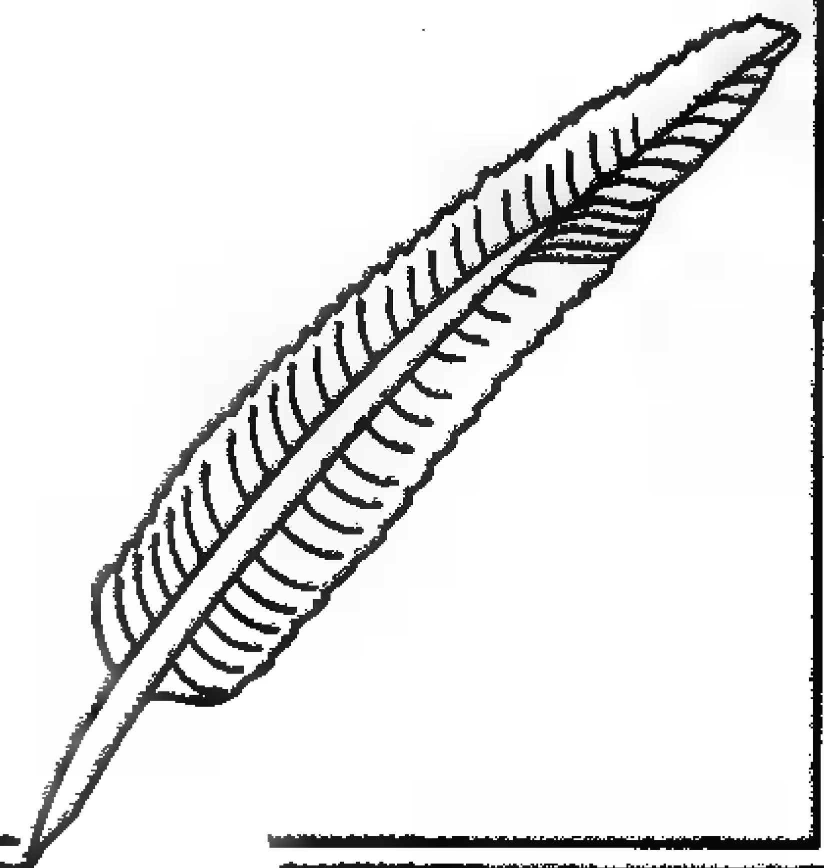


مقالات الشيخ

إبراهيم بن عبد المحسن العبيد رحمه الله

١٣٣٤هـ - ١٤٢٥هـ





مقالات الشيخ إبراهيم بن عبد المحسن العبيد[1]

(١) هو الشيخ الفرضي المؤرخ : إبراهيم بن عبيد بن عبد المحسن بن عبيد آل عبد المحسن.
ولد في مدينة بريدة عام ١٣٣٤هـ.
نشأ في أحضان والديه وحفظ القران وأتم دراسة تجويده وله من العمر اثنتا عشر سنة ، وتعلم الخط والحساب ، وكان موضع إعجاب من مدرسيه لما لمسوه من الجد والاجتهاد.
تلقى العلم على عدد من المشايخ ، منهم الشيخ عمر بن محمد بن سليم والشيخ عبد العزيز بن إبراهيم العبادي ، والشيخ عبد الله بن محمد بن سليم ، وأكثر الأخذ عنهم ، ومن الكتب التي تعلمها عليهم : إعلام الموقعين ، وكشاف القناع والروضة الندية ، وزاد المستقنع ، والرحبية في الفرائض ، وملحة الإعراب في النحو ، وألفية ابن مالك ، وكتب العقائد والحديث ، كالواسطية ، والصابونية ، والطحاوية ، والتوحيد وشروحه.
جلس للتدريس وعمره اثنين وعشرون سنة في المسجد واجتمع عليه تلامذة كثيرون ، منهم : الشيخ صالح البليهي ، والشيخ علي السكاكر ، والشيخ عبد الرحمن الحميد ، والشيخ محمد المرشد ، والشيخ سليمان التويجري ، والشيخ العلامة صالح بن فوزان الفوزان ، وغيرهم كثير ، وقد برز في علم الفرائض ، والتاريخ ، واللغة العربية.
عرض عليه القضاء فرفض ذلك ، إلا أن الشيخ محمد بن إبراهيم ألزمه بان يكون قاضيًا لتيماء ، فطلب منه الإعفاء فلبى له الشيخ محمد مطلبه.
درّس في المدرسة الفيصلية مدة طويلة حتى تقاعد ، وتولى الإمامة في عدد من المساجد منذ عام ١٣٦٢هـ حتى وفاته رحمه الله.
أما مؤلفاته ؛ فكتاب « عقود اللؤلؤ والمرجان في وظائف رمضان » ، و« البدور البهية والفتوحات القدسية » ، و« تذكرة أولى النهى والعرفان بأيام الواحد الديان وذكر حوادث الزمان » ، كما له ديوان شعر.
توفي الشيخ يوم السبت الموافق ٨- ١- ١٤٢٥هـ ، وصلي عليه في جامع الونيان ببريدة بعد صلاة المغرب ، وحضر الجنازة جمع كثير من المسلمين ، فرحمه الله رحمة واسعة.
انظر ترجمته في مقدمة طبعة كتاب « أولي النهى » كتبها تلميذه الشيخ سليمان التويجري. و« صحيفة الجزيرة » بتاريخ ١٤٢٥/١/١٥هـ وتاريخ ١٤٢٥/٢/١هـ وتاريخ ١٤٢٥/٢/١٣هـ.

الصـلاة[1]

[١]

وجاءت الشريعة بوجوب الصلاة ؛ لأنها صلة بين العبد وبين ربه ، يقف أمامه كل يوم وليلة خمس مرات ، والمحافظة عليها دليل الفلاح ، حيث يقول الله جل ذكره : ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢] .

وفيها من المصالح الرياضية العائدة على الجسم فوائد كثيرة ، حتى قال ابن القيم ـ رحمه الله في « الهدي »[2] : وأنت إذا تأملت هديه ﷺ في ذلك ـ يريد الرياضة ـ وجدته أكمل هدي ، حافظ للصحة والقوى ، ونافع في المعاش والمعاد ، ولا ريب أن الصلاة نفسها فيها من حفظ صحة البدن وإذابة أخلاطه وفضلاته ، ما هو من أنفع شيء له ، سوى ما فيها من حفظ صحة الإيمان ، وسعادة الدنيا والآخرة .

وهذا الذي ذكره ابن القيم شيء مشاهد ؛ فإن علماء الصحة أقروا بفوائد الصلاة للبدن ومصالحها له في حالة الركوع ، ثم القيام ، ثم السجود ، وما يتأتى في ذلك من الضغط للآلة الهاضمة ، فأصبح نفعها عائدًا على الأجسام ، كما أنه عائد على الدين ، وأنها من شجرة الإيمان بمنزلة القيام على البستان ، والسقي له ، فلولا تكرر الصلاة في اليوم والليلة يبست شجرة الإيمان وذوى عودها ، ولكنها تنمو وتجد بعبوديات الصلاة ، وكذلك شرع الله لها الجماعة ؛ ليجتمع الناس في المساجد ، ويتفقوا ويعرفوا أنهم كالجسد الواحد . والله الموفق .



(١) صحيفة القصيم- العدد (٨٥) .

(٢) « زاد المعاد في هدي خير العباد » (٤/٢٤٧) .

تحريم الزنى[(١)]

قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٧٩]، وقال في موضع آخر: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢١٩].

إن في[(٢)] الشريعة المحمدية من المصالح الدينية والدنيوية والأخلاقية ما لا تبلغه العباد[(٣)]، ولا يحيط بعلمه عارفٌ.

مثال ذلك: أن اللَّه تعالى حرم الزنى؛ لما فيه من خلط الأنساب، وإفساد الأخلاق، وتوعد تعالى على فعله في الدنيا والآخرة، وكان محرمًا في جميع الشرائع، ومذمومًا في عامة القوانين، ولا يفعله إلا من تجرد من المروءة والحياء.

وما ظهر الزنى والربا في قوم إلا وظهر فيهم الفقر والمرض والظلم[(٤)].

فإذا نظرنا إلى ما فيه من المفاسد الدنيوية؛ ففيه انتشار الأمراض، علاوة على ما فيه من المفاسد؛ لأن البغيَّ من النساء لا تردُّ يدَ لامس، فلا تبالي بمن أتاها، فقد جمعت من الأمراض المعدية والآفات المهلكة، ما هو أشد فتكًا وأسرع هلكة، وقد ينقل الرجل من المرأة مرضًا قاتلًا، وبالعكس، فيذهب به إلى امرأة أخرى، وكذلك المرأة تذهب به إلى رجل آخر، فينتشر البلاء، ويتكاثر الأذى،

---

(١) صحيفة القصيم- العدد (٩٢) في ١٣٨١/٤/١٦هـ.

(٢) سقطت «في» من الأصل.

(٣) في الأصل: «العبادة». ولعل المثبت هو الصواب.

(٤) يشير إلى حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما مرفوعًا: «يا معشر المهاجرين، خمس إذا ابتليتم بهن، وأعوذ باللَّه أن تدركوهن؛ لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ...» الحديث أخرجه ابن ماجه (٤٠١٩)، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٠٦) وانظر الصحيحة أيضًا (١٠٧).

ويصاب البريء ويناله الشر .

وما زال فطاحل علماء الصحة يحذرون من الزنى ، حتى كانوا يكتبون على المتحف الصحي هذه الآية الشريفة : ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: الآية ٣٢] ، وإن لم يكن فيه من المفاسد إلا ذلك لكفى . فكيف بالوعيد الشديد الذي جاء فيه من كون أهل النار يتأذون من رائحة فروج الزناة ، على ما بهم من الأذى[(١)] .

واللَّهَ نسألُ العافية من ذلك ، والنجاة من النار ، إنه أهل للمغفرة والعفو .

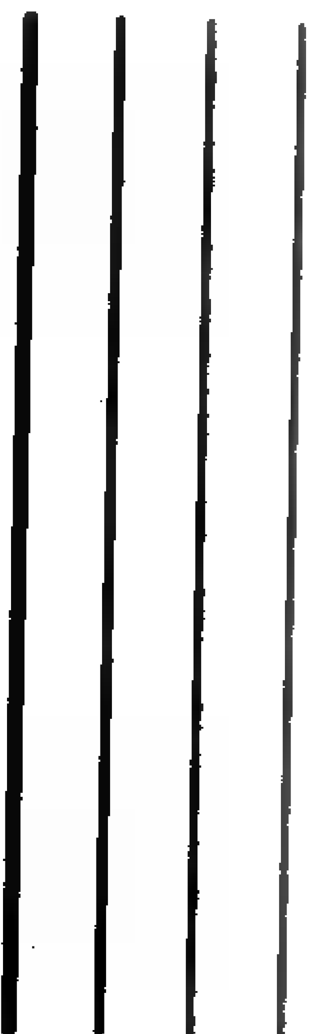


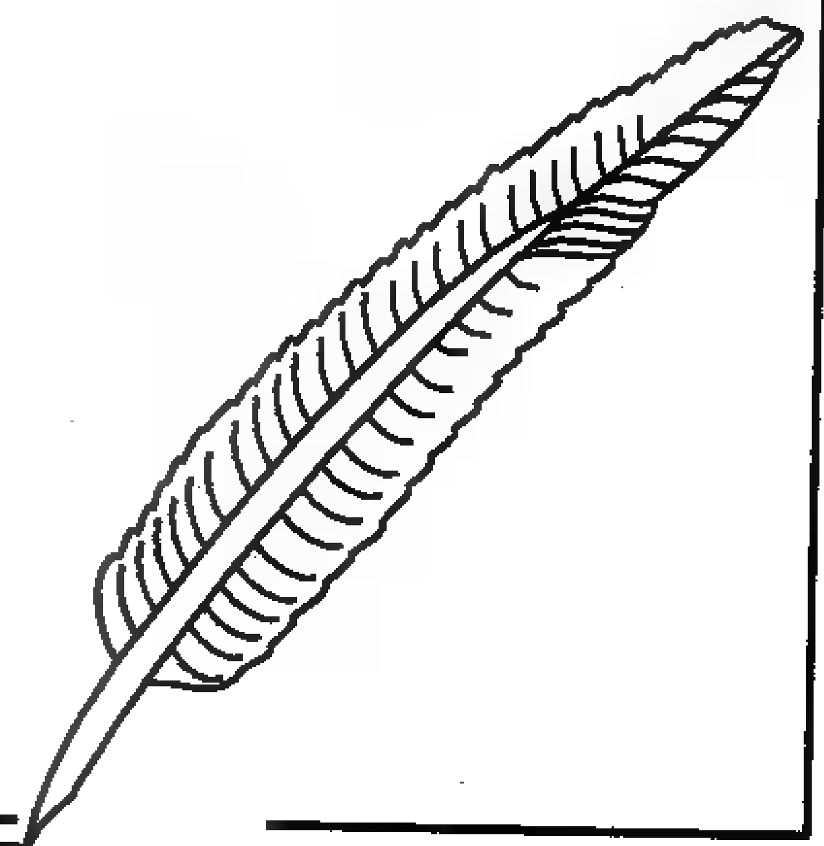
(١) لعله يشير إلى حديث بريدة رضي اللَّه عنه مرفوعًا : « إن السموات السبع والأرضين السبع لتلعن الشيخ الزاني ، وإن خروج الزناة ليؤذي أهل النار نتن ريحها » . أخرجه البزار (٤٤٣١) . وضعفه الألباني في الضعيفة (٣٠١١) .



مقالات الشيخ
عبد العزيز بن محمد
ابن إبـراهيـم رحمه الله

١٣٣٧هـ - ١٤٢٦هـ





مقالات الشيخ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم(١)

الدعوة إلى الله سبيل المرسلين(٢)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى : ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يُوسُف: الآية ١٠٨] .

وما أحوجنا نحن المسلمين ، في هذا العصر الذي سرى واستشرى فيه تيار الإلحاد والكفر والزندقة ، أن ندعو إلى دين الإسلام ؛ للالتفاف حول لوائه ، والرجوع إلى دستوره المقدس ، وتصفيته من الشوائب الشركية والبدعية التي

(١) هو الشيخ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ . ولد في الرياض عام ١٣٣٧هـ ، نشأ نشأة صالحة وتربى على يد والده سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم . ودرس مبادئ القراءة والكتابة في الكتاتيب المجاورة لمسجد والده بمعرفة المقرئ عبد الرحمن بن مفيريج حتى حفظ القرآن الكريم ، ثم التحق بحلقة والده فتعلم العلم الشرعي فدرس على يديه الكثير من العلوم الشرعية والعربية فأثر ذلك في صقل موهبته الشعرية فهو من كبار الطلبة الملازمين له في حلق التدريس .
تولى الكثير من المناصب ؛ منها : رئيس المجلس البلدي بمدينة الرياض ، خطيب مسجد الملك عبد العزيز في المربع ، مدير المكتبة السعودية ، نائب رئيس القضاة ، مدير معهد الرياض العلمي ، أول مدير لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرئيس العام لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مستشار بالديوان الملكي ، عضو بمجلس الشورى .
وكانت له بصماته الواضحة في كل الأعمال التي قام بها ، وكان سندًا لوالده في الإفتاء والقضاء ، له الكثير من المؤلفات ؛ منها : « أوضح المسالك لمعرفة أحكام المناسك » ، « تحفة الحاج » ، « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين الماضي والحاضر » ، « الفتح الرباني مختصر تفسير الشوكاني» (اختصار وتعليق) ، « مختصر كتاب الترغيب والترهيب » ، « المختار من المنار » .
توفي رحمه الله في الأول من شهر صفر عام ١٤٢٦هـ وصلي عليه بجامع الإمام تركي بن عبد الله بالرياض . انظر ترجمته في « مجلة العدل » العدد (٢٧) رجب ١٤٢٦هـ .

(٢) صحيفة البلاد- في ١٣٧٨/٩/٢٢هـ . الندوة في ١٣٧٨/٩/٢٢هـ .

ألصقها به أعداؤه، وبعض أهله الملحدون، والمقلدون الجامدون المبتدعون[١]؛ مما يتنافى مع نصوصه الشرعية المطهرة وروحه الصافية.

ما أحوجنا إلى أن نقوم بواجب أمتنا ومجتمعنا فنوجهها التوجيه الصحيح؛ نوجهها إلى شريعة محمد ﷺ على النحو الذي أراد الله وشرعه.

إنه ليس علينا أن يتم الطريق، ولكن علينا أن نفتح الطريق، ونضع حجر الأساس في صرح البناء.

إن المجتمعات الإسلامية في حاجة إلى دعوة وإصلاح، وتوجيه وإرشاد، وإن العلماء في كل قطر لمقصرون في أداء الأمانة التي حملوها؛ آراؤهم مختلفة، وأغراضهم متباينة، والمسئولون في كثير من البلاد الإسلامية لا يعنون بالإسلام، ولا بالدعوة إليه! بل ربما وقفوا حجر عثرة في طريق الدعاة؛ وهم بهذا يتممون ما بدأه الاستعمار!

أقول هذا صراحة؛ نصيحة لله ولهم، وإلا فما بالهم لا يطهروا مجتمعاتهم من هذه الخرافات والأقاصيص المفتعلة التي لا نصيب لها من الصحة، وليس عليها أثاره من علم، فضلًا عن أنها تمجها الطباع السليمة.

إن إقرار هذا في المجتمع الإسلامي غش للشعوب الإسلامية، وإبقاء لما أراده الاستعمار، فإن الاستعمار هو الذي شجع هذه المهازل، وأقر هذه السخافات، ورضيها للمسمين؛ لكونها تشوه وجه الحق وتنفر كل ذي عقل سليم من الدخول فيه.

إن الاستعمار ذو أشكال عديدة! وإن دعوة الحرية والعزة والكرامة بدون إصلاح المجتمع الإسلامي وتطهيره من رواسب الاستعمار في العقائد والعادات والتقاليد، دعوى زائفة وكلمات جوفاء، إن تحققت من ناحية فقد أفلتت من

(١) في الأصل: «المتدعون».

نواحي أخرى ، وإلا فأية حرية والعقول مستعبدة ، قد فرخ فيها الشيطان وباض ؟! وأية عزة تتوفر ، والمسلمون بأعمالهم التي ابتدعوها ؛ مهزلة ومسخرة ؟! وأية كرامة وحالهم تدعو إلى المهانة والضعف والضيعة ؟! .

إن حال المسلمين غير مرضية ، ولن يصمدوا في وجه تيارات الإلحاد إلا إذا صححوا نسبتهم للإسلام ، وصدَقَت أخوَّتُهم الدينية .

إن الإسلام هو أنجع وسيلة للوقوف في وجه الاستعمار والشيوعية والإلحاد . لقد من اللّه على المؤمنين إذ جعلهم أمة واحدة ، فما بالهم لا يسنون جامعة إسلامية ؛ توحد كلمتهم وتجمع شملهم . لننبذ العصبية والنعرات الطائفية ، ولنكتف بكلمة : إسلام ؛ ولا شيء غير الإسلام . لنحقق هذه الكلمة ، ولنحللها ، ثم لنطبقها .

إن المسلمين بهذا سيشعرون بوجودهم في الحياة كدولة مرهوبة ، وسيحسب لها ألف حساب وحساب ؛ ذلك أنها تملك قوة هي أقوى من الصواريخ والقنابل المحرقة ، وأشد من أساطيل البحر والجو .

نعم ، إنها قوة الإيمان باللّه ، الإيمان بالعقيدة : عقيدة الحرية ، والعزة ، والكرامة .

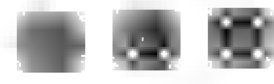
إن الإسلام قد أراد لأبنائه الحرية المطلقة والعزة الشاملة ، أراد لهم التحرر من ربقة العبودية والتبعية . أراد أن يكون سلطانه هو الظاهر ، وأبى على كل إنسان أن يذل لأي مخلوق كائنًا من كان . أراده عالي الرأس شريف النفس ، قوي الإرادة نافذ العزيمة . مقت الذلة والاستكانة ، ودعا إلى العزة والكرامة . نهى عن الخداع والنفاق ، ودعا إلى النصح والحق والعدل والمساواة .

الناس في نظر الإسلام سواسية ، كأسنان المشط ، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى .

لقد ضاق المستعمرون والمستشرقون بالإسلام ذرعًا ، وخافوا أن تقوم له

دولة، ولقد أمن خوفهم حينما ثار أبناؤه ضدهم بغير اسمه، وهان عليهم الخطب. وربما قالوا: زوبعة وتزول. لقد هالهم الإسلام وأقض مضاجعهم، فدبروا له المكائد، وبثوا الدعايات السيئة ضده، وقالوا عنه: بأنه لا يصلح للتطور، ولا لحياة القرن العشرين!! ومن المؤسف أن نجد في صفوفنا أدعياء دخلاء، كفروا بالله، قد دعوا بدعوتهم، وما علموا أن الإسلام قد نظم لمرافق الحياة ومصالحها أنظمة وقوانين لا توجد في أي دين حر.

نسأل الله تعالى أن يجمع كلمة المسلمين على كتاب الله وسنة رسوله، وأن يوحد قلوب ملوكهم ورؤسائهم، ويأخذ بأيديهم إلى ما فيه نصرة دينه وإعزاز شريعته، إنه سميع مجيب. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



جاهدوا .. لنشر الإسلام(١)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

أما بعد ، فإن من أحب الأعمال إلى الله : الجهاد في سبيله بالنفس والمال والنصح والتوجيه .

وقد أعدَّ الله للمجاهدين في سبيله الأجر والثواب الجزيل ، فجعل حياتهم طيبة مستقرة ، ونفوسهم راضية مرضية ، وأعمالهم موفقة وناجحة ، وفي الآخرة وعدهم رضاه وجنته : ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: الآية ٩٧] .

والجهاد أنواع : جهاد بالحجة والبيان ، وجهاد بإنفاق المال ، وجهاد بالقوى الحسية .

ونحن الآن بصدد الجهاد بالحجة والبيان ، والجهاد بإنفاق المال .

أما الجهاد بالحجة والبيان : فإنه يجب على علماء الدين وحملة شرع رب العالمين قيادة هذه الأمة إلى ساحل النجاة وسعادة الدارين بالأقوال الصادقة والأفعال الصالحة ، على وَفق ما جاء به منقذ البشرية الأعظم محمد بن عبد الله ﷺ ، فقد ترك أمته على المحجة البيضاء؛ ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك .

يجب عليهم في كل مكان أن يشنوها حربًا شعواء لا هوادة فيها على الإلحاد والملحدين والزنادقة المارقين ، يجاهدون بالحق وينادون بالفضائل التي جاء بها الدين الإسلامي ؛ غيرة على شرع الله وحرماته وأحكامه ، وإشفاقًا على الأمة كي لا تؤثر فيها تلك الديانات المضللة التي تنفث سمومها في صفوف المسلمين ، متدرعين بالصبر الجميل ، متوخين الحكمة والصواب في الأقوال والأفعال ؛ فهم

(١) صحيفة الندوة- السبت- ١١/١٠/١٣٧٨هـ.

الذين حملوا المسئولية واضطلعوا بالمهمة، وبهم وبما يقومون به من مجهودات موفقة ودعاية صالحة وإرشاد حكيم وتوجيه سليم تستقيم الأمور، وتخف الويلات والشرور.

إن الشباب في العالم الإسلامي- إلا من رحم اللَّه- عن الدين معرضون، ومن تعاليمه متبرمون، شاهت الحقائق الإسلامية في قلوبهم، ففهموها[1] على غير وجهها، حتى عميت عليهم القيم الإسلامية العظيمة، واعتقدوا أن الإسلام لا يكفي لمجابهة الحياة ومشاكلها، وضعف إيمانهم باللَّه، فلم يعد لأحدهم وازع من دينه، أقبلوا على الدنيا فشغلتهم برونقها ومفاتنها. وقد قال الرسول ﷺ: «ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تفتح عليكم الدنيا فتنافسوا فيها فتهلككم كما أهلكت من كان قبلكم»[2].

لذا فإنه يجب على المسؤولين والقائمين على شئون الشباب في بلادنا توجيه النشء توجيهًا صالحًا، وحملهم على الخير، وتطعيمهم بالعلوم الدينية والتعاليم الإسلامية؛ لتتربى فيهم روح التقوى، ويدركوا عظمة المثل العليا التي جاء بها الإسلام، وليعرفوا ربهم بصفاته فيراقبوه في كل الأحوال، ويؤمنوا بيوم الجزاء، فيكون لهم من أنفسهم ضمائر حية ووازع ديني يقيهم من الوقوع في المحرمات والاستخفاف بالآيات البينات.

إن أعداء الدين قد نصبوا الشراك لأبناء المسلمين فأوقعوا من أوقعوا فيها، حتى نبذوا دينهم واستساغوا كل نعرة شيطانية، واجترؤا على اللَّه بالاستخفاف بشرعه وسوء الظن به، والكفر به وبأنبيائه ورسله، حتى كتب من كتب منهم- ويا أسفاه- بأن الدين خرافة! وأن الحج وثنية! وأن الإسلام آلة ضعف وانحطاط!

---

(١) في الأصل: «ففهمها».

(٢) أخرجه البخاري (٤٠١٥، ٦٤٢٥)، ومسلم (٢٩٦١) من حديث المسور بن مخرمة عن عمرو بن عوف رضي اللَّه عنهما.

وقالوا : إنه أفيون الشعوب !! وغير ذلك من عبارات الكفر والإلحاد التي يندى لها جبين المؤمن ، ويفيض لها قلبه أسىً وحسرة على المسلمين .

إن الجهاد بالقلم واللسان والحجة والبيان ذو فوائد كبيرة ، ونتائج حسنة ، وهو يساوي الجهاد بالنفس والمال ، بل قد يكون خيرًا منهما وأفضل .

فيا علماء الدين ، ويا كُتَّاب المؤمنين ، عضدوا بعضكم وقفوا صفًا واحدًا لنصرة هذا الدين ، وكبح جماح المارقين الملحدين ، الذين بذروا بذور الإلحاد ، ودسوا سمومهم بينكم وأنتم لا تشعرون .

يجب عليكم مناصرة الحق ودحض الباطل ، ونشر الفضيلة ومحاسبة الرذيلة ، والدعوة إلى محاسن الدين الإسلامي ومثله العليا ومبادئه السامية ، عسى أن يتمكن في نفوس الناشئة المحدثين .

أما الجهاد بالمال : فإن فضله كبير ، وصدقة في سبيل اللّٰه بسبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: الآية ٢٦١]

فيا أيها الأغنياء من المسلمين ، احتسبوا ثواب اللّٰه ، وخصصوا من أموالكم جزءًا للدعاية للإسلام ومبادئه السامية ، ومحاربة المبادئ الهدامة . إياكم والأنانية والشح ، فإن اللّٰه سائلكم عن أموالكم : من أين جمعتموها ، وفيم أنفقتموها ؟ ليكن لكم من أعمالكم الصالحة شافع لكم عند اللّٰه ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ [آل عِمران: الآية ٣٠] .

فأنفقوا في سبيل اللّٰه عسى أن تنالوا جزاء ما أنفقتم حماية أنفسكم وأموالكم وأهليكم وأعراضكم ، وسلامة أوطانكم وأولادكم ، وفي الآخرة تفوزوا برضا اللّٰه وجنته ، فاللّٰه يقول : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى

ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: الآية ١١١].

إن الإلحاد لم يغزنا في عقر دارنا بجيوش جرارة وبأساطيل وطائرات، وإنما غزانا بالدعاية المضللة الفاجرة، والمجلات الداعرة الماجنة، والكتب الإلحادية الفاسدة على أيدي عملائه الخونة المارقين الذين تنكروا لدينهم، وإن من وراء هذه الدعايات المضللة أموالًا تغدق عليها، لا من حكومات فحسب بل من أغنياء آمنوا بمبدئهم، فأنفقوا عليه الأموال بسخاء.

إن كل واحد من المسلمين على ثغر من ثغور الإسلام فليتق اللَّه أن يؤتى الإسلام من قبله. يجب أن يشعر كل فرد منا بالمسئولية والخطر، فإن الإنسان لا تظهر قيمته في هذه الحياة إلا بما قدم، كل على حسبه وفي حدود استطاعته.

إن ولاة أمورنا- وللَّه الحمد- للحق ناصرون مؤيدون، وللباطل كارهون ومكافحون، وقد لمست ولمس غيري من دعاة الخير ومريدي الإصلاح، لمسنا جميعًا من جلالة الملك سعود- وفقه اللَّه- ومن حكومته الرشيدة كل التأييد المطلق والحرص التام والرغبة الصادقة الملحة في الدعوة إلى اللَّه، ومحاربة الإلحاد والملحدين وأعداء الدين.

لذا فإنه يجب علينا- حكومةً وشعبًا- أن ننظم للدين دعاية قوية في الداخل والخارج، ونوجه إذاعتنا، ونشجع صحافتنا وكتابنا المؤمنين؛ حتى يصبح للحق منبر تدوي منه صيحاته، وتنطلق منه آياته وبيناته، فتدمغ الملحدين وتزهق الباطل ولو كره المجرمون. واللَّه المستعان، وهو حسبنا ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير.

***

واجب العلماء .. نحو الناشئة[١]

لما كان العلماء هم ورثة الأنبياء، كانت رسالتهم في هذه الحياة هي الرسالة الإنسانية الخالدة التي بها صلاح البشرية.

إذًا على عاتقهم يقع العبء الأكبر من تبليغ هذه الشريعة الإسلامية، وبيان مبادئها، وما اشتملت عليه من أصول وأحكام، وشرح ما جاءت به من نظم إصلاحية إنسانية، وآداب اجتماعية راقية، وتنظيمها وعرضها بما يتفق ونفسيات الناشئة ومفاهيمها، إن ناشئتنا على أصل من الفطرة، فهي حقل خصب لبذر بذور الدين والخير، والإسلام دين الفطرة السليمة، ودين التوحيد، هدى ونور، يربط بين الإنسان وربه، وقبس يضيء الطريق للسالكين في كل نواحي هذه الحياة، وهو دين الوحدة الدينية بين البشر، يستهدف فيما يستهدف تنظيم العلاقات بين الناس في محيط الأمة والجماعة والأسرة.

إن للناشئة واجبًا على علماء الشريعة، ذلك هو بيان ما تنطوي عليه الشريعة الإسلامية من عقيدة وأصول وأحكام ونظم. فعليهم أن يميطوا اللثام عما خفي على الناشئة من أسرار الشريعة وحكمها ومصالحها، ويبينوا عقيدة الإسلام، ويبرزوا محاسن الدين، ويوضحوا حكم العبادات التي تنظم صلة العبد بربه وأسرارها.

عليهم أن يغشوا أندية الشباب والناشئة؛ فيوجهوهم الوجهة الدينية، ويلقوا فيهم المحاضرات القيمة البناءة، فيعالجوا مشاكلهم ويصححوا مفاهيمهم.

فقد عالج الإسلام الأمراض الاجتماعية التي تعاني الإنسانية ويلاتها، فوصف لها الدواء الناجع، بيد أنه جعل ضمان نجاحه مرهونًا بتطبيق مبادئ الدين وتنفيذ أحكامه، تلك المبادئ السامية التي بنيت على أصول محكمة عادلة، تقوم عليها

(١) مجلة الجزيرة - العدد (١) - ذو القعدة ١٣٧٩هـ.

المعاملات بين الناس على أساس من العدل والمساواة والأخلاق الفاضلة الشريفة، وضمنت للبشرية حياة اجتماعية سعيدة، كفلت مصالح الفرد والمجتمع في كل زمان ومكان.

والإسلام هو دين التوحيد والعقيدة الصافية من شوائب الشرك والوثنية والبدع والأوهام، شرع العبادات ذات الأثر الطيب في صفاء الروح وزكائها وتطهيرها، وأباح للناس الطيبات، وحرم عليهم الخبائث، وجعل المعاملات دائرة على درء المفاسد وجلب المصالح، وسوَّى بينهم في الحقوق، لا فرق بين أمير ومأمور، وغني وصعلوك، ورجل وامرأة، وأبيض وأسود، شهد بعظيم كيانه وقوة قواعده وأصوله وسلامة مبادئه كل مفكر منصف خال من التعسف والعصبية.

إنه له لتأثيرًا في النفوس، ونفوذًا إلى الأرواح والعقول، فهو يؤثر على العواطف والمشاعر بهداية الله الذي خلق النفوس وفطرها، والذي يفيض عليها من أسراره وبره وعطفه ورحمته ما شاء، فالقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، يقلبها كيف يشاء، بمقتضى عدله، وحكمته البالغة، وعلمه الذي وسع كل شيء، ولقد كاد أعداء هذا الدين للإسلام؛ فأرجفوا بخيلهم ورجلهم، وأرسلوها حملات نكراء مدمرة، تلك هي قوى الشر والفساد والإلحاد التي غزتنا في عقر دارنا على صفحات المجلات الماجنة والإذاعات الفاجرة والقصص الرخيصة والكتب الإلحادية الهدامة التي تحمل في طياتها السم الزعاف.

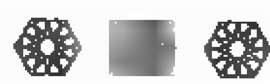
إن الهدف الأوحد لهذه الحملات المضللة هم ناشئة المسلمين؛ ليصرفوهم عن دينهم الحق، ومبادئهم السامية، دعايات كلها تشكيك وتضليل وإغراء وإغواء، تتهجم على دين الإسلام، دين الحق والعدل، بأنه كسائر الأديان التقليدية، لا يؤمن بالعقل، وغير ذلك من التهجمات الكاذبة، أضف إلى كل هذا: طغيان حياتهم المادية، الخالية من المعاني الروحية النبيلة، تلك الحياة المليئة بالشر والفساد، أسكرت العقول وأعشت الأبصار، فلم يعد ضعفاء

البصائر، وعمي القلوب يؤمنون إلا بالمادة، في حين أن الأمم المادية والإلحادية- رغم ما تملك من القوى المادية والعلمية - ما زالت في حيرة من أمرها، واضطراب وقلق شديدين، فهي لا تجد إلى الأمن والاستقرار سبيلًا.

ومن المؤسف أن تجد هذه الدعايات مرتعًا خصبًا، فيستجيب لها أقوام تنكروا لدينهم ونبذوه وراءهم ظهريًا، واستحبوا الحياة الدنيا على الآخرة، واعتبروا، غباء وجهلًا، المحافظة على ما جاء به الدين من عبادات، ومعاملات، ونظم اجتماعية إسلامية، رجعية ليس من العقل أن نعود إليها. ما أحوجنا في هذه الظروف الدقيقة الحرجة أن ننظم الدعاية لهذا الدين، ونبعثها من جديد رسالة إصلاحية عارمة، تبعث في نفوس المسلمين الأمل، وتحصن هذه الناشئة بسياج منيع من العقيدة والأخلاق، وتئد الفتنة في مهدها، وتجنيب مجتمعنا الشرور والآثام، وتقضي على المبادئ الهدامة، والعواصف الهوجاء، والأعاصير المهلكة، والتيارات العنيفة المتضاربة.

إن على المسلمين التعاون في هذا السبيل، وعلى العلماء الدعوة إلى دين اللَّه بمحاضراتهم وأقلامهم، وعلى ولاة الأمور التنفيذ، وإتاحة الفرص للدعاة والمرشدين والمصلحين.

إن القافلة تسير في طريقها إلى نهايتها المحتومة، والتاريخ يسجل على شريطة، تلكم الخطوات المتلاحقة، فلنحرص على أن نترك للأجيال القادمة من المثل العليا، والآداب الكريمة، والأخلاق الفاضلة، والدعوة الصالحة الصادقة، والجهاد والنضال، والعمل في سبيل الحق، ما يثبت وجودنا، وما تبرأ به ذمتنا أمام اللَّه سبحانه ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [التوبة: الآية ١٠٥].



فهرس الكتاب

الموضوع **الصفحة**

❁ ❁ ❁